



مذكرات الحرب

النفيير

١٩٤٢ - ١٩٤٠

الجنرال ديغول

ترجمة:

عبد اللطيف شرارة

النسب

(١٩٤٠ - ١٩٤٢)

جميع حقوق الطبعة العربية في العالم محفوظة لدار منشورات هريديات -
بيروت لبنان - بموجب اتفاق خاص ووافق عليه المؤلف مع الناشر
« Plon » بتاريخ ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٦ في باريس

الجنرال ديفول

مذكرات الحرب

★

النفسير

١٩٤٠ - ١٩٤٢

مُراجَعة
أحمد عويدات

مُراجَعة
عبد اللطيف شرارة

منشورات بحر المتوسط (١) منشورات عويدات
بيروت - باريس بيروت - باريس

هذه المذكرات وهذه الترجمة

لا زال المكتبة العربية بحاجة الى المؤلفات السياسية الكبرى التي رسم تيارات التاريخ المعاصر ، ولتكشف ما وراء الاحداث الراضة ، من قضايا وشؤون .

ولا جدال ان « مذكرات الحرب » مؤلفها الجنرال الرئيس شارل ديغول ، من أنفس ما كتب ، وأغنى ما نشر ، من مؤلفات تاريخية ، في عصره هذا ، لا تلقى من اضراء ، وتكشف عن اسرار ، وتوصل من معان وإشارات رهبر ، فهي تبسط الوقائع التي كان لها أبلغ الأثر في مجاري السياسة العالمية الراضة ، بروح موضوعية ، ونحر للحقائق ، وتقدم مجردة في تبين اسبابها ، واستخلاص نتائجها ، ثم تعزل هذا العرض بالوقائق والارقام ؛ ويرفعها بالفترة والسطوع ، بيان مشرق ، وإطلاع جم ، وفكر نير ، ولجربة حية عز نظيرها في الآثار التاريخية المأثلة .

وقد أرادت هذه الدار ، سيراً مع خطتها في إغناء المكتبة العربية الحديثة ، ومدمها بما تحتاج اليه من نتاج الفكر الفرنسي المعاصر خاصة - أرادت ان تحتل تلك « المذكرات » مكانها في ثقافة العربي السليمة ، إيا كان بلد هذا العربي ، واتجاهه ،

وحده ، على نحو ما احتلتها في ثقافة الادري والامبركي وابن البلدان الشرقية الاخرى ،
فعمدت الى ترجمتها عن الاصل الفرنسي .

تستلزم هذه الترجمة ييزتين : اولهما ان الجبرال الرئيس كان قد رغب في الاطلاع على
النص العربي قبل نشره . وثانية هذه الرغبة ارسل اليه المخطوط وعاد يحمل موافقته .

والثانية ان العرب - وهو من اعلام البيان العربي في ايامنا مسنده - افاد في
ركيز التحييرات للتقنية . من جهود العاملين في هذا الحقل وما انتهوا اليه . ولا سيما
في دوائر الجيش اللبناني . وقيادات كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية
السورية .

وإنا لنأمل ان يجد قراء العربية في هذه الترجمة ، ما يشعرون من اطلاع على
الحقائق ، وتغرس بالفكر السياسي ، والمصري ، والتاريخي ، في أطل مستوياته ،
وأوسع آفاقه .

الناشر

١٩٦٧/١٠/١٠

LE GÉNÉRAL DE GAULLE

Paris, le 11 décembre 1958

Monsieur le Directeur,

Je me félicite de ce que, grâce à vous et à votre maison, le premier tome de mes mémoires de Guerre soit mis à la portée des lecteurs arabes.

L'envoi que vous m'avez adressé m'a permis d'apprécier la présentation donnée à l'ouvrage. Il est en même temps pour moi l'occasion de vous remercier du soin que vous-même et vos collaborateurs avez apporté à cette édition. J'ajoute que j'ai été très sensible à votre lettre et aux sentiments d'amitié à l'égard de la France qu'elle manifeste.

Vous les adresse, Monsieur le Directeur, à mes sentiments les plus distingués et les meilleurs.



Monsieur Ahmad OUEDAT

المشعر

كان مني ان كنت ، على مدى حياتي ، نوعاً من فكرة عن فرنسا
اوحى بها إليّ الشعور ، كما كانت من وحي العقل ايضاً . وان الجانب
الماعطي من ذاتي ليتخيل فرنسا على نحو طبيعي ، كما لو كانت اميرة
من اميرات الحكايا ، او صورة من صور العذراء المزركشة على جدران
المنازل ، وكانت نذرت لقدر جليل ، غير عادي . وكان لديّ بالفطرة ،
هذا الانطباع ، وهو ان العناية الالهية اوجدت فرنسا لإحراز نجاحات
مكتملة او المرور بويلات يضرب بها المثل . واذا حدث ، مع ذلك ،
ان اتسمت افعالها ومآليها بما يخفض من مقامها او يجعلها غير متقدمة ،
بخالفني حيال ذلك ، احساس بشذوذ غير معقول يلبي ان يعزى الى
اخطاء الفرنسيين ، لا الى عبقرية الوطن . غير ان الجانب الايجابي من
تفكيري يقنعني ان فرنسا لا تكون اياها على حقيقتها ، الا حين تحتل
المصف الاول ، وان المشروعات الكبرى ، الشامة ، وحدها هي التي
يتاح لها ان تحمل حمل خائر التفكير التي يحملها شعبها في قراقرص ، وان
على بلادنا كما هي ، وسط بلاد الآخرين كما هي ايضاً ، ان تصوب نظرها
الى الملاء وتلتصّب واقفة ، مستقيمة . ان فرنسا لا تستطيع في رأي ،
بقول مختصر ، ان تظل فرنسا ، من غير عظمة .

ولقد غا هذا الايمان وكبر مع تناميّ في البيئة التي ولدت بها ، اذ

كان والدي ، وهو من رجال الفكر والثقافة والتقاليد العريقة ، مشبعاً بشعور الكرامة الفرنسية ، وهو الذي كشف لي تاريخ فرنسا ، وكانت والدتي تنطوي على هوى لا ينامح ابداً ، تجاه الوطن ، ولا يوازيه في عرامته سوى ورعها الديني . وكنا اخوتي الثلاثة وشقيقي وانا ، نحمل ضرباً من اعتزاز ببلادنا وقلق نزل من نفوسنا منزل طبيعة ثانية . وكنت وانا فتى صغير من مدينة « ليل » ، في باريس لا يهزني شيء بمقدار ما تهزني رموز اجدادنا : الليل المسدل على « نور - دام » وجلال المساء في « فرساي » وقوس النصر المؤتلق تحت الشمس ، ورايات الظفر الخافقة في اعالي « الانفاليد » . وما من شيء كان يودع في من الازر والنائير مثل مظاهر اجدادنا الباقية : حماسة الشعب عند مرور قصر روسيا ، استعراض « لوتشان » ، عجائب « المره » الكبير ، تحقيقات طيارينا الاول . وما من شيء كان يحزنني اعنى الحزن مثل نقاط ضعفنا واخطائنا التي كانت تنكشف لي في صباي ، واراها في قسبات الوجوه واسمعتها على الألسنة : التخلي عن « فاشودا » ، قضية « ديفوس » ، المنازعات الاجتماعية ، والخلافات الدينية . وما من شيء كان يثير تأثري بمقدار ما تثيره ويلاتنا السالفة : الخروج من « بورجيه » و « ستير » دون جدوى حيث جرح والدي ، وهو الذي اعاد لي ذكرى هذه الحادثة ، وحديث والدتي إلي عن شعورها باليأس يوم كانت صبية صغيرة ، وقد شاهدت اهلاً سيكون وهم همون : « استلم بازين »^(١).

كنت وانا يافع ، اهتم قبل كل شيء ، بكل ما جرى لفرنسا ، سواء كان هذا مما يتعلق بالتاريخ ، او يدور في الحياة العامة . كنت اشعر اذن بالحبذا ، ولكن بصرامة ايضاً ، تجاه الرواية التي تمثل ، بلا

(١) بازين : احد قادة الجيش الفرنسي في حرب ١٨٧٠ . كان لاستسلامه اثر كبير في مزجة فرنسا يومذاك . (المترجم)

انقطاع ، في ميدان حياتنا . وكنت متقاداً الى تلك الرواية بما بذل فيها
 عديد الممثلين دون حساب ، من ذكاء ، واتقاد ، وبلاغة ، كما كنت
 اشعر بضيق لما اشهد من مواهب وافرة تهدر في خضم البليّة السياسية
 والشقاات الوطنية ، التي كانت ترداد صخباً ثقافى في مستهل القرن
 مع نذر الحرب الاخيرة في الظهور . وعلى ان اقول انني كنت في
 صباي الاول اتصور من غير دعر تلك المغامرة المجهولة ، وكان خيالي
 يحمر في تعظيمها وتكبيرها ، قبل ان تحدث . ووجه القول انني ما
 شككت قط ان على فرنسا أن تحتاز معنا ضمة ، وان جدوى الحياة
 انما تقوم في ان اؤدي لها ، ذات يوم ، خدمة مرموقة ، وان فرصة
 هذه الخدمة ستؤاتيني .

كان الجيش حين دخلته ، واحداً من أعظم الامور واجلها في
 الدنيا . وكان يشمر ، تحت ضربات الانتقادات والامانات التي تهال
 عليه ، ان الياى التي يصبح فيها كل شيء مطلقاً عليه ، قد دنت .
 وشعوره هذا كان يخالجه يهده وطمانينة ، وحتى بأمل صامت ، أصم .
 وكان ان عملت بعد تخرجي من « سان - سير » في فوج المشاة الثالث
 والثلاثين ، « في آرأس » ، حيث جرى تدريبي على الجندي في صف الضباط .
 وكان « بيتان » عقيدى الأول ، وهو الذي يشن لي قيمة الموهبة والفن
 في اصدار الأوامر (القيادة) . ثم بينما كان الإعصار يتقاذقني كربةشة
 في مهب مآسى الحرب : عمادة النار ، وجلجلة الخنادق ، والغارات ،
 وقصف المدافع ، والجروح ، والاسر ، وأصبح في وسمي ، ان أشهد فرنسا
 التي تضاعل عدد موالدها ، وقد حرمتها المثاليات الفكرية (الايديولوجيا)
 الفارغة ، وإهمال السلطات ، من بعض وسائل دفاعها الضرورية - أصبح
 في وسمي ان أشهدا كيف استلست من نفسي جهداً يفوق الخيال ،
 كيف عوضت بتضحيات لا تقاس ، عن كل ما كان ينقصها ، وكيف

وضعت حداً للتسكة وهي ظاهرة . كان في وسعي ان اراها ، في أشد
 الالم حرجاً ، تعيد تحميلها المصوي في كنف « حوفر » اول الأمر ،
 وبوحي « لمر » في آخره . وأتبع لي ان اراها من بعد ، مرهقة
 بالخسائر والخرائب ، وقد انقلت رأساً على عقب في بنائها الاجتماعي
 وقوارنها المصوي ، فتزد سيرتها بخطى خائرة نحو مصيرها ، في أخذ
 نظمها السياسي يعود الى الظهور كما كان من قبل ، وقد نسكوت
 له كليصو ، وصرحت العظمة والرفعة ، ورجعت الى القوضى والشفق .

وصوت ، خلال السنوات التي تلت ، بمراحل متنوعة ، مهمة وقتال
 في بولونيا ، وتدريب التاريخ في « سان - سير » ، والمدرسة الحربية ،
 وديوان المارشال ، وقيادة الكتيبة ١٩ من الفنتاكة « تريف » ، وخدمة
 في الأركان العامة على « الراين » وفي الشرق وكنت ألس في كل مكان
 نزلته تجدد المسكة التي « صمت اليها النجاحات الأخيرة وقبعتها بالنسبة
 لفرنسا ، كما كنت ألس في الوقت نفسه ، الشكوك التي تثيرها تناقضات
 أحكامها في النظر الى مستقبلها . بيد اني كنت احد ، مع ذلك ، في
 المهمة العسكرية ، النفع الجزيل الذي تطوي عليه إن قلقل وإن
 للقلب ، سنا صحت ارى في الجيش ، الدائر في المعركة ، اداة الاحمال
 الكبرى الملقاة عما قريب .

كان واضحاً ، في الواقع ، ان حاققة الحرب لم تؤم السلم ، اذ راحت
 ألمانيا تستعيد مطامعها كلما استردت قواها . وبينما روسيا ركنت لعزلة
 في نورثها ، وأميركا أقامت في مسأى عن أوروبا ، وانكلترا اخذت
 قداري برلين لتظن باريس في حاجة اليها ، والدول الجديدة ظلت على
 ضعفها وخلافتها ، كان على فرنسا وحدها ان تضبط « الريح » . وقد جهدت
 لعل في اداء هذه المهمة ، ولكن على نحو متقطع . وهكذا كان من
 سياستنا باديء ذي بدء ، ان استخدمت القمع في ظل « بوانكاريه » ،

ثم حاولت التوفيق بدافع من « رياء » وسعت احداً وراء ملجأ في
عصبة الأمم . ولكن حطو الانبياء كان يتعاقم وهلم اخذ يقترب
من السلطة .

أخلفت في تلك الحقبة بالأسامة العامة للدفاع الوطني ، وهي امينة
الدائفة التي يعتمدونها رئيس الوزراء في وضع الخطط والدروس الحربية .
ووجدت نفسي في ظل اربع عشرة وزارة من عام ١٩٣٢ الى ١٩٣٧
منخرطاً ، على صعيد الدراسات ، في كل نشاط سياسي ، وثقافي ،
وإداري ، يتصل بالذوق عن البلاد . وأنتج لي ان اعرف خطط الأمن
وأوضاع الاسلحة التي قدمها على التوالي كل من « اندريه تارديو » و « بول
بوكور » لمصحة الأمم في جيب ، وان اروي حكومة « دومرغ »
بالعناصر اللازمة لقراراتها ، حين احتارت طريقاً آخر ، بعد تسلم
المؤمر سدة الحكم . وكان عليّ ان اقوم بأبحاث دقيقة مطقة ، لأصح
مشروع قانون ينظم الأمة في اوقات الحرب ، وأن اهتم بالتدابير التي
تقتضيها نمشة الادارات المدنية والصناعات ، والمصالح العامة . وقد
كشفت لي الاشغال التي كان عليّ ان اؤديها ، والمذاكرات التي حضرتها ،
والاتصالات التي وجب ان اقوم بها ، مدى ما هي عليه مواردنا من
غزارة ، ومدى ما هي عليه الدولة من عجز ايضاً .

ذلك بأن لتدخل السلطة هو اندي كان منكشف في هذا المجال . والاكيد
هو ان الدكاء والخبر الوحيي ما كانا بموران الرجال القاعين بها .
لا ، المكس هو الصحيح ، فقد حكمت اشاهد على رأس الوزارات
رحالاً ذوي قيم لا جدل فيها ، وأحياناً ذوي مواهب كبرى ولكن
ألاعيب النظام كانت تحرقهم وتشلهم . لقد كنت اقع كشاهد ذي بصير
حديد ، على تكرار مستمر ، للبيكارو نفسه ، فلا يكاد رئيس الوزراء
يمارس الحكم حتى يجد نفسه يجر برائن الطلقات التي لا تعد ، وعرضة

للائتقادات والمزايدات التي يستغرق احتياطيها نشاطه كله ، من غير أن يستطيع السيطرة عليها . وما كان البرلمان وهو اعدادها يكون عن تأييده ، ليخدم له سوى للمراقيل والمخدرات . ويصبح ورائه منافيه . ولرأي العام ، والصحافة ، والمصالح الشخصية ، كل هذه كانت تتخذ منه هدفاً تصوب اليه جميع انواع الشكوى والادى . وكان كل واحد ، من جهة اخرى - الوزير الاول معه يعرف انه اما هو في مصه لأمد قصير . وكان عليه في الواقع ، ان يتحلى عنه بعد مصه شهر ، وان مثل هذه الاوضاع لتحول دون المسؤولين في شأن الدفاع الوطني ، وتلك الحملة من الاهداف الدفئة ، والمقررات العاصعة ، والتدابير السائرة الى غايتها ، وهي الحصيلة التي يطلق عليها كلمة سياسة .

لذلك ، فان الحزم العسكري الذي لم تكن توليه الدولة من اهتمامها سوى دفعات متقطعة ومتناقصة كان يبطوي على مصه في اطار من الشكليات والاصطلاحات العملية المثالية . وكان الجيش يتجمد في المفاهيم التي كانت تراعى ويؤخذ بها قبل نهاية الحرب الاخيرة . وكان تعلقه بها يزداد على قدر ما يشيخ رؤسائه في رتبهم ، وهم المشدودون الى ضلالات كانت من قبل ، السبب في ايجادهم .

وكانت كذلك فكرة الحبهة الثابتة الحامدة تهيمن على لاسرائيلية الموضوعية مسبقاً لعمليات حربية مقبلة . وكان التنظيم ، والمقيدة ، والتنظيم ، والصلح ، كل ذلك يتصدر رأساً من تلك المعركة . وكانت من المفهوم ضمناً ان فرنسا تستطيع ان تفعل ، في حالة الحرب ، جمهرة احتياطيها وتؤلف اكبر عدد ممكن من فرق الاحتياط التي انشئت لا لتقوم بالعمليات والهجوم والاستتار ، بل للمحافظة على التقطعات ، ولتكون في مراكزها على طول الحدود الفرنسية والبلجيكية . كانت بلجيكا في ذلك الوقت حليفة لنا صريحة - وهناك ننتظر هجوم العدو .

أما الوسائل من دبابات ، وطائرات ، ومدافع ثقيلة ومدفعية ، التي أثبتت في الممارك الأخيرة من الحرب الكبرى أنها تسبب مباغنة العدو وتقطع أوصاله ، وما انفكت أهميتها وقوتها تزدادان منذ ذلك الحين ، فلم يخطر بالبال استعمالها إلا لتقوية خط الدفاع وإقامتها عند الحاجة بإحراق هجمات متراكمة محلية . وكان أن أثبت بالتالي فمدج الأسلحة الآلية : دبابات بطيئة مسلحة بقطع خفيفة وقصيرة مخصصة لمرافقة المشاة ، وليست للمهام السريعة المستقلة ، وطائرات مطاردة صممت لحماية الجو ، وليس لسلح الطيران يحاربها سوى القليل من قاذفات القنابل . أما عدة الهجوم الجوي فكانت معدومة ، وكانت هناك أيضاً قطع مدفعية صممت لإطلاقها من موقع ثابت ذي مجال ضيق ، أفقي ، لا لصد العدو عن جميع الأراضي وإطلاق النار عليه من جميع السموت^(١) . يضاف إلى ذلك ، أن الحمة كانت مرسومة سلفاً في أعمال خط « ماحينو » ، التي تحددها التحصينات الطبيعية ، وهكذا وقفت الأمة في حى أسوارها شاكية السلاح ، لتتظر أن ينهك الحصار العدو كما كن شائماً وأن يحمله ضغط العالم الحر على الاستسلام والانهيار .

كن مثل ذلك المفهوم للحرب ينسجم وروح النظام القائم . وهذا المفهوم نفسه الذي منى بالركود في ظل المسارعات السياسية وضعف السلطة ، لم يكن يملك إلا أن يقترن بمثل ذلك الجهاز الدفاعي الجامد لهذه الدرجة . غير أن هذا المخدر الشامل الناجع على الطمانينة كان يستحيب أحسن الاستجابة للحالة الدفعية التي كانت تسود البلاد ، بحيث أن كل مرشح للانتخاب كن يريد أن ينصح وأن يسأل التصفيق أو الإعلان عن نفسه ، ينحني أمامه ويصرح بأنه ناجع ومفيد . وكان أن

(١) Azimut جمع سمت . والكلمة عربية أساساً . (المترجم)

انصرف الرأي العام انصرفاً تاماً عن كل تفكير في الهجوم وهو الذي اساح مع الوم القاتل ان فكرة مقاومة الحرب تمنع ذوي النزعة العدوانية من عمل الحرب ، واحتفظ بذكرى كثير من الهجمات المدمرة ، ولم يحسن التمييز بين الماضي والحاضر ولا ادرك عمق الثورة التي احداثها المحرك (الموتور) في الحياة العسكرية ، منذ استحدثت حتى اليوم . وبجمل القول : ان كل ما كان في الافق من صباب وغيوم تلاقت واتفقت لتحصن من السلبية نفسها ، مدناً يعتمد دواعي الوطني

كان مثل هذا التوجيه في نظري ، اخطر ما يمكن ان يكون . وكنت اقدر انه يضع البادرة ، من وجهة النظر الاستراتيجية ، في يد العدو ويحيطها ملكه الخاص . ومن الوجهة السياسية كنت اعتقد اننا ندفع المانيا على العمل ضد الصماف ، حين نغش عن نيتنا في الاحتفاظ بحريتها على الحدود ، ونسوق بالتسليح ، عدداً من البلدان الى العزلة : السار ، رومانيا ، النمسا ، تشيكوسلوفاكيا ، دول البلطيق ، بولونيا ، الخ ... ونصد روسيا عن الارتباط بنا . وكان من رأبي تهمين ايطاليا ، انما كان موقفها ، اننا لن نعرض عليها ان تصع حيداً لسوء مقاصدها . وكان يبدو لي من السحية المصوبة اخيراً ، ان من المولم المهلك ، بشر هذا الاعتقاد العاسد في البلاد ، وهو ان الحرب لن تكون آخر الامر اذا وقعت ، الا قصيرة الامد ، واننا لن نحوصها الا بأقل جهد ممكن .

لقد كانت ، والحق يقال ، فلسفة العمل ، وتجديد الجيوش وحسن استخدامها من قبل الدولة ، والعلاقات بين الحكومة والقيادة ، اموراً تشغل بالي منذ زمن طويل . وكنت قد أعربت عما افكر به ، من هذا الجانب ، في بصفة منشورات . « الشقاق لدى العدو » و « حشد السيف » وعدد من المقالات في المجلات . وقد ألفت في « السوربون » مثلاً محاضرات عن سير الحرب ، ولكن هذا اصبح في كلون الثاني

(يناير) من عام ١٩٣٣ ، سد الرايح ، وراحت الاحداث منذ ذلك الزمن تتوالى وتختلط بسرعة . ومضى كنت لا اجد احداً يقترح شيئاً للرد على الموقف ، شعرت ان عليّ ان استنصر للرأي العام ، وآتيه بشروعي الخاص . ولكن هذا الامر يطوي على مجازفة ، وله ديول ، فأصبح من واجبي ان انتظر يوماً نلقى به عليّ اصواء للرأي العام . وهكذا ، اتخذت موقفي والآن يحزن في نفسي بعد خمس وعشرين سنة قضيتها في ظل التدابير العسكرية .

وكان ان اطلقت خطتي وامكاري تحت عنوان « محور الجيش المحرف » . وفيه اقترحت انشاء جيش ثزال ومقارعة ، آلي ، مدرع ، تتألف قيادته من نخبة تصاف الى الوحدات الكبرى التي تشكل عند صدوره ، لولوج الموضوع . وظهر عام ١٩٣٣ مقال في « المجلة للسياسة والبرلمانية » أفادت منه كنوطة . وفي ربيع ١٩٣٤ اصدرت الكتاب الذي يتن مفهوم الادارة المراد ايجادها ، وشرح اسبابها ومبرراتها .

لماذا ؟ بينت واما ابحت دفاع فرنسا العسكري اولاً ان الجغرافية التي توجه غزو اراضيها في الشمال والشمال الشرقي ، وتفرص تنظيم ذلك الغزو ، وطبيعة الشعب الالماني التي تجعله على المطامح الكبيرة ، وتغريه بالسير عرباً وترسم له وجهته باريس عبر بلجيكا ، وطبيع الشعب الفرنسي الذي يعترضه الضباغة في بداية كل نزاع ، ذلك كله يجددنا على ان نحفظ دوماً ، يجرء من قواها في حالة فاهب دائم ، مستعد في كل لحظة للانطلاق باجمعه . وقد كتبت : « نستطيع ان نكلل امراً ، كي نحمل الصدمة الاولى ، للدفاع العاجل في تكويناته السينة التي لا يُطأَن إليها . لقد آن الاوان لاصافة عنصر رئيسي من المقاومة الوطنية ، وان كانت بطيئة التجمع ، فليدة الحركة ، الى كتلة اسباطنا وامداداتنا ،

وهي أداة عمل قادرة على فاعليتها دون تحمل ، اي دائمة ، متأسكة ،
منقطعة لحل السلاح .

ثم اثرت قضية التنمية ، فخذ سيطرت الآلة على نظم الحرب ،
شأنه شأن غيره ، أصبحت مزية هؤلاء الذين قوتهم اليهم امر الآلات
الحربية ، عنصراً جوهرياً في الاهداء من الآليات ، وما أصبح ذلك في
الاسلحة الحديثة خاصة من دبابات وطائرات ، ومضى كانت وليدة
المحرك ، وقد اخذت تتكامل على نحو متسارع ، وكان من امرها ان
بعثت في المناورة ، واوضحت مبيئاً أدسه واقع فعلي ، من الآن
فصاعداً ، ان غلبة من الرجال في البر والبحر والجو تسئل الحد ، لا أقصى
من عدة آليات قوية ومتنوعة الى أبعد حد ، اما تحرر تعوقاً هنالك على
كتل بشرية قل اضطرابها او كثر . واستشهدت بهذه الكلمة لسول
غاليري « يشهد الناس تلامي المشروعات التي يقوم بها غلبة من الرجال
العاملين في فرق منظمة ، ينشأ عنها في يصع لحظات وفي مدى ساعة ،
ومكان ما ، احداث ساحقة ، غير منتظرة »

ولاحظت عند التعرض للاوضاع التي تعرضها السياسة بدورها على
الاستراتيجية ، ان هذه لا يمكن ان تذب عد الدواع الصبق المحدود
عن الارض ، ما دامت تلك ، اي السياسة ، ملزمة بتوسيع مجالها الى
امد الحدود : « إننا لنؤلف طوعاً او كرهاً ، حرماً من نظام قائم
في عنصر متعاونة فيما بينها .. ان ما يحدث فعلاً ، لأوروبا الوسطى
والشرقية ، لبلجيكا والسار ، يسا مسا جوهرياً مباشراً ... ما أكثر
ما كلفنا من الدماء والدموع خطأ الامبراطورية الثانية التي تركت الامر
على ما كان عليه في « سادوقا » من غير ان تنقل الجيش بلرير ؟ ... علينا
اذن ان نكون متاهين للعمل في الخارج ، لدى كل مناسبة ، وفي كل
ساعة . وكيف لنا ان نتعجز ذلك عملياً ، اذا كان الإقدام على اي

مشروع يقتضي نسخة قواما الاحتياطية ؟ ... » ، يضاف الى ذلك اما لا
تلك في الساحس الذي يعود الى الظهور بينما وبين انمايا من ناحية القوة
الحربية ، ان براري الألمان في القوة العددية ، فهم بها ابدأ متفوقون علينا .
ومقابل ذلك ، ونحن على ما نحن عليه من مواهب المادرة والتكيف ،
والاعتزاز بأنفسنا ، يجب ان نتعلم من ناحية الكيفية ، وهذا ما يتوقف
علينا وحده . . وختمت جواب ذلك السؤال « لماذا ؟ » كما يلي « ان
اداة يزال وقائية ، صاعطة ، رادعة ، هي ما يجب علينا ان نتزود به . »

وكيف ؟ المحرك يدنا بمناصر الجواب . « المحرك الذي يوفر حمل
ما نريد ، وحيث يجب على جميع المسافات وبواع السرعة . المحرك
يملك ، اذا كان مدرعا ، من قوة الدار ، والمقارعة ، مما يحمل سير
القتال متسجما وسير التطورات . . وعينت ، انطلاقا من ذلك ، اهداف
الذي يرمي اليه . ست فرق ثقيلة السلاح ، وفرقة واحدة خفيفة ، جميعها
مجهزة بالعدة الآلية الوافية ، ومصممة في حرم منها ، تكون الجيش
اللازم لاحداث الواقعة . »

اما التشكيل الذي يتناسب هذا الجيش فكان ميبأ على وجهه
النفقة كل واحدة من فرق الميدان يدعي ان تشمل على لواء
مصنع دي فوجين ، الأول دبابات ثقيلة ، ولآخر من الدبابات الوسطى ،
وكتيبة من دبابات خفيفة ، ولواء من المشاة دي فوجين وكتيبة
قناصة تنقل في عربات نقل عادية الى جميع الاراضي ، ولواء مدفعية
مروية يقطع تتحرك في جميع الارتفاعات ، ومؤلف من فوجين
يستخدمان بالنوالي مدافع قصيرة واخرى طويلة وتكتمل بعثة من
العاملين في الدفاع ضد الطائرات . وعلى الفرقة ان تملك ايضا ، لتشد
أزر هذه الألوية الثلاثة ، فوج استكشاف وكتيبة هندسية ، وكتيبة
محاربات ، وكتيبة قنوبه (كاموفلاج) ومصالح . وتزود الفرقة الخفيفة

المخصصة للاستكشاف والامن البعيد ، بالآت ، أكثر مدرعة ، ويكون تحت تصرف الجيش نفسه ، بالإضافة الى ذلك ، احتياطي عوام من دبابات ومدافع ثقيلة ، ومهندسين ، ومواصلات استخبار ووسائل تمويه . ولا بد أخيراً ، من طيران قوي للرصد ، والمطاردة والامتناع يلحق عصبياً بذلك الجسم الكبير : فئة لكل عرق ، فوج للجميع ، دون الاصرار بعمليات الهجوم التي يسيطرها الجيش الآلي الجوي بالتساند والتواصل مع عمليات الجيش الآلي البري .

ولكن لا بد في تشكيل جيش المقارعة من هيئة محترفة ، خبيرة ، ليكون ذلك قادراً على استلان افضل فائدة ممكنة من المعدة الآلية المتقدمة ، للمحافظة التكاليف التي يجهز بها ، ولتستطيع العمل المباشرة على اي رض ، انتظار لتحديث اضافية ، او الشروع في التدريب والتعليم ، ويكون مجموع جنوده ١٠٠٠٠٠٠ رجل ، ويتألف الجند اذ ذاك من افراد منخرطين ، ملتزمين ، حتى اذا مضى على انخراطهم ست سنوات في جسم الخدمة وجدوا أنفسهم ، خلال هذا الزمن ، انهم صتوا في قلب واحد ، على يد التقنية والتنافس ، وروح الاندماج في كل عضو ، ثم يزودون القوات من معد وحيوش الاحتياط بلاكات خاصة

كان استخدام هذه المعدة الامراقبية لتعطيم مقاومة احكم امشائها ، قد وصفت آنذك في الكتاب : نوضع تلك المعدة فجأة في مكان ما ، وفي ليلة واحدة ، وهذا مما يجعل موزة " (من موقور) جميع العناصر امراً ممكناً ، وكذلك قدرتها على التحرك في جميع الاراضي واستخدام التمويه السلبي والايحيائي . ويبدأ هجوم تطلق به ٣٠٠٠ دبابة مهيأة على عدة مستويات في حبة معدل طولها ٥٠ كيلومتراً ، يتبعها

ويساندها عن قرب المدفعية الثقيلة ، ويلحق بها على الاهداف المتوالية المشاة المنقولون ومعهم اسلحتهم الآلية وتنظيمهم البري ، والكل مرتبط بحمين او ثلاثة من اجسام الجيش ، يسانده ملاح الطيراد الحصان ينفق والجيش ، وينير مسالكه . وتقدم الجهار بحملته يطلع في الممتد خمسين كيلومتراً خلال نهار واحد في الميدان . ويبلغ ذلك اذا ثلث العدو في ابداء مقاومة مستمرة ، بجميع عام اما لتوسيع الثمرة جانبياً ، واما لاعادة الكرة الى الامام ، واما للاحتفاظ بالارض المحتلة .

ولكن لا يكاد السور يخرق مرة من المرات ، حتى تأخذ آفاق نظر واسعة تتكشف للهم فجأة . وعند ذلك يفسر الجيش الآلي مروحة الاستئثار وقد كتبت في هذا الموضوع : « اذا احرز النصر ، يسرع المنتصر غالباً الى قطف الثار والتوغل في منطقة الفنائم . ويرى الناس الاستئثار يتحول الى واقع يسلم لم يكن من قبل الاحصاء ... وحينذاك تتمتع الطريق امام انتصارات كبرى ، هذه الانتصارات التي تثير لدى العدو ، بتأثيراتها العميقة وانتشارها السريع ، اضطراباً عاماً ، شأنها شأن حمود في كاندراية قطع ، واهارت الكاندراية على أزم ... لا بد للناس ان يروا جسوداً مسرعين في ثقب العدو ، يضربون نقاطه الحساسة ويسمرون عناده .. وهكذا يعساد بعث هذا المرض الاستراتيجي للنائج ، كما بعد نهج في التنبه كان بشكل قديماً الفاية العليا للفن الحربي ، وكأها شرفه الأسمى . ولكن شعب العدو ودولته يمكن ان ينهارا لدى حالة من حالات الضيق واليأس ، واضمحلال اجهزة دفاعها .

وكما قوي هذا الاستعداد للمعاجاة سريعاً ، وتوثقت صلته بالسلاح الجوي ذي الاهمية الكبرى في حرب اليوم تقطعت بالعدو الاسباب . وقد ذكرت سلاح الجو وهو يساند العمليات البرية التي يقوم بها الجيش البري الآلي ، وهذا بدوره يقدم فيما يحدث من انفجار في المناطق

الحربة ، فائدة استراتيجية مباشرة لعمليات التدمير التي تقوم بها الاساطيل الجوية .

كان مثل هذا التطور العميق في الفن الحربي يتطلب تطوراً مماثلاً في فن القيادة . وكنت قد اشرت ذلك الواقع ، وهو ان الاتصال اللاسلكي اصبح ، من الآن فصاعداً ، وسيلة الربط بين عناصر الجيش المقتل ، وأنهيت الكتاب مبيناً الوسائل التي ينبغي للقيادة استعمالها لتسيير الاداة الحديدية . فليس المراد ان يوجه الرؤساء أوامر معدة ، انطلاقاً من مراكز محسنة الى مرؤوسين يبعدون عنهم . العكس هو المراد . فالخصور المائتة وإلقاء نظرة على الموقف ، وإعطاء شارة ومثل مصالح عادت فأصبحت حصرية وسط انشغال المتحركة المعقدة بالمصادفات المائعة والمناسبات الحاطة ، هذه المنايا التي هي قتال القوات الآلية وفيها لشخصية الرئيس من الاهمية ما هو اكثر بكثير من توصيات لافنت المدونة ، وقد تضاءلت . ألا يكون من الأحسن ، اذا كان على التطور ان يمرر ارتفاع اولئك الذين يحددون انفسهم واهدافهم واقفين في الساعات الحرجة التي يحطم بها جبل الخطوب ، الاعراف ، والعمادات ، ويجعلهم بذلك ضرورة لا غنى عنها ولا سبيل الى التخلص منها ؟

ونوجعت في الختام ، سداً الى الدولة استمرها والجيش في الواقع ، كآلة هيئة او مؤسسة ، لا يتميز من خلفاء داته . ومهد كان على الهيئة المختصة ان تقوم في الآن نفسه بتجديد عميقة في مؤسسة العسكرية ، كما في تقنية الحرب وسياستها ، فان امر اشاث صوط والسلطات العامة . والأكيد انها تحتاج هذه المرة ايضاً الى رجل مثل د لومو . و د كارو^(١) ثم ان اصلاحاً كهذا لا يمكن ان يكون إلا جزءاً من

(١) لومو وكارو شخصيتان كبيرتان . ادخلا تحديداً معده من تنظيم الجيوش الفرنسية . الاول في القرن التاسع عشر (١٦١٦ - ١٦٩١) والثاني في القرن التاسع عشر (١٨٥٣ - ١٨٩٣) . (الترجمة)

كل ، او عتصراً في الجهد الذي يبذل لإنهاض البلاد . ولكن اذا كان على هذا الصغر الوطني الجديد ان يبدأ بالجيش ، فلن يكون في ذلك الا ما هو مطابق لنظام الاشياء . وكان العمل الشاق آنذاك الذي ينبغي ان يعيد لفرنسا قوتها وقوتها انما الذي يستخدم جيشها ملاذاً وخبرة . وذلك لأن السيف محور العالم ، والمعلمة لا تنقسم .

وقد اعدت بطبيعة الحال ، كي انهض هذا المشروع من التيارات العسكرية التي حمت العالم ، وعند ظهور الحركة المقاتل . وكان الجنرال « ايتيين » رسول الدبابات وأول مفتش لسلحتها ، وقد تمخيل منذ عام ١٩١٧ ، ان يبتشأ منها عدد كبير لقطع المسافات البعيدة على ان تتقدم اولئك الذين يرافقون المشاة . وذلك هو الاصل في الاسلحة الآلية الصغرة التي اخذت تظهر من المصانع بوزن ٦٠ طناً ، منذ نهاية عام ١٩١٨ . ولكن المصنعة اوقفت صنعها وحصرت النظرية في صيغة « حمل المدرع » تسمى لصيغة « المواكبة » . وكان الانجليز الذين اظهروا انهم السابقون حين ادربوا « الرزبال طلك كوربي » في عمل مكثف عميق عام ١٩١٧ في « كامبري » ، قد استمروا في العمل على لتحقيق المفهوم الحربي الراسي الى انشاء قطعات مدرعة تتمتع باستقلال ذاتي في القتال وهي الفكرة التي روج لها الجنرال « هولدر » والمستر « ليدل هارت » . وكانت القيادة في فرنسا تشتمل عام ١٩٢٣ ، في معسكر « سوب » على عناصر شتى ، وضمت تحت التجربة لواء فرقة خليفة للأمن والاكتشاف .

ومئة آخرون كانوا أوسع نظراً ، فقد لفت الجنرال « فون زيكت » الانتباه في كتابه « أفكار جندي » الذي ظهر عام ١٩٢٩ ، الى ما يمكن ان يتشع به جيش متميز - وهو يعني « الرايخز فيهر » المؤلف من ١٠٠،٠٠٠ رجل ، يقومون بالمهمة على مدى طويل - وما يحرز

بالنسبة الى كتل غير متساكة - وفي ذهنه جيوش الفرنسيين - . وكان الجنرال الايطالي « دوهيه » يقرر فيما اجري من محادثات ، ان القصف الجوي وسدده يستطيع بما يحدث من تدمير في مراكز الصناعة والحياة المدنية ، ان يكون العامل الحاسم في الحرب ، وان سلاح الطيران هو ما يصح اعتياده وإيلاؤه الجهد الأوفى والأكبر . وكانت « خطة الحد الأعلى » التي أبدعها « بول بروكور » في جيف عام ١٩٣٢ ، تقترح إيلاء عصبة الأمم قوة عسكرية مخترقة ويكون تحت تصرفها جميع ما لدى أوروبا من دبابة وطائرات ، وهي تتولى مهمة الأمن الجماعي . وكانت خطتي ان تنشئ من هذه المشروعات الجراءة ، ولكنها المتلاقية ، كلا متساكاً ، ولكن لحساب فرنسا .

أثار كتابي اول الامر اهتماماً ، ولكن لم يتأثر به احد . لقد بدا « نحو الجيش المحارب » كتاباً يحرّك أفكاراً لا تعني سوى الحاكمين من عسكريين ومدنيين وهم يتصرفون بها على هواهم ، وما دام قد بدا كذلك ، فإن احداً لم يجد فيه سوى نظرية طريفة ، ولم يخطر ببال احد ان تنظيمنا العسكري قابل للتعديل اذا أخذنا ورد في كتابي . ولو كان لدي الانطباع ان هناك ما يدعو حقيقة الى المصحة في تطبيقه ، لكان في امكاني ان ألحّ على الأخذ بوجهة النظر التي عرضتها في اوساط الاختصاصيين ، غير اني حسنت ان أحجمي ، مساعداً التطور العام ، مستشق طريقها . ولكن هتلر ، من جانب ، لم يكن يلاحظ .

كان من ان قطع العلاقات مع عصبة الأمم ، منذ شهر تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٣٣ . وتحولت لغة حرية العمل في شأن التسلح . وشهد عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ التراجع ببدل جهداً هائلا في التصفين والتوحيد وكان العهد « الوطني الاشتراكي » يعلن مشيئته على رؤوس الشهداء في تعطيل معاهدة فرساي بفتح المجال للجوي .

وكانت هذه السياسة تقتضي جهازاً عسكرياً مجومياً ، والأکید ان هتلر كان يعدّ العدة لنهضة جامعية كثيفة ، فقد انشأ ، بعد تسلمه السلطة بقليل ، مصلحة العمل ، ثم اتبعها بمصلحة التجنيد ، إلا انه كان في حاجة ، عدا ذلك ، الى اعادة تدخل ليقطع العقدة الخوردية في « ماينس » ، وفيينا ، وبراخ ، وفرصونيا ، ولتكون الحرية الجرمانية ، وقد زودت برأس حاد ، قاهرة على القضاء بطعنة واحدة ، الى قلب فرنسا .

وكان المطلعون ، من جهة اخرى ، لا يجهلون ان الموهر بنوي ان يطبع الجيش الألماني الجديد بطابعه ، وانه كان يولي القباط الذين تجتمعا ، من قبل ، حول الجنرال « لون ريكيت » ، اذناً صاغية ، امثال كايتل ، ورونشتات ، وفومريان من انصار المناورة ، والسرعة ، والطريقة المدروسة في المباشرة ، وهكذا ، كانوا يتجهون نحو القوات الالية . وانه اخيراً أراد ، وقد لبس نظريات « غورنغ » ، طياراً يرتبط عند رأسه ، بالفتال الذي يدور في الجو . وعلمت في وقت لاحق ، ولكن قريب ، انه هو نفسه « جيل على قراءة صفحتي الذي اهتم به مستشاروه . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٣٤ ، رامي الى علمنا ان الرابع امثال الفرق الثلاث الاول : الباتشير ، وكان قد صدر ، في تلك الفترة ، كتاب وضعه المفيد (الكولوميل) « نهرنغ » ، من اركان حرب الجيش الألماني ، بين فيه انه سيكون لدى الرابع وحدات عمالة كل المائة تلك التي اقترحت اسماءها لفرق المدرعة في المستقبل . وفي آذار عام ١٩٣٥ ، اعلن غورنغ ان الرابع ماضي في التجهيز بقوة جوية مسلحة ، وان هذه القوة ستضم ، عدا عن كثير من طائرات المطاردة ، عدداً من قاذفات القنابل ، وسلاحاً مجومياً في الجو . وعلى الرغم من ان هذه التدابير كانت على جانب كبير من

الحرق الفاضح للمعاهدات ، فقد اقتصر العالم الحر من معارضته إياها ،
بالاستنجاع الاغلاطوني لدى عصبة الأمم .

لم يكن في وسعي ان أطبق مشاهدة عدو القند يذرع بوسائل العلة ،
بينما هربا تقيم منها على حرمان . ومع ذلك ، فما من صوت ذي
سلطة ارتفع يطالب بعمل ما هو ضروري وسط ذلك السبات العميق ،
وكانت الأمة كلها تمط فيه . كان المارق من الحرج بحيث لم يبد لي
مع ان الشجعة مسموح لي به بعد ، اية كانت (عيني من الضالة) وصيتي
من الخول . كانت تسعة الدفاع الوطني ملقاة على عاتق السلطات العامة ،
فحضمت على ان أثير النقاش امامها .

وكان ان تحالفت ، قبل كل شيء ، مع اندريه بيرونو ، رئيس تحرير
« صدى باريس » ، ثم مدير « الايبوك » (المصر) ، فأخذ عن عاتقه
اطلاع الرأي العام على مشروع الجيش الآتي ، وان يلاحق السلطة بلا
هودة عن طريق صحيفة كبرى . وشر اندريه بيرونو ، وقد ربط
صركته بالاحداث الحارية ، أربعين مقالا ذات غور عميق ، جعلت
الموضوع شائعا ومعروفا . وراح معاوي القصديق بين في صحيفته ، لدى
كل مرة تسترهي بها الاحداث الانتباه للدفاع الوطني ، ضرورة إنشاء
هيئة العسكرية المختصة . ومد كان الناس على علم بأن المانيا تولي آليات
المحوم والاستغلال ، جهدها الجوهرية في التسلح ، فقد راح بيرونو يطلق
صرخات لانداز والاستعمار التي كان يخفيها عدم الاكثراث البائد

وكان قد اثبت لدى عشرين مناسبة ان كثافة القوات الالمانية المدرعة
تستطيع ، بمساعدة الطيران ، ان تدكّ بقنة دفاعا ، وتلقي في صفوف
شعنا دعرأ لا يملك ان يتغلب عليه .

وفيا كان اندريه بيرونو يؤدي عمله المستمر ، راح نعر من الصحافيين

والنقاد يطرحون القضية ، على الأقل ، امثال ريمي دور والجنرال باراثيه
« اللطان » وجان ماري بوريه ، والجنرالان « دي كيبياك ودوغال في
« الجورنال دي ديبا » واميل بوري وشارل جيرون في « الاوردن »
واندريه ليكونت في « الاوب » والمعيد اميل ماير « ولوسيان فاشان »
وجان اوبران ، في مجلات شتى الخ . ومع ذلك ، فقد كانت جهة
المحصل من الوقائع جد كثيفة ، بحيث لا يمكن البدء بتقطيعها على يد
المقالات الصحفية . وكان علينا ان نجعل القضية ملحة بحيث تحمل السلطات
السياسية في البلاد على تدراك القضية .

وبدائي السيد بول رينو حديراً كل الحداثة بإدائه هذه المهمة ، فقد
كان ذكائه من علو المستوى بحيث يتفهم الاسباب الكامنة وراءها ،
والقيمة من الدقة بحيث تحدوه على ادراك اهميتها ، وشجاعته من الوفرة
بحيث يساندها ، وكان السيد رينو ، على بعد صيته وشهرته ، يمطي
الانطباع عن شخصيته انه رجل ذو مستقبل عظيم . رأيت ، وأقننته ،
ومنذ ذلك الحين رحت أعمل معه .

وفي ١٥ آذار (مارس) عام ١٩٣٥ التي من على منبر مجلس
النواب خطاباً مؤثراً ، بليغاً ، يتن فيه لماذا وكيف ينبغي ان يتم
تنظيمنا العسكري بحيث آلي متنا . وبعد ذلك بقليل ، قدم ، وكانت
الحكومة تطلب الاقتراح لستين ، مشروع قانون يرمي الى « اثناء
جسم عسكري مختص ، على الفور ، مؤلف من ست فرق ميدان ، وقرقة
خفيفة ، واحتياطي عام ، ومصالح يشرف عليها عسكريون يخدمون
بالتعاقد ، على ان يمارس ذلك الجسم عمله فعلياً في ١٥ نيسان (بريل)
من عام ١٩٤٠ ، على أبعاد تقدير » . وظل السيد بول رينو ثابتاً في موقفه
ذاك طيلة ثلاث سنوات ، ظل يؤكد في عدة خطب هزت الهيئة البرلمانية
في ابحاثها ، ثم في كتاب جمل عنوانه « المشكلة العسكرية الفرنسية » ،

كان في دمصات آنية ، ولم يتحد شكل حكم صريع صدي . وكانت من هذا القليل ما حدث مثلاً في قصر ، الألبه ، عند نهاية حلة عقدها مجلس الدفاع الأعلى - وكنت مكثيرة - واداً بالخرال موران يبادري بجدة . « دأعاً يا دبعول ! حيثاً اكن لن يكون لك مقعد ! » وكان يصرخ في وجه راتربه ، في مكنته ، حين يتحدثون إليه عني . وهو يقول : اتخذ لعمه عصا قلم بيروو ، وحاكب . بول رينو . سأرسنه الى كورسيكا ! » غير ان الخرال موران ارتفع بروحه ، رغم زعجرة الصاعقة على لسانه ، ولم يبعد وعيده . وبعد ذلك بقليل ، قني السيد ، فابري ، الذي حل محله في وزارة الدفاع ، والخرال عاملان لدي حاء عضاً للصدال هيمان في رئاسة الاركان العامة معج حتماضه برلاسة اركان الجيش - قني هذان السياسة السلبية معها التي أخذ بها سلمهما ، لجهاء المشروع ، واتخذوا تجهمي الموقف معه المتصابق المصابق .

بيد ان المسؤولين في قرارة سرائرهم لم يتسامحوا باظهار الحاسبة الخفية التي كانوا يتشعرون بها اراء حمصي ، وهم يؤيدون الحالة الراهنة . لقد كانوا ، من جهة اخرى ، على جانب كبير من التسه بدفعهم الى الامعان في اظهار ايمانهم الشديد بصحة اعتراضاتهم الخاصة . وما كانوا ، حين يصرحون ان افكاري التي انتشرها عن امكانات القوة لآلية ، متطرفة ، اقل شمولاً بالقلق اراء القوة التي عمد ، الريح ، الى صمها . وسين كانوا يرمعون ان في إمكان الوحدات العسكرية الكبرى الدفاعية المادية ان تتوب عن فرق الصدام السبع التي اقترحت انشاءها ، وكانوا يطلقون على تلك الوحدات وصف ، الممورة ، لان في المستطاع نقلها على الشاحات ، انما كانوا يرمعون ، اكثر من ي انسان آخر ، ان امرهم ذاك ، ينطوي بكل ساطة ، على مصب بالكلمات . وحين كانوا يرمعون ان في قني الهيئة الحربية المختصة ،

تصديماً لجيشاً وجمعه شطرين ، انفسا كانوا يتظاهرون بالجهل ، لانهم يعلمون علم اليقين ان خدمة الستير التي اقترح عليها ونالت الموافقة منذ ظهر كتابي ، تسمع صد الحاجة ، فادخال نسبة معينة من الجنود النظاميين في هيئة النخبة ، وان ثمة بحرية ، وطيراناً ، وجيش مستعمرات ، وجيشاً لأفريقيا ، ودركاً ، وسرماً متحركاً . وكل هذه ذات اختصاص ، لا يغير تماسك المجموع . وان ما يوحد مختلف القوات الوطنية اخيراً ، ليست وحدة المتاد المادي وهيئتها الادارية ، وانما يوحدنا هذا الواقع ، الا وهو انها تخدم وطناً بذاته واحداً ، في ظل قوانين واحدة ، حول علم واحد بذاته .

كنت اذن انظر بأسى وأسف الى هؤلاء الرجال البارزين ، وهم يحملون من انفسهم أبراق امان تذيب ما تسمع ، سيراً مع ضرب من ولاء مقلوب ، لا مرشدين يلحون في الارشاد . ومع ذلك كنت أشعر ، وراء اقتناعهم الظاهر ، انهم يبحثون الى الآفاق التي تفتح أمامهم . وذلك اول حادث اعترض سبيلي في سلسلة طويلة من الحوادث حيث لعبت قسماً من النخبة الفرنسية ، حكمت على كل واحد من الاهداف التي انشئت الى متابعتها ، بالاخفاق ، ولكنها كانت في قرارة نفسها ، في وحشة من شعورها بالعجز والتجأها الى الجهر به ، توافقني ، من خلال ملاماتها ، وهي تبدي لي أسفاً لما بدر منها لجاهلي .

كان القدر يتابع مجراه . وهنئاً أصبح الآن على علم بما يصح ان يتخذ من مواقف تجاهنا ، فراح يفتتح سلسلة ضربات القوة . وكان عام ١٩٣٥ قد خلق ، بتأية استعناء السار ، جواً مفعماً بالتهديد لدرجة تخلت معها الحكومة الفرنسية عن خووض المعركة قبل ان يبدأ العراقي . وكان من جراء ذلك بالتالي ، ان انجذب اهل السار ، وقد خالعههم الهول مع التهويل ، الى الجباب للجرماني المتفجر ، واقترح سوادهم

معاً في مقدمة ، وضعها لكاتب الحرس و شوفينو ، ، ذي العنوان :
 « اما يزال القوم محكماً ؟ » ، وفيها يعطى اعتقاده ان الدماجات
 والطائرات لم تبدل معطيات الحرب ، وان العصر الرئيسي في الأمن
 العرسي ، انما تكمن في الحجة المضمرة التي تمررها التحصينات وشرث
 « القيماور » بتوقيع حان رغبير سلطة معدلات 'مرضية' ، مطمئنة
 « الدماجات ليست بما لا يفلح ، صعب لدهش ، عندما يصل الساسة ،
 الخ ، ... وفي « مبركوردي فرانس » نشر حيرال (بثلاث نجوم)
 مقالاً يصرح به مبدأ « الموترة » ، مع انه ارضاً ، ويصرح قائلاً : « على
 الالمان بطبيعة الحال ، وهم محوميون ، ان يكون لديهم فرق بالتفسير ،
 ولكن فربما المسألة ، المداخلة ، لا تستطيع ان تكون ، لا ضد
 الموترة ، .

وثمة انتقادات لحأت لي استخدم التهمك ، اذ كنت احدى المجلات
 الادبية الكبرى ، ان المرء ليصتقي درعاً في تقييم الأفكار التي تقارب
 حالة الهديان ، مع الاحتفاظ بالتهذيب المشهود . ولعل بباطة إن
 السيد ديقول كان قد سبقه الأب اوبو ، لعدد من سنوات خلت ، وهذا
 كان هو أيضاً من رجال التكبيك الكسار ، مما لديه من افكار
 حديثة ، اذ قال : « بما اننا سنعود من بولونيا ، فاسا نتخيل ، على
 يد علمنا في القيرباء ، آلة هوائية لنقل الجيش برمنه .

واذا كان الجهود لدى فئة المحافظين بدا معادياً في الاساس ، فان فئة
 الحركيين لم تظهر استعداداً احسن من تلك ؛ فقد اعرب ليون بلوم في
 جريدة « الدوبولير » من عدد تشرين الثاني - كانون الاول ١٩٣٤ ،
 دون مداراة ، عن الكراهية والفظن الذين اثارتهما في نفسه خطتي ، فقد
 انتصب هو ايضاً ، ضد الهيئة الحربية المختصة ، في عدة مقالات :
 « جنود محترمون وجيش محترف » و « نحو الجيش المعترف ؟ » ،

« فليسقط الجيش المحترف » ، « وما كان قط ليفعل ذلك » ، وهو يدعو الى مصلحة الدفاع الوطني ، وإنما باسم مثالية فكرية (ايدولوجيا) ينعتها انها ديموقراطية وجمهورية ، وقد اراد ان يرى على نحو تقليدي ، فيها هر عسكري ، تهديداً للنظام . كان ليون بلوم اذن يُلقي حكم التحريم على هيئة من المحترفين الحربيين ، يضع الجمهورية ، في تشكيلها ، وروحها ، وأسلحتها ، حسب اعتقاده ، في خطر .

وهكذا اقتنعت السلطات الرسمية في العدول عن كل تغيير ، يدعمها في ذلك اليمين واليسار . ورفض مشروع السيد بول رينو من قبل لجنة الجيش في مجلس النواب ، والتقرير الذي قدمه السيد « سيناك » حول هذا الموضوع ، وصيغ بالتعاون المبشر مع هيئة اركان الجيش ، يختم ملاحظاته ان الاصلاح المقترح : « لا جدوى فيه » ، ولا هو مرغوب ، وان المطلق والتاريخ يقفان ضده . « ورد الجنرال « موران » من على منبر الندوة البرلمانية ، وكان وزير الحربية ، على الخطباء المؤيدين لمشروع الاصلاح وانشاء هيئة مناورة ، قائلاً : « اسأ وقد بذلنا ذلك المقدار من الجهد في بناء سد محصن ، هل لنا ان نترك مجاًل يمد للاعتقاد اننا سنكون على جانب من الجنون بسوقنا ان نجاوز ذلك السد لنندفع وراء مغامرة لا ادري ما هي ؟ » . وأضاف : « ان هذا الذي اقرله لكم ، إنما هو رأي الحكومة التي تعرف ، في شخصي على الأقل ، خطة الحرب معرفة تامة » .

كان هذا الكلام الذي يقرر مصير الهيئة المختصة الحربية ، قد أخطر الرأعين الطيبين من اهل اوروبا ، في الوقت نفسه ، ان فرنسا لن تقوم بأي مشروع ، مما حدث سوى تجهيز خط مايجينو .

ولا كان منتظراً ، امتد الشجب الوراوي ، الى شخصي ، غير انه

وفي مقالات صحفية شديدة الالهجة ومقابلات صحفية ، وأخيراً في محادثات حول الموضوع مع ساسة وعسكريين ذوي أهمية . وهكذا تجد صفة رجل دولة مجدد وحارم ، فمين بأن يمارس السلطة في الأوقات العصية .

ومذ كنت اعتقد ان من الخير ان تعرف الاعنية نفسها على مختلف ملاعب هذه اللعبة ، فقد رحلت ابدل جهدي في ادخال رجال آخرين ممن يمارسون الحياة العامة . وما كان من البد ليكور عراغبيرون ، وقد امتنعت بما في الجيش المحترف من تجاوب مع تقاليدنا ، الا ان يجعل من نفسه رسول المعركة ، بنزل وإقسام . وتقبل ثلاثة من رواب اليسار وهم فليب سير ، ومارسيل ديا ، وليو لاعرايج ممن تناسب مواهبهم لإبرار الحانات الثوري من ذلك التجديد - تقبلو دخول الميدان . فعل الاول منهم ذلك ، واقعاً ، بطريقة حد لامة لدرجة اخذ معها صفة الخطيب المفعوه ، وبعد قليل من الزمن ، دخل الحكم ، والثاني ، وكنت اعتمد بصورة خاصة على مواهبه ، انجذب الى طريق معارض ، بعد سقوطه في انتخابات عام ١٩٣٦ . والثالث منعه الحرب الذي هو احد اعضائه ، من توكيد معتقده . ولكن ثمة رجلاً من ذوي نقيم امثال بول بوسكور في المجلس البياني ، والرئيس ميللانت في مجلس الشيوخ ، اسروا الي انهم يقعون بدورهم الى جانب الاصلاح المنشود .

غير ان المنظمات الرسمية ، مع ذلك ، ومؤيديها من ذوي النفوذ ، ابدر تعلقاً بالنظام القائم اكثر من اعترافهم بالضرورات الاكيدة وقبول التغيير ، واكتفوا بتحويل الصحيفة وتعديل الكيميات . وقد قاموا بذلك ، لسوء الحظ ، على نحو يلبخ من التبت والجزم درجة قطعوا معها على انفسهم طريق النوبة من بعد ، فقد اجتهدوا ، وهم يقاومون فكرة

الجيش الآلي ، في تشويها ، واستغفروا ، نصهم ، لنقض التطور التقني ،
والتشكيك فيه ، وتظاهروا ، خطة منهم في مقاومة الاحداث ، انهم
يجهلونها . وتحقق لدي في تلك المناسبة ، ان بحجة الافكار ، في اللحظة
التي تجعل بها الضلالات المتبادلة ، والرجال ذوي الناصب العالية ،
موضع شك وتساؤل ، تتلبس بلبس الممارعات اللاهوتية ، وقتل دورها ،
وهو الدور الذي لا يتسامح ابداً .

لقد كان من الجنرال هيبني ، القائد الماحد ، انتهاء الحرب الكبرى ،
والذي وضع قوانين التنظيم العسكري عام ١٩٢٧ بوصفه رئيساً للأركان
العامة ، كان منه ان شجب المشروع ، صراحة . وقد عرض وجهة
نظره بطريقة هي التسلط ، في « مجلة الماني » مبيناً ان كل نزاع
اوروبي ، انما يحسم آخر الأمر ، على حدوده الشمالية - الشرقية ،
وان المشكلة كلها ان تشتت اقدامنا ووطء مركزنا على تلك الحدود .
فهو لا يرى ادنى ما يدعو الى تغيير القوانين وتطبيقها ، في شيء ،
وبلح على تقوية الجهار الذي امتدق منها وحسب . وقدخل الجنرال
فيمان بدوره في الموضوع ، في « مجلة الماني » معها ، واذا به يسلّم ،
مبدئياً ، ان فكرتي تقسم الجيش الى شطرين ، ويصرح بختماً : « ان
يكون جيشاً جيشين ، منها كان الثمن ، ! اما الدور الذي حددته الهيئة
المختصة ، فانه لا ينكر عائدته ، ولكنه يؤكد ان في الامكان ان
تؤديه عناصر عسكرية سبق ايجادها . وقد اوضح ذلك قائلاً : « ان
لدينا احتياطياً آلياً ، مهموماً ومعداً للتسيير العملي . هما من حاجة الى
ايجاد شيء جديد ، فكل شيء موجود . » وكان الجنرال فيمان ان
تحدث الى الجمهور في مدينة « ليل » ، في ٤ تموز (يوليو) ١٩٣٩ ،
فأعلن ايضاً انه لا يتفصّل ، في رأيه ، شيء .

وحسب الماريشال « بيتان » ان عليه ان يخوض الميدان ، وحاضه

يحملته ، مع الرابع الثالث . وانتقل موسولينى من جانبه ، متعدياً عقوبات جنيف ، بفصل التأيد الذي لقيه من وزارة « لافال » وتسامح حكومة « بلودين » ، الى غزو الحبشة . وفجأة اجتاز الجيش الالماني في ٧ آذار (مارس) ١٩٣٦ نهر الراين

كانت معاهدة فرساي تمنع جنود « الرابع » من عبور أراضي الضفة اليسرى التي جعلتها معاهدة لوكارنو ، مضافاً الى ذلك ، منطقة محيطة . وكان في منطاعها من ناحية حقوقية حالمة ، ان يعيد احتلالها ، ما دامت الدنيا قد تنكرت لتوقيعها . ولو كانت الهيئة الحربية المختصة قائمه في الوجود ، ولو في جزء منها ، بما لديها من سلحة آلية سريمة ، ورجال يشرفون على تنظيمها ، مستعدين للرحف ساعة تلقضي الرحف ، لكانت قوة الأشياء الطبيعية ، حملتها دومة واحدة ، الى الراين . وما ان حلفاء البولويين ، والتشيك والبلجيكيين ، كانوا على استعداد لتأييدها ، والامكليز مصممين سلفاً اليها ، لكان هنر قد تراجع بكن تأكيد . اذ كان عملاً يرمداك ، في بداية تسلمه ، ولا يرل اضعف من ان يواحه نزاعاً شاملاً . غير ان حرية كهذه ، نوقمها به فرنسا في تلك الحلقة فوشك ان تكون ذات نتائج مدمرة له ، في ملاده نفسها ، ولكان في اقدامه على مثل تلك اللعبة ، قدلاً لأن يخسر ، بضربة واحدة ، كل شيء .

لقد ربح كل شيء . ذلك لأن تنظيمنا ، وطبيعة وسائلنا ، وروح دفاعنا الوطني نفسها ، كمت تصبح السلطة نحو الجمود الذي تبرع اليه برعة شديدة ، ونمنا من السير وما دعنا غير مستعدين الا للاحتفاظ بحدودنا ، وكنا مانع انفسا في اجتيار تلك الحدود اية كانت الحال ، لم يكرر لأحد ان ينتظر رداً من فرنسا . وكان الموهزر متأكداً من ذلك ، والعالم كله لمس ذلك لمس اليه . وبدلاً من ان يجد الرابع نفسه

مكرهاً على سحب حدوده المعامرين ، راح يكرهم دون ان يطلق طلقة نار واحدة على اراضي الضفة اليسرى كلها من « ريبانيا » ، المتصلة مباشرة بفرنسا وبلجيكا . وكان في مستطاع السيد « فلاندان » وريو الثوون الخارجية في ذلك الحين ، وهو مشغخ الروح ، ان يذهب الى لندن ، ليشين نيات انكلترا . وكان في مستطاع السيد « سارو » ، رئيس مجلس الوزراء ، ان يصرح ان حكومة باريس لا تقبل ان تكون ستراسبورغ على مرمى المدفع الألماني . . وكان في مستطاع الدبلوماسية الفرنسية ان تحصل من عصبة الأمم على لوم مبدئي لفلتر . وما كانت هذه الاشياء سوى ايعاءات وكلمات في وجه الأمر الواقع .

غير ان الانفعال الذي أثاره الحادث في الرأي العام ، كان ، في حسي ، سليماً . وكان في وسع السلطات العامة ان تفيد منه في سد ثغرات قاتلة . فعلى الرغم من انهاك الساس آنذاك في الانتخابات ، والارمة الاجتماعية التي نلتها في فرنسا ، فاهم كانوا جميعاً ، على وفاق حول تقوية دفاع البلاد . ولو كان الجهد قد انصرف الى انشاء الاداة التي تنقصنا ، لكان جوهر السلطة قد سليم . ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فان الاعتمادات العسكرية الضخمة التي فتحت عام ١٩٣٦ ، استخدمت في إتمام الحمار القاتم ، لا في تنديله .

غير انه ظلي لدي ، مع ذلك بعض الأمل . كان يبدو لي في قرارة هائبك البليدة الكدرى التي كانت تنصر حياة الأمة آنذاك ، وكانت السياسة اطارها في مزيج انتخابي وبرلماني يطلقون عليه اسم « الجبهة الوطنية » . كان يبدو لي ان ثمة عنصراً نفسياً يتيح تحطيم الروح السلي السائد ، اذ لم يكن امراً غير معقول ان تعتمد الجمهورية الفرنسية برمتها ، ودفعة واحدة ، الى تعير بينها الاجتماعية واصلاح قوتها العسكرية ، حيال ما تشهد من انتصار الاشتراكية - الوطنية في برلين ، وسيادة الفاشية في روما ، ودور الكتائبية من الظفر في مدريد . وفي شهر تشرين الاول

(وكتوبر) ارسلى ليون بلوم رئيس الوزراء يدعوني لمقابلته . وحدث
 ن لقاءنا ثم بعد ظهر اليوم نفسه الذي اعلن به ملك بلجيكا انهاء
 التحالف مع فرنسا وسكوترا ، ورترا اعلان ذلك زاعماً ان هذا الحلف
 لن يحميه اذا هاجمت ألمانيا بلاده ، وصرح قائلاً : « الواقع اننا
 سيكون وحداً في المعركة » اية كانت الحال ، بالنظر الى امكانات القوى
 الالهية الحديثة .

اصعد لي « ليون بلوم » محاضرة ، الاهتمام الذي يولييه الفكري ،
 طلت له . « ولكنك مع ذلك » حاربتنا ، « فأجابني : « ان المرء
 ليعتبر الزاوية التي ينظر منها حين يصبح رئيساً للحكومة . » ومحدثنا
 اولاً عما يمكن ان يحدث فيها لو رجع هتلر ، كما كان متوقفاً ، على
 فيينا ، او على براغ او على فرسوميا ، فأبدت هذه الملاحظة : « الأمر
 جد بسيط ، نستمر حسب الظروف الطارئة ، ما تيسر من جاهر او
 نصبيء حيوشنا الاحتياطية ، وعدد ذلك ينظر من شرفات أعمالنا ،
 وشهد سادرس ، استعداد أوروبا . » وصرخ ليون بلوم . « ماذا ؟
 أتريد ان نرحل حملة تقير من اللسا ، ووهيميا ، وبولونيا ؟ » فقلت :
 لا ! ولعكن اذا تقدم الجيش الألماني راحقاً على « الدانوب » او
 « الابل » ، فيلم لا نذهب نحن الى الراين ؟ وفيما هو يتصدر الى
 « الفستول » ثم لا ندخل نحن منطقة « الرور » ؟ وحلصة الامر ان
 مجرد اقتدارنا على القيام بهذه الردود ، يحول بلا شك ، دون هذه
 الاعتداءات . ولكن جهازنا الراهن يمننا من التحرك . بينا القطع
 المدرعة ، تمهلاً على التصنيع والمضاء . أليس صحيحاً ان حكومة ما
 تجدد بعض العرج والراحة اد بشرها موجبهة ملماً ؟ . وكان ان
 وافق رئيس الوزراء على ذلك بطيبة خاطر ، ولكن صرح قائلاً :
 « الأكيد انه سيكون من المؤسف ان يمرق اصداقنا ، مؤقناً ، في

أوروبا الوسطى والشرقية . ومع ذلك ، فإن شيئاً لن يُفعل مع هتلر ، ما دام لا يوجه ضرباته إلينا . وكيف له أن ينال منا ؟ أنت توافق أن جهازنا الدفاعي متفوق وأن كان لا يصلح للهجوم .

بينت أن ليس في الأمر شيء من ذلك أبداً . ولاحظت ، وأنا أذكره بتصریحات الملك البلجيكي ، لبولند ، الثالث التي نشرتها صحف الصباح ، أن اقتناء نخبة آلية ، وضعا في مرتبة ديا بالسية للامان ، وخسرا بسبب بحالة الطلجيك ، لم يحادل رئيس الحكومة في ذلك ، رغم أنه كان يجب أن موقف بروكسيل ، لا يعود إلى أسباب استراتيجية وحسب .

وقال : « أن جبهتنا الدفاعية ، على كل حال ، ومواقفنا الحصنة تحمي أراضينا . فأجبت : « لا شيء أقل تأكداً من ذلك ، ففي عام ١٩١٨ لم يكن ثمة من جبهة لا تخترق . ومع هذا ، أي تقدم أحرزت الدبابات والطائرات ضد ذلك الزمن ؟ وغداً يصبح العمل الموكث الذي يؤديه عدد كاف من السلاح الآلي ، قاتلاً لأن يدك أي حاجر دفاعي ، في أي قطاع يختاره المهاجم ومتى فتح الالمان ثغرة واحدة ، ينفذون في أماكنهم أنت يندفعوا ، بعيداً وراء خطوطنا ، كثة مدرعة سريعة يساندها جيشهم الجوي . فإذا كان لدينا مقدار ما لديهم من أسلحة آلية وطائرات ، أمكن تعويض كل شيء ، وإلا خسرنا كل شيء . »

وصرح لي رئيس الوزراء أن الحكومة رصدت ، بموافقة البرلمان ، إضافة على المواردة العادية ، اعتماداً لنفقات صبرى 'خصصت للدفاع الوطني ، وأن قسماً كبيراً من الاعتمادات مخصص للدبابات وسلاح الطيران ، فلغت انتباهه إلى ذلك الواقع ، وهو أن الطائرات المتوي صنعها ، إنما ستكون كلها تقريباً مخصصة للصد لا للهجوم . أما الدبابات ، والمراد أن

يصنع منها ، في ثمة اعشارها طراز « رنو » و « هونشكيس »
١٩٣٤ ، وهي حديثة في نوعها لكنها بطيئة ، وثقيلة ومسلحة بمدافع
صغيرة ، قصيرة ، صنعت لمواكبة المشاة في القتال ، وما هي للشكل في
شيء ، مجموعة مستقلة من وحدات كبرى . ثم ان احداً لا يفكر فيها ،
ويظل تنظيمها العسكري اذن على ما كان عليه . وأنديت هذه الملاحظة .
« اننا في الطريق الى انشاء قدر منا نستطيع من سلاح آلي ، وإمدق
المال اللارم لجيش آلي ، ثم لن يكون لدينا هذا الجيش . فلاحظ
الرئيس . « ان استخدام الاعتمادات المرصدة لوزارة الحربية ، من شأن
السبب « دالاييه » ، والجنرال « عاملان » فأحت « لا شك في ذلك .
واسمح لي ، مع هذا ، ان اعطرك في ان الدفاع لوطي يقع على
هاتق الحكومة » .

كان جرس الهاتف قد دق ، خلال حديث ، عشر مرات ، وفي كل
مرة ينصرف ليون بلوم الى مسائل برلمانية وإدارية حد طليفة . وفيها أنا
استأذن بالذهاب ، وهو عنهمك في الرد على الهاتف ، اثار إشارة الشعب
الضجر ، وهو يقول « لاحظ ما ذا كلب من حين على رئيس
الحكومة ان يتابع الخطة التي رسمها ، في الوقت الذي لا يستطيع به ن
يتابع المكرة الواحدة مدة خمس دقائق » .

وعلمت من بعد ان رئيس الوزارة لن يرعرع جملة الهيككل ، رغم
تحسه العميق بالحديث الذي جرى بيننا ، وان الخطة الموصوعة من
قل ، مستنفذ كما هي وراح يمدو لي ، عند ذلك الحين ، ان فرصت
في توري القوى ، وفي الوقت المناسب ، مع قوة « الرابع » الجديدة ،
مشرقة على الصباح . وكنت في الواقع ، مقتنعا ، ان جمع هتر ،
وعقيدته ، وسنّه ، والاندفاعة نفسها التي رود بها الشعب الألماني ، لن
تسمح له بالانتظار اصححت الأمور تجري الآن بسرعة وكان على

حكاه فرنسا ، كي تلتحق الركب وتعود عن تأخرهما ، ان يريدوا لها ذلك .

وفي اول أيار (مايو) ١٩٣٧ ، قامت فرقة فانتير كاملة باستعراض في شوارع برلين ، يواكبها في الجو مئات من الطائرات وكان ابطاع المشاهدين ، وعلى رأسهم السيد « فرسوا بونسيه » سفير فرنسا ، ومطعينا العسكريين خاصة ، ان هذه قوة لا يملك ان يقف شيء في طريقها ، سوى قوة مماثلة . ولكن تقاريرهم لم تحصل حكومة باريس ، على تبديل الاستعدادات التي اتخذتها . وفي ١١ آذار (مارس) ١٩٣٨ ، حقق هتلر الانشلوس^(١) ، فقد اطلق على فيينا فرقة آلية ، كان مجرد مظهرها ومبلة الى اكتساب الرأي العام ودخل معها في مساء ذلك اليوم نفسه العاصمة النمساوية دخول الضافر . وبدلاً من توعية الفرنسيين اراء ذلك الجبروت ، راح يحصم بطمئن الجمهور الفرنسي بالتصوير الساخر للمطل الذي طرأ على بعض الدبابات الالمانية خلال ذلك الرحب المقصر ، وما وما كان لأحد ان يمتد ، فصلاً عن ذلك ، بدروس الحرب الأهلية الاسبانية ، حيث كانت الدبابات الإيطالية ، وطائرات المحوم الالمانية ، على ضالة عددها ، تلعب الدور الرئيسي في كل ميدان خاصته .

ثم كان من الموهور ان قضى ، خلال ايلول (سبتمبر) ، على تشيكوسلوفاكيا ، بتواطؤ مع لندن ، وباريس من بعد . وحطبت قبل ثلاثة ايام من موزخ في قصر الرياضة في برلين ، فوضع النقاط على الحروف ، وسط أهازيج العرح ومتافات الحماة ، صارخاً : « الآن أستطيع ان اعترف علانية بما كنتم كلكم تعرفون . لقد حققنا تسليماً لم يسبق للعالم قط ان شهد ما يماثله » . وفي ١٥ آذار (مارس) انتزع من الرئيس

(١) الانشلوس : وحدة النمسا مع ألمانيا . (المترجم)

« هاشا » الاستقالة النهائية ، ودخل براغ في اليوم نفسه ، وفي مطلع
أيلول ، انزال على بولونيا ، وكانت فرنسا خلال هذه الفصول المتلاحقة
من المأساة الواحدة ذاتها ، تقوم بدور الضحية التي تنتظر دورها .

وكننت من جانبي أشهد هذه الحوادث غير معاجلاً بها ، ولكن لا
من غير ألم ، فبعد أن شاركت ، عام ١٩٣٧ في أعمال مركز
الدروس العسكرية العليا ، تلمقت الأمر بقيادة هوج الدبابات رقم ٥٠٧ في
مدينة متر . وكانت رابيتي كعقيد (كولوبل) وامتددي عن باريس ،
لحرمي من التسيلات والاتصالات الضرورية لمساعدة عسكري الكبري
وكسب المؤيدين لها . وكان السيد « بول ديتو » قد دخل ، من جهة
قانية ، حكومة الاديبه في ربيع ١٩٣٨ ، وريراً للعدل ، ثم للعال .
وكان تركيز توارب ايلي والتفتي ، عدا التخاص الورري الذي يرمطه
بعيره ، يشكل مهمة يسمرق دأؤف كل وقته . عبر ان العدد الذي
اظهرت السلطة ، في الابقاء على جهاز عسكري حامد على لاجص بينا
كانت الحيوية العسكرية الألمانية تفسط طلبها على اوروبا ، وحنة نظام
الذي كان يتابع بهوانياته الخرفاء تجاه « رايخ » متأهب للوثوب علينا ،
وبلاهة المصلين الذين كانوا يصفقون له . جرى في « ربيع » - كل ذلك لم
يكن في الحقيقه ، سوى نتائج لتحل عميق عن حمل التسمات الوطنية .
ولم يكن في وسمي ، رء هذا ، ان عمل شيئاً ومع ذلك ، نشرت
واة شاعر بالعاصفة قدبو ، « فرنسا وحيد » ، وفيه بينت كيف
ن روح البلاد ومصيرها بمكمان من قرن لقرن عسى اليوم ، في
مرآة جينها . وكان ذلك تحذيراً هائياً ، وحنة من مقامي المتوسع
الى الوطن ، عشة الكارثة .

وحيث رحبت حكومة الفرنسية في نول ١٩٣٩ ، على عهد « نورارة
الامكيرة » دخول « براغ » الذي بدأ في نولوب ، « يكنر » لدي ادسي

شك انها فعلت ذلك ، وهي واثمة ان القتال لن يكون حدياً ، وعميقاً رغم اعلان حالة الحرب . وقد شهدت ، من غير شعور بالدهشة ، واما قائد الدبابات في الجيش الخامس ، في الأراس ، قواتنا المعياء تخذل الى السكينة والركود ، بينما تصفق بولونيا خلال اسبوعين ، على يد فرق البانتسير والاسلحة الجوية . صحيح ان التدخل السوفييتي عطل في سحق البولويين ، ولكن كان في موقف ستالين الذي المحاز الى جانب هتلر فجأة ، وكان قضيتها واحدة مشتركة ، ما يشير الى اقتناعه ان الفرنسيين لن يهركوا ساكناً ، وان أيدي ، الرابع ، على هذا النحو ، مطلقة ، وان من الأفضل اقتسام الغربة مع هتلر ، على ان تكون له وحده . وبينما كانت قوات العدو مشغولة برمتها قريباً ، في منطقة «الميستول» ، لم نكن نحن نعمل شيئاً ، ما عدا بعض النظائرات في الانتقال الى الراين . لم نعمل شيئاً لوضع ايطاليا خارج المعركة في تخييرها بين العدو الفرنسي والتخلي عن تعهداتها في الحياض . واخيراً لم نعمل شيئاً لتحقيق الاتصال فوراً مع بلجيكا وبلوغ «ليج» وقناة ألبير .

وشامت المدرسة الحاكمة ، بالاضافة الى ذلك ، ان ترى في هذا الركود ، استراتيجية مشمرة ، اذ راح الحكام ورئيس الوزراء في المقدمة ، يؤبدنهم عدد من الوجيهاء ، يجهدون في الاداعة والصحف ، ان يبدنوا بحاس الجلود وفوائده ، ويقولون : اما لننتمط عن طريقه دورب خسائر ، بوحدة اراضيت . وحامي السيد «رسمون» مدير حريضة «الغيفارو» رائراً حين كنت في «هامبورغ» يسألني رأبي ، وحين سمع أسمي لللية قواتنا ، صاح متصفاً : «الا ترى اسا كبينا في الماضي والحاضر معركة بيضاء في المارن ؟» . ومررت اناء كانون الثاني (يناير) ساريس ، وحين كنت اتناول العشاء على مائدة بول رينو في شارع الريفولي ، لقيت هناك السيد ليون بلوم ، فقال هذا بحاطبتي :

« ما هي تكهناتك ؟ » فأجبت : « المشكلة هي ان تعرف ما اذا كان
الامان يتجهون في هجومهم ، خلال الربيع المقبل ، نحو الغرب للاستيلاء
على باريس ، ام نحو الشرق ليلعبوا موسكو » . ودهش ليون بلزم وقال :
« أعتقد في ذلك ؟ الامان يهاجمون الشرق ؟ ولكن لم يذهبون لستيوا
في مجاهل الاراضي الروسية ؟ المحكوم غرباً ؟ لكن ماذا يستطيعون
ان يفعلوا ضد خط ماحيو ؟ » . وحديثي الرئيس « ليران » رائراً
يتفقد الجيش الخامس ، تعرضت له دماغتي ، وقال لي بلهجة ود :
« افكارك مضمومة عندي . ولكن يبدو لي ان الوقت اصبح جد متأخر
على العدو ليطبقها » .

كنا نحن المتأخرين ، وقد بذلت في ٢٦ كانون الثاني (يناير) مع
ذلك ، آخر جهد في هذا السبيل ، اذ وجهت الى ثمانين شخصية بارزة
في الحكومة ، والقيادة ، والسياسة مذكرة اردت من إقناعهم ان العدو
سيبادر الهجوم بقوة آلية برية وجوية جد قوية . وان في مكاسبه ،
ابطالاً من هذا الواقع ، ان يخرق جيوشنا في كل لحظة ، وان نحن
لافتقاداتنا عناصر معادلة ، نعرض تعرضاً حلياً ، للاضمحلال امامه ،
وان الواجب يفرضي ، على الفور ، ايجاد الاداة المنشودة ، وانت من
المسحح العاجل ، ونحن نقتد السير في صنع الاسلحة الآلية الضرورية ان
لجميع احتياطي الوحدات الراهنة ار التي هي في طريق التشكيل ، وفي
مستطاعها ان تنضم اليها عند الضرورة ، في جسم احتياطي آني واحد .

واختتمت مدكرتي : « ينبغي ان لا يقع الشعب الفرنسي ، ابداً كان
التمن ، فريسة الوم السائد ، وهو ان الجهود العسكري الراهن ينسجم
وطبيعة الحرب الجارية . العكس هو الصحيح ، فالهرك يسمح وسائل
التدمير الحديثة قوة ، وسرعة ، ومجال تأثير واسعاً ، بحيث ان النزاع
القائم لا بد ان يتم ، عاجلاً او آجلاً ، بحركات ، ومعاجات ،

وانتمعارات ، وثققات تتعاور مائعا وسرعتهما أشد أحداث الماضي
 هو لا ووبلا .. يجب ان لا نخدع عن ذلك ! الفراغ الذي بدأ يمكن
 ان يكون الأوسع ، والأعقد ، والأعنف من بين جميع النزاعات التي
 مرت بها الأرض والأمة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ،
 والاحلاقية التي استق عنها نلح من العمق والشمول درجة تنفي معها
 لا محالة الى انقلاب كامل في مواقف الشعوب وبقيان الدول . وواقع
 الحال ، ان اسباجام الاشياء الغامض يمد هذه الثورة مادة عسكرية -
 جيش الآلات - متناسا بالصدف ، مع أبعادها الجبارة . وما يزال امام
 غرب متسع كبير من الوقت لتستخلص النتيجة !

م تحدث مذكرتي هزة تذكر . بيد ان الافكار المبثورة فيها والبراهين
 المبروزة انتهت الى أحداث بعض التأثير . وفي نهاية عام ١٩٣٩ ، كان
 لدينا فرقان آليتان حقيقتان ، وأحد اى تشكيل ثالثة . ولكن هذه
 الفرق لم تكن سوى وحدات استكشاف كان في الامكان ان تقدم لواء
 جلتي في كشف الماورات التي يقوم بها حفل مدرع ، ولكن فائدتها
 تصبح ضئيلة ما دام ذلك الحفل غير موحود . وقرر مجلس الحرب
 الأعلى ، في ٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ ، بطلب ملح من الجنرال
 « بيتوت » ايجاد فرقتين مدرعتين الأولى تشكلت في مطلع ١٩٤٠ ،
 وكان من امروض ان تشكل الثانية في آذار (مارس) من العام نفسه .
 وهناك دعامات من وزن ٣٠ طناً طرار « ب » وجدت ففادحها الاولى
 قبل خمسة عشر عاماً ، وشرع مؤخراً في صنع ثلاثمائة منها ، لتسلح
 فينك الفرقتين . ولكن كلا منهما كانت أبعد ما تكون عن تحقيق القوة
 التي اقترحت أحداثها ، اية كانت مزينة اسلحتها الآلية ، فقد اردت ان
 ان تشتمل على ٥٠٠ دبابة ، ولم يكن لهذه سوى ١٢٠ ، وكتيبة واحدة
 من المشاة 'تقل في شاحنات ، وكنت اريدها ذات سبع كشاف في

عذات، نقل أرسية . وكان لها جدائل من المدعوية ، ورأيت ان تكون
دور سبعة اجسدة بحجرة مدافع ستمية ولن يكون لها مدح اسكتشاف ،
ودسمة مصري تم هي حاحد اثيا . ولم اكس احبراً ، ألتصور استخدم
اوحداث لآلية الا هي شكل جعل متنع باستقلال دتي ، مظم على
هد الاساس ، ودي قيادة مبيثة عن ذلك الامس ايضاً . ولكن لدي
جري كان عكس ما اردت ، اذ لم تكن المسألة سوى صتهر الفرق
المدية هي علف هبات الجيش من الطرار القديم ، او إدايتها بتعير
أحر ، في الجهاز العام .

وكان التردد في التغير الذي يسبب عن خور في المرائم وبظهر على
السعيد العسكري ، يتحلى واصحاً في المجل السياسي ، وان ذلك النوع
من التناول الثثار الذي ممثت عليه اول الامر هذه الحرب الضخمة ،
وعدته الاوساط حاكمة ، احد بدس في طور الحق ، اذ كان من
شأن التمتة لملايين الرجال وقصر الصناعة على اساج الاسلحة ، والالتزام
بفطت ضخمة ، ان روت الامة مدحيرة لتفجرات وعي خطيرة كان
معموها قد ظهر من قبل في سياسات التنبه للخطر وحل الناس على
نوتيه . وما كان ثم نبي ، من جهة اخرى ، يتم عن تضاول تدريجي
في القور لدى العدو ، وهو التناول الذي كان بعضهم ينتظره بليجة
الحصار المصروب عليه . وما لم تدمد المدة علانية لسياسة حربية غير
المتمة ، هذه السياسة التي لا يلك احد وسائلها ، وان كل واحد كان
يوجه ما يشعر به من ضيق وهراء وصبر ، ضد السياسة المتبعة . وكان
النظم عاجراً ، حرياً منه على عاداته ، عن اتحاد التدابير التي تقول الى
تأثير الخلاص ، فأخذ في مراوعة همه وحادع الرأي العام ، وعنه ازمة
ووارية ، اذ جعل المجلس في ٢١ آذار (مارس) وزارة دالاديه ، وفي
٢٣ منه شكل بول رينو الحكومة .

ودعيت الى باريس من قبل رئيس الوزارة الجديد ، فوضعت احدى
الطلبه ، بياناً موجزاً ، واضحاً ، قنده كما وضعه محروث ، بإلقائه في
البرلمان. وبينما كنت هدف الدساتير التي صمغ في الكواليس ، دعيت لحضور
جلسة البيان الوزاري في قصر بوربون .

كانت جلسة رابعة . وما كان لأحد ان يسمع ، خلال المناقشات ،
بعد إلقاء بيان الحكومة من قبل رئيسها أمام مجلس عديم مرتب في
نفسه ، سوى ابواق القنات او الشخصيات الذين قدأروا اهم اظهروا في
كرامتهم ، عند تشكيل الوزارة . وما كانت الاحاديث عن الخطر الذي
يهدد الوطن ، وضرورة الجهد الوطني ، وتعاظم التضامن الطر ، سوى
مظهر انيق تزدان به المراهم والصعائش . وكان ليون بلوم الوحيد الذي
لم يعرض عليه ، منصب في الوزارة ، وتكلم ، مع ذلك ، يتسام وترفع .
وبفضله استطاع بول رينو ، ان يكسب معركة الثقة ، وإن كانت لم
تحرز الا ما بقيها السقوط لأنها نالتها بسوت واحد . وهذا قل لي من
بعد السيد هريو ، رئيس المجلس ، أنا لا أزال غير متأكد كل التأكد ،
انها نالتها .

وقبل ان اعود الى مركزي في ديسمبر ، بقيت بصحبة أيام الى
جانب رئيس الوزارة في وزارة الخارجية (آلويه مورمي) وكان في
ذلك الايام ما يكفي لأشاهد أي شيء درجة ذلك العهد من الانحلال
الحلقي . لقد كانت فكرة وقف الحرب قد كسبت انصافاً ومؤيدين
نافذين في جميع الاحزاب ، في الصحف ، في الادارة ، في دوائر المال
والاعمال ، في النقابات . وكان المحللون يؤمنون ان ذلك هو رأي
المارشال بيتان السفير في مدريد ، والمدرس فيه ان يعرف . عن طريق
الاسبان ، ان الامان يرصون حيوياً بأسلوبه من ركاب الشائعه تهدد
على الألسنة في كل مكان ، نقول : ان سقط رينو ، فن لا نعمل .

ميتولى السلطة ومعه الى جابه بيتان . وكان المارشال ، في الواقع ، قادراً على حمل القيادة على قبول المساعدة . وكانت آلاف السفن من المناشير ، تنسرب الى البحر ، حاملة في ثيابه ، على ثلاث صدقات ، صورة المارشال بوصفه اولاً رئيساً ظهراً في الحرب الكبرى ، مع السيارات : « بالأمس حندي عظيم .. » ثم « اليوم صغير عظيم » وأخيراً باعتباره شخصية حارة ، عبر واضحة : « وعداً ؟ ... »

يجب ان نقول . ان بعض الاوساط كانت تريد ان ترى العدو في متالين اكثر مما نراه في حتر ، وان اهتمامها كان منصرفاً الى وسائل ضرب روسيا ، اما بذل القوم لفلسندا ، وإما بقصف « باكو » ، وإما بإزالة جمود في استامبول ، اكثر مما هي منصرفة الى الطريقة التي تتخلص بها من الرابع . وكثيرون هم الذين كانوا يظهرون علانية الاحباب الذي يشعرون به تجاه موسوليني .

وكان بعضهم يمثل ، حتى في قلب الحكومة ، على حل قريب ان تشري رضا الدوتشي بالتخلي له عن جيبوتي ، وتشاد ، وإيالاته جزءاً من السلطة المشتركة في الوصاية على تونس . اما الشيوعيون فقد انحازوا الى القضية الوطنية المحيياً معصاً بالضعة طيلة الحقة التي وقفت بها برلين ضد موسكو ، وراحوا يملون الحرب « الرأسمالية » في اللحظة التي اتفق بها مولوتوف وريستروب . وأما المناهض فانها كانت تتأرجح بين الشك والخيرة ، وهي المسئلة ، الشاعرة ان ما من شيء ولا من شخص على رأس الدولة يستطيع السيطرة على الاحداث ، وكانت من الواضح ان محنة خطيرة تمت في البلاد موجة من الوجوم والذعر ، على قارب تونس او ادنى ، وانها لو شك ان نحتاج كل شيء .

وحاول السيد بول رينو في هذا الجو السفح المصلي ان يركثر

سلطته . وكان ذلك يزداد صعوبة بمقدار ما يتفاقم خلافه مع السيد
 دالاديه الذي كان في الحكم قلة ، وظل معه وريراً للدفاع والحربية .
 ولم يكن في الامكان تعديل هذا الموقف العجيب لأن الحرب الراديكالي
 الذي تدبّر له الوزارة ببقاتها في الحكم ، كان يتطلب ان يظل رئيسه
 فيها ، منتظراً ان يعود الى رئاستها ، لدى اول مناسبة . وكان بول
 ريسو من جهة اخرى ، يحاول في سعيه وراء توسيع اكثرية للكبيشة ،
 ان يستميل المعتدلين ويلاقي تعميقاتهم لجماعه ، وكانت عملية دقيقة لأن
 جزءاً غير يسير من اليمين كان يتمسك مسألة هتلر والنعاه مع موسوليني .
 وهكذا ، وجد رئيس الوزراء نفسه موقفاً الى استدعاء السيد د بول
 بودوان ، وتعيينه امياً مساعداً للدولة ، وهو المعروف بنشاطه الزاخر
 في تلك الاوساط ، ثم ايلانه امامة اللجنة العربية التي انشأها .

والحقيقة هي ان السيد بول ريسو كان قد فكر في ان يعهد الي
 بهذا المنصب ، فان لجنة الحرب التي كانت تؤمن سبر الترام وتضم لهذا
 الغرض ، امم الوزراء كما تضم رؤساء القسادة في الجيش ، والبحرية ،
 والجو ، كان في وسعها ان تلعب دوراً رئيسياً . وكانت مهمة اميها إعداد
 مذكراتها ، وحضور جلساتها ، وتدوين قراراتها ومتابعة تنفيذها ،
 فكانت نبعاً لذلك ، كثيرة هي الاشياء التي تتوقف على الطريقة التي يمارس
 بها اداء المهمة ولكن اذا كان السيد بول ريسو يتمنى فيها بدا ، ان الولاها
 انا ، فان السيد دالاديه لم يشأ اعطاء موافقته ، فقد اجاب الرسول
 الذي بعث اليه رئيس الوزراء ، في هذا الشأن : « اذا جاء ديشول
 الى هنا ، وفي اترك هذا المكتب ، وأمرل الدرج وأنتقل السيد بول ريسو
 ان يصعد مكاني » .

لم يكن السيد دالاديه يسطوي ، في شيء ، على كراهية لشخصي .
 وكان قد قام الدليل ، من قبل ، على ذلك في ان اتخذ بنفسه كوزير ،

قرأ : نوضع اسمي على جدول ترقية الذي كانت تحاول ان تقصيني عنه
 مدسئس . ولكن السيد دالاديه اقر النظام العسكري القائم ، وهو
 الذي كان يحمل . من عدة سنوات تسعة وزارة الدفاع ، لقد تسمي في
 المواقف التي سبق ان تحدثها ، اكثر من اي وقت مضى ، مد شعر ان
 لاحداث ستحسم الامور بين يوم وآخر . وقدّر سلماً نتائج تحكيمها ،
 وارتأى على اي حال ، ان تعيد التنظيم مسي حدة متأخر . ولكن
 كان يلائم امة اللجنة الحرة على الرغم من معارضة وزير الدفاع الوطني
 مرأ مستحيلاً . وعدت ادراحي الى الجبهة .

وكان عني قبل العودة ان اقبل الجيران عاملان ، وهو لدي استدعالي
 في مفره في قصر فاسين . وهناك لقين في إطار بشه إطار الدير ،
 عاطفاً قليل من البساط ، جعل ويتأمل دون ان يتدخل في شؤون
 المصلحة الحارة . وقد ترك الجيران جورج يقوم الحصة الشالية .. الشرقية ،
 وذلك ما يمكن الاطمئنان ليرة ما دامت الحصة هادئة . ولكن لأمر بعدو ،
 بلا ريب ، مطلقاً ولا سبيل الى صطحه اذا بدأ القتال . وكان الجيران
 جورج دقيقاً في لا فرق سو - حوار مع فريق من اركان الحرب ،
 بين يقوم مكاتب اخرى بأعمالها في مونري بادرة الجيران دوميك
 الركن . والواقع ان عضو القيادة العليا كان مقصاً بين ثلاث قطعات ،
 وكانت لصورة التي طمعت في دهي عن الجيران عاملان المقتل في
 صومته من فاسين ، صورة عالم يارج في عتبه ، بين ردود الفعل
 لاسرائيلية .

كان ول ما خبرني انه يريد رفع عدد العيرت المدرعة من اثنين
 الى اربع ، واعطني بقراره موليتي قيادة الراسمة ، تلك التي تشكل ابتداء
 من ١٥ ايار . واياً كان الشعور الذي يسه ذلك الخبر في نفسي من
 الوجهة العامة ، فإن تحلها في السلاح الآلي بطل دم غير قابل للشه .

وقد شعرت بإعتراز كبير في أن أدعى كمقيد ، إلى قيادة فرسنة .
وحين قلت ذلك للجنترال عاملان ، احتاجي بدسطة . « أنا أفهم اعتبارك .
أما قلقك فلا اعتقد أن له مبرراً »

وحدثني الجنتراليسم ، حينذاك ، عن الموقف كما كانت يراه . وقال
لي ، وهو يكشف خريطة رسم عليها عتاد العدو وعشدها ، أنه يترقب
هجوم الأمان قريباً ، وهذا المعلوم ، حسب تكهناك ، سيكون موجتها
في البرجسة الأولى إلى هولندا ، وشعبكاً ثم ينصب نحو « البادر كالبه »
لفصلنا عن الاسكندر . وكانت هناك علامات شتى تحمله على التفكير أن
العدو سيقوم قبل كل شيء ، بعملية قنطرية أو تشيت نحو اللذان
الاسكندرانية . ولم يكن في دأبه يبدو واثقاً بتوقيباته الخاصة بقيمة
قوته فعصب ، وإنما كان مراقباً إليها أيضاً ، خارج الصر يود أن يضمها
على محك التجربة أو قد اقتنعت وأما استمع إليه ، أنه لفرط ما رعى في
نفسه منها عسكرياً محبياً ، وعي بتطبيقه في حياته العملية ، جعل منه
عقيدة لا تزعزع ، وخالجي الشعور أيضاً به ، وهو الذي التحد من « جولر »
قدرة وكان في أوائل الحرب الكبيرى معاونه المباشر ومليحه ، بمض
الشيء ، أصبح على اقتناع أن المؤمرى في مستواه ، إنما هو أن يستقر
عزمه مرة واحدة وإلى الأبد ، على المضي في خطة محددة ، ثم لا يترك
لنفسه مجالاً لأن تحيد عنها من بعد ، مهما تحول التيار ، وما كان هو
ذاته ذو الفهم البالغ ، وروح الدقة والسيطرة على النفس ، ليشارك في
شيء قط ، أن الظفر مقدّر له آخر الأمر ، في المعركة القربية .

وكان أن عادت هذا الرئيس الكبير وأما أحل شعور الاسترام له ،
ولكن كان يخالجتني أيضاً شعور بالانقراض . غادرته وهو على استعداد
في صومعته ليأخذ على عاتقه ، بصورة مفاحة ، في الحال ، نعمة ضخمة ،
لأعبأ بالكل للكل على مائدة كنت أحسبها رديئة .

وبعد خفة أسابيع انتفضت الساعة ، ففي العاشر من ايار (مايو)
افتتح العدو هجومه الكبير ، بعد ان كان قد وضع يده على الدنمارك ،
ثم على النرويج كلها تقريباً . وروعي في ذلك الهجوم ان يكون من الفه
الى ياته مستيراً بالقوات الآلية والطيران وكثافة الجند ، وفق ما تقتضيه
الحركة ، من غير ان تكون هناك حاجة الى قوغل في القتال ، اذا انقض
على القرب « هوث » و « كلايست » في حشرين من عشر فرق مدرعة
وستة ممتدة . واخترفت سبع من فرق البانسكر هذه ، الآردن . وبلغت
« الموز » في ثلاثة ايام وفي ١١ ايار ، عبرت الى « دين » و « جيميه »
و « موبز » ، و « سيدان » ، بينا كانت تساعدها اربع وحدات ممتدة
كبيرة وقطعها ، وكان سلاح الهجوم الجوي يواكبها بلا انقطاع ، وقاذفات
القنابل الألمانية مثل مواصلاتنا ، وهي تضرب حلف جبهتنا سكك الحديد
وملتقيات الطرق .

وفي ١٨ ايار ، كانت تلك الفرق السبع متجمعة حول سان - كستان ،
متأهة للتوغل إما نحو باريس ، وإما نحو دسكرك ، وقد قطعت خط
ماجينو ، وهددت جهارنا ، ولأنت احد جيوشنا .

وفي هذه الاثناء ، كانت الفرق الثلاث الأخرى ، يرافقها فرقتان
ممتدتان ، تقوم بعملها في البلدان الواقعة ، و « البرمان » ، حيث استخدم
الحلفاء جيوش كل من هولندا وبلجيكا وبريطانيا ، وحشيش فرنسيين ،
واستطاعت - فرق العدو الخمس المذكورة - ان تلتقي في ذلك المجموع من
الجيوش البالغ عدده ٨٠٠٠٠٠ مقاتل ، بلغة لم تتمكن ان تخلص منها
بعد ابدأ ، حتى ليتمكن للقول ، ان ختم القدر « طبع » وانتهى ما كان
مقدراً ، خلال اسبوع . وراح الجيش والنوالة ، وفرنسا تتدحرج كلها
الآن ، حسب ايقاع بالغ العنف ، على المنحدر المختوم الذي ساقط اليه ،
منذ زمن طويل ، ضلال لا حد له .

وكان هناك ، مع ذلك ، ٣٠٠٠ دبابة فرنسية حديثة و ٨٠٠ مصفحة . ولم يكن لدى الألمان أكثر من هذا . ولكن اعتدلتا هذه كانت ، حسب ما نُخطط سابقاً ، موزعة على قطاعات الجبهة . إلا أنها لم تكن قط ، مصنوعة ولا مسلحة ، في معظمها ، لتشارك في مناورة كثيفة . وحتى الوحدات الآلية الكبرى القليلة التي ترتفع إلى مستوى المعركة خاصتها مفضلة ، فقد اضطرت الفرق الثلاث الحليفة الاستكشافية التي خاضت ميدان لياج و « بريداء » إلى الاكتفاء على وجه السرعة ، وأعيد آمداك استمطاراً للحفاظ على إحدى الجبهات . والفرقة الأولى المدرعة ، دجبت في جسم أحد الجيوش ، وأطلقت وحدها في الهجوم الممكس ، في ١٦ أيار ، إلى الغرب من نامور ، وصا لشت أن حلوقت ودمرت . وفي اليوم نفسه ، نقلت الفرقة الثانية في سكة الحديد إلى هرسون ، وإذا يجنودها يتوارون بالتوالي ، وتنتلهم الفوضى ، والاضطراب الشامل . وفي عشية ذلك اليوم تصدعت في الجنوب من « ميدان » للفرقة الثالثة التي تشكلت حديثاً ، وأصبحت مزقاً فور دخولها المعركة مهبط أفواج فرقة من المشاة ، هي هجوم ممكس خائب . ولو أن هذه الوحدات الآلية جمعت من قس ، على ما فيها من ضعف ، لكات قد وجهت للعدو ضربات مروع . ولكنها ، وقد عزل بعضها عن بعض ، تحولت إلى مزق بعد ستة أيام من سيرها لمنازلة الحشود الألمانية المدرعة . وما كنت قط لأجد من حاسي ، وأنا اتبين الحقيقة عبر كتف الأخبار التي تصلني ، ما يحملني في شيء ، على الشعور بأنني كنت غلطاً .

ولكن المعركة تسفل الحدي ، وإن كانت حاصرة امدح الحمران ، من نفسه . وقد ملكك علي بدوري ، جملة حواسي . فقد تلقيت في ١١ أيار الأمر متولي قيادة الفرقة المدرعة الراجعة ، التي لم يكن لها وجود بعد ، ولكن هاصرها ، وقد أقبلت من نقاط جد متباعدة ،

وُضعت شيئاً فشيئاً ، تحت تصرفي . واستدعيت في ١٥ ايار من « فبراير » ،
حيث كان مركزي ، الى مقر القيادة العامة لألتقي مهمتي .

كان رئيس الاركان العام هو الذي اوصحها لي ، وكانت خطيرة
وقد قال لي الجنرال جومينك . « تريد القيادة انشاء جبهة دفاعية على
« اليمين » و « الابلية » ، لتقطع على العدو طريقه الى باريس .
وسينتشر فيها الجيش الرابع بقيادة الجنرال توشون ، المشكّل من وحدات
استمرت في الشرق . وعليك ان تكسب الوقت الضروري للتركز في
موقعك مع مرفتك ، العامة وحدها امام منطقة « لاون » . وستكفل لك
الجنرال جورج القائد الأعلى للجبهة الشمالية - الشرقية بتقديم الوسائل
التي تستخدمها ثم انك مرتبط به وحده ، وبصورة مباشرة . والمقدم
(الكومندان) شومل هو الذي يؤمن الارتباط » .

واستلقي الجنرال جورج هادئاً ، ودوداً ، ولكن مرهقاً فها تراه
العين منه . وأكد لي ما يلتظره مني ، وأصاب : « هيا يا ديفول ها
قد واقتك فرصة العمل ، وأنت الذي كان يحمل ، منذ زمن طويل ،
افكاراً يطبقها العدو » . وأخذت القطعات ، على الاثر ، تتجه نحو
« لاون » ، في حدود ما يمكن ، على ان تكون تلك العناصر بما يخصني .
وقد لاحظت ان الاركان العامة تؤدي مهامها على افضل ما تستطيع ،
وهي التي ررحت تحت مشاكل لا حصر لها ، ووضعتها امامها شؤون
المواصلات والنفقات التي كان يعاني منها جميع تحت وطأة المفحاة
والانقلاب اللذين انتشرا في كل مكان ، خلال تلك الايام العصيبة . ولكن
الشعور السائد ان الامل بالصر توارى ، وان النابض تعظم .

وتسللت حتى بلغت « لاون » ، وركزت في بروبير ، الى الحبوب من
شرق المدينة وطوّفت في الجوار والواقع من امر القوات الفرنسية ،

انه لم يكن في تلك المنطقة سوى بضعة عناصر مشتتة تابعة لفرقة الفرسان الثالثة ، وحفنة من الرجال تحتفظ بقلعة لاوس ، والكتيبة الرابعة المستقلة من المدفعية ، وقد عُهد اليها باستخدام ادوات كجاذية في الحالات الطارئة ، وكانت قد نُسبت هناك حصادة . وكان ان أُخفت تلك الكتيبة في ، وهي التي تشكل من رجال ذوي بسالة وليس في ايديهم من اسلحة سوى بندقيات قصيرة ، فوصفتها على طول قناة « سيدون » لصيانة الأسر . وفي مساء ذلك اليوم معه ، طفق عسكر العدو الحربي يحثك بنا .

وفي ١٦ (ايار) قمت بحولة استطلاع وجمع معلومات ، رافقي فرقة من اركان الحربية ، وكان الانطباع الذي قناهي الي من تلك الحولة ان قوات المامية ضخمة خرقت الأردن عن طريق « روكروا » و « ميريبور » ، ثم لم ترحل نحو الجنوب ، بل نحو الغرب ، لتكسب موقع سان - كيثان ، وهي تعطي ميسرتها منحاح نقل الى جنوب السير *Serre* . وكانت تتدفق ، على جميع الطرق ، موكب يرثي لها من اللاجئين القادمين من الشمال . وقد رأيت في هؤلاء عدداً من العسكريين المرمل ممن يستمون الى القوات التي بددها فرق البانتير المهاجرة خلال الایام القليلة الماضية . وكان من قطعات العدو الآلية ، حين ألتفت القصر عليهم اثناء هراهم ، انت وحثت اليهم الامر بالقضاء سادقهم وائسير نحو الجنوب كي لا يعرقلوا الطرق ، وهم يصرحون في وسوهم : « ليس لدينا الوقت لأن نجعل منكم اسرى » !

وتملكني آنداك شعور بغضب حثيث لا حدود له ، راء ذلك اشهد لشعب تائه ضائع ، في تلك الحريمة العسكرية ، ولدى سماع هاتيك الوقحة الخزية سا على سان العدو . آه ايها لحاقه كبرى ! لقد بدأت الحرب على نحو من السوء لا نهاية له . يجب ان تستمر . وهذا ،

بجال فسيح في العالم ، لهذا الاستمرار . وإذا ما بقيت على قيد الحياة ،
فأقاتل حيث يجب أن أقاتل ، وقد مر ما يجب أن أقاتل ، إلى أن
يندحر العدو ، وتصل القطعة من وجه الأمة . وكان كل ما قدرت
على عمله من بعد ، انما سمعت عليه في ذلك اليوم .

واستهللاً لهذه الحطة ، سامني غداً صباحاً في الموعود ، اية كانت
القوات التي تصلني ، وسأحاول وأنا أقدم نحو الشمال الشرقي عشرين
كيلومتراً أن أبلغ عند «السير» ، مونكوريه ، ملتقى الطرق الموصية إلى
سان - كتيان ، ولاون ، ورنس . وهذا أقطع على العدو الطريق
الأول ، فلا يستطيع بعد أن يستعملها في زحفه نحو الغرب ، وأسد
الطريقين الآخرين اللذين تفرعانه رأساً من جهة ثانية ، إلى جهة الجيش
السادس المهيبة . وتلقيت في فجر ١٧ أبار ثلاثة افواج من الدبابات ،
واحدة من طراز «ب» (للفوج السادس والأربعون) ، تؤازرها سرعة
من طراز «د» ٢ ، وتنتهي إلى نصف اللواء السادس ، والموجان
الأخيران من طراز «د» ٣٥ (الفوج الثاني ، والرابع والعشرين) يشكلمان
نصف اللواء الثامن . ودفعتهما إلى الامام ساعة بزوع البور ، فراحتا
تكب جلود العدو على وجوههم وهم الذين يلحوا في رحلهم مونكوريه
من ارض المنطقة ، وظلت تقاتل حتى المساء في ارباصها وداخلها ، فاصية
على عمده من احتاش المقاومة ، تهاجم القواصل الألمانية التي تحاول
المرور ، بالمدايح . ولكن العدو كان محصناً تحصيلاً قوياً في منطقة «السير» .
وما كان لدبابتنا التي لا يساعدها شيء ان تقوى على احتبارها .

ووصل خلال النهار هوج القصاصة الرابع ، وما كاد ينزل حتى
استخدمته على مقربة من شير ، في القضاء على طليعة هدوة تركت
دبابتنا تمر ، وكشفت عن نفسها من بعد . وقد تم ذلك على عمل ،
ولكن المدفعية الألمانية احدث تطلق يداهما علينا من شمال و «السير» ،

وكانت مدفعتها أبعد من ان تتألفا . ومضى النصف الثاني لذلك النهار كله ، وطائرات الشوكا تقتض من الجو ونعمود بلا انقطاع ، تقصف على نحو عمودي دبابتنا وشاحناتنا . وما كان لدينا شيء نرد به عليها . وكان اخيراً من القطعات الآلية الألمانية ، ان عمدت الى مساوئة مؤخراتنا بشكل راح يتعاقم مع ارباب عددها ، وأصبح علينا ، ونحن احداث صفار ، ضائعون على بعد ثلاثين كيلومتراً امام « الأيسن » ، ان نصع حداً لموقف كان مخامرة ، في أقل تقدير .

وأقبل الليل ، هوصت للاحتكاك بالعدو ، فوج الاستطلاع (المدرع الحاضر) الذي التحق بي ، واسلحت الدبابات والقناصة نحو شيفر . وكان على ارض المعركة عدة مئات من القتل الالمان ، وعدد من شاحنات العدو المحروقة . وأسرت ١٣٠ رجلاً ، ولم تلغ خسارتنا المائتين . وكان اللاجئون على الطرق ، في المأخرة ، قد كفوا عن الفرار ، حتى ان بعضهم ، رجع واسترد طريقه ، اذ سرت الاشاعة قوية في قلوبهم ، ان الجنود الفرنسيين تقدموا .

اصبح الآن من واجبتنا ان نلشط للعمل لا في الشمال الشرقي ، بل في شمال لاون ، لأن قوات عدوة كبيرة اقبلت من « مارل » متجهة نحو الغرب ، على غير ، وهي تسير مع بحري هر ، السير . وأخذت الجبهة الألمانية ، تنتشر في الوقت نفسه ، في الجنوب ، وأوشكت ان تلغ الابليت . وأفادت الفرقة المدرعة الرابعة من ليلة ١٨ - ١٩ ايار للمركز في منافع لاون الشمالية . وتلقت امدادات أثناء ذلك : الفرقة المدرعة الثالثة المؤلفة من كوكيتي دبابات من طراز « صوموا » ، وفوج المدعية ٣٢٣ ذات الثلاثين من حيار ٧٥ . يضاف الى ذلك ان الجنرال « بييه » ، قائد فرقة الفرسان الثالثة الحظيفة ، وعهدني ان تساندني مدافعه المدعة للعمل على مستوى ارتفاع لاون .

صحيح انه لم يكن لدي من اصل الـ ١٥٠ دالة ،لموسوعة تحت
 نصري الآن ، سوى ثلاثين من طراز د ب ، ومسلحة بيار ٧٥ ، ونحو
 من اربعين طراز د ٢٥ ، او من شارة صوموا مع مدافع صبرة
 عيار ١٧ ، وان السافي رينو ٣٥ ، بما ليس لها سوى قطع قصيرة
 ٣٧ التي لا يمتدى مفعولها في الحد الاقصى ٦٠٠ متر . وصحيح انه فيما
 يتعلق بالصودوا ، يتألف كل جهاز من رئيس دالة لم يسبق له قط ان
 اطلق مدفعا ، وسائق لم يمارس السوق اكثر من اربع ساعات . وصحيح
 ان الفرقة تشتمل على فوج مشاة واحد ، يعقل في سيارات ركاب
 كبيرة ، من جهة اخرى ، فكان سبب من ذلك ، شديد احساسية
 خلال تنقلاته . وصحيح ان المدفعية تكومت حديثا من اقتطاعات
 اخذت من عديد المستودعات ، وان كثيرا من الاصطاد بتمرفوت اتي
 جنودهم في ميدان المركبة لأول مرة . وصحيح انه ليس لدينا شبكة
 بث للاعلام ، وسي لا استطيع توجيه الاوامر الا على يد رسمي
 الدراجات النارية ، لي ذوي الرتب السفلى او بالذهب خاصة لمقابلتهم .
 وصحيح ان جميع الوحدات يقيمها كثير من وسائل النقل ، والصيانة ،
 والتموين التي ينبغي ، في الحالة العادية ، ان تحررها . وكان يبتثق مع
 ذلك ، من هذا المجموع المرتحل ، انطباع حبة متقدمة ، شاملة . فلتابع
 السير ! لم قنضب الموارد .

وفي فجر التاسع عشر ، اتي الامام ! ليقت دلمات الفرقة نحو هدا
 متواليه ، للرحف على كرمي ، ومورتيه ، وورتي . وكان عليه ان
 تلبع الجور ، وقطع على العدو طريق لاهير . وكانت المدفعية ترافقها ،
 وعلى ميمتها ، يلقى الاستطلاع وفوج القناصة يؤمنسان التغطية على نهر
 مارانتون ، وسرية استكشاف وجهت نحو مارل . وصر الصباح بحمر .
 ووصلنا الى السير ، بعد ان اخفنا الهرجة بمناصر معادية شتى ، كانت

تسلل إلى المنطقة ، وأرغماها على الفرار . ولكن العدو كان متحركاً في شمال النهر وفي قبضته القوة مناعد الطرق فكان يدمر من دماواتنا تلك التي تحاول الاقتراب منها ، ومدفعينه الثقيلة تحوض ليدان . وكما في واقع الحال ، على احتكاك مع وحدات المادية كبيرة فتدقق نحو سان - كشان . وكان يوماً ، لعدد النهر ودفع دماواتنا أكثر فأكثر إلى الامام ، حشود من المشاة ، ومدفعية اقوى ، لم تكن لدينا ، وما كنت خلال تلك الساعات العصيبة ، لأنك من الاقتناع عن تحميل ما يستطيع فعله الجيش الآلي الذي كنت احلم به منذ زمن طويل . فلو انه كان هناك ، في ذلك اليوم ، لعد بضعة الى « عيز » ووقف تقدم فرق البأسير على نحو ماضى . وألقى الليلة الكبرى في مؤخراتها ، ولأصغت بمجموعة جيوش الشمال في سعة من الانتقام مع جيوش الوسط والشرق

ولكنه لم يكر ثمة في شمال لاون سوى وسائل هريئة ، مقيعة ، هالاند ادن هم الذين يمرون السير . وقد اخدوا في عبوره منذ العشية في موكوربيه ، حيث احلبا الساعة . ومد الطهر ، وهم يمرون في حارن ، وكالوا يهاجون مبملاً على هر بارانتون ومؤخرتنا في شامري بعدد عديد من المصعفات ، ومدفع المحركات ، ومدفع المدون الخفوة بالسيارات ، وانشاء المهربين بأسلحة آلية . وهذا هي لأن طائرات الشوكا استظل حتى الليل تقصصا وهي الخوفة الرائعة لمرمات القل التي لا تستطيع ان تخرج من الطرق ، ثم لقطع المدفعية المنكشوفة وكان ادمال جورج قد ارس بأمرني ، في مستهل النصف الثاني من ذلك النهار ، ان لا اتبع القتال ، اد تم نزول الجيش السادس ، وعلى فرقتي ان نستعد ، بلا انقطاع ، في اداء مهام أخرى . وقررت ان اؤخر العدو بعد يوم واحد ، وأنا اعبد تجميع الفرقة حول « جورج » ،

وتكون مستعدة في الليل للهجوم على جناحه ، اذا هو اراد الاندفاع من لاون على رنس ، او سواسون ، وذلك بعبور الايسن فقط في اليوم التالي .

ونفذت الحركة بانتظام ، وان كان العدو يحاول ، في كل مكان ، ان نشطبك معه . وما كان قتال المعامات ، انشاء الليل ، لينقطع في مراكز التخيم . وفي ٢٠ ايار ، انجبت الفرقة المدرعة نحو ٥ فيسم ، و « براين » ، اي بالضبط وسط الالمان الذين يحتشدون في تلك المنطقة ، ويحتلون العديد من نقاط الارتكاز وساجون أرفالسا بمصفحات كثيرة العدد ايضاً . وكان ان ملعنا الايسن دون تعرض لخطر جسيم ، بفضل الدبابات التي كانت تهد لنا الطرق وما يحاورها . الا ان فيلق الاستطلاع المدرع - وكان يحمل الرقم ١٥ - الذي كان يشكل حرس المؤخرة مع فوج الدبابات لم يستطع ان يتخلص الا بعد لأي ، واضطرت فطارات الفرقة على هضبة كراون ، حيث هوجت بمنف ، الى ترك بصح شاحنات تحرق في موضعها .

وبينما كانت الفرقة الرابعة المدرعة ، تقوم بعملها في منطقة « اللاونية » كانت الحوادث في الشمال تجري بالسرعة التي تلتق مع زحف فرق البانتسير . وكانت القيادة الالمانية تدفع بقوتها الآلية نحو دنكررك ، وهي التي قررت تصفية الجيوش الخليفة في الشمال ، قبل ان تفرغ من جيوش الوسط والشرق . ثم عادت تلك القوات الى الهجوم ، انطلاقاً من سان - كنتان في رتلين : الاول ذهب رأساً الى الهدف عن طريق كبراي ودواي ، والآخر انسل على طول الساحل مساراً بإينابل ومدينة برلوبا . واستولت في تلك الاثناء ، فرقنا بانكير ، على اميان ، وأبميل ، وفيها ركزنا جنوب الصوم ، رؤوس جسر نستخدم فيها بعد . اما من جانب الخلاء ، فقد توارى الجيش الهولندي مساء

٢٠ أيار ، وراسع الجيش البلجيكي نحو الغرب ، ووحده الجيشان :
البريطاني ، والفرنسي الاول نفسيهما منقطعين عن فرنسا

لا ريب ان القيادة الفرنسية حاولت اعادة الاتصال بين شطري
قواتها بحمل مجموعة جيوش الوسط انطلاقاً من آميان نحو آراس . ذلك
ما حددته وأمر به الجنرال غاملان في ١٩ أيار . وكان من الجنرال
فيغان الذي حل محله في ٢٠ أيار وذمب في اليوم التالي الى بلجيكا ، ن
أخذ الفكرة على عاتقه . وكانت هذه الخطة نظرياً ، منطقية . ولكن
تعميها كان يتطلب من القيادة نفسها ان تكون أيضاً على جانب كبير من
الأمل في النصر والعزم على الانتصار . وواقع الحال ان اسيار نظام
المقائد والتنظيم برمت الذي تعلق به رؤساؤنا ، حرمهم الهمة والحافز .
فقد استحوذ عليهم صرب من الاقتناع الدائى المعنوي جعلهم فجأة في
ريب من كل شيء ، ومن انفسهم ، خاصة . ومنذ ذلك الحين طغمت
القوى الخارجية الانهزامية تتكشف ، ثم لم تلبث ان اسفرت عن
وجهها ، فملك البلجيكيك راحة الاستسلام ، واللورد غورث العودة بسفنه
من غير قتال ، والجنرال فيغان الهدمة .

وفيما كانت القيادة تسجل تحت وطأة النكسة ، رحمت الفرقة الرابعة
المدعرة نحو الغرب . وكانت المسألة اول الامر ، ان تعبر السوم ، لتسلك
بناصية الهجوم الهوي القيام به في اتجاه الشمال . ولكن الفكرة أملت .
ثم التجهت اليه نحو استعدادها مع قوات اخرى لصد الالمان الذين عبروا
السوم في آميان . غير انه حيل دون اشراكها في تلك المحاولة ، بعد
ان أخذ منها احد امواجها من الدماغات لذلك المرض ؛ واسيراً تلقى أمر
الفرقة ليسته ٢٦ - ٢٧ أيار ، وكان قد عُين اول البارحة جبراً - من
الجنرال روبر التاييه ، آمر الجيش العاشر الذي تتجمع فيه القوات المنقولة
على وجه السرعة الى السوم الاسفل - تلقى الامر ان يسير ، دون ابطاء ،

في الجاه أنفيل ، ويحاصم العدو الذي أقام ، في جنوب المدينة ، رأس
جسر توطد فيه

كانت الفرقة ، في تلك القعدة ، منمركزة حول غرابيليه ، وهي
التي بدأت مسيرتي في ٢٢ ايار حارة بقبسم ، سواسون ، بيله - كوتري ،
كومبيان ، موندبديه ، وبوفه ، وقطعت في حصة ايام ١٨٠ كيلومتراً .
ويمكن القول : انها منذ ولدت في حقول مومكوربيه لم تنقطع عن القتال
او الرصف ، بما اثر في حالة الدبابات ، وترك منها نحو من ثلاثين على
الطرق . ولكن وصلت لينا مقابل ذلك ، خلال مسيرتنا ، امدادات
معية : فوج دبابات من طراز دب (الفوج ١٧) ، وفوج من طراز
د د (الفوج ١٩) مجهز بقاذفات من وزن ٢٠ طناً ، وكان عليّ ،
لسوء الحظ ، ان افصلها امام آسيان ، وفيلق الدراعون (الثنين) السابع
المحمول . وسرية مدعية من عيار ١٠٥ ، وبطارية دفاع ضد الطائرات ،
وحس بطربات من ٤٧ مصفحة مضادة للطائرات . وكانت جميع هذه
الوحدات باستثناء الفيلق د د ، مرتجة ، ولكنها أخذت يحو الحاسة
المهيمن على الفرقة ، لحظة وصولها ، ووضع تحت تصرفي اخيراً ، للقيام
بالعملية التي وكلت إليّ ، فيلق المشاة الثاني والمشرين ، ومدعية الفرقة
الثانية للفرسان . فلان المجموع ١٤٠ دبابة صالحة للعمل ، وستة أفواج
مشاة يساعدها ست دريات مدعية ، ونظك هي القوات التي ستقوم بالحملة
في جبهة الجنوب على رأس الجسر .

قررت الهجوم في مساء اليوم نفسه ، وذلك لان الطائرات الالمانية لا
تنتفك برصد المرفقة ، وليس ثمة فرصة للحصول على بعض النتائج من
المدعنة الا بالاسراع في الحركة الوائسة . وكان الالمان ، في الواقع ،
ينتظرونا بقدوم ثابتة ، هم منذ اسبوع يوطدون مراكزهم في مواجهة
الجنوب على النحو الآتي : « هوي » في الغرب ، « براي » ليه ماروي ، على

والسوم ، في تشرق ، ونحن حينئذ من عهده لسير وديول وكنو قد
نصروا إلى نوره موقع ببارر ، عهده ، هوشعل ، ماروي ، واحيراً
حمل كوبر الذي نعرف ، من سمه سوء مصها ، على بصل ديسورها ،
ويستخدمونه ملاداً حياً بدفسه . كانت هذه الخطوط الثلاثة متوالية
أمدفاً حدودها لمن يعرفه الو اودها .

ولمعت تلك المرأة ثم : الساعة الثامنة عشر : نصف اللوام
السادس سدأت نفقة مع قوم ثقات أربع ، هجم على هوي ، ونصف
اللاوام الثمن بالسات تحبها ، مع قوم انبي والمشرين ، على عابات
ليمو وديول ، والتوج اندرج ، سادات المتوسطة مع فوج السراغون
السابع على برابي . وكانت هذه تسمى الوسط ، في المنزلة الأولى ،
وسين خيم الظلام ، سفح مدور ، بارابي ابدية ، واستسلم في هوي
كل من بقي حياً من الفوج الثاني ، سي كان يحتم . واستولينا قرب
ليمو على عهده على رب مضادة الدفات ، وعثونا على حطيم الاسلحة
الآتية ، لشعة اللوام الثاني الاسكلبي التي دمرت قبل بضعة ايام .

واستأنفنا سيره على نهر ، ، ان على الميسرة ان تستولي على
هوايميل وببغدي ، وكانت هذه هبة لاسيداه على هوشعل وفيلك .
ومهمة يمنة ، على « مارور » ، همة على ثقات « ب » ، « مسير » ،
الحلة ، وهي امثلة من ثقات عور لث . فكانت مهمة تلك الدبابات نقص
كقنارس ، مؤه ، حط الامر . وهدف السهني الذي يسمى الجمع
اليه ، ، كان حال توبير . وكان طراً قاسياً ، اد تشتت العدو مواقفه
حين وصلت اليه القوات ، راحت مددته الثقيلة المتمركزة على ضفة
السوم اليمسى . تعصف بصيرود . وكذلك كان شأن بطاريات اخرى
نطلت قذائفها من جبل كوبر .

وفي المساء يلتصق الخندق ، ولكن حبل كبير وحده ظل يقاوم .
وهناك على أرض المعركة عدد كبير من قتلى الحاسيق . وقد أصاب
المطرب كثيراً من مدافينا ، ولم يبق منها سوى مائة تستطيع ان تتابع
السيرة بيد ان هناك حوفاً من الانتصار ينجح على الميدان . أصبح كل
واحد مما يرفع رأسه عالياً ، وعلى ظهور الحرس انقاسه والدافع
تطلق القذائف حدى الألمان تراحموا أماما في معركة مرعبة .

كتب الماحور جريج تاريخ الموقعة الألمانية « يوم » التي كانت فستمر
على رأس الحرس ، بعد نصف اسابيع من المعركة ، وحمل عنوان كتبه
ذاك « أبفيل » ، وكان بها ورد فيه العبارات الآتية :

« ما للذي جرى ، يحبطه ، في ٢٨ أيار ؟ »

« كان ان هاجنا العدو بقوات آلية شديدة ومصفحة ، وقاومت وحدتنا
المضادة للدبابات بطولاً ، ولكن معمول ضرباتها تضاعف الى حد كبير ،
اراء القوات المدرعة . وكان العدو قد توصل الى التوغل بمدافاته حتى بلغ
ما بين هوبي وكومون ، وسحق دفاعنا المضاد للدبابات ، وتخلت المشاة
عن المواقع التي اكتسبوها . »

« وبينما كانت اداء الدرع نهال على اركان الموقعة ، لم يبق من وسيلة
للاتصال بأي من الأفرج العامة على الخط ، بسبب من نار المدفعية
الفرنسية المتواصلة ، انتقل الحذال آمر الموقعة بنصه الى الامام ... فلقى
الجيش منهزماً ، فجعله وانهاده الى النظام وقاده الى مواقع الدفاع المعدة
على بعد بضعة كيلومترات ، وراء الخطوط الأولى ... »

« غير ان رعباً عميقاً خالج الجنود من الدبابات ... الخسائر فادحة ...
ليس ثمة من احد لم يعقد رفاقاً اعزاء على قلبه ... » .

ومع ذلك ، وصلت النجدة الى الامان . واستطاعوا ، خلال ليلة ٢٧ - ٢٨ ان ينهضوا بوحدهم جميعها في الميدان . والحلت والامري قدما بالادلة على ذلك . وفي ليلة ٢٨ - ٢٩ تحلفت وثبة اخرى جديدة ، فيها هي مجموعة من القوات لم يلبها ثعب ولا ارضاق ، ولا خاضت القتال ، توجهه لمارلشا في اليوم الثالث ، كما هو الشأن في اليوم الثاني . اما نحن فلم بصلنا شيء . وما كان يرمنا سوى القليل ، مع ذلك ، لتحقيق النصر النهائي . لا بأس بما هو لسوا ا منهاجم في ٢٩ ايار ، على ما نحن عليه مرة ثانية ايضا .

كنت الحقة على كوسر في ذلك اليوم ، وقد انصرف معظم جهدي الى سفوحه الغربية . وكانت بر دماننا الاحيرة من طراز « ب » ، ان تتعلق من مواضع رياضية . شأها شأن « الصوماء » التي كان عليها ان تنتقل من المينة الى المينة . وقد خسر فوج الفناصة اسكادر من النصف كما فقد فلق الاستطلاع كتبه ، ومن المقرر ان يتبعها فوج دراعون ، وستنتقل من مياح ما يلي من مدينة الوبنو والسرية ٢٢ التابعة لجيش الاستعمار . وقد وجه المياح « كميته » انجماذا لنا ، امرا الى فرقة العرسان الحاسه ، الخفيفة ، لتسند عر حول جر السوم ، تحت رأس الجسر ، ان تدفع صميتها على كامرون . ان لا تستطيع التقدم ، فطلب الى سلاح الجو مساعدتها في قصف المداخيل لزيادة الى أبفيل ولكن الطائرات كانت في مكان آخر . وفي الساعة ١٧ م دونا العدو باهجوم ، وبلغنا منحدرات اعل ، ولكن السروه ظلت بيده . وحين هبط الليل ، قام الالمان بتسليم مدفعية قوية بهجوم معاكس على قريتي موينفيل وداناي دون ان يوفقوا الى الاستيلاء عليها .

واقبلت في الثلاثين من ايار العرقبة الاسكتلندية ٥١ يقودها الجنرال فورنون ، وكانت قد وصلت حديثا الى فرنسا ، وكلها زهو ومرح ،

أقبلت لخدمة الفرقة الرابعة المتضرعة . وهذه كانت قد جددت تجمعها على مقربة من دويبي . وكان معي العقدهاء : سودر ، سيمونان ، فرنسوا للدمات ، دي هام ليمون ، استطلاع ، رترن للقصاصه ، لوناكون الحدود لمستعمرات ، دي تونمار للدراغون ، شودسول وآسلم للهدفية ، وشوميل لرئاسة الاركان . هؤلاء هم الذين يقومون بموازنة العمليات الحربية . ولم يستطع تصفية رأس حربة أنفيل رمت ، ون حكا قد دمرنا ثلاثة اربعة . وكما هو الآن لا يستطيع العدو ان يبعد منه بقوة ، ولا ان يعيد ، خلاله ، على الأقل . كنت حائلنا قاذفة ، ومع ذلك اقل من حائل العدو . ورحلنا بقتاد ٥٠٠ أسير أصبحوا الى أسرى مونكورنيه ، وكية كبيرة من الاسلحة والعتاد

اي ارض نرى - يا للضرورة . . . فنتحت ، او يمكن ان تفتح ، غير هذه الرقعة ذات الكيلومترات الاربعه عشر ، خلال معركة فرنسا ؟ واذا انت وصفت سلاح الطيران الذي سقط في خطوطنا ، على حدة ، نرى كم يكون عدد الالمان الذين يقومون في اسرها ؟ ولو حل محل فرقة فقيرة ، صعبة ، غير فائمه ، مرتججة ، معزولة ، هيئة عسكرية من نخبة مدرعة كانت بعض عناصرها قاذفة ، من جهة اخرى ، وان مشقة مشوهة ، اية نتائج كانت قد اعطت اثناء هذه الايام الاحيرة من ايار ؟ ولو ان الدولة كانت قد تمت دورها ، ووحيت يوم كان لديها الوقت ، جهازها العسكري نحو الاشياء الايجائي لا السلبية ، ولو انهم بالتسالي اعدوا عدة البرال والمقارعة التي كنت افترض اغلب الاحيان ايجادها ، على السلطة والقيادة ، لكان اد ذاك لدى قواتنا المسلحة فرصة الظفر ، ولدى فرنسا فرصة لاستعادة عافيتها الروحية .

ولكن المعركة كانت ، في ٣٠ ايار ، ضيما خاسرة ، اد استسلم قبل العشية السابقة ملك البلجيك وحيدته . وفي دسكرك اخذ الجيش البريطاني

يشب الى مفتة عائداً ، فاراً . وما بقي من القوات الفرنسية في الشمال
يحاول المحاولة البريطانية معها ، وكان السعدون أكرهت عليه ، يحمل في
في ثنائه الكارثة . وقبل برهة واحدة منه ، شرع العدو في تهتة الطور
الثاني من هجومه الى الحبوب ، ضد حصص فقد ثلث قواته وانه يبقى لديه
اكثر من اي وقت مضى ، وسائل الرد على القوات الانجليزية .

ما كنت ، وانا في مشواي المنعزل في بكاردي ، لأصوع وهام ،
ولكني اردت الاحتياط لامل . واذا كان الموقف مما لا يمكن تقويمه ،
بعد كل حساب ، في الوطن الأم ، هذا الواجب يقضي القيام بذلك
التقوم ، في مكان آخر . الامبراطورية حائلة هناك ، تقدم الملاذ . والاسطول
حائل يضا يمكن لقطبة الموقف . والشعب مائل كذلك ، ولا بد له ،
على اي حال ، من مكانة العز ، ولكن الجمهوريه تستطيع ان تمنحه على
المقاومة ، وهذه فرصة رائعة لتوحيد . والعالم كله مائل هناك ،
وهو قابل لان يزودنا بأسلحة جديدة ، ثم يعود قويا من بعد غير ن
هناك الى ذلك سؤالاً يمس على كل شيء : هل تحسن السلطات العُمة ،
مهما حدث ، ان تصنع الدولة في نجوة من اهلاك ، وتصور الاستقلال ،
وتتخذ المستقبل ؟ ام انها ستسلم الأمور كلها لوبلات الاهيار ؟

اني لاثناً ، من هذه الوحشة - بلا عاء - ان كثيراً من الأمور
تتعلق على الموقف الذي تتخذه القادة ، فلتفرض هذه ان تقول العلم ما
دامت ، حسب القانون العسكري « لم تستعد جميع الوسائل التي تقتضيها
الواجب والشرف » ، ولتأخذ قولاً واحداً ، في آخر ملاذ ، الحل الأفريقي
الذي يمكن ان يتحول في اللجة المعركة ، الى خضه انقاذ للدولة . واد
هي - أي القيادة - سلكت عكس ذلك ، واعملت معها ، فهم
تدفع للاستسلام ، سلطة متهاة ، والمها من جملة تسليد اليها في إلقاء
فرنسا الى الحضيض !

كانت هذه التأملات تقسم ذهني وأنا ذاهب في اليوم الاول من حزيران ، لتلبية الدعوة التي وجهها إليّ الجنرال فينان ، القائد الاعلى ، وقد استقبلني في قصر مونتري . وابدى كمادته هاتيك المؤهبة في الوضوح ، وهذه البساطة في اللمحة ، التي يتسم بها . وكان منه ، اول ما كان ، ان هأسي في شأن ابليل ووجه إليّ من الحمد والثناء الشيء الكثير . ثم سألتني رأبي فيما يصح ان نعلمه بالالف والمائتي دابة الحديثة التي لا زالت قيد تصورها .

أشرت على القائد الاعلى ان تجمع هذه الدبابات في فئتين كبيرى وصغرى . الاولى شمال باريس ، والاخرى جنوب راس ، وما تبقى من الفرق المدرعة يزودها بالنواة . واقترحت اسم الجنرال : دبستان ، مفتش الدبابات لقيادة الاولى ، ونقسم الى هاتين الفئتين بالتالي ، فرقتان او ثلاث من اشاة ، بجبهة بوسائل نقل ، ولها مدفعية مصاعفة . وهذا يكون لدينا وسيلة عريقة كبيرى ، تستخدم مفعولها في صد هذا الجياح او ذاك من جحافل الألمان الآلية حين يندفعون في اتجاه من الجبهات رحيم ، بعد ان يدكروا جهتها ، ويحددون انفسهم اذ ذاك على نحو يقل او يكثر ، محلثمين عرصاً ، محددين عمقاً . واحذ الجنرال فينان علماً باقتراحاتي ، وراح بعدها يتحدثني عن المعركة ، قائلاً : سأكون مهتماً ، في ٦ حزيران (يونيو) على حصتين : اليوم والايس . وسيتقل ذراعي من الفرق لالابية ضعب ما لدينا نحن . وهذا يعني ان مجالات الأمل محدودة . واذا سارت الأمور على نحو اقل سرعة مما نحب ، وكان في استطاعتي ان اعيد العافية ، خلال الوقت المهدود ، الى القوات العربية الساجية من دسكرك ، وكان لدي من الاسلحة ما تحتاج اليه لا قدمه لها ، وذا عاد الجيش البريطاني يشارك في القتال ، بعد تجهيزه ، من حديد ، ورضي سلاح الجو الملكي ان يخوض المعركة خوفاً عميقاً في ميدان القتال .

الأوروبية ، يظل لنا حينذاك فرصة للظفر . . . وأضاف القائد الأعلى ، وهو يهز رأسه : « والا ... ! »

أصبحت على يقينة من الموقف كله . وشعرت بثقله يضغط على روحي ، فمادرت الجنرال فينان .

لقد وقفت على كلمة ، دفعة واحدة ، مهمة ساحقة لم يكن ، زيادة في الطين بلة ، مؤهلاً للنهوض بها . وحين تولى القيادة العليا ، في ٢٠ أيار ، جاءت ولايته تلك ، بلا ريب ، متأخرة جد التأخر ، لكسب معركة فرنسا . ويمكن الافتكار ان الجنرال فينان أدرك ذلك بدهشة وفجأة . وقد كان قد عاش سنته كلها ، ولم يواسه قط الامكانيات الواقعية للقوى الآلية ، فقد أذهله المفعول الهائل المناغت الذي أظهرته وسائل المدو ، وجمعت لا يفتق من الوجوم . وكان يلزمه ، كي يفادر الهول الحائج ، ان يتحدد ، ان يحطم بين عشية وضحاها ، تلك المناهج ، والرتابة ، وطرق العمل التي هتكت رامت غير صالحة للتطبيق ، ان ينتزع استراتيجيته من الاطار الضيق الذي حصرها فيه الوطن الأم ، ان يرد سنك الردى الى المدو الذي أطلقه ويضع في حساب ميدانه ، العضاء الواسع ، والوارد الكبرى والسرعة المعظمي ، ويضم الى ذلك الميدان الاراضي الثابتة ، والاحلاب ، والبحار . وما كان الرجل الذي يقدم على مثل تلك الاعمال . لقد كانت سنته ، ولا شك ، تمرض ذلك ، كما كانت المسالك التي يسلكها ذهنه تمحور دونه ، ولكن هذه الجيلة كانت تشمل ، على الاخص ، في مزاجه .

لقد كان فينان ، في حقيقة امره ، وبطبيعته مرؤوساً لامعاً ، ولا يصح ان يكون رئيساً متوسعاً . وهذا المعنى ، وفق الى خدمة فوش ، على نحو يستثير الاعجاب . وكان عام ١٩٢٠ قد حمل د بلسودسكي ، على

تبني خطة انقذت بولونيا . وكان منه ان يقدم لمصالح الجيش الحيوية خدمات قيمة ، اداها بدكاه وشجاعة الى عدة وزراء ونحت سلطانهم ، يوم كان رئيساً لأركان الحرب العامة . ولكن اذا كانت الكفاءات المنشودة لخدمة الاركان ، وتلك التي تقتضيها القيادة لا تتلاقى امداً فيما بينها ، فإن ذلك لا يعيد خطتها معاً . ذلك بأن يعمل المرء على حساب ، ولا يريد لعمه طابعاً سوى طابعه ويحابه القدر وحده ، وان يكون ذا ولع حار ، صارم ، متفرد ، يتسم به الرئيس ، فهذا كله مما لم يكن منه فيضان هناك ، ولا نزاعاً اليه ، ولا ممدداً له . بيد انه ، وان كان له من ذلك نتائج مرغاة الحادة او محصلة تلاقى الظروف والاحوال ، لم يمارس قط خلال اعماله كلها ، اية قيادة . مما صر فيلق ، ولا لواء ، ولا فرقة ، ولا جسم عسكري ، ولا جيش ، شهدت يوماً من الايام ، على رأسها . وكان اختياره ليأخذ على عاتقه اكبر مخاطرة عرفها تاريخنا العسكري ، لا لان الدب احتاروه كلوا يعرفون انه كفى لذلك بل بحجة « انه كان هنأ » . كان اختياره خطأ - عادياً في سياستنا - بدعي : السهولة .

وكان الواجب يقضي ، على الأقل ، منذ تبين ان الجنرال فيشان ليس الرجل اللائق للكان اللائق ، ان يترك منصبه ، اما بأن يطلب اعفاه ، واما بأن تتخذ الحكومة رسماً قرار اعفائه . ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . ومنذ ذلك الحين ، راح الجنرال يسير ، وهو الذي اقبح في تيار تخلى عن السيطرة عليه ، يبحث عن مخرج في مستواه ، اعني : الاستسلام . ولكن محمد ، وهو لا ينوي حمل التهمة فيه ، الى جبر السلطات المدنية اليه . ولقي في عمله هذا توافقاً مع المارشال الذي كان ينشد الحل نفسه ، ون لاسباب مختلفة . ووقع اختيار العهد آنذاك ، وكان بلا يمان ولا همه ، على اسوأ حالات التحلي . وكان على فرنسا ان تدفع التمس ، لا هدية عسكرية مدمرة وحسب ، واتما استعباد الدولة ايضاً . وبمقدار ما يصح

ان الخلاص لا يكون الا بالمظلة ، فان ذلك هو شأنه ايضاً في وجهه
الاخطار المظلية .

وعلى في . حريران ان العدو استأنف الهجوم ودعت في ذلك
اليوم الى الجنرال ، فقرر ، أمر الجيش السابع ، اطلب اليه اوامره ، وكان
في المنطقة التي تقيم بها فرقتي . وفيها كانت تقارير الاستنجااد او الاستفثة
تفصّ حول مكتبه ، وكانت التحفظات والشكوك تتراعى خلف لظواهر
وتحرق برودة الدم الملكية ، قال لي ، لك الجندي الطيب : ونحن
مرضى ، الاشاعة سرّت لك ستصبح وريراً ، وذاك دواء جاء متأخراً
ليأتي بالشفاء . آه ، للمستفد الشرف على الأقل ، ا

السقوط

كان من أمر السيد بول رينو ، حين عدل وراثة ليلة ٤ - ٦
حريوان ، ان اشركني فيها كأمين مساعد للدولة في الدفاع الوطني . وقد
اهى اليّ بأ ذلك ، في الصباح الخزال دبستان ، مفتش الدفات حين
سمعه من المدباج . وبعد لحظات ، تلقت برقية رسمية تؤكد لي ، فودعت
فرقي ، وذهبت الى باريس .

وحين وصلت الى شارع سان - دومينيك ، قابلت رئيس الوزراء ،
وكان كعادته ، مطمئناً ، مفعماً بالحيوية ، ذا مضاء ، مستعداً للاصغاء ،
لا يتردد في الحكم والتقرير . وراح يشرح لي السبب الذي حمله ، قبل
بضعة ايام ، على التكبير في اشراك المارشال بيتان ، في حكومته ، مع
ان كلنا لا يشك في انه الستار الذي كان يحتمس وراءه اولئك الرافضون
في الهدنة . وقال لي بول رينو ، مستملاً العبارة الشائعة : « من الافضل
ان يظل داخلاً ، على ان يكون خارجاً » .

اجبته : « اخشى ان تضطر الى تغيير رأيك . وهذه الحشية تزداد
بمقدار ما تجري الحوادث الآن بسرعة » ، وقوشك الانهزامية ان تضمر كل
شيء ، فان اختلال التوازن بين قواتنا وقوات الالمان ، خطير لدرجة

(١) مقر رئاسة الحكومة في باريس . (للترجم)

لم يبق لنا معها أدنى حظ للعبية في الوطن الأم ، حتى ولا في استعادة
التواري ، الا بمعجزة . ثم ان القيادة لا تغلك ، وقد اصطلتها المفاجأة ،
ان تماسك بعد امدأ . وأخيراً ، انت تعرف اكثر من اي شخص آخر ،
اي جو من الاعمال يجب على الحكومة . وسيكون لدى المارشال
والدين بدعونه ، من الآت فصاعداً ، مجال رحب يسرحون فيه
ويسرحون . وادا كنا قد خسروا ، مع ذلك ، حرب الد . فان في
مستطاعتنا ان نكسب حرباً غيرها . يجب ان نقرر القتل ، اطول ما
يمكن ان بطول ، ونعمل على استمراره في الامبراطورية ، دون ان نتخلى عنه
على ارض اوروبا . وذلك يتضمن انتهاج سياسة فنسجم معه ، من نقل
الوسائل الى افريقيا الشمالية ، واختيار رؤساء اكفاء لإدارة العمليات
الحربية ، ولاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع الاسكاي ، التي كانت السحائم
التي يمكن ان نطوي عليها نجامهم . راني لأفترح عليك تكليفي اتحاد
التدابير التي تلتج من ذلك .

وافق السيد بول رينو على اقتراحي وأضاف . « اطلب اليك ان
تذهب الى لندن في اقرب وقت ، فقد أُلقيت في روع الحكومة
البريطانية ، خلال المحادثات التي تمت بها في ٢٦ و ٢٧ ايار ، اننا لا
مستبعد احتمال اجراء هدنة ، ولكن المراد الآن ، عكس الأمر ، وهو
ان نقتع الاسكاي اننا سنثبت في الميدان ، منها حدث ، حتى فيا ورده
للبحار ، اذا اقتضى الأمر . عليك ان تقابل السيد تشرشل ، وتقول له :
ان تمسديل ورارتي وحضورك فيها على مقربة مني ، هما علامتنا
عزيزتنا هذه . »

وكان عليّ ، عدا هذه الخطوة ذات الصبغة للمسامة ، ان اصل في
لندن ، بدوري ، على بذل محاولة جديدة تهدف الى جعل السلاح الملكي

الحوي - طائرات المطاردة خاصة مستمراً في المساهمة بالعمليات الحربية في فرنسا . كان عليّ احيداً ، ان اطلب ، كما فعل قلبي رئيس الوزراء ، بإعطائي معلومات دقيقة عن المهمة التي تريد من الرحلات البريطانية الساحية من مكة ودمشق ، لاستعادة تسليحها ، واعادتها الى القارة الأوروبية . وكان جواب هذين السؤالين يشتمل على عناصر تقنية ، في وسع رئاسة الأركان العامة ان توفرها لي ، ولكنه يشتمل ايضاً على مقررات يعود اتخاذها الى السيد وستون تشرشل بوصفه وزيراً للدفاع .

وبينا كانت هيئات الارتباط ترتب المبادرات التي سأحريها في العاصمة البريطانية ، قمت باتصال ، في ٨ حزيران ، مع الجنرال فيغان في قصر مونري ، فوجدت القائد الأعلى هادئاً ، مسيطراً على نفسه . ولخص بضع ثوان من الحديث معه ، كانت كافية لأفهم ان كان متسلماً للهزيمة ، وغارماً على إلغاء السلاح . هناك حواراً كما جرى بنصه تقريباً ، وقد ظل هذا النص - وكيف اسي ! - مقوشاً في ذهني ، لا يبارحه . قل لي القائد الأعلى :

« ألا ترى اني كنت على صواب ، حين اخبرتك لأيام خلت ، ان الالمان سيهاجمون السوم في ٩ حزيران . وقد هاجموا فعلاً ، وهم الآن يهزمون ذلك السمر ، ولا اقوى على منهم من صوره .

- فليكن ! عبروا السوم . وبعد ذلك ؟

- بعد ذلك ؟ القبي والمارن .

- نعم . وبعد ذلك ؟

- بعد ذلك ؟ ينتهي الامر .

- وكيف ؟ ينتهي ؟ والعالم ؟ والامبراطورية ؟

وانفجر الجنرال فيغان بضحكة يانسة :

- الامبراطورية ؟ امور صيبانية ؟ اما العالم ، فأنا حين أعلب هنا ،
لن تنتظر انكثروا ثانية ايام لتفاوض «الرايخ» . وأضاف القائد الأعلى
وهو يتحدث في عيني : « آه لو كنت واثقاً ان الالمان يتركون لي القوات
الضرورية لحفظ الأمن ... »

كانت المناقشة عيفة ، فقامت الجنرال فيغان بعد ان بينت له ان
طريقته في النظر الى الامور تقف على القيص من بيات الحكومة ،
وأن هذه لن تتخل عن القتال ، حتى لو انجلت المعارك عن كوارث ،
فلم يبد اي ملاحظة جديدة ، وأظهر لطفاً . مشاهياً حين استأذنته
بالانصراف .

ولمحدث ، بعض الوقت ، قل ان اسلك الطريق الى باريس ، مع
ضباط من مختلف الأركان العامة ، كنت اعرفهم ، وقد قدموا ذلك
الصباح ، بناء على تقرير تلقوه من الجنرال فيغان . وقد اكدوا لي
الانطباع ان القيادة ، في أعلى مستوياتها ، ترى الحركة انتهت بالحسبان ،
وانها وهي ، تتحلل ، على نحو آلي ، من ثعالبها وصعاتها ، يواجه كل
فرد منها في سره ، وينمى عناية ، ان تنتهي معركة فرنسا ، وكيفما
اتفق ، وفي اقرب وقت ممكن . ولكي تتجه الازدهان والقلوب نحو
استمرار الحرب في الامبراطورية ، اصبح تدخل الحكومة الحاسم امراً
تفرضه الضرورة على التو .

وصرحت بذلك فور عودتي السيد بول رينو واثقت ان يسحب
القيادة من الجنرال فيغان الذي تخلى عن العلية . فأجابني رئيس
الوزراء :

- هذا مستحيل الآن . ولكن علينا ان ن فكر في من يخلفه .
ماذا ترى ؟

- لا ارى الآن ، فيما يتعلق بخلفه ، سوى هتيريمر . انه كفؤ ، في

رأبى ، لأن يرتفع الى مستوى استراتيجية عالية ، وإن كان لا يجر كل شيء في جانبه .

وافق المسيو بول وينو مبدئياً ، على اقتراحى ، ولكنه لم يشأ ان يضعه لفوره ، موضع التنفيذ .

غير انى وقد عرمت على طرح المسألة من جديد وفي اقصر مهلة ، شرعت في وضع خطة لنقل كل ما لدينا من وسائل الى افرقيا الشمالية ، ورحلت اشعبها درساً وإحكاماً . وكانت رئاسة اركان الجيش قد شرعت من قبل ، مع الارتباط بقوات البحر والجو ، في اعداد الحلاء الى ما وراء المتوسط ، ونقل كل العناصر التي لم تتخبط بعد في القتال . وتمراد من تلك العناصر ، على نحو خاص ، صفتان من الجلود الحديد كاتا بئدربان في مستودعات العرب والجنوب ، وفلول الوحدات الآلية التي نجت من كارثة الشمال ، ويبلغ مجموعها بمرتبه ٥٠٠٠٠٠ رجل من ذوي الدربة . ويمكن ، بالتالي ، نقل بقايا جيوشنا المتدفقة ، خلال رحمتها ، على الشطآن ، والافادة من العناصر المحاربة فيها . وكيفها دار الأمر ، فان ما تبقى من سلاح الطيران قادر على اجتياز البحر ، ومن فواج المطاردة ، وافراد القواعد الجوية ، ومستودعات امهرة الاسطول ، واسطولنا نفسه على الأحص اخيراً ، كل هذه مما يمكن ان ينضم الى افرقيا . وكانت البحرية ، التي القيت عليها مهمة القيام بتلك العمليات ، تقدر حمولة السفن الشاحنة التي تحتاج اليها بـ ٥٠٠٠٠٠ طن ، على ان تضاف الى السفن العرسية الموصوعة من قبل تحت تصرفها . وكان علينا ان نشجه الى اسكلترا ، في طلب تلك الحمولة .

وفي الصباح الباكر من ٩ حزيران ، اقلتني الطائرة الى لندن ، وكان يصحبي مرافقي العسكري « جومروادو كورسيل » و « رولان دو

مارجري ، رئيس الغرفة الدبلوماسية لرئيس الوزراء . كان ذلك يوم أحد . وكانت عاصمة الاسكندر تظهر لرائبها بمظهر الهدوء ، واللامبالاة تقريباً . فالشوارع والحدائق تنص بالمتجولين الآمنين ، ومداخل السينما تكتظ بالواقدين اليها صغوماً طويلاً ، والسيارات كثيرة ، وحجبات الأندية عند مداخل القاعات على حالهم من افاقة الهدام ، وكأهم يفتمون الى عالم آخر غير عالم الحرب الذي كان قائماً . غير ان الصحف كانت ، ولا ريب ، تجعل واقع الموقف يترامى ، على الرغم من الاخبار المزوقة والحكايات العصبية التي تملأ اعمدها بالتفاؤل المحامل ، شأنها شأن صحف باريس . ولا ريب كذلك ان اللافتات التي تُقرأ ، والملاجيء التي تحفر ، ولاقعة التي تلبس كانت تترمي الانساء للأحطار الكبرى المهتمة . ولكن الشيء الذي يقفز الى الدرع خلف تلك المشاهد ان جبهة الداس لم تكن تدرك خطورة الاحداث الحارة في فرنسا ، بضرراً للسرعة الهائلة التي كانت تتوالى بها . وكان من الملاحظ ، على كل حال ان بحر الماش في شعور الاسكندر ، لا يزال عريضاً .

استقطني المار تشرشل في دارنغ مغرب . كانت هذه اول مرة احتك فيها به . والانطباع الذي تركه في حسي جعلني اثبت في اعتقادي ان بريطانيا العظمى لن نشي بكل تأكيد ، ما دام يقودها مثل هذا المصارع . لقد بدا لي المار تشرشل انه يقف راسخ القدام على مستوى اشق المهام ، شرط ان تكون المهمة الشاقة نفسها حليلة ايضاً ، فان صلابه أحكامه ، وتقافته الواسعة ، ومعرفته بمعظم الموضوعات والبلدان ، والرجال الذين تتعلق بهم الامور ، وولمه اخيراً بشعكلات الحرب الخاصة ، ميرات تفصح عن نفسها لديه بيسر وسهولة . وكانت بطبعه ، فوق ذلك كله ، غناوقاً لبعمل ، ليخاطر ، ليقوم بالدور المناسب صراحة ، ومن غير تردد . لقد وجدته ، بقول مختصر ، مترعاً

في مكانه الصحيح كعرشد ورئيس تلك هي انطباعاتي الاولى عنه .

ثم لم يكن من الاحداث التي قلت ، الا ان أكدت تلك الانطباعات ، وكشفت لي زيادة على ذلك ، تلاعة المستر تشرشل الخاصة ، وبراعته في الامادة بها . لقد كان الدفق الشعري ، المؤثر ندي بنهم في امكاره ، وحميمه ، وعواطفه ، يتيح له هبنة لا تعدو الصواب في شيء تقريباً ، على الجو الدرامي الذي يأخذ بمجامع الخواص ويملك الانفس لدى العالم الكبير ، اياً كان المستمعون : جمهرة ، او جمعية ، او مجلساً ، و متحدثاً منفرداً بصفي اليه امام الميكروفون المائدة ، او خلف امكتب . وكان كيباسي محبك ، يتمتع بهذه الموهبة اللائكية او الشيطانية في تحريك الكوامر في طيبة الامكبير النقبلة المتعثرة ، بنفسه ما يشرف انكناه الاحانب وبدهشهم . وما كان ثمة من شيء يعوره حتى السخرية التي كان يستعملها تابلًا من التواكل في اشاراته وحواطره ، نارة بطيبة وسومة وطوراً عند الغضب ، وكل ذلك بشعرك الى أي درجة كان يسيطر على اللعبة المخوفة التي المحرط بها .

وكان من شأن المصادفات القدسية الأليمة التي حدثت بسا عدة مرات ، سبب من احشاكك طبعياً ، وتعارض في بعض المصالح لكل من بلدين ، والاسماء التي اقترفتها انكلترا تجاه فرنسا الجريح - كان من شأن ذلك كله ان أثر في موقعي من لورير البريطاني الاول ، دون ان يؤثر ايداً في حكمي عليه . لقد تراءى لي وستون تشرشل من الف المأساة الى ماث ، على انه بطل مأثرة كبرى ، والعنان الاكبر لتاريخ كبير .

عرضت البريطاني الاول في قلبك اليوم الامور التي كلمني رئيس الورد الفرنسي عرسها حول عزم حكومتنا على متابعة القتال ، حتى ولو اقتضى ذلك ان يجري في اراضي الامبراطورية . واطهر المستر تشرشل

ارتياحه الشديد لهذا القرار . ولكن هل هو 'يتأخّر' فعلاً ؟ لقد تركني
افتكر انه غير مفتتح بذلك . وكان ، على كل حال ، لا يؤمن بإمكان
إعادة القوة العسكرية لفرنسا بعد ، على أرض الوطن الأم ، وظهر لي
ذلك في ان رفض رفضاً قاطعاً مد يد المعونة لطيرانه على مدى واسع .

كان سلاح الجو الملكي قد امتنع عن مدد عونه في المعركة على نحو
متواصل ، منذ تراجع الجيش الاسكتلندي في دكرز ، ثم ان اسراب
الطائرات البريطانية كانت تجسّد نفسها بعيدة عن الميدان ، وهي التي
احتفظت بقواعدها في بريطانيا العظمى ، فلا تلاءم أداء عمل فعال ،
باستثناء سرب من طائرات المطاردة ظل يتبع سلاحها الجوي . وحين
أُلحقت في طلب جره على الأقل من الطيران الاسكتلندي المعاون ، لينقل
الى أراضي الجيوب من نهر اللوار ، كان حواب المستر تشرش سلساً
صريحاً في سلبيته . ما قوات البر ، فقد وعد بارسال فرقة كندية الى
برمابندي كانت قد وصلت من ملاها ، والاحتفاظ بالفرقة ٥١ الاسكتلندية ،
وبقايا اللواء الآلي الذي كان يقاتل معاً . ولكن صرح انه لا يستطيع
ان يمتس التاربع حتى على وجه التقريب ، الذي يتوجه به جنود الحملة
الذين نجوا من هلاك في بلجيكا - او تركوا عنادهم - ولا متى يصبحون
قادرين على العودة الى الميدان .

هكذا ، أصبح الاتحاد الاستراتيجي متمكناً ادن ، بين لندن وباريس
وكان حلول بحمة بالقارة الأوروبية كافيّاً لحمل بريطانيا على الاستغراق في
دفاعها الخاص . وفي ذلك نجاح الخطة الحربية التي ظل شليمن يوحى
بها من وراء القبر ، والتي افضت احيراً الى فصل للقوت الفرنسية عن
القوات الاسكتلندية ، ثم الى ايجاد التفاق دفعة واحدة ، بين فرنسا
واسكتلندا ، بعد الهزائم الالمانية عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ . وكانت في غاية
اليسر ان تتصور الاستنتاجات التي امكن الاهرامية ان تحصل اليها ،

ومضت تفيد منها ، في ديارها .

واتصلت عدا هذه المصادقة مع المستر تشرشل ، في اليوم نفسه ،
المستر ايدن وزير الخارجية ، والمستر ألكسندر اميرال البحرية الاول ،
والسير ارشيود سكلر وزير الحو ، والخيرال السير جون إدن رئيس
اركان الحرب لامبراطوري . وتداولت ، من جهة ثانية ، مع المسير كورمان
سفير ، والمسير مويه ، رئيس ، لجنة التنسيق الفرنسية - البريطانية
لشراء المعدات ، ومع رؤساء مخابرات ، العسكرية والبحرية والجوية . وكان
واضحاً ، ان ذلك ان الهدوء يحيم على الجمهور في لندن ، فان التخوف من
الآفة والشت ، وعلالة السلطات العامة الفرنسية ، كانا يهيمنان على
ذهن ، اعيان ، وفي المساء ، أعادتني الطائرة ، بصر ، الى بورجه ، التي
نصبتها الطائرات قبل وصولي اليها بقليل .

وتمتد من مسير دل رينو الى مرله انتهاء ليل ٩ - ١٠ حزيران
مبداً ، ذلك ان قد تلقى معلومات خطيرة . العدو بلغ نهر السين في
صبح ، رئيس . وكان كل ما في الافق يشير من جهة اخرى ، الى ان
القوات الالمانية انصهت تهتم بين ساعة وأخرى ، بالانتقال الى الهجوم
في شماليا . فالمناخية ادن مهددة مباشرة من الغرب والشرق والشمال .
وأود ، مع ، درسوا بوسيه من روما اخيراً ، انه ينظر في كل لحظة
ان تنمو ، من حكومة الايطالية اعلان الحرب . ولم يكن لدى لجناه
هذه لاسه السبحة سوى اقتراح واحد : نسي خطة الجهد الأسير ،
والدهش في اسرع ما يمكن الى اوروبا واعشاق فكرة حرب التحالف
بحصيص نتائجها .

وراحت ذكر إعلان الماعات المتوفرة لدي من ذلك التمهيد والليل
التي قصبتها في شارع سان دومينيك ، فلم اعثر الا على ما يزيدني

اقتناعاً ، وليس ما يمكن عمله بعد سوى ذلك . كانت الامور تجري بسرعة لا يملك احد معها وقفها عند حد ، وكان كل ما يوشيه بعضه على الامور سمة اللاواقع . وكان الناس يرحمون الى سوانق الحرب الكبرى الاولى ١٤ - ١٨ ، وهي بما لا يدطق في شيء ابداً ، على هذه . وكان ينظر الناس بالتفكير ان ثمة بعداً حقيقياً ، وقيادة ناشطة ، وشماً مستعداً للتصحية . وتلك ما كانت سوى اعلام ودكرت . وواقع ان آلة السلطة كانت تدور في سلكه لا دواء لها ، وسط امه مسخرة ، واجهة ، قسرة وراء جيش بلا ايمان ولا امل .

ومما من شيء جعلني اشعر بذلك وألمسه سوى تلك ردت الدوتوكولية الحاطمة التي قمت بها لأمر شخصيات جمهورية ، الرئيس لوران اولاً . سي قدّمت له في لوقت معه مع أعضاء وزارة جديدة ، ثم رئيسي مجلس ، وأخيراً أعضاء الحكومة . ولكن ظهوروا الهزء ورباطة الحاش ، ولكن كان وصفاً لهم ليس سوى ساج في الاطار المخرق الذي وضعهم به المرف . هناك إحصاء كان يتم في حومته مجلس لوراء ، والتعليقات التي تطلق في تحت ، والتمرد التي يشقها من هم فوق ، والتصريحات العامة ، وموكب الصداق ، والموظفين ، والدبلوماسيين ، والبرلمانيين ، والصحافيين الذين كان عليهم ان يمرضوا شيئاً او يسألوا عن شيء ، كل ذلك يوحون بالانطباع ، تثليله اشبح مضيق يجري تثليل في الظلام وليس لها هدف ولا مدى . لم يكن فوق الاسس ، ولا في الاطار الذي يحده الناس انفسهم به مبررين ، ي مخرج ، سوى الاستسلام . كان الوجه بقصي . ان لم يدع له الانسان وهذا ما فعله بعضهم من قبل ، وما كانوا الاقطين - تعبير الاطر والاسس ، منها غلا الثمن . وتقوم الوصع المعروف بـ « وثنة المار » كان ممكناً ، ولكن فوق البحر المتوسط .

كان العاشر من حزيران (يونيو) يوم احتضار . وكان على الحكومة أن تترك باريس في المساء . وتراجع الجبهة راح يتسارع . وإيطاليا أعلنت الحرب ، ومنذ ذلك الحين قرع الأجرار نفسه على جميع الأعداء . ولكن المأساة في قمة الدولة كانت تجري كما لو لم يكن لها حلم . لقد حيل للناس ، في بعض اللحظات أن ضرباً من السخرية المخوفة كان يصفي غلواً موحماً على سقوط فرنسا ، وهي تندرج من عليه التاريخ إلى أعماق الهاوية .

وهكذا قدم في الصباح المسيو عاربيليا ، سفير إيطاليا ، إلى شارع سان - دومينيك ، في زيارة حدّ عجيبة . وكان في استقباله بودوان الذي نقل حديثه ، على النحو الآتي . « سنرون أن إعلان الحرب يوضح أخيراً العلاقات بين بلدينا ! فهو يخلق حالة تعطي آخر الأمر ، عن خير كبير . . . »

وبعد قليل ، دخلت مكتب المسيو بول رينو ، فوجدت عبيده المستر و . « بليت سفير الولايات المتحدة ، قطعت أن حل لرئيس الوزراء بعض التشجيع ، من واشنطن ، لمهاجرة المستقل . ولكن لا التبتن أنه جاء بوعده . غير أن السفير بقي في باريس ، وفي بيته أن يتدخل عند المناسبة ، لمصلحة العاصمة . ومهما كان لداعي الحميد لدى أهم المستر « بليت أن يقيم بعد الوداع ، عن أيام الجئتي أفضلت ، ولم يكن خلالها من سفير أميركا بجانب الحكومة الفرنسية . ومما كان حضور المستر و . ميدل ، المكلف بالعلاقات مع الحكومات اللاحقة ، أنه كانت الميرت التي يتمتع بها ذلك الدبلوماسي العائق ، لينزع من نفوس مسؤولينا الانطباع أن الولايات المتحدة لن تولى فرنسا من الاعرار بعد ، « كنكر من ذلك .

وفيما كان لمسيو بول رينو بعد ، على وجه السرعة ، بدأ بلفيه من

المنذاع ، ويستشيرني في شأنه ، وصل الجنرال فيغان الى شارع سان - دومينيك . وما كاد بلباً وصوله يذاع ، حتى دخل مكتب رئيس الوزراء الذي ابدي بعض الدهشة لقدمه ، فردّ القائد الأعلى استدعي الى مجلس الوزراء ، وقال بول رينو ، على الفور : « ليس من قبلي ، وأخفت : « ولا من قبلي » فتابع فيغان : « هناك اذن سوء تفاهل . ولكن الخطأ معيد ، فان عليّ ان اضع بياناً مهياً ، وحسن وراح يشرح الموقف كما يراه . وكانت النتيجة التي حصلت اليها تشعبت عما وراءها عليها دون ابطاء ان يطلب الهدنة . وقال ، وهو يضع ورقة على الطاولة : « لقد بلغت الامور للقطعة التي ينبغي عدها ان تترك المسؤوليات . ولذلك ، كنت رأيت ، وجهت اصح هذه المدسرة بين ايديكم »

وعلى لرغم من ان رئيس الوزراء كان صريحاً في اعداد البيان الذي سيلقيه في قصر مهية ، وكان قد اعلن عنه ، فقد حاض مع الحمراليسم في مناقشة رايه . ولكن هذا اصر . المعركة في الوطن الأم حاسرة . يجب ان يستسلم . فقلت ، لدى احدي اللحظات . ولكن ثمة مجالات اخرى للنظر . فقال فيغان بلمحة ساخرة :
« أديك ما تقترحه ؟ »

أجبت : « ليس للحكومة ان تقدم مقترحات ، وإنما لديها أوامر تصدرها . واحسب انها تصدرها . »

وأهين السيد بول رينو القماش بطرد القائد الأعلى ، وعادونا هذا والحوث منقل ، علتد

كانت الساعات الاخيرة من نقاء الحكومة في العاصمة ، مليئة بالاستعدادات التي تقتصر مثل ذلك الرحيل . والحقيقة ان اشياء كثيرة كانت قد أعدت سيراً مع حطة اسحاب وصفتها امانة الدواع الامة

ولكن بقي كل ما لم يكن منتظراً لقد وصنا وصول الألمان المرتقب إلى أسوار باريس ، حيال مشكلات قاسية . وكنت شخصياً ، منذ تلحت مهام منصبي ، قد وضعت خطة مقاومة لحاية العاصمة ، وطلبت إلى رئيس الوزراء ووزير الدفاع والحربية أن يعينوا لها ، بوحى من هذه الية ، حاكماً شديداً المراس ، حارماً . واقتدرحت الجنرال دي لاو ، الذي غير على رأس فرقة في معارك حوت حول رينيل ولكن سرعان ما أعلن القائد الأعلى باريس « مدينة مفتوحة » ووافق مجلس الوزراء . وكان عليا أثناء ذلك ، أن ننظم بفترة إجلاء ركاب من الأشياء وجمهرة من الناس ، واهمكت في ذلك حتى الماء ، بينما كانت الحفائب والصناديق تشد وتحرم في كل مكان ، وينزل اللعط من أعلى إلى أدنى البناية ، وهو ضجيج الرائرين في آخر لحظة ، والذين يدقون أجراس الهدف دقاً يائساً .

وعند منتصف الليل ، استقلت مع بول ريو سيارة واحدة . كان السير بطيئاً على طريق مرصحة ولدى العجر كسا في أورليانت ، ودخلنا المحافظة حيث اتصلنا بقر القيادة الدائم في بريار . وبعد قليل ، هتف الجنرال فيمان يطلب الكلام مع رئيس الوزارة . وما كاد هذا يأخذ السماعة حتى دهمش للمبر أن المستر تشرشل سيصل بعد الظهر . وكان الدند الأعلى قد اتصل به عن طريق المخابرات العسكرية ، ورجاه بالخاص أن يأتي إلى بريار

وأضاف الجنرال فيمان قائلاً : « يجب » في الواقع ، أن يكون المستر تشرشل على علم مباشرة بحقيقة ما يدور في الحمة »

قلت لرئيس الحكومة . « ثم ماذا ؟ هل ترضى أن يستدعي الجنراليسم هكذا من تلقاء نفسه ، رئيس الوزارة البريطانية ؟ ألا ترى أن الجنرال فيمان لا يتابع خطة عمليات حربية ، وإنما يتابع خطة

سياسية ، وأن هذه ليست خطتك ؟ هل تركت الحكومة يمارس وظيفته لمدة طويلة بعد ؟ » .

أجاب بول ريسو : « انت على صواب . يجب وقف هذه الحال . كما قد تحدثنا عن الجنرال هنريجر كحلف ممكن ليفعل ، فلتذهب فوراً لمخالطة هنريجر » .

ومد كتبت السيارات متقدمة علباً ، قال لي رئيس الوزارة : « رأيت من الأمصل ، بعد التفكير ن تذهب وحدك الى هنريجر . أما أنا ، فن عليّ ان اعد المحادثات ، في هذه الساعة ، مع تشرش ولاكلير . وستحدثني في بربار » .

ولقيت الجنرال هنريجر في مركز قيادته ، في « أرسى سور وب » ، حيث يقود مجموعة حيوث الحربة الوسطى وفي اللحظة نفسها ، هوجمت قلت بالمجموعة وأضعت نكرة في صفوفها على جبهة شامباب من قبل القوات المصممة التي يقودها غودريان . ودمشت ، مع ذلك ، طوره اعصاب هنريجر . ثم اطممني على سوء موقفه ، وأطمانته على حملة الشؤون المدثرة وقت له في الختام : « الحكومة ترى جيداً ان معركة فرنسا حاسرة ضمناً ، ولكنها تريد متابعة الحرب في الاسفال الى افريقيا مع جميع الوسائل الممكنة » . وهذا يتضمن تغييراً تاماً في الاستراتيجية والتنظيم . والجنرال ليس الحالي ليس الرجل الذي يمكن ان يقوم بمثل هذا التغيير . أترك فكون انت هذا الرجل ؟

اجاب بكل بساطة : « نعم ! » .

— شملقتي مما قريب اذن تعلّمت الحكومة .

وعدت الى بربار عن طريق رومبي و « سنس » لاتصل بمختلف قيادات الوحدات الكبرى . وكانت تتكشف لي في كل مكان علامات الموضي والدعر . وفي كل مكان ، كانت تتدفق الى الجنوب عناصر بحرية ،

مختلطة مع اللاجئين . وكان عليّ ان اتوقف قرب دميري ، لاردحام شديد في الطريق . واريدت الا ابقى بضرب عصب - خلط كثير من الناس بينه وبين بساط عار - راح يزد في قلبي الفئات العسكرية ، حتى اصحت اشه شيء بقطيع لا راعي له .

وفي مقرّ بربر الكبير ، نقلت لول ريسو جواب هتريجر ولكي لحظت جيداً ان تعديل فينان فوراً لم يكن موضع اهتمام رئيس نورراء ، وانه عاد فأثر من جديد فحكمة متاعه الحرب مع جبرائيل يريد ان يسلك طريق السلم . ولدى مروري في الزواقي ، حيث المارشال بيتان اسي لم اشاهده منذ عام ١٩٣٨ . وقال لي : « انت جنرال ! لا اهنئك على ذلك . ما قيمة الرتب في المهزلة ؟ » - « ولكيك انت يا سيدي المارشال ، تلقيت اثناء انسحاب عام ١٩١٤ نجباتك الأولى . وبعد بضعة ايام ، كانت اثاره » . فهمم بيتان : « لا نسبة بين الموقفين » . كانت على صواب في هذه النقطة . ووصل النورير الارباعي الاول ، ودخل المؤتمر للبحث .

تجاهت خلال تلك الخلة بحاية مكشوفة ، المعاهم والاهوء التي ستمين على الطور الجديد من اطوار الحرب ، وكل ما استخدم حتى ذلك الزمن قاعدة العمل والموقف ، اصبح في حذر كان ؛ متصامس لاكتير وفرنسا ، وقوة الجيش الفرنسي وسلطة الحكومة ، وولاء القيادة ، كل ذلك لم يعد حاصل ، ولا مكسباً . وراح كل واحد من الفرقاء يتصرف لا كضربك في عمل يُسير بالمشاركة ، بل كرحل يتجه بعد الآن في اتجاهه الخاص ، ويلعب لحسابه الخاص .

أظهر الجنرال فينان ان همه ، من جانه ، يتصرف الى تصفية معركة الدائرة بأسرع وقت . وبسط امام المؤتمر ، وهو يستعين بشهادات الجيرالين : جورج ويبيون ، لوحة موقف عسكري لا رجاء فيه . وراح القائد

الأعلى ، وهو الذي كان بالإضافة الى ذلك ، رئيس الأركان العامة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣٥ ، يمرض أسباب اندحار الحيوث الخاصة لاوامره بلهجة وقور ، وان غدراية ، لمحة امرى بأحد بشارته ، من غير ان يتحمل تمتب . وكانت النتيجة التي خلص اليها انه يجب انهاء المحبة لان الحمار العسكري يمكن ان ينهار فجأة ، وبفتح الباب على مصراعيه امام العوصى والثورة .

وتدخل المارشال يريد اللشائم قوة ، فقال له المستر تشرشل ، وهو يريد ان يلهف الحو ، بلهجة تعمرها روح الدعاية

« لسطر ! لا تتذكر » سيدي المارشال معركة آميان في آذار (مارس) ١٩١٨ حين كانت الامور تسير على نحو حدة سيء ، ورفك يومئذ في مقرك العام ، وشرحت في خطتك ثم استردت المحبة عافيتها ، بعد بضعة ايام » .

فاجابه المارشال ، بفظافة :

« - نعم » استردت المحبة عافيتها . كنتم انتم الاسكندر مغرقيين . ولكي انا ارسلت اليكم اربعين فرقة اسلحتكم . واليوم نحن الذين تسددنا مرفأ . اين هي فرقكم الاربعون ؟ » .

وظهر رئيس الوزارة العريسة ، وهو يكرر في الوقت ذاته ان فرنسا لن تنسحب من المعركة ، ويحث الاسكندر على إيجادنا بأكثر كمية من طائراتهم الحربية - أظهر انه على الرغم من كل شيء لن يفصل عن بيتن وفيغان ، كما لو كان يأمن ان يراها يوماً ما ينضويان الى سياسته . وبدا المستر تشرشل ثائلاً لا يتزعزع ، مفعماً ماضة والمساء ، متخذاً إراء العريسين في الشدائد التي اصابتهم ، موقف التحفظ الودي ، وقد تأثر ، وربما شوى من الارتياح الحقي العامض ، حيال ما يتراءى امامه من رؤيا هائلة ورائعة لاسكلترا وقد تركت وحيدة في حريرتها ،

وان عبه بنمسه ان يقودها في الجهد نحو الخلاص . أما أنا فقد رحمت ،
وأنا أفكر في العقوبة ، أتأمل ما تنطوي عليه هذه المؤثرات السوداء من
لمو وبجالة ، ما دامت لا تهدف الى الحل الوحيد القيم . التركيب فيما
وراء البحار .

وانصرف المؤتمرون الى تناول العشاء على مائدة واحدة ، بعد ثلاث
ساعات من مناقشات لم تنفر عن شيء . وكنت الى جانب تشريش ،
فكان من المحدثين معه ان قويت ثقفي بعريته . وهو نصه حفظ من ذلك
الحديث ان يقول ، رغم انعدام وسائله ، لا يقل عنه مصاء وعريته

وعطير الاميرال دارلان بعد الوليمة ، وهو الذي لم يحضر المؤتمر ،
واقبل على السيد بول رينو ، داعياً امامه الجنرال فوينمان ، رئيس ركان
البحر الدمة . وكانت الغاية من تصرفه ذلك ، تمتع على التفكير الحاد .
فان عملية حربية يقوم بها ، الاسطول والطيران القاصف معاً ، أعدت ضد
جنوى . ويجب ان يباشر تنفيذها ، حسب الخطة الموضوعة ، انشاء تلك
الليلة . ولكن دارلان ، وقد أحيط بالأمر ، يريد ان يصدر أمراً
معاكساً ، متذرعاً الى ذلك بخاوف الجنرال فوينمان الذي يحشى رد الفعل
الابطالي ضد مستودعات البرج في دبر . وسمع ذلك ، فان الاميرال
دارلان يطلب موافقة الحكومة . فقال لي السيد بول رينو . « ما ترى
في هذا الشأن ؟ فأجبته : « المقول اكثر من اي شيء آخر ، في الحالة
التي نحن فيها ، ان لا نداري شيئاً ، على العكس من كل تخوف . يجب
تنفيذ العملية المعدة » .

غير ان العلية كانت لدارلان ، والأمر المعاكس صدر . ولكن جنوى
قصفت ، مع ذلك ، من بعد ، ولكن على يد قطعة بحرية ضعيفة ، وكان
قصفاً متأخراً ثلاثة ايام عما كان مقرراً . وادركت من خلال هذا
الحادث ان دارلان كان هو ايضاً يلعب لعبته الخاصة .

ورحلت خلال النهار من ١٠ ، وكنت مقيماً في قصر « بوفيه » ، ملك السيد « لو بروفو دي لونييه » ، اعمل مع الحمرال كولسون في خطة لانتقل الى اقريقيا الشمالية . وكان من امر الحوادث التي شهدتها الدارحة والعرلة التي تركت فيها الآن وحدي ، ان حملتني اتوحش حيفة ، واحق يقال ، من ان تكون روح الاعمال والتخلي قد كسبت رقعة حد واسعة ، وان لا تطبق الخطة التي اضعها ابدأ ، ومع ذلك ، كنت مصمماً على اداء كل ما في وسمي ان اعمله ، لتأخذ بها الحكومة لحسابها ، وتفرصها على القيادة .

ومذ أهيت الجوهرية منها ، دعت الى شيداي ، حيث كان يقم السيد بول رينو ، فدا بي اصل متأخراً . وكان رئيس الوزارة قد خرج من حلة مجلس الوزراء الذي انعقد في كالغي ، ولم أذع اليه ، ثم وصل حوالي الساعة ١١ ليلاً ، برافقه بودوان . وفيها هما يتناولان العشاء مع بطانتهما ، جلست قرب المائدة وطرحت مسألة اقريقيا الشمالية بوصوح وصراحة . ولكن الذين احاطوها لم يريدوا الكلام الا في مشكلة كانت ملحة من حمة ، ولطاعة بموضوعي من حمة ، وقد التأم مجلس وزراء للبحث فيها الا وهي : الى اين تقضي الحكومة ؟ والواقع ان الناس يبلغون نهر اللوار عما قريب ، بعد ان عبروا البر ركان هناك سؤل يوردو أم كبر ؟ وثبع ذلك ، حول المائدة ، نقاش جعله التعب واضطرب الاعصاب ملبلاً وصاحياً . فلم يتخذ اي قرار صريح واسمعت السيد بول رينو ، على ان الابه في الصباح .

كنت بطبيعة الحال ، أعصل كبر ، لا لامي ، واهم حول امكان الصمود في رثايا ، بل لامي قدرت انه اذا كان على الحكومة ان تدسج منها ، فلن يكون امامها ، عاجلاً ام آجلاً ، الا ان تسلك طريق البحر وذلك لان على الامان ان يحتلوا بالضرورة شبه الجزيرة ، ليعملوا صد

الاسكيز ، فلا يمكن ان يكون في بريتانيا «مسطقة حرة» . ومنق البحر
الورراء ، كان عليهم ، حسب التصور الحقيقي ، ان يتجهوا نحو افريقيا ،
اما رأساً ، واما بعد وقعة في انكلترا . وكانت كبير ، على اي حال ،
المرحلة نحو القرارات الحارمة الباشطة . ثم ان السيد بول رينو ، تحدث
إليّ ، منذ دخلت الحكومة ، عن مشروع «الملاذ البريتوني» ، وانضويت
الى رأيه . وعلى العكس مما زعم المعارضون ، انزال بيتان ، وفيفان ،
وبودوان - اية كانت مراعاتهم - في شأن الدوافع التي املت عليهم
لمعارضة ، فان سياستهم التي تهدف الى الاستسلام كانت الدافع الحقيقي ،
وليس الفن العسكري .

وفي صباح ١٣ الناصر فعت الى شيباي ، وبعد نقاش طويل ،
وعلى الرغم من حججه ، قرر رئيس الوزارة نقل السلطات لعامة الى
بورديو ، راعماً ان هذا هو الرأي الذي ابداه الورراء عشية النارحة .
وما كان ذلك الزعم الا ليريدني تشبثاً بتوقيع امر على الأقل ، موثق
لى القائد لأعلى باتحاد الترتيبات والامتدادات اللارمسة للانتقال الى
افريقيا . كانت هذه هي نية السيد بول رينو الاخيرة . وكنت اعلم
ذلك . ولكن الدسائس والتأثيرات المعاكسة التي ترد عليه بلا انقطاع ،
كنت ملحة ومضجرة لدرجة كنت ارى معها ، ساعة فساعة ، ذلك
لأمل الاحمر وهو يتوارى .

ومع ذلك ، فقد وقع رئيس الورراء ، في ذلك اليوم ، حوالي
الظهر ، رسالة موجهة الى الجنرال هيجان ، يبين له فيها ما تنتظره
الحكومة منه ، بعد اليوم . أولاً . « ان يشت اطلول مدة ممكنة في
«المايف سترال» و«بريتانيا» . ثم : « ادا نحن اخفقنا . ان نركز
الكفاح وننظمه في الامراطورية وبعد من حرية السحر » . كانت هذه
الرسالة علامة بية خلاص محلسة ، بكل تأكيد ، ولكنها لم تكن ،

حدث رأيي ، الأمر المحرم الذي كانت تطرّف تعرضه ، « انها لم
تؤكد توقّع حتى وضعت موضع الشك والانساق في الكواليس ، ثم لم
ترسل احيدراً الا في اليوم التالي .

وفي صباح ذلك اليوم نفسه ، ١٣ حزيران ، قدّم لي شادي السيد
حبيبته ، رئيس مجلس الشيوخ والسيد « رئيس مجلس النواب ، وكان
من الاول ان اكون عريّة ثلاثة وسط الاضطراب ، ودعا في لافيتيه ،
سكسنتو ، وهو الذي كان في الموقف العصيب من عامي ١٩١٧
و ١٩١٨ معاً ، المباشر ، ولحم في حكومتهم ، وهذا الثاني مشوشاً ،
فصيحاً وهو يعتبر سلاعة عن المشاعر الممددة التي تم حده ، وكلاهما
ظهرا تأييدهما لرئيس الوزارة ، ومعارضتهما للاستسلام ، واستعدادهما
للانتقال الى عتبة حرائر مع السلطات العامة . وتزامن لي ، زيادة عما
كان من قبل ، ان في استطاعة السيد بون ريدو ان يظن ، ان كانت
مؤمرات التحليل التي تمسك حوله ، سيد الموقف ثمرة لا يتدارل
من شيء .

وكانت في نوفي بعد ظهر ذلك اليوم حرم سيدعاني هدياً السيد
دي مارجريري ، رئيس المعرفة ، الذي حوّلته السيد بون ريدو ، وقال
لي : « سيد فقد حلال لحظات ، اجتماع في محطته « نور » بين رئيس الوزراء
والمنتر و نشرتل الذي وصل الآن مع عدة من وزراءه . حيث كنتم
علماً سريماً بذلك كما أعلمت ، وأردت ان تخبر ، وبك كتم قد تدع
ان الاجتماع من بودوان يعمل عمله ، ولديّ طبع سيء عما يدور .
تلك هي مغامرة السيد دي مارجريري .

واحمدت نحو نور ، وأنا شاعر كل الشعور عما هو مقلق في ذلك
الاجتماع المعاني الذي لم ير رئيس الوزراء ان يكلمني في شأنه ، وقد
قصيت معه عدة ساعات . وكانت دار المحطة في نور وأروقتهما تمنع

بجامعة من العلمانيين ، والموظفين ، والمصادفين الذين همعوا لتقط
 لانس ، وكلوا يؤلفون كورساً صاعداً لأساءة تقترب من حياتها ودخلت
 مكتب السيول رينو ، فوجدته محاطاً بمارجيري وبودوان . كان
 الاجتماع قد عُلق ولكن السيد تشرشل ورملاءه رحبوا في اللحظة
 ذاتها . وبين لي السيد مارجيري على وجه السرعة ان الوزراء البريطانيين
 الذين تخلقوا في الخديفة ، سيقدّمون حوهم عن السؤال الذي طرحه
 الفرنسيون . هل توافق امكلترا ان نطلب فرنسا الى العدو ، رغم
 اتفاق ٢٨ مارس (آذار) ١٩١٠ الذي يمع كل وقف مصل لاطلاق
 النار ، ما هي اشتراطاته عليها وحدها ، لعقد هدنة ؟

وحسب المشر تشرشل . واتخذ كل من اللورد هاليهاكس ، واللورد
 بيربروك ، والسير ألكسندر كادوغان مكانه . وكذلك فعل الجنرال
 سيرر الذي كان يرففهم . ومرت برهة من صمت ساحق . ثم احد الوزراء
 الاول مادرة الكلام بالعربية وبلهجة متعذلة وكثيرة ، وطلق بحرب
 عن عطفه ، وعطف حكومتهم وشعبهم على مصير لامة الفرنسية ، وهو
 يضع رأسه بيديه والسجدر في حه ، وقال : اما نرى جيداً ما
 آتت اليه فرنسا . ودهم امكم تشمروب بأرقى الذي رتطمتم به .
 صدقنا لكم نطل على نقش . كوعوا ، في جميع الاحوال ، على ثقة ان
 امكلترا لن تسحب من المراك . سيمائن حتى اسهاية ، ما همنا كيف ،
 ولا نحنا ابن ، حتى وإن تركتمونا وحدها .

وحين تناول مواجئة عقد الهدنة بين الفرنسيين والالمان ، وهو
 الموضوع الذي كنت احب انه سيمطه ، اعرب عكس ما ترقب ،
 عن تفهم رقتن عطوب . ولكنه اظهر ، حين انتقل فحاة الى موضوع
 الاسطول ، دقة وصفاً للأمور حد محكمين والبقين اندي لا يرقى اليه
 ادنى ظل من شك ، هو ان الحكومة الانكليزية كانت تتحرف من تسليم

لاستطول برنسي للآلن ، في درجة طاطات معمر رأسها بينما كان لديها الوقت للسومة على تحليلها عن اتفاق ٢٨ آذار لقاء ضمانات تتعلق بصبر مصب . وتلك هي ، في الواقع ، النتيجة التي استقت عن ذلك الاجتماع الرهيب . وقبل ان يعاد المؤتمر نشرشل نقاعة ، سأل بالإطاح ما اذا كانت فرنسا تسلّم ابكتفرا ، اذا هي وقعت القتل ، الطيارين الامان الاربعة الذين وقعوا في الأسر ، قبل وقعه . وكان ان تلقى وعداً بذلك .

ثم انتقل البريطانيون بقتادم السيد بول ريبو ، ان العرفة المجاورة حيث كان ينتظرم رئيسا مجلسي الشيوخ والذوب ، وعدد من الوزراء . وهناك كانت الالهة جد مختلفة ، فان السادة حابيليه ، وهويو ، ولويس صرن ، متنعوا عن الكلام في أي موضوع ، سوى صناعة الحرب . ودهمت ان السيد بول ريبو ، وسأله شيء من الخدمة ، هل يمكن ان تصور ان فرنسا تطلب الهدنة ؟ ، فقال لي : من المؤكد لا ! ولكن يجب ان يؤثر في الكثير تأثيراً يحصل به منهم على تعاون أوسع ، وما كان في متصاعر ، يقياً ، ان ارى لهذا لطواب قيمة . وبعد ان اتمنى الجميع وسط الخلط في دار الهدنة ، عدت الى « بوفيه » مفهوماً ، مرهقاً ، بينما رجع رئيس الوزراء يترق للرئيس دورفليت يداشده التسلل ، ويعلمه ان كل شيء أصبح حاسماً بالنسبة اليها ان هو لم يتدخل . وفي مساء ، صرح السيد بول ريبو في المدياع : « اذا كان لا بد من معجزة لانقاذ فرنسا ، فانا اؤمن بالمعجزة » .

وبدا لي ان كل ما ذكره وقبل يصحح عما قريب واقعاً . والشأن في ذلك ، شأن مكان محاصر يقترب من الاستسلام طالما ان الحاكم يتحدث عنه ، وكذلك هي حال فرنسا وهي تمرد وراء الهدنة ، ما دام رئيس حكومتها يواصه الهدنة رسمياً . وسيصبح نقاني في الحكومة ، مهما كان

مركزي في سوريا ، امراً مستحيلاً ، وفيما كنت أهم بارسال كتاب استقالتي
اثناء الليل ، ارسل جورج مادل في اللحظة ذاتها ابصار من رئيس
ديواني جان لوران ، يطلب ان اذهب لمقابلته .

وأدخلني بدمه دبلم على وزير الداخلية . وتحدث اليّ مادل طهجة
من اجدهم ولعوم تأثرت به ، فقد كان مقتنعاً مثلي تماماً ، ان استقلال
غرب وشرقه لا يمكن ان يسبقها الا متابعة الحرب . ولكنه اوصاني ،
بدع من هذه «ضرورة القومية نفسها» ان اظل حيث كنت ، في مصر ،
وقد لي من يدري ما اذ كما لا يوفق آخر الأمر الى ان اذهب
الحكومة الى خرافة ؟ . وروى لي ما جرى في مجلس الوزراء بعد
دعوات الانكليز ، حيث تعطل الحرم ، وذلك هو قوله ، رغم الموقف
الذي رقبه فيمان ليمثل به . واحترسي انه في اللحظة ذاتها ، دخلت
عناصر الان الانكليز . ثم صور المستقبل كما تخيلته ، واصاف :
« ليس ، على أية حال ، الا في بداية الحرب العالمية . وسيكون عليك
واحبات كبرى لتؤديها ايها الجنرال ! ولكن مع هذه الميزة ، وهي انك
ببما حبيبا ، رجل سليم . ولا تفكر الا فيما يجب عمله من أجل فرنسا ،
وحسب ان منصفك الزاهن يمكن ، عند الاقتضاء ، ان يستل لك الامور . »
ومن رحي ان اقول ان هذه الحجة اقدمني ان أنتظر قبل ان استقبل .
وربما كان اميل يعود الى ذلك ، في رسوئيه ما امكنني عمله مادياً من بعد .

وفي ١٤ حزيران . استعاب الحكومة ! فمت بتوديع مضيفي
« بورفو دي لويه » وفوزه ، هؤلاء لن يرحلوا ، وهم يحاطون بكل من لا
يدعي ان النعمة او القابل لان يدعى اليها من دوجم ، وكان عليهم ان
يسطروا في مشارفهم معارك الاحصاب ، ثم وصول الفزاة . ولدى نهاية
اصلي ذلك اليوم ، لمعت بوردو بعد سفر مرهق عني طريق قعج نواكب
اللاحين ، وذهبت الى المنطقة العسكرية حيث تقررت اقامة السيد بول رينو .

وكان عمده المدينه وثائمه السد متركبه ههك ، وكان معه ان قسده لي
بواكير شواطره المشطه التي مسعد لالقاها في روع وقيس لورارة .

وحين وصل ههنا ، قلت له : منذ ثلاثة ايام وب افكر في السرة
لتي مسعدر ها نحو لاستسلام لفسه مسجلك عوي التوسيع ، وى كان
ذلك لهضي في الحرب ، وانا امانع في اذعان لهدية ، واذا انت بقيت
ههنا ، مسنمرقك المهرجة . يجب ان ينتقل الي الحرائر بأمرع ما يمكن
أوافقى ، عرماً ، بلا وسمم ، كان حوب السد ريسو وسمم ، فعدت
لي الكلام ، يجب في ههنا حالة ن ، ذهب بسوي نوأ لي لسب
لأرتب معونة الاركلير له في شؤون النقل وسأذهب عداً . ان تفك ؟
، فاحب رئيس لورارة ، تلامي في عاصمة الحرائر .

كان الاتفاق عني ن اسافر في الليل ، وأمرى ولا مدهمة رشتاب لأرى
ما يمكن عمله معاً عراً وطالب إبى سبب بول ريسو احيراً ن ادعو
دردن لىكون محبسه في صباح اليوم التالي ، وقل لي ان يرد محدثه
في شأن الأسطول

كان درلان في طريقه ان عبر يتولد انصفت به عشية ذلك اليوم
وعينت له موعد الزيارة . هردى علي صوت هظ : وأذهب الي بوردو ،
عداً . لا ادري ما الذي يستطيع ان يعمل فيها رئيس الوزارة . ولكي
ان ندي بصدر الأوامر ، وليس لدي من الوقت ما اسببه ، واحيراً ادعس .
غير ان اللبحة التي تكلم بها درلان كشفت عن عمات عربة وبعد
مفائق من ذلك ، رحت اقدر نظور بعض الادمان خلال حديث قصير
مع حان بياريجاري وريز لدولة لدي كان قد ظهر حتى ذلك الوقت من
أصغر الكهوج حتى النهاية ، وقد حمي وانا ساول طعم العشاء ، علي
عجل ، في ههنا وسلاسله ، برعه جوهروا دي كورسيل ، وقبال
، لا قبعة لتي . في مطري ، وان انحراب التقدح ، الا ان أطبيع رؤاي

بيتان وحيما . فاجبت : فقد بأنيك يوم من الايام ترى فيه ن سلامة
الدولة ، يجب ان تتعلم في حسن الوريد على جميع المواطنين . وذهبت
بصمت ، أحبي الماريشال بيتان الذي كان يتناول عشاءه في القاعة نفسها ،
فصنعتي دون ان ينس بكلمة . وكان ذلك آخر لقاء لي معه .

اي تيار كان يجره ، ومحو اي مصير محتوم ! لقد كانت حيرة هذا
الرجل الاستثنائي حيداً طويلاً من الكبت ، فهو اعز من ان يندس ،
واقوى من ان يتهم ، واضمح من ان يكون وصوالياً ، فعاث في عرلته
يمدي نفسه هوى السيطرة ، هذا الطوق الذي اشتد من حلال شعوره
بقيمته الخاصة ، والعراس البذرة ، والاردرات الذي يطوي عليه لجام
الآخرين . وكان المجد العسكري فيها عذ من ايام ، قد أعدق عليه
الطفه المبررة . ولكنه لم يفسره ، ان أحبه وهو وحيد . وما هي
الاحداث تقدم فحاء ثوبه وكبريته ، وهو في نفس خريف طيبة ،
المرصة التي طام انصرها ، لينفتح ويتألق بغير حد ، ولكن لها
شرطاً مع ذلك . وهو ان يرتقي الكارثة بحثاً لرعبته ، ويرد بجمعه .

يجب القول ان المارشال كان يحب المعركة ، كيف دار بها الامر ،
حامسة فهد ، احدي المشق الذي رتدى طقم العسكري عداة ١٨٧٠ ،
كان يدع فقط لي غبار الصراع حرباً فردية - نسبة حديده . ونحن
ندين أعداء في الأول ، كما العالين في النصف ، اي حرب ١٩١٤ -
١٩١٨ ، مع حله لنا ولا شك ، ولكن دور هؤلاء كان قابوياً ، وقد
حسرت ، ان لثمة رديت من النسوة غلاب ، ولكن لا بد منه . بعد
« سيدان » وسقوط باريس لم يبق الا ان نخلص ، ونساعد ونسحق اذا
تقمص الامر ، ثورة الكومون ، على بحر ما فمس « قير » في الظروف
بعض من قس . ولجنة اللجنة للبراع ، وامكانيات طرد ما وراء البحار ،
والنتائج العمالية لانتصار هنتر ، كل هذه في رأي المارشال المحوز لا

يكاد يوليها شيئاً من الاهتمام ، وما هي من الأمور التي نفوتد اعتبارها

وإنا مقتنع ، رغم كل شيء ، أن المارشال بيتان ما كان ليرصد ، في أوقات أحر ، أن يرتدي الأرحوان في التحلي عن أمته وإنا موقن ، على كل حال ، أنه لو ظن إياه معه ، لكان قد اتخذه طريق الحرب سبلاً في اللحظة التي يتمكن بها من رؤية المدافع ، ولأدرك أن النصر ، بل ممكناً ، وأنه سيكون له نصيبها منه . ولكن الذين أطوال ، يا للحسرة ! كانت قد فرضت خلف الطلسمان ، طبعه ، وأمنته الشبهوحة مناورت الناس برعو في القصر معبانه الخليل الشبهوحة صرب من الأتباع . ولكي لا يفرق القصر في شيء ، جعل شيهوحة المارشال ونهار قرب شيئاً واحداً .

ودلت ، كنت فكر فيه ، وأنا محمدر في الليل نحو بريندا ، وشهدت عيني في الوقت نفسه ، على مائة الحرب ، بتاً كان المصير الذي تسوق إليه ، وبسبب وصولي إلى رين ، في صباح ١٥ حزيران (يونيو) ، كنت الحراس ربه أجهته الذي كان يفود مختلف العناصر الهاربة في شرق ، ثمس ، وخرال عتري أمر مدطعة العسكرية ، ومخطط « ابل ريلين » ، وكان ثلاثة يقومون ، كل في محله ، بأفضل ما يمكن القيام به . وجهدت في نفس جهودهم ورسائلهم الدافع عن المدطعة ثم دعيت « برست » ، وأنا نحاور قواهل كالمبرية دمه إليها لسكر صها . ودرست في المحادثة البحرية مع الأمير ل نروب و « لامبر ل العرب » دي لا دورد امكاتب البحرية في نقل الجنود من موريه برينات ، واحتاحتها وبعد نصر صعدت المسافة المصادة « ميلان » التي افنتي لي بلايموث برقة بمئة من الكيويين يقودها احرال لوموي ، وكان السيد رؤل دونري ، وزير التسليح قد ارسلها لتضع « الماء القير » غامس في انكلتر . وكانت لداعه « ريشليو » قد أدت لي تحية الشرف ،

الخارجية البريطانية (مشروعاً يبدو خطيراً ، وهو ان تطرح الاقتراح
لمتحدة فرنسا والمجلترة ، على ان يذاع علانية من جانب حكومة لندن
وحكومة بوردو ، وفيه يقرر البلدان صهر سلطاتها العامة والمشاركة في
مواردها وخسائرها ، او هو الارتباط الكامل ، يقول مختصر ، بين مصري
كل منها ، فان من الممكن ، اراء مثل هذه الخطوة اذ يحطون البلدان
في مثل هذه الظروف ، ان يعمد وراؤنا الى توسيع آفاقهم ومجالات
علمهم ، او ان يخالفوا على الأقل ، دعاء التخلي عن الحرب . ولكن لا
يزال أمام مشروعنا ، ان قلباء الحكومة البريطانية وأنت وحدك
تستطيع ان تحصل على ذلك من المستر تشرشل ومن المنتظر ان تتناول
هذه الساعة طعام المطور معه . وسنكون هذه الفرصة الكبرى ، اذا
انت وافقت على الفكرة .

ودرست النص الذي تقدم لي ، فبدأ لي ، في الحال ، ان ما فيه
من معنى جليل يمنع ، في جميع الاحوال ، لتحقيقه العاجل . وكان اول
ما يتبادر الى الذهن فيه ان من غير المستطاع صهر فرنسا وانكلترا ،
وان مبدئياً ، عن طريق تبادل المذكرات ، يسمح انظمتها ، ومصالحها ،
وامبراطوريتها ، على افتراض ذلك مرغوباً فيه . وحتى القساط
القابلة ، في المشروع ، للتسوية بطريقة عملية - كالمشاركة مثلاً في
الاضرار - تتطلب مفاوضات معقدة . ولكن في العرض الذي تقدم به
الحكومة البريطانية لحكومتنا ، مظهر قصاص يمكن ان يكسب معنى
واقعياً . وقد افكرت على الأحص ، كما افكر السيدان كورمان ومونيه ،
ان من طبعه المشروع ان يشجع السيد بول ريبو في الامة الاحيرة التي
ارتطم بها ، ويمتدّد نجباء وراثته بالصلابة . ولذا رصبت ان استخدم
صليتي بالمستر تشرشل لحله على اخذ المشروع لحسابه .

كانت صبيحة ذلك اليوم مثقلة . بدأت بتسوية ارسال الدارعة

« مسور » التي كانت تزن رجاء ألف مدفع من عيار ٧٥ ، وآلاف
 رشات وحصصاً من دحتر أنت من لولايات المتحدة . وقد أود
 تقرير بعثة العسكرية ان السببة حادت عن طريقها ! بورديو ، وهي
 في عرض البحر ، بناء على امر منسي ، وانجبت نحو مائة بريطاني .
 وكان الوحب بقصي نظراً لسير الطوادر ، ان يحول دون وقوع هذه
 المحولة التي لا تهدر آيداك بشمن ، في ايدي العدو . والواقع ان المدافع
 والمرشادات للمحولة بحر طهره واستور ، افادت في اعادته تسليح
 البريطانيين الذين فقدوا في ذلك ، جميع معدتهم قفراً

أما قصة القفل ، فقد وجدت لدى لاكثير اهتماماً صادوا بتدوية
 وسائل لتجديد عناصره ، وحمية فواظب البحرية . ورؤيت آية استبعد
 على يد الاميرالية بالارتباط مع بعثتها البحرية التي كان يقودها الامير
 و اوديدال ، ولكن كان لاعتماد السائد في لندن ان ، حداثاً لا يؤمن موثقة
 لتحقيقها عرسا الرسمية . وقد أرثي الانصالات التي قمت بها ان التدابير
 التي اتخذها حلفاءه في بحار المحلات ، انما تحدث تحسناً لتعليق
 الوشيك عن الكفاح . وكان مصير بحريتنا بلاحق قس كل شيء ، دهران
 الجميع . وكان كل فرنسي اثناء هاتيك الساعات 'أنسوية' ، بشعر مثقل
 الاستمهام لأحرار او لاساطق الذي يوحه له جميع لاكثير الذين
 يلتقيهم : « ما الذي سيحل بالاسطولكم ؟ » .

وكان ذلك بصاً في دهن الورير البريطاني الاول ، حين دهمت مع
 السيد كورن وموبه لتناول العطور معه في دكارلتون كلوب ، وقد
 قلت له : « لن نسلم الاسطول الرسمي طوعاً ، مهما حدث ، وب
 بيتان معه لا يرضى بتسليمه . ثم ان الاسطول إقطاعية دارلان
 والاقطاعي لا يسلم قطاعة . ولكن لكي نكون على ثقة من ان العدو
 لن يستطيع ابداً ان يضع أيديه على سفنتنا ، يجب ان نقل في حرب

معه . وبعد كانت هذه هي الحال ، فان من واحي ان اصريح لك ان موقفك في « بور » كان معساة كدترقي ، اذ بدوت وكأنتك تحمل من تحالف شيئاً ليس ذا دل . وإدعائك ي يخدم اولئك الذين يملون عندما ، الى الاستلام ، هم يقولون . « ألا ترون جيداً ، اننا مكرهون على ذلك لانكبير نفهم برقوقنا ، لا ان ما يجب ان نعملوه لتشجيعنا معبر كل المصيرة لما قطعتم به في الارمة الرهبة التي معانيها . »

وبد السيد تشرشل مرعراً . ثم احتلى برهة بالاحور مورنون رئيس ديونه ، وحسنت انه نحد الى اقصى حد الاستعدادات لضرورة لتعير قرر كاد قد رسحه ولرى كانت تلك الخطوة السب في ذلك الحادث ، وهو ان سفير انكلترا في بورده جاء ليصحب من يد السيد بول رينو مذكرة بعد نصف ساعة من تسليمها وفيها توافق الحكومة البريطانية مبدئياً على ان تطلب فرنسا الى اديا الشروط لخدمة محطة .

وحين عاد تحدثت اليه عن مشروع اعتماد النصب ، فقبل لي « كلفني الورد هايمالكس في هذا الشأن ، ولكنه موضوع حليل ، فأحسنته . » « نعم ! وتعليقه ايضاً يحتاج صمماً الى كثير من الوقت ، ولكن اعلان يمكن ان يكون توتاً . ولا يصح في احوالة الراحة التي وصلت اليها الأمور ان نهملوا شيئاً مما به ثابت لفرنسا وتوطيد لتعاضداً ، وبعد مصادقة قصيرة احد النوريو الاول براني ودعا فوراً مجلس الوزراء ، طاعة طرئفة ، ودعها معاً الى دوتنغ ستريت ليرئيس الاجتماع ، وكنت رفيقه . وبعثاً كاد الوزراء بشد كرون ، جدست في مكتب محاور نقاءة لمجلس مع سمر فرنسا وتصلت في هذه الاثناء ، السيد بول رينو هاتفياً اعلمه اني آمل ان اوحه اليه قبل هاية بعد الظهر ، ولانفاق مع الحكومة الانكليزية ، محاربة جد مهمة ، فأحاسي انه يؤمن موعد جلب الوزراء ، نتيجة لذلك الى الساعة ١٧ ، وأصاف

« ولكني لا أستطيع ان اؤجل اكثر من ذلك » .

دامت جلسة الوزارة البريطانية ساعة ، كان يخرج خلالها بين وقت وآخر هذا الوزير وذاك لاستصاح دعوة مناهج المسؤولين وعلماء محل الجميع ، ونشرشل على رأسهم وصاحو « موافعين ! » والواقع ، كان النص الذي اتوا به ، الذي يسميه الذي اقترحاته ، مستنده بعض التفاصيل . وذهبت حالاً للسيد بول رينو ، وأعطيت عليه الوثيقة ، فقال رئيس الوزارة : « هذا شيء مهم جداً ، سأقيد منه في جلسة التي عقدها هذه الساعة » . وأسرت اليه بكلمات اودعتها كل ما قدرت عليه من تشجيع . وتناول السيد نشرشل الساعة ، وصاح : « آلو ! رينو ! ديفول على صواب يمكن ان يكون لبياننا نتائج كبيرة يجب الصمود ! » . ثم قال ، بعد ان استمع للجواب غداً ! إذن في كونكارنو » .

واستأذنت الوزير الأول ، فأعاري طائرة لأعود فوراً لي بورديو ، وانفقت ان نضل تحت تصرفي تحسباً للحوادث التي قد تحدثني على الرجوع الى لندن . وكان على السيد نشرشل معه ان يذهب في القطار ليمصر على ظهر مدبرة لي كونكارنو وفي الساعة ٢١٤٣٠ هبطت في بورديو ، وكان العقيد همبر ، واوبرتان من موظفي ديواني ، ينتظراني في المطار ، فأخبراني ان رئيس الوزارة قدم استقالته ، وان لرئيس لوبرن كلف المارشال بيتان بتشكيل الحكومة . كان ذلك هو الاستسلام لأكيد . واتخذت قراراً حلاً . سأسافر صباحاً باكراً .

ذهبت اقبل السيد بول رينو ، فوجدته حلوياً من كل وهم حول ما تجرّه ولاية المارشال ، كما وانه يشمر فائزاً ، من جهة اخرى ، كمن ألقى عن ظهره حمل لا يطاق . وتكون الذي عنه الانطباع انه رجل بلسغ آخر حدود الأمل . والذين كلوا شهرد الحمة وخدم يعرفون ي سلاء

كانت السلطة أثناء تلك الحقبة الهائلة ، فقد كان رئيس الوزارة يشعر ان التبعة كلها في مصر مرساة ملقاة على عاتقه ، بالاضافة الى انه كان يقضي النهار بلا استراحة ، والليل بلا نوم . وذلك لان الرئيس وحيد دوماً تجاه الصدر السيم ، وهو الذي كانت تصيبه رأساً انتقبات نسي اتسمت بها مراحل سقوطه . اختراق الادب دفاع في سيد ، كارثة دكر ك ، هجره ريس ، واهار في بوردو . وهو مع ذلك ، لم يتوان في رئاسة الحكومة الا عشية الويلات التي رلت بها ، دون ان يدرك ان لباق في وجهها . وبعد ان كان قد افرج ، مدد رمن طومس ، السياسة العسكرية التي كان لها ان تجنبا تلك الويلات . اما العاصفة فقد حادها ، مصلاية لا تلبس ، وما كان قط أثناء تلك الايام اناسوية لسفك سيطرته على نفسه . وما شاعده احد قط وهو عاصب ، او حائق ، او صارخ بشكو لهذ كان مشهداً مأسوياً يقدمه ذلك الرجل - "قيمة الكبرى" ، ان تسحقه لأحداث الجامعة ظناً وعدواناً ..

لقد كان السيد بول ريسو ذا شخصية تسعيب ، في قرارته ، الاحول ، كان في امكانه معها ان يسيطر الحرب في ظل سطوة ما ليدواه ، وعلى قاعدة من المخطبات النفائدية حاصلة . ولكن كل شيء كان في مهبط الرياح ، فقد كان رئيس الحكومة يشهد من حوله اهدار السطوة ، ونهب الثمن ، واستحباب خلفه ، وتحديد ابرر الزعماء واشهرهم . ولم يمس من السلطة معه ، منذ ذلك اليوم الذي تركت به الحكومة ان صره ، سوى ضرب من الاحتضار ، يجري على طول الطريق ، وفي تخم المصالح وآداب الحكم والسياسة . وفي مثل هذه الظروف ، كان دكا ، السيد بول ريسو ، وشيخه ، وسلطان متصه ، قدور كلمه ، ك يقال ، في فراع ، اده يبقى له من هجمة على الاحداث التي اضطفت من عقاه .

كان يسعى للتشديد العصبية على ازمة الامور ، ان يترفع نفسه من الروبوت ، ويعد الى افرقيا ، ومطلقاً منها يتناول كل شيء من جديد وقد رأى السيد بول ريسو ذلك ، بعد ان يعمل بمقتضاه يتضمن تدابير منطوية : تغيير القيادة العليا ، طرد المارشال وانصاف نصف الورراء ، تخطيم بعض التأثيرات ودوي العودة ، والادعاء باحتلال الوطن الأم برمتة ، وانتعشت ، يقول مختصر ، اراء موقف لم يستق له مثيل ، من الاطار المعادي وطريقه العمل المسببة ، مهما كلف الأمر ، وعظمت المخاطرة .

ولم يحظر سال السيد بول ريسو ان من واحده ان يأخذ على عاتقه المضي في احرامات هذه المرة من الخروج على العرف السائد واحداث المعتادة ، ونما حاول ان يبلغ الهدف من طريق المداورات . ومن هنا تحذر هذا الواقع خاصة ، وهو انه اضطر الى درس بحتم لتسروط مصدر على ان تمسحه ابتكرا موافقتها . ولا شك في ان فهمه بالأمور اقصى به الى الحكم بان أولئك الذين يدعون على عقد هدنة لا بد ان يتراجعوا حين يعرفون شروطها ، وحبيدك تحري عملية تجمع الفيم كلم عفواً ، في سبيل الحرب والخلاص . ولكن مأساة كانت مفرقة في القسوة اعراقاً لا يمكن معه التنايل بين المصاعير والامساع الشهرة ، اذ لم يمكن ثمة سوى طرفين لا ثالث لها . اما الحرب من غير مداورة ، او التسليم في الحال . ومنذ كان خطأ السيد بول ريسو انه لم يصرف بكن قواه الى الاولى ، فقد تخلص عن مكانه لبيتان الذي تنسئ الطرف الثاني تنبياً فلماً .

يحب القول ان العهد لم يقدم ادنى عون ، في اللحظة الحاسمة الكبرى ، لرئيس آخر حكومة من حكومات الجمهورية الثالثة . ومن المؤكد ان كثيراً من ذوي المكانة كانوا يأبون الاستسلام ، ولكن السلطات العامة ،

وقد أصحقت الكارثة . التي شعورهم بأن مسؤولية عهد ، لم تقم السنة ماي
 رد فعل . وسبب كانت تصرح المشكلة التي يتوقف عليها الحاضر كله
 ومستقبل كله . فلسفة فرنسا ، لم يكن البرلمان بمعهده ، والحكومة ظهرت
 بها لا تلك . تأحد على عاتقها ككل عصوي حلا حاسما ، ورئيس
 الجمهورية متسع عن رفع صوته حتى في قلب مجلس لورراء ، للتعبير عن
 مصلحة البلاد العلي . والخلاصة ان هذا الاصمحلل في الدولة كان هو
 القوة في قرار المأساة الوطنية . لقد تراءى العهد ، على وميض الساعة
 في عجزه رهيب ، به منقطع انقطاعا تاما عن دفاع فرنسا ، وشرها ،
 واستفلاها .

وفي مريع متأخر من الليل ، دعت لي الصدق بدي كلب يقيم
 فيه السير رونالد كامل مدير انكلترا ، وأعطته بئتي في السفر الى
 لندن وصرح لحران سيرور الذي قدم وشترك في الحديث انه سيرافقي ،
 فأرسلت طبع السيد بول ريدو ، وكان من همد ان حوّل الي من
 لاعتمادات السيرة مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ فرنك . ورحوت السيد ده مارجردي
 ن برس دون مصروف قوسي ولولادي في في كاراتك ، حوررات
 السير للارمة للاسفل الى انكلترا . وكان آخر ما يمكن ان يعموه
 بالخط ، ان نمرود في اول سفسه تعدد . وفي الساعة السادسة
 من صباح ١٧ حزيران ، صعدت مسيخ لحران سيرور وللوثنان دي
 كورسيل ، لصافره البريطانية اي قلتي لارحة . وتم سفر دون ادنى
 حادث يذكر

طربا فوق د لاروشيل ، وورشعوره . وكان في عدين لرفاين سفر قدوتها
 الطائرات لارسة ، وكانت تصاعد منها لحراني ، وماريا فوق المون ،
 حيث كانت تهب وادقي وهي حدم رصة . وكانت العدة عمود دحلان ،

يحلق بها من مشودعات الدخائر ووصلنا إلى لندن في مستهل بعد
الظهر ، وكما قد توقعا قليلا في حرمي وفي انا في الفندق استمع
للكورسيين وهو يتلفس للمعارة والمعنات ولا يجد من يجيبه بعبر التحدث
والحذر ، زادت لعمري وحيدا 'حراد من كل شيء ، بغير امرى على
حاجة وقبائوس يزعم انه سيقطعه تسنحا

فرنسا الحرة

مناصرة الحرب ؟ نعم ! مؤكداً ! ولكن في سبيل أي هدف ، وخص أي حدود ؟ كثيرون هم الذين ابوا ان تكون تلك المناصرة ، منذ وافقوا عليها ، شيئاً سوى تصاون بين قصة من العرسيين 'يُمنح للامبراطورية البريطانية التي ظلت واقعة ، في الميدان ، وأما لم اواسه قط المحاربة ، لحظة من اللحظات ، على ذلك الصعيد . كان المراد خدمته واقاده في نظري ، انما هو الأمة والدولة .

كنت في واقع الأمر اذكر انه فراغ نهائي من الشرف والوحدة والاستقلال ، اذا كان لابد ان يقر في الادمان هذا المعنى ، وهو ان فرنسا وحده استسلمت في هذه الحرب العالمية ، وبها بقيت مقبلة على استسلامها ذاك ، لأنها في مثل هذه الحالة ، تصبح مشتملة من نفسها ، وتعتد الآخرين على الاشمئزاز منها ، ومثل هذا الاشمئزاز المردوح بسم روحها وحياتها طيلة احيال مديدة ، اية كانت النتيجة التي يعمي اليها التراجع الدائم ، لا سيما اذا قرئ في الادمان ان البلاد غلبت مؤكداً على امرها ، وانها تحلصت يوماً ما من العراء على بسد الاجاب ، وأقامت تحت نير الاستعداد . وأما فيما يتعلق بالحاضر مباشرة ، فسامم أي شيء نفقد بعض ابتنائها الى ميدان ليس ميدانه ؟ وما الفائدة من تزويد قوات دولة اخرى بقوات مساعدة ؟ لا ! كان الواجب بقضي ، كي يستحق الجهد

الشدّة والتعب ، ان يفضي ذلك الجهد الى مراس الحرب من حديد ، لا
من قبل بعض الفرنسيين محض ، وانما من قبل فرنسا .

وكان ذلك يشتمل على : عودة جيوشنا الى الظهور في ميادين القتال ،
استئناف روح المحاربة العدائية فوق اراضي جميعها ، مساهمة البلاد نفسها
في جهود محاربها ، اعتراف الدول الأجنبية ان فرنسا كدولة استمرت
في القتال ، بقل السيادة ، بقول مختصر ، خارج الكبشة والدرعة الى
الانتظار ، الى جانب الحرب ، وفي يوم من الايام ، الى جانب النصر .

وكان ما أعرفه عن الرجال والأشياء يحول دون اتقداعي عن العوتق
انني يجب النعل عليها . ستكون هناك قوة العدو التي لا يحطمها سوى
أهاك متواصل طويل ، والتي ستلاقي العون من الجهاز الرسمي الفرنسي
في معارضة نهوض فرنسا الحربي . وهناك المصائب المعنوية والمادية
التي يشتمل عليها قرراً صراع طويل ، صامد في نظر أولئك الذين
يؤمنون به كرهان ، ومن غير وسائل . وهناك ركاب من الاعتراضات ،
والقشيرات ، والاعتراضات تصعبها في طريق المحاربين ومرر المشككين
والجناء المتحمسين لنمطية سلبيتهم . وهناك المخططات التي يقال انها
« متواريات » وهي في الواقع عبارة ومعارضة ، ولن تتورع عن إثارة
البعرات بين الفرنسيين ، وأحياء ولهم بالمعارعات الذي مستخدمه سياسة
اعلاء ومصالحهم حسب العادة ، لتصرف بهم على هوام . وهناك من
حسب أولئك الذين يهدفون الى التخريب ، ارادة التخلي ، لتصليل المقاومة
الوطنية والسير بها في سل الموصى الثورية التي تبتق منها دكتوريشهم .
وهناك أخيراً نزعة الدول الكبرى الى الامادة من اصعاف لتليل مكاسب
أكبر ، على حساب فرنسا .

أما أنا ، وكنت ارفع القدرة على تسليق مثل ذلك المنحدر ، فاني
لم اسكن ، في مستهل الانطلاق شيئاً يذكر . ولم يكن في جانبي ظل

لقوة ولا لتظيم ، ولا كان لي في فرنسا مستجيب ولا أية وجاعة وفي بلاد الاجانب لم يكن لي رحيل ولا مرور . غير ان هذا الجورك معه هو الذي رسم لي خطة سلوكي . وأنا انما انتظمت ان اجد السلطة ، فلأني عشت قصة الخلاص الوطني ، بلا مواربة ولا مداراة . وإنما اصبح في امكاني تمسيع الموافقات ، من قبل الفرنسيين وفي صفوفهم ، والتماسات واكتساب الاحترام والاعتبار من قبل الاجانب ، ولأني انضمت اهل كسطل للأمة لا للبلد له قساة والامس الذين استثمروا الالهة ، على مدى المأساة ، من هذه الصلاة لم يشاؤوا ان يروا ، وأنا اقاوم ضغوطاً متنافسة لا تخصني ، ان اقل انشاء ، والفسة لي ، يجر الى الانهيار . كان من واهي ، بقول مختصر ، مدد كنت على تلك الحال من العزلة وضيق الامكانيات ، ثم لأني كنت عليها بالصبط ، ان اظهر ببلوغ القمم ، ثم لا أزل منها بعد ابداً .

كان اول ما ينمي لى ان ارفع راية المقاومة ، وأشر الوانها . ولذباع كليل بذلك وعرضت بيتي للسيد ونستون تشرشل ، عند اصل السابع عشر من حزيران (يونيو) . وما الذي كان في امكاني عمله دون معونه ، وأنا الفريق على شطآن اديكتو ؟ وكان معه ان منحي عون في الحال ، ووضع اذاعة اليه . ب. سي. تحت تصرفي . واتفقا على الشروع في استخدامها ، حين نطلب حكومة ديستان ، الهدنة . وعلنا عشية ذلك اليوم معه ، انها تقدمت بطلبها . وفي اليوم التالي ، في الساعة ١٨ ، ثلوث وراء الذباج البين الذي يعرفه الجميع وعقدار ما كانت تطلق الكلمات الهادرة ، كنت اشعر في سريري بانتهاء طور من حياة ، هي الحياة التي قضيتها في إطار فرسة مكتبة دت حش موحد متماسك . دخلت المصممة وأنا في الساعة والاربعين ، شأني شأن رجل ألقى به القدر وحيداً وتركه نسبح وحده .

غير انه كان عليّ وأنا احاطو خطواتي الاولى في هذا المسلك الذي لا سابقة له ، ان اقدم الدليل على ان ما من سلطة اكما مي تريد ان تتقدم لإعادة فرنسا وامبراطوريتها الى ميدان الكفاح وكان في الامكان التصور ، عكس كل احتمال طاهر ، ان حكومة بورديو ستحتار الحرب في النهاية ، ما دامت الهدنة لم تدخل حيز التنفيذ . وكان انواحب يعصي مداراة الفرصة ، بالغا ما بلغت من الصعالة ، لاعتصامها . ولذلك ، أبرقت لي بورديو عند حطت اقدامي في لندن ، بعد ظهر ١٧ ، ان تقدمني كمدوب عنها في العاصمة الاسكليزية لتساعة المفاوضات التي بدأتها عشية السابعة في شأن المعتاد القادم من الولايات المتحدة ، وأسرى الالان ، والقبليات الى افريقيا .

وكان الجواب برقية فصح عليّ بالعودة دون إبطاء . وفي ٢٠ حزيران وحيث رسالة الى فيسكون الذي اتحد في الاستسلام لقيا مدهشاً هو « وزير لدفاع الوطني » بأشدته وفيه ان يكون علي رأس المقاومة ، وأكدت له طاعني التهمة ، اذا هو فعل ذلك ، ولكن هذه الرسالة أرحفت أبي ، بعد بضعة اسابيع ، من يقبل المرسلة اليه ، مع بدة منه اقل ما يمكن القول فيها انها تشير الى سوء طويته . وفي ٣٠ حزيران ، احطرتني « بادرة فرنسا » بالأمر ان أعتبر نفسي سجناً في سجن سان - ميشل في « نور » ، لأحاكم امام المجلس الحربي . وكان هذا المجلس قد أصدر عليّ حكماً مبدئياً بالسجن لمدة اربع سنوات ، ثم بالاعدام بشاء علي دعوى استئناف من « الوزير » .

وأدبرت وحيثي نحو سلطات ما وراء البحار ، وقد أسقطت من حسابي موقف بورديو ذلك . وما أدرك ما السبب ! فمساء ١٩ حزيران امرقت للجنرال « بونجيس » القائد الأعلى في افريقيا الشمالية والمقيم العام في المغرب ، صبح نفسي رهن اوامره في حالة رفضه الهدنة . وفي

المساء تحدثت في المذيع وناشدت « أفريقيا كلوزيل » و« بوجو » و« ليوتي » و« نوغيس » ان ترفض شروط العدو . وفي ٢٤ حزيران « كررت نداثي بندقية الى نوغيس » وتوجهت كذلك بخطاب الى الجنرال ميتلهاوزر « القائد الأعلى » والسيد « بيو » المندوب السامي في الشرق « كما توجهت بخطاب الى الجنرال كلوزر حاكم الهند الصينية العام « اشير على هذه السلطات العليا بتشكيل منظمة للدفاع عن الامبراطورية وأبين لها ان في مستطاعي تأمين اتصالاتها فوراً مع لندن . وعلمت في ٢٧ حزيران بخطة ذات لحة محاربة بعض الشيء » ألقاها السيد « بروتون » « المقيم العام في تونس » فشدته بدوره ان يكون عضواً في « لجنة الدفاع » وجددت عروضي للجنرال ميتلهاوزر والسيد « بيو » . وفي اليوم ذاته حيزت مصادفة أمكنة لي ولضابطي في سفينة شحن فرنسية كانت تتأهب للذهاب الى المغرب .

ام الاجوبة . . اتلق منها سوى رسالة من الأميرال دي كارمانتيه « آمر البحرية في الشرق » ، اخبرني ان السيد « بيو » والجنرال ميتلهاوزر ابرقا الى الجنرال نوغيس بالمسرة الذي توجهت به اليه . وجاءني « هذا عن ذلك » احد اساء الجنرال « بندقية وجهها اليه والده » يشجعها فيها على القتال « ويكلفه ان يمر » بندقية وجهها اليه والده « معي . ولكن الانكليز الذين اوفدوا » في البحر عن عواقبه ونماطه كوبر عصو الوزارة الى أفريقيا الشمالية « مع الجنرال « السيد دوف هلي الجنرال نوغيس عون قواتهم » رأوا وقدامهم يعود الى لدا « يعرضون دون ان يلقى حتى من يستقبله . ثم كان اخيراً ان طرد الجنرال ديتر حنين الارتباط العسكري البريطاني في أفريقيا الشمالية « من عاصمة الجزائر

ومع ذلك كانت اول حركة قام بها نوغيس « ان رفع العلم . ومن المعلوم انه كان لدى اطلاعه على شروط الالمان في ٢٥ حزيران (يونيو) .

قد ابرق الى يوردو يطلبها انه على استعداد لتسليم الحرب . وكان قد دعا الجنرال فيغان الى « اعادة النظر في اوامره المتعلقة بتسليم الهدنة » واحتج انه « لا يستطيع تنفيذ الا وعرق الحبل بنصب من حبه . اذا كان لتلك الاوامر ان تبقى كما هي » ، مستخدماً في ذلك عبارة كنت ان قد استخدمتها قبل ستة ايام في المدياع ، عذكراً بـ « دعو يوردو » الذي لا يسمح للحكومة « ان تقدر مكائات اذربيجان الشمالية في المقاومة تقديراً موضوعياً » . ومن الواضح انه اذا كان يوعى قد احتار سبيل المقاومة ، فان الامراطورية برمنها متتبع حطاه عليها . غير ان « علم عاجلاً من بعد » انه هو نفسه « وسائر المقيمين » والحاكمين ، والقادة ادعوا جميعاً لاندارت بيتن وبيمان وقلوا الهدنة . واصر انهم فقط على ابداء مخطيها - هما الجنرال كاترو حاكم الهدن الصبينة لعام ، والجنرال « لوجا ، اليوم » قائد قوات الساحل الصومالي وكلاء عزلا وعين مكائها من يقوم بأعمالها ، دون ان يحدا في مرؤو- ٢٠ من جعل شيئاً يذكر لمساكنها .

غير ان هذا الصرب من الانحلال ا معظم « الولاة » (بروكودسول) كان يلقى ، في الوطن الأم ، « نهار سياسي شامل . وكانت الصحف التي تملك من يوردو الاحزاب ، والنعمات والسلطات ، والمؤسسات . الجديد ، كما تسجل الوطنية ، وقد انعقدت في ٩ و ١٠ نور ، ان تحولت و كان من يبيع الصلاحيات ، دون ان تناقش هذا الامر تقريباً . والحقيقة ان ٨٠ عضواً من الحضور افترعوا بشجاعة ضد ذلك التدارك ، وليس بحروا من البرلمانيين على ظهر « مستيليا » قاصدين طريقاً الشمالية ، اثبتوا بذلك ، من جهة اخرى ، انه لا يجوز ، في نظرهم ، ان تكف الامراطورية عن الكفاح والواقع ، مع ذلك ، هو ان ما من رحيل

كان يمارس الحياة العامة ، رفع صوته في إدانة الهدنة

وإذا كان انقياد فرنسا ، بعد كل حساب ، اعرق العالم في الوحوش ،
وإذا كانت الجماهير في طول الأرض وعرضها ، تشاهد قدفة جارية ذلك
الصياد الكبير يتهاوى ويخمو ، وإذا كانت مثل هذه القصيدة لشارل
مورغان ، أو مثل ذلك المقال لفرنسوا موريك يستلّ الدموع الحارر الخرار
من المهاجر ، فإن الدول ، دول الأرض ذاتها ، لم تلت ان قتلت بالأمر
الواقع . ولا ريب ان حكومات البلدان التي كانت في حرب مع دول
المحور استدعت ممثلها في فرنسا ، سواء فعلت ذلك عفوية ، كما جرى
مع السيد روثاند كمل أو الجنرال فانيه ، أو كان عن طلب من الألمان .
ولكن ظل في لندن ، مع ذلك ، قنصل يعق في بناء السفارة الفرنسية ،
وعلى اتصال بالوطن الأم ، سنا السيد ديموي قنصل كندا العام ، مكث
بجانب المارشال ، والجنود محبوب امريديا ترك بمنته . وكان ابرر ما يشاهده
المرء في فيشي تجمع كل من السيد بوغومونوف سفير الاتحاد السوفياتي ، ثم
الاميرال ليهي سفير الولايات المتحدة ، حبول المونسنيور فاليريو لاليري
القاصد الرسولي موعد البابا ، وكان سلكاً دبلوماسياً وقوراً ، بل كانت
هناك ما تفتقره حماية الشخصيات الذين كانوا ينحذرون طوعاً ، في
حركة عفوية أولى ، نحو صليب اللورين .

وهكذا ، كان التمايز الواضح بين الخوف والمصلحة والياس ، في
صفوف الفرنسيين كما في صفوف الأمم الاخرى ، يمتد حول فرنسا جواً
من التحلي الشامل للكلية . وإذا كان قد ظل هناك عدد من الارقياء
والامناء لماضيها ، وإذا كانت قد احرمت عدة حسابات تطلعت بما يمكن
ان 'يستل' مما بقي في يديها من اطمار ، فإن احداً من الرجال ذوي
الصمة في العالم ، لم يتصرف كما لو كان يؤمن بعد باستقلالها ، وكرامتها ،
وعظمتها . وأما ان تظل بعد النكبة مستعبدة ، مخترقة ، مهانة ، فإن

كل ما كان يقام له وزن على وجه البسيطة ، حبيب ذلك امراً مفروغاً منه . وندت لي رسالتي ، دفعة واحدة ، امام ذلك الفراغ الرهيب من التحمل الشامل ، واضحة ومحيطة . في تلك اللحظة ، وهي اسوأ ما في تاريخ فرنسا ، كان علي ان اتحمل بدائي فرنسا كلها .

ولكن ليس هناك من فرنسا بلا سيف ، فكان تشكيل قوة محاربة اهم من كل شيء ، مقدماً على كل شيء ، فاخذت ، في الحال ، اعمل في ذلك السبيل . وكانت هناك بعض العناصر العسكرية في انكلترا ، وهي وحدات الفرقة الخفيفة الآلية التي أعيدت الى بريطانيا في منتصف حزيران والبحرت اليها مع آخر القوت البريطانية ، بعد ان خاضت خوصاً لامعاً معركة العروج ، بقيادة الجنرال « بينووار » . ثم كانت هناك سفن البحرية الحربية - مجموع حمولتها زهاء ١٠٠.٠٠٠ طن - ولاجنو « شروبرغ » و « بريست » ولوربان ، ومعهم عدا اجهزتهم ، كثير من المتعدين والمساعدين ، ويبلغ مجموعهم ١٠٠.٠٠٠ بحار على الأقل . وكان هناك ايضاً عدة آلاف من الحدود الحرس سابقاً في بلجيكا الذين استشفوا في بريطانيا . وكانت البعثات العسكرية الفرنسية قد نظمت قيادة هذه العناصر كلها وادارتها بطريقة تحفظ معها طاعتها لفيشي ، وتعددها للرجوع الى الوطن .

وكان مجرد الاحتكاك بهذه القطعات المشتتة ، المتنوعة ، ينطوي في نظري ، على مصاعب كبرى ، ولم يكن تحت تصرفي ، بادىء ذي بدء سوى عدد ضئيل من الضابط ، كلهم مرؤوسون تقريباً ، تلهمهم عزيمه ماضية ، ولكن آخرون من اقتحام سلسلة الرتب قصراً وكل ما كان في وسعهم ان يعملوه ، وقد عملوه ، اما هو الدعاية بحاسب ذوي الرتب والرجال الذين التفرغوا ، فكان الاقبال ضئيلاً . وبعد ثمانية ايام من الاستنفار الذي وجهته في ١٨ حزيران ، لم يرتفع عدد المتطوعين لذين عسكروا في قاعة « اولسا » ، التي أعارنا الانكليز اياها ، الا الى بضع مئات .

يجب القول ان السلطات البريطانية لم تبرز جهودها ، الا في النزر الضئيل . ومما لا ريب فيه ان مشوراً ورّع بايعار منهم ، يخطر العسكريين الفرنسيين انهم يخبرون بين العودة الى الوطن والالتحاق بالجنرال ديغول ، والخدمة في قوات صاحب الجلالة . ولا ريب كذلك ان التلميحات التي اعطاها تشرشل ، وقدخلات سيرز المكلف من قبل الوزير الأول بتأمين الارتباط بين فرنسا الحرة والمصالح الانكليزية ، توصلت في بعض الحالات ، الى التخلّب على الجهود او المعارضة . ولا ريب ان الصحافة ، والاداعة ، وكثيراً من المحافظين ، وافراداً لا يحصى عددهم ، تلقوا حركتنا بحرارة ، ودعوا الناس اليها . ولكن القيادة البريطانية التي كانت تنتظر بين يوم وآخر المبعوم الألماني ، وربما للفرد ، وجدت نفسها في غاية الانهالك بالتخاذ اعداداتها الخاصة ، لدرجة لم يتح لها ان تشغل بمهمة جدّ ثابرة في نظرها . ثم اياها كانت قليل ، بحكم العادة والسهولة ، الى الاخذ بالنظام العادي ، اي نحو فيشي وبعثاتها . واخيراً لم تكن تنظر بغير حذر الى هؤلاء الحلفاء بالأسس الذين اذلتهم السكبة ، واصحوا ساخطين على انفسهم ، وعلى الآخرين ، وعدت تثقلهم الثارات التي يحملونها ، ماذا يعملون اذا قدفقت حشود العدو ؟ أليس الاسم ان نجد إنزالهم على سواحلهم في اسرع ما يمكن ؟ وما أهمية بضعة افواج بلا أطر ولا عتاد ولا اركان حرب ، يزعم الجنرال ديغول القدرة على تجميعها ؟

وفي ٢٩ حزيران فُجيت الى « رانتهايم بارك » حيث تخيم فرقة جبلية خفيفة . وكان الجنرال نفسه قائد للفرقة يريد العودة الى فرنسا ، وان كان عاقده العزم على العودة الى الميدان ، خلال بضعة ايام ، وهذا ما قام به من بعد فعلاً ، وأداه على نحو مجيد . ولكنه كان قد اتخذ استعداداته بحيث اتى من رؤية كل جسم عسكري وهو يتجمع . وهكذا اتى لي ان ألحق بقواتي قسماً كبيراً من فوجين تابعين لنصف اللواء الثالث عشر

من الأليف الأحيي مع رئيسهم المقدم ماغران - فيرنيريه المدهو مونكلار ومعاونيه النقيب كوبيج ، ومائتين من قناصة الألب ، وثلاثي سرية من الدبابات ، وبعض عناصر المدفعية ، والهندسة ، والمواصلات ، وعدة ضباط من أركان الحرب والمصالح ، فيهم المقدم دي كوشار ، والطيبان ديقافران وتيسيه . وكان من أمر وزارة الحربية البريطانية ، بعد مغادرتي الخيتم ان أرسلت العقيدين البريطانيين دي تشير ووليامز ، وجما بدورهما الجود لبولا لهم بالحرف الواحد : « ان لكم ملء الحرية للخدمة تحت أوامر الجيرال ديقول . ولكن يجب عليا ان نلتم انظاركم كرجال يتكلمون رجالاً ، لا اسمك اذا انتم قد رستم ذلك ، سنكون عصاة لحكومتم » .

ورغمت في اليوم التالي ان ارور عسكري « ايتري » و « هايدوك » ، حيث كان يتجمع عدة آلاف من البحارة العريبيين . وما كدت أصل حتى صرح لي الاميرال الاسكلييري آمر لبحرهم انه يعارض في مقبلي الجود لان ذلك يمكن ان يلحق الضرر بسير السطيم . وكان علي ان اعاد المكان دون ان امس بنت شعة . وكنت اسعد حالاً في « هارو مارك » ، بعد بضعة ايام ، فلما قياراً من التطوع ، راح رغم كل شيء ، بتنظيم صفوف بحارتنا ، وراح بمص الصباط من ذوي الدزم الذين التحقوا بي في الحال ، يدلون جهودهم ، وكلهم احلاص ، في هذا السبيل ، امثال رائدي البحار دارجيليو ، وفيتزل ، ومويلك ، وسوردين . وكان ضباط ووتية ثلاث سمن حربية صغيرة قد اعلنوا في الحال التحاقهم : العواصة « روبي » (المقدم كمانيه) التي كانت تخضر سواحل الفروج ، والقواصة « فارفال » (المقدم دروغو) التي تركت صفافس لخطية سممت ندائي ، والتحقت بمالطة ، ولكنها أغرقت من بعد ، وهي تؤدي عملها في المتوسط ، وقارب الصيد الفصاف « ويريدان - هوندوس » (المقدم دبشار) وكان وصول نائب الاميرال موريليه ، الذي جعلته طباعه وأحداث عمله هدفاً لعداوة

كثير من عناصر البحرية ، ولكن ذكاهم وبراعتهم وخبرتهم تقدم فوائدهم قيمة في تلك الحقبة الحافلة بالمغامرات . كان وصوله فرصة أُناسحت لي اعطاء مركز ومجيب تقوي لنواة قواتنا البحرية . وفي هذه الاثناء تجمع بصح عشرات من الطيارين الذين كنت في صدد مقابلتهم في معسكر سانت - اقام ، حول النقاء دي ريكور ، واستبه دي فيلات ، وبيكور - فوش ، في انتظار المقدم بيجو ليتولى قيادتهم

ومع ذلك ، كان التطوعون المفردون يصلون يومياً الى اكلترا ، قادمين ، على العموم ، من فرنسا يحملهم السفن الاخيرة التي اعتادت السفر المنتظم بين البلدين ، او هاربين على مراكب صغيرة تمكنوا من التقاطها ، او ممن توصلوا بعد هتاء كبير الى التفتت من الشرطة في اسبانيا التي كانت تحجز الفارين في معسكر ميراندا . وهناك طيارون تسللوا بطائراتهم من حراس فيشي ، ووقفوا الى مفادرة افريقيا الشمالية والخط في جبل طارق . وهناك بحارو تجارة قذفتهم مصادقات الإبحار وأحياناً هروب سفينة - مثل « كلو اولو » التي بقودها فويلمان - خارج الموانئ الفرنسية ، راحوا بطالبون بمركز لهم في الكفاح . وثمة فرسيون كلوا يعيشون في الخارج قدموا يطلبون عملاً . وكنت قد جمعت في « وايت سيني » ٢٠٠٠ حريق من ديكرك ، قصوا دور النقامة في مستشفيات اكلترا ، وحصلت منهم على ٢٠٠ تمهيد . وكان هناك فوج من جيش المستعمرات في قبرص ، منفصل عن جيش الشرق انضم طوعاً لينا مع رئيسه المقدم لوروت . وفي الايام الأخيرة من حزيران اقترب من ساحل كورنواي اسطول صيد سمير بفتاد للجنرال ديمول جميع الرجال الاصحاء في جزيرة دي سين وراح التحاق هؤلاء الاحداث المضمين بالحماة يزداد يوماً بعد يوم ، وكثير منهم قاموا بآثر تذكر ، ليتمكنوا من الانضمام الى صفوفنا ، مما شد من عريتنا . وكان على طاولتي اكدياس من الرسائل وردت من جميع أنحاء

العالم محمل إليّ من قبل أفراد أو زمر طلائع تطوع مؤثرة . وكان
ان اجترح صناعتي ، وضباط سبيرز ، عجائب من الاصرار والبراعة ،
لتأمين انتحال أولئك المتطوعين .

ولكن ما لبث هذا التبرار ان وقف بعنة ، على اثر حادث مؤسف ،
فقد نشرت الصحف واذاع المذيع في ٤ تموز (يوليو) ان اسطول المتوسط
البريطاني ، هاجم النارحة ، الاسطول الفرنسي في مرسى الكبير ، وترى
الينا في الوقت نفسه ان الاسكندر احتلوا فجأة السفن الحربية الفرنسية
للملاحة الى موانئ بريطانيا العظمى ، واهم أولوا تجارتها بالقوة وحجزوهم -
وذلك لم يمر دون حوادث دامية - كما حجروا أخيراً الأركان والعملة .
وانتشر أخيراً في ١٠ نبالف لدرعة « ريشليو » من قبل طائرات
انكليزية ، وهي راسية في ميناء دكر . وكانت ملاعات لندن الرسمية
والجرائد العامة تنجح ، في عرض هذه السلسلة من الاعتداءات ، الى عنادها
ضرباً من انتصار بحري . وكان من الواضح انه بالنسبة للحكومة البريطانية
واميراليتها . كان القلق من الخطر ، ورواسب مائة بحرية قديمة ، والضمان
المتروكة منذ بداية معركة فرنسا ، والتي بلغت أوجها مع الهدنة التي
عقدتها فيشي - كل ذلك انفجر في واحدة من تلك الذوات المظلمة التي
تخطم بها غريزة هذا الشعب المكبوت ، جميع الحواضر احياً

وما كان قط محتملاً بحال من الأحوال ، ان يبادر الاسطول الفرنسي
البريطاني من تلقاء ذاته بالعدوان . وقد كنت حتى لدوام تؤكد ذلك
الحكومة الانكليزية واميراليتها ، منذ حطت اقدامي في لندن . ثم كان
من التؤكد ، في جانب آخر ، ان دارلان لم يذهب من تلقاء نفسه
ويتخلى عن إقطاعه الخاص للأمان ، وهي البحرية ، - دام يتولى امرها ، بصرف
النظر عن جميع الدوافع الأكيدة التي تقتضيها المصلحة الوطنية . واذ
كان دارلان ومرؤوسوه ، قد تحلقوا ، في قراراتهم ، عن أداء الدور الراقع

الذي قدمته لهم الأحداث ، و.عinar انفسهم الملاد الاخير لفرنسا ، مذ بقي الاسطول سليماً ، على العكس من الجيش ، فذلك لأنهم كانوا على يقين من الاحتفاظ بـمفسهم . وكان اللورد لوريد وزير المستعمرات الانكليزي ، والاميرال السير ادولف ماوند ، اللورد الاول للبحرية قد دحما الى بوردو في ١٨ حزيران ، وقالوا من دارلان وعد شرف ان سفنا لن نسم للأنان . وكان يفتان روموان من جاسها قد تمهدا رسمياً بذلك . واخيراً لم تكن مصر من الهدية لتشمل على اي حد يضع به الانان ايدهم مباشرة على الاسطول الفرنسي ، عكس ما اداعته وكالات الاساء الانكليزية والاميركية ، في بداية الأمر .

ولكن يجب الاقرار انه كان لانكلترا ان تتوحس حيفة من ان يتوصل العدو يوماً ما الى التصرف بأسطولنا ، تجاه استسلام حكام بوردو واحتمالات تخوهم في المستقبل . ومع هذا الاحتمال ، يصح خطر الموت يتهدد انكلترا . وعلى الرغم من الألم والمعضب اللذين كانا يفمران قلوب رفاقي وقلبي من جراء مسألة المرسى الكبير ، وطرائق الانكلير ، ومظهر المباهاة والافتخار الذي ظهروا به ، حكمت بأن حلاص فرنسا فوق كل شيء ، وحتى فوق مصير سفنا ، وان الواجب يقضي دائماً متابعة الكفاح .

وقد اوضحت ذلك بصراحة ، في المذباع يوم ٨ تموز (يوليو) ، فان الحكومة البريطانية كانت من الحدق بحيث وضعت ، بناء على تقرير تلقته من وزيرها للإعلام السيد كوف كوبر ، مذباع الي . بي . سي . تحت تصرفي ، وتقبلت صراحتي ، على ما فيها من اشياء تؤلم الانكليز .

بيد ان ذلك افصى الى خيبة أمل مريرة ، اذ نأثر به فوراً إقبال المتطوعين على التحنيد . وكثير منهم بسين عسكريين ومدنيين ، كانوا يعدون العدة للالتحاق بنا ، مكسوا على اعقابهم . ثم ان الموقف الذي

المحذرة لمهاجمة السلطات في الامبراطورية الفرنسية والناصر البحرية والعسكرية التي كانت تحرسها ، تحول معظم الأحيان ، من التردد الى السخط . ولم تتوان فيشي ، بطبيعة الحال ، عن استغلال الحادث الى اقصى حد . وأوشكت نتائجها ان تكون في غاية الخطورة من جهة انصهار الاراضي الالهربية

ومع ذلك ، استأنفنا العمل في مهبنا ، وحارفت في ١٣ حزيران بأن أعلنت : « ايها الفرنسيون كونوا على علم انه لا يزال لديكم جيش يقاتر » . وفي ١٤ تموز ، مرتت بالهواينبول " وسط جمهور ملكه التأثير ، لاستعراض مفارقة الاولى ، وأقصى على رأسها بعد ذلك بوضع « ناقة مثلية لالوان عند نزال المارشال هوش . وفي ٢١ تموز ، حصلت على موافقة عدة من طيارينا للمشاركة في نصب منطقة لروور ، وشترت ان الفرنسيين الاحرار عادوا الى القتال . وفي هذه الاثناء نددت جميع العناصر بق التحقت بها ، الفكرة التي عرصها دارحنايو ، وهي الحد صليب لورين شداراً . وفي ٢٤ آب جاء الملك جورج السادس في زيارة لحيشن الصمبر . وكان هذا يحمل من يشاهده على الاعرار بأن « قطعة السيف ، سندسقى بقوة . ولكن يا لله ، ما كان اقصرها !

وفي نهاية تموز ، بلغ مجموع حدودنا او كاد ٧٠٠٠ مقنبل . كان ذلك كل ما امكنا تحنيداه في برطانيا العظمى بالذات والعناصر العسكرية الفرنسية التي لم نضم اليها ، اصحت الآن في وحنها . وقد استطعت بعد عام كبير ان استرد الاسلحة والاعتدة التي كانت لديها ، وقد استوفى عليها الاسكلير او غيرهم من الحلفاء . اما السع فانه لم يكن في وسعنا سوى تسليح بعضها ، وكان مما يجر في السع ، ان يرى انساني منها سحر في ظل علم اجنسي . وانجندت وحدتنا الاولى تتشكل شيئاً فشيئاً ، وقموت وسائل شتى متنافرة ، ولكنها تتألف من اناس ذوي عزيمة .

(١) مفر رسالة لوردرة في لندن . (المرحوم)

هؤلاء كلهم ، في الواقع ، من ذلك النوع القوي الذي يصح ان ينتمي اليه محاربو المقاومة الفرنسية امسى وجدوا ، فقد كان لديهم ولع بالخطر والمغامرة يفلو حتى يتحول الى فن يحب لدائه ، وارادوا للثامين واللامباليين ، ونزعة الى السويداء ، ومن ثمة ، الى المنازعات في الفترات التي لا يطل بها شبح لخطر ، حتى اذا جاء وقت العمل أخلت مكانها لتأسك شديد متقد وكبرياء قومية حملها الويل الذي حل بالوطن ، والاحتكاك بالحلفاء الميسورين احسن اليسر ، عادة في منتهى الحدة . وفوق ذلك كله ، ثقة مطلقة بقوة تعاضد الخاص وسيمة حيلتهم . وتلك هي السمات النفسية لهابيك الشخصية التي انطلقت من لاشيء ، وكان مقدراً لها ان تكبر شيئاً فشيئاً الى درجة جرت بها الأمة كلها ورامها ، والامبراطورية برمنها .

وفيا كنا نحاول ان نصنع لأنفسنا بعض القوات ، فرضت علينا الضرورة ان ننظم علاقتنا مع الحكومة البريطانية . وكانت هذه ، من جهة اخرى ، على استعداد لذلك ، لا تعلقاً منها ابداً بالدقة التشريعية ، بل رغبة منها في ان تركز عملياً ، على ارض جلالته ، حقوق هؤلاء الاشخاص « الدمشقيين » والزاماتهم ، الذين كانوا هم للفرنسيين المحاربين وان كانوا متأكدين بشكل قابل للتوصل .

وكنتم قد تحدثت الى السيد تشرشل منذ اللحظة الاولى عن نيتي في الابعار ، اذا أمكن ، تشكيل « لجنة وطنية » لادارة مجهودنا الحربي . وكان من الحكومة البريطانية ان نشرت ، عموماً لنا على ذلك ، في ٢٣ حزيران ، تصريحين ، الاول يسكر على حكومة بوردو صفة الاستقلال ، والثاني يأخذ علماً بمشروع تشكيل لجنة وطنية فرنسية ، ويظهر سلفاً زينة الاعتراف بها والتعامل معها في كل شأن يتعلق بمنابعة الحرب . وفي ٢٣ حزيران اذاعت الحكومة البريطانية بياناً يشيد بالعزم على المقاومة الذي أبدته عدة سلطات عليا في الامبراطورية الفرنسية ، ويعرض عليها للمعون

والتماسه . ومنذ ان اُخذ لم يتقدم الى حكومة لندن ويأخذ المبادرة سوى الجنرال ديفول وحده ، فان تلك الحكومة تعترف به علانية « رئيساً للفرنسيين الاحرار » .

شرعت هذه الصفة ادن ، في إجراء المعاملات اللازمة مع لورير الاول و « المورين اوقيس » ، وكانت نقطة الانطلاق مذكورة أوصلتها بنفسها الى السيد تشرشل واللورد هاليفاكس . وكانت النتيجة اتفاق « آب (أغسطس) ١٩٤٠ » . وكانت هناك عدة شروط كت انتد في شأنها وهي امرها ، سبباً في مباحثات دقيقة بين المتفاوضين : السيد سترايخ ، صدوب حلفائنا ، والاستاذ رنه كاستان مندوبنا .

لشدت في ان تضمن بريطانيا المظن حدود لوطن لأم ونجوم الامبراطورية الفرنسية الى ما كانت عليه ، وانا أوافق الاقتران ان تسوق قللت الحرب اكلدرا الى صلح نسوية من جهة ، ويمنبر من جهة اخرى ان البريطانيين يمكن ان يفرجهم حرصاً ، الاستيلاء على هذه او تلك المنطقة من ممتلكاتنا وراء البحار ، واشيراً ، قبل الاكثير بتسجيل هذا الوعد وهو « الاعادة التامة لاستقلال فرنسا وعظمتها » ، ولكن من غير تعهد بتعلق بمحدود اراضينا .

وعلى الرغم من اقتناعي بأن بدير العمليات العسكرية المشتركة في البحر والبحر والحو ، رؤساء اكنيز ، نظراً لسياسة وسائلنا الى وسائلهم ، فقد احتفظت في جميع الحالات بـ « القيادة العليا » للقوات الفرنسية ، ولم اقبل لها سوى « التوجيهات العامة » من قبل القيادة البريطانية . وهكذا ركزت صفنها الموصية الخالصة . ثم اني بييت بنوع خاص - وذلك لم يحصل بغير اعتراض من قبل البريطانيين - ان المتطوعين « لن يحصلوا السلاح ضد فرنسا » بحال من الأحوال . وذلك لم يكن يعني انه لا يجوز لهم ابداً محاربة فرنسيين . كان الواجب يقتضي ، وأساءه أ توقع العكس ،

فإن فيشي ، على ما كانت عليه ، لم تكن فرنسا في شيء . ولكن ذلك الشرط كان يرمي إلى ضمان العمل العسكري الحليف الذي اختلط به عملنا ، ظني اللحظة التي يصطدم بها وقوات فرنسا الرسمية ، لا يجوز استخدامه ضد فرنسا الحقيقية ، ولا لإيقاع الضرر بثرائها ولا مصالحها .

وإذا كان الاتفاق على قوات فرنسا الحرة ، مما يجب أن تتولاه الحكومة البريطانية مؤقتاً ، حسب الاتفاق ، بسبب من انعدام كل مورد لدينا في الأساس ، فقد حرصت في أن تنص صيغة الاتفاق على أن الإنفاق يكون سلفاً ، والدفع يكون يوماً ما مؤمناً ، بعد أن تحسم المساواة والخدمات التي نقوم بها نحن مقابل ذلك . وقد جرى الدفع الكامل فعلاً ، حتى أثناء سير القتال ، على نحو لم يبق معه مجهودنا الحربي قط على حساب أنكلترا .

وأخيراً رغم الحاجة الماسة إلى الحملة البحرية التي كانت تمّ البريطانيين الأكبر - وهو تمّ جدّ مشروع - سلطنا لهم بعد عشاء بإشياء « رابطة دائمة » بين مصالحهم ومصالحنا تنظيمياً لـ « استمهال سفن التجارة الفرنسية وبجارتها » .

وقد وقفا ، تشرشل وأنا ، هذه الوثيقة معاً في وزارة المال البريطانية . كان لاتفاق ٧ آب أهمية عظمى بالنسبة لفرنسا الحرة لا لانه أقامها في الحال من الورطة المادية وحسب ، بل لهذا السبب أيضاً ، وهو أن السلطات البريطانية عدت ولديها قاعدة رسمية في علاقاتها بنا ، لا تتردد بعد في تسهيل أمورنا . ثم إن العالم برمه عرف ، على الأخص ، أن بداية تصامن فرنسي - إنكليزي تركرت رغم كل شيء . وما لبثت نتائجها أن أخذت تظهر في بعض أراضي الإمبراطورية ، وفي الحالات الفرنسية التي تقيم خارج بلادها . ولكن دولاً أخرى أيضاً ، وقد شهدت برطانيا العظمى نعمد أني بداية اعتراف ، مشيت بصح خطوات

في ذلك السبيل نفسه . وكانت تلك هي حال الحكومات اللاحقة في
انكلترا ، اول الأمر ، وهذه صفة القوى ولا شك ، غير ان قوتها
ونفوذها الدوليين ما زال قائم .

ذلك بان كل واحدة من أهم اوربا التي احتاحتها جيوش هتلر حلت
دولتها الاستقلال والسيادة معها الى سواحل حرة . وكذلك كان شأن
الامم التي احتلت المانيا او ايطاليا اراضيها من بعد . وما من حكومة
رضيت قط ان تحمل نير المرأة سوى - واحسرتاه ! - تلك التي كانت
تقول عن نفسها إنها حكومة فرنسا وكان لها مع ذلك ، امبراطورية
وسعة تمت تصرفها ، تحرسها قوات كبيرة واسطول يعتبر من اوائل
الاساطيل في العالم .

وكما تكاثرت مكبات حزيران ، كانت بريطانيا العظمى تشهد فوق
رأبها ملوك كل من النرويج ، وهولندا ، واللوكسمبورج ، وورراء هذه
الدول ، ثم رئيس الجمهورية البولونية وورراءها ، وبعد فترة قصيرة ،
الوراثة البلجيكية . وشرع اللشيكوسلوفكيون في تنظيم انفسهم ، وطلق
ملك المانيا في احراء بعض الاتصالات . وكانت انكلترا تقدم الصياغة
لهذه الدول اللاحقة بوحى من كرم ومصلحة مما ، اد بلي لها ، بالفأما
بلغت من الحرّة ، بعض الشيء . وكثيرون منهم كانوا يحملون الذهب
وأرصدة النقد المادري . وكان للهولنديين اندونيسيا واسطول لا يستهان
به ، وللشيكيين الكونغو ، وللبولونيين جيش صغير ، وللنرويجيين سفن
تجارة عديدة ، وللشيكيين - او الرئيس ييش على وجه أصح - شركات
استخبارات في وسط اوروا وشرفها ، وصلات ناشطة مع الأميركان .
يضاف الى ذلك ان انكلترا لم تكن غير آبهة لاردياد نفودها وظهورها
على انها السور المنيع الرفيع للعالم للتقدم في حالة الصياح .

كانت فرنسا الحرّة التي لا تملك شيئاً ، تحربة شائفة ، في نظر

اولئك المثليين . ولكيها كانت تجتذب ، على الاخص ، اكثرم قللاً ،
واشدهم بؤساً ، كالبولونيين والشيكيين . كنا في نظرم ، نحن الذين بقينا
أمناء لتقاليد فرنسا ، نمثل لهم بذلك وحده ، املاً وقطب التجذاب .
وكان من سيكورسكي وبينش خاصة ، على ما في حياتها من ظلة وسط
النساء والملابس الحساسة التي تزيد ويلات بلدها ايلاماً وتقيداً ، ان
انشأ معي صلات دائمة مستمرة . وربما لم أشعر قط من قبل ما كانت
عليه رسالة فرنسا الى العالم ، افضل مما شعرت به في اعماق تلك الحقبة .

وبينا كنا نجهد في ان نؤمن لفرنسا بداية هبة مولية ، حاولت ان
يكون لها نواة سلطة وادارة منظمة . وكان مما يبعث على السخرية ان
اصغر « حكومة » تلك المنظمة الابتدائية التي ألفتها حولي ، ولم يكن
يعرفني احد تقريباً ، ولا كنت املك شيئاً ابداً . غير اني اردت ان
ادور امكانية تهرج جديد للسلطات العامة في الحرب ، اذا منحت الفرصة
لمثل هذا العمل ، اذ كنت مقتنعا ان فيشي ستنقل من عثرة الى عثرة
حتى تبلغ المضيق في المخطاطها اخيراً ، وكنت قد أعلنت عدم ترحيبي
عهد قام بموالاة العدو وخدمة اعراضه . وحرصت ايضاً منهي الحرس ،
على ان لا اني شيئاً وان «الص » يمكن ان يسيء ، عند الاقتضاء ، الى
اعادة لجميع الدولة . ولم أودع شيئاً الى اولي الامر في الامبراطورية ،
سوى توحيد الكلمة في سبيل الدفاع عنها ، حتى اذا لمس الناس عدم
كفاءتهم قررت ان أشكل نفسي « لجنة وطنية » بسيطة ، في اللحظة
التي يفدر بها ذلك ممكناً .

وكان يلزمي ايضاً ان يتقدم لمعوني شخصيات بارزة من أولي الكفاءة .
وقد حسب بعض المتعاطلين ، في الايام الاولى ، اننا قد نجد تلك الشخصيات
ساعة شاء . وكانت الاباء تقري ، من ساعة لساعة ، ان فلاساً من
رجال السياسة المعروفين ، وفلاساً من الحزلات الشهيرين ، وفلاساً العالم

«لا كاديي خليل» انتقل الى لشونة او أبحر الى ليون . ولكن سرعان
ما يتلو اعلان النساء تكديبه . وفي لندن نفسها لم يعضو الفرنسيون
الباردون الى فرنسا الطرة ، الا في لندن القادر من الذين كانوا بقيمون
فيها ، إما أداء الخدمة وإما عرساً . وكثير منهم طلبوا برحيلهم .
وبعضهم ظل في مكانه بصطع الولاء لفيشي . أما أولئك الذين وقفوا
ضد الاستسلام فقد راح فريق منهم ينظم مفاه الحسان الخاص في
«كلترا» في الولايات المتحدة ، والفريق الآخر اُخذ في خدمة
الحكومة البريطانية او الحكومة الاميركية ، وقليلة كانت «الكفاءات»
التي اصوت الى فريق .

لقد قل لي السيد كوربان مثلاً ، وكان مدير فرنسا ، انت على
صوب ا رأنا اندي كرتت القسم لأكثر من حياتي وخدماتي لقضية
التعذيب الفرنسي - البريطاني التحدث موقفاً صريحاً في ان قدمت استدلتني
عداة بذلك ولكي انا موظف قديم ، أعيش وأعمل منذ اربعين سنة
ضمن هذا لآطار المعتاد ، والاشفاق عنه شيء حد كثير «لله» لي .

وكتب اي السيد جان موبه . انت بخطيء في تشكيل منظمة
يمكن ان ترمي في فرنسا على انها أنشئت تحت حجة انكلترا... وأنا
شاركك الغرم كلياً على مع فرنسا من التخلي عن اتصال ولكن
بعد الاسماء لا يمكن ان ينطلق من لندن .

وكان السيد ريه ماسر ينشبع قنلاً . يجب ان عود الى فرنسا
حتى لا ينمصل مصري من مصر اخواني في الذين الذين يتعرضون
بها للاضطهاد .

«كان السيد ريه» يؤكد لي «أنا أوافقك» . واني من جهتي سأبدل
كل شيء في «سعي لإعانة فرنسا على اليهود سواء في الوطن الأم او
في الامم الطورية» .

وصرح لي السادة : اندريه موروا ، وهنري يونيه ، ودي كيريلس :
« نحن ذاهبون الى اميركا ، ومن هناك ، مع ذلك ، نستطيع ان نكون
انفع من نكون لك » .

وأخبرني السيد رولان دي مارجيري : « عيّنت قنصلا عاما في
شنغهاي ، سامر بلندن ، لا لألتحق بك ، بل لأنتقل الى الصين . وفيها
سأخدم ، كما تفعل انت هنا ، مصالح فرنسا » .

وأشدني السيد « بيير كوت » ، وهو الذي أذهلته الأحداث ، عكس ما
عرض السيد دي مارجيري ، ان انتدبه لأية مهمة ، « ولو تكنيس الدرج » .
بيد انه كان جليل الشأن لدرجة مدا معها ذلك امرا مستحيلا .

وعلى الجملة ، كان ذلك الامتناع العام تقريبا الذي أبدته الشخصيات
الفرنسية ، انه كانت البواحت عليه ، لا يرفع بكل تأكيد ، رصيد
الحركة التي قمت بها ، وكان علي ان أوصل تشكيل لجنتي الى ما
بعد . وكلما قل عدد الأعيان الذين يأتون ، قل عدد الذين يرغبون
في الاقدام .

غير ان البعض منهم ، وقفوا مع ذلك ، الى جانبي في الحال ،
وأضفوا على المهات التي اضطلموا بها فعاءة ، حجة وشاطا ، صمدت
السفينة بفضلها في البحر ، وسيطرت عليه رغم كل شيء . كان الاستاذ
كاستان معاوي - وما انفس عونه ! - في جميع الأعمال والوثائق التي
رَكَز عليها ، انطلاقا من لاشيء ، بنياسا الداخلي والخارجي . وكان
على « انطوان » ان يتولى ادارة الخدمات المدنية الأولى ، وهي مهمة في
منتهى المفقوق خلال ذلك الدور من الارنجمال . وكان لابي ، وأسكارا ،
ثم ما كان - وهذا الأخير هلك في البحر مع زوجته ، وهو يؤدي
واجبه ، بعد قليل من نفسه - يؤمسون العلاقات مع مكاتب اللورين
أوفيس ، ومكاتب الحكومات الأوروبية في القنص ، ويقومون هذا

ذلك ، بالانصراف بالفرنسيين المقيمين في الخارج ليس كنت قد طالت
عمولتهم وتولى شؤون حالتنا الصعبة « ليس » و « دوبيس » ، وراحا
يعدّون الاحوال التي تستطيع ان تعيش بها الجاليات المصعبة وكانت
« شومان » صوت مرصا الحرة في المدياح ، و « ماسيب » يجرّد الصحافة
ويلقي اليها المعلومات التي تخصنا ، و « ديس » نظم مع حلفائنا اسلحدم
الفن ومخارة للتجارة الفرنسية

ومن الناحية العسكرية الصرف ، نظم موريليه ، يساعد دارجايو ،
ماغران ، فيرييه يساعد كوبيخ ، بيجو يساعد راسكور ، انضموا
على التوالي الوحدات الاولى البحرية والبرية والجوية ، و « كل الى » « ورون »
امر السلاح ، وألف قبضته ، وديراهران ، وهيتيه دي موالامير وكان
حربي . وقام جومروا دي كورسيل الى حاسي ، بوظيفة رئيس ديوان ،
ومرفق عسكري ورحمان ، وفي اعطب لأحيان مستشار طبيب كعز .
اولئك هم اعضاء « الخاشية » الذين كانت تشجعهم دعارة العدو على انهم
لئمة من الخونة ، والمرزقة ، والمغامرين . ولكنهم ، وقد رفعهم عظم
الهمة ، تساندوا حولي في المراء والمرءاء .

وكان الجنرال سبرز صلة الوصل بينا وبين المصالح البريطانية التي
لم تكن يومذاك في غنى عن مومنتها . وكان يؤدي مهمته هذه بصلابة
ومهارة ، يقتضيني الواجب أن أقول إنها أعادنا في تلك البدايات القاسية ،
فائدة جوهرية . وما كان هو نفسه ليلاقي مع ذلك ، من الجباب
الامكليزي ادى تسهيل ، فان التزمت في الانتظام الاداري ، والتقييد
بتسلسل الرتب ، كما يتلقيان بحذر هذا الشخص الذي ينتمي الى فئات
عديدة ومتنوعة ، دون ان ينصف في أي منها ، اذ كان عضواً في
البرلمان ، وضابطاً ، ورجل اعمال ، ودبلوماسياً ، وكاتباً ، في آن
واحد . ولكنه كان من جانب ، يستخدم ذكائه في الامور ، ويُفيد من

الخوف الذي تمت عليه زكاته اللاذعة ، والالطف الساحر اخيراً الذي يحسن ظهارة عند المناسبة ، لطف الروتين . وكان مصافاً الى ذلك ، يحمل نجاء فرنسا التي يعرفها بمقدار ما يستطيع اجني ان يعرفها ، ضرباً من حب قلق ، نزاع الى السيطرة .

وفي الوقت الذي كان به كثيرون يأحدون محولتي على انها معاصرة تضايقتهم ، ادرك سير في الحال طيعتها ومداهها وقد تحملت بحماسة ، مهمته لدى فرنسا الحرة ورئيسها . بيد انه كان ، وان اراد خدمتها ، غيرون منها اكثر من رغبته في الخدمة . واذا كان يوافق على استقلالها تحاه الآخرين جميعهم ، فقد كان يستشعر بآلم ذلك الاستقلال حين ينتصب واقعاً امامه . ولذلك ، تحتم على الطوال سير ان يصدف ذات يوم عن حركتها ، وبأحد في محاربتها رغم كل ما فعله ، في المطلق لمساندتها . ألم يكن بشر ، في حى معارسته ، بالأسف لمجزئه عن قيادتها ، والأسى لتخليه عنها ؟

ولكن فرنسا الحرة لم تكن لتلاقي بعد ، عند ولادتها ، ذلك النوع من الخصومات التي يبعث عليها النجاح . كانت تقلب مضطربة وحسب ، في الارراء التي هي بسبب الصفاء . وكنا نعمل ، وفائق وأنا ، في « سنت استيفر هاوس » ، على « جسر » التامير ، في مسكن مؤثث بوضع طاوولات وكراس . ووضعت الادارة الامكليزية تحت تصرفنا ، في ما تلا من ايام ، بناء في « كارلتون غاردنز » اكثر راحة ، جعلنا بها مقرنا الرئيسي . وهناك راحت تنهال علينا ، يوماً بعد يوم ، موجات الاخفاق ، ولكن هناك ايضاً طفق سيل التشجيع يتدفق علينا ويرفعنا فوق امنا .

ذلك ان شهادات التأييد أخذت تترى من فرنسا ، وكلت البسطاء من الناس يبعثون إلينا رسائل ومحادثات عبر أبرج الطرق ، وبالتواطوء

أحباً مع المراقبين ، كهذه الصورة العترةرافية التي أخذت من على
 ساحة السمعة « الايتوال » في ١٤ حزيران لدى وصول لالمان ، وهي
 تظهر حملاً من النساء والرجال المتفجوعين حول ضريح الجندي المجهول ،
 وقد أرسلت بتاريخ ١٩ حزيران ، وعليها هذه الكلمات : « سمعناك
 يا ديمول ! لأن نحن نتظرك ! » . وهذه صورة قبر مملتي ناكوم
 الزهر ، بلها المارة فوقه ، هو قبر والدتي ، وقد ماتت في بيمون ،
 في ١٦ تموز ، وهي تقدم آلامها قرباناً لله ، من أجل خلاص الوطن ،
 ورسالة ابنها .

هكذا ، كان في وسعنا ، أن نفيس رنين الصدى الذي لقيته في
 أعماق الشعب ، رفضنا الهزيمة . وكان لدينا الدليل ، في الوقت نفسه ،
 على أن المواطنين يستمعون الى مدياح لندن ، في أرجاء البلاد جميعها ،
 وهذا كانت لدينا وسيلة حرب قوية . وكان الفرنسيون المقيمون في
 الخارج يعطون ، من جهة أخرى ، صدى الشعور القومي نفسه . وكثير
 منهم اتصلوا بي ، كما طالت اليهم ، وتجمعوا لمساعدة فرنسا الحرة . وأخذ
 المبادرة في هذا الاتجاه . عالمليف وغيريت في لندن ، هودري وجاك
 دي سيثس في الولايات المتحدة ، سوتيل في المكسيك ، البارون دي
 بنوا في القاهرة ، عودار في طهران ، غيرن في الأرجنتين ، راندو
 في الداريل ، بيرو في تشيلي ، جبروجوف في استنبول ، فكتور في
 دلهي ، ليماي في كلكوتا ، ماريه في طوكيو ، الخ . وما لبثت أن
 تأكدت أن الشعب يمتنع ما بقي لديه من عزة وأمل على فرنسا
 الحرة ، رغم ضغط سلطات قبضي ، واقتراءات دعايتها ، وميمان عدة
 كبير من الناس . وكان ذلك النداء الأسمى من قبل الأمة ، يفرض عليّ
 أن أرمي بصي شيء ما ، وهذه الفكرة لم تنأرح ذهني قط لحظة من
 اللحظات ، في كل ما كان يجب عليّ الشروع به وتحمله .

وكان التسدير والعطف ، يجهان بالفرضيين الأحرار في انكلترا
 نفسها . وأراد الملك أولاً أن يظهرها لهم . وكان واحد من أعضاء
 اسرق قام مخوم يمثل ما قام به ، وكان اللورداء والسلطات ، من جهة
 اخرى ، لا يتركون ماسة تمر دون ان يضحوها للإعراب عن مشاعرهم
 الطيبة ، بيد أن احداً لا يستطيع ان يتصور اللطف السخي الذي أبداه
 الشعب الانكليزي تجاهها في كل مكان ، إذ راحت جميع صروب الأعمال
 'تقشاً' لمساعدة متطوعين . ولم يكن في الامكان تعداد لأناس الذين كانوا
 يقدمون البنا ، يضمون عليهم ووقتهم ومالهم تحت تصرفنا وفي كل
 مرة ، كن يحدث لي أن اظهر في حفل عام ، أجسد نفسي وسط
 تظاهرات من التأييد والتشجيع . وحين نشرت صحف لندن نبأ الحكم
 الذي أصدرته عليّ لبيسي بالاعدام ومصادرة املاكها ، وضع عدد من
 الخلق في 'كارلتون عاردين' ، من قبل اناس تركوا اسماءهم مغلقة ،
 وأرسل عدد كبير من الأراذل المجهولات خواتم زواجرهم ، بمية ان
 يسلم ذلك الذهب في مجهود الجنرال دينبول .

يجب القول إن حوا موتارا كان يظن انكلترا آسداك . لو كان
 الناس ينتظرون الهجوم الألماني بين لحظة وأخرى ، وإزاء هذا التوقع ،
 راح الخلق جميعهم يشدون عرائشهم بصمود يصرب به المثل . لقد كان
 مشهداً يمت على الإعجاب ، خاصة إذ ترى فيه كل انكليزي ينصرف
 كما لو كانت سلامة البلاد معتمدة على سلوكه الخاص . وكان هذا الشعور
 العام الشامل بالمسؤولية ، يسود أكثر إثارة ، في حين ان الأمر كله
 كان معلقاً ، في الواقع ، على الطيران .

فلينوصل العدو ، فعلا الى القصر على ارملة الجوز ، وهذا تكون
 نهاية انكلترا ! الاسطول يُقصف من الجو ، واجاب به لا يحول دون
 القوافل الألمانية من حور بحر الشمال . والحيتان لا يكاد يرتفع بقوته

عن اثني عشرة فرقة ، تولت بها عن شديدة في معركة فرنسا ،
وجردت من السلاح ، لن يكون قادراً على صد الجنود عن الدخول ، ثم
لن يكون من الوحدات الألمانية الكبرى ، إلا ان تحتل بسهولة اراضي
الجزيرة كلها ، على الرغم من المقاومات المحلية التي نظمها ، الهجوم
غوارد ، (الحرس الوطني) . ومن المؤكد ان الملك والحكومة يكونان
قد رحلا في مدة من الوقت ، الى صيدا . ولكن المظلمين ، كانوا
يتهايمون بأسماء الساسة ، والأساقفة ، والأدباء ، ورجال الاعمال الذين
يتعاملون ، في مثل تلك الحالة المحزنة ، مع الالمان ، لتأمين ادارة البلاد ،
تحت ظلهم .

بعد ان هذه كانت تكهنات لاقى سواد الناس . فقد كان الاسكندر
بمجموعهم ، يستعدون للقتال بلا هوادة ، وحتى النهاية . وكان كل
مواطن ومواطنة ، يلجأ شكة التدابير الدفاعية . وكل ما كان من :
بناء ملاجئ ، وتوزيع أسلحة ، وأدوات ، وعناد ، وأشغال مصانع ،
وحقول ، وخدمات ، وأوامر عسكرية ، وتقنين مؤن ، قد نظم على
لحوا لا زيادة فيه لتقريب من حيث الحيلة والانسباط . ولوسائل
وحداتها ، كانت تبرز هذه البلاد ، التي اعلنت ايضاً ، منذ زمن طويل ،
أن تكون على أهبة . ولكن كل شيء كان يجري كما لو ان الاسكندر
أخبروا ان يمتدحوا بقوة التضحية ، مما كان ينقصهم . وحتى السحرة ،
من جهة اخرى ، لم يفتقدوها . فقد نشرت صحيفة صورة كاريكاتورية
تمثل الجيش الألماني الهائل وقد بلغ بريطانيا العظمى ، ولكنه توقف
على الطريق بدباباته ومدافعها وقنابلها وحترالاته ، أمام حاجز من خشب ،
وقد رفعت عليه لافتة كتب فوقها : انه يجب دفع بنية ليسمح
بالمرور . ومنذ كان للقيم على المهاجر الخشي وهو اسكليزي عجوز
لطيف ، ضئيل الهيكل ، ولكنه صلب ، لم يتلق من الالمان جميع
النساء الاجنابية ، فقد رفض رفع الحاجز رعم العصب الذي حث

رثا من الغزاة المهول ، من أقصاه الى اقصاه .

واستنفر ، في هذه الاثناء ، سلاح الحق الملكي على اراضيهم ، فتأهب . وراح كثير من اساء الشعب ممن يتشوقون الى الخلاص من ذلك التور الذي يكاد لا يطاق ، ينصرون علناً ان يحارب العدو بالهجوم . وكان السيد تشرشل ، وهو اول هؤلاء كلهم ، قد فرغ صدره في الانتظار . وانني لا ازال اراه ، في وزارة المال ، في ذلك اليوم من آب ، يوجه قبضته نحو السماء : « لى يقدموا اذن ا ، فقلت له : « هل انت لهذه الدرجة تتمجبل رؤية مدسك تندكدك ؟ ا ، فقال لي : « اعلم ان نصف اوكلورد ، وكاتربري ، وكوفنري ، سيثير في الولايات المتحدة موجة من السخط عارمة للدرجة يدخلون معها الحرب ا » .

وأبدت على ذلك بعض الشك ، مذكراً ان البلاء الذي نزل بفرنسا قبل شهرين لم يخرج اميركا عن حيادها . فأجاب للوزير الاول مؤكداً : « انما كان ذلك ، لأن فرنسا انهارت ا سباني الاميركان عاجلاً أم آجلاً ، ولكن شرط ان لا نلين هنا . وذلك هو السبب الذي لا يجعلني افكر الا في طائرات المطاردة » . وأصاف « انت ترى اني كنت على صواب حين رفضت تقديمها في نهاية معركة فرنسا ، فلو كنت الآن بحطمة انتهى كل شيء بالخسران سواء لديكم كما لدينا » . قلت بدوري : « ولكن العكس هو الصحيح ، لو ان طائراتكم المطاردة تدخلت يومذاك لربما كانت قد انصت التحالف ، وجرت الجانب الفرنسي الى متابعة الحرب في المتوسط ، ولحق الخطر الذي يهدد البريطانيين ، وارماد تحفر الاميركيين لحوض الميدان في اوروبا وافريقيا . وانتهينا معاً بتواضع الى الاتفاق على الاستخلاص من الحوامث التي تحطمت الغرب ، هذه النتيجة النافية ، ولكنها كانت نهائية : انكلفتوا بعد كل حساب جزيرة ، وفرنسا رأس بحري لقارة ، وأميركا عالم آخر

افريقيا

كان لدى فرنسا الحرة في شهر آب (اغسطس) ، بعض الوسائل ،
وبداية تنظيم ، وشيء من الشعبية ، وكان عليّ ان أفيد في الحال ،
من ذلك كله .

ولئن كنت ، في مجالات اخرى ، هدفاً تتجاهه لارتناكات ، فلهذه
لم يكن في ذهني اي شك فيما يختص بالعمل المباشر الذي اضرع به .
لقد استطاع هتلر ان يربح الجولة الاولى في اوروا . ولكن الجولة الثانية
على وشك الابتداء ، وهذه على المستوى العالمي . ويمكن ان تسنح يوماً
ما فرصة الحصول على تقرير المكان الذي يمكن ان تجري فيه ، اي على
ارض القارة القديمة . وكان علينا ، نحن الفرنسيين ، خلال فترة
الانتظار ، ان نتابع الصراع في افريقيا . وكان في نيتي ان اسلك ،
طبعاً ، الطريق التي حاولت هنا ، قبل اسابيع ان احرز الحكومة
والقيادة اليها ، ما دمت اضطلع الآن دفعة واحدة ، بما بقي من هذه
وتلك ، في الحرب .

كان متاحاً لفرنسا ، في الواقع ، ان تستعيد بناء جيش وسيادة ،
في مساحات افريقيا الشاسعة ، بانتظار دخول حلفاء حدد في الميدان الى
جانب القدماء ، بقلب ميزان القوى . وافريقيا تقدم ادراك ، قاعدة

انطلاق قائمة على شاء الحرر . إيطاليا ، النقاد ، اسبانيا ، العودة الى اوروا ، وهي قاعدة حدث انها كدث فربية . بصرف الى ذلك نها لا بد ان توثق الروابط المشتركة بين الوطن الأم وأراضي ما وراء البحار ، اذا تم التحرر الوطني يوماً ما يفصل قوات الامبراطورية . وادا الحرب انتهت بدون ادنى محاولة تنذها الامبراطورية لإنقاذ الوطن الأم ، افضى كل ما عملته فرنسا في امريكا ، بلا ريب ، الى الخسران .

وكان متوقفاً ، من جهة اخرى ، ان ينقل الألمان القتل الى ما وراء المتوسط ، اما ليضمطوا به على اوروا ، وإما ليعتصوا فيه مجالاً ، وإما ليساعدوا شركاءهم الطليان - واحتمالا الاسبان - ليرداد فيه مجالهم معة . وكانت القتال حتى فة قد بدأ . والمهور يرمي الى بلوغ السويس ، فاذا نحن بقيا سلبين في افريقيا فمكن اعداؤنا ، عاجلاً او آجلاً ، من وضع ايديهم على بعض ممتلكاتنا فيها ، بينما يضطر حلفاؤنا مع مجرى العمليات الحربية ، الى الاستيلاء على هذه او تلك من اراضينا اللارعة بالضرورة ، لاستوائيتهم .

كانت المشاركة في معركة افريقيا بفوات وأراضي فربية ، تعني وكان قطعة من فرنسا عادت تدخل الحرب من جديد ، كانت تعني الدفاع مباشرة عن ممتلكاتها ضد العدو . كانت تعني قدر المستطاع ، تحويل امكلترا ، وربما اميركا يوماً ما ، عن الفتنة التي تراودهما في الاستئثار لنفسيهما بكفاحهما ، ولحسابهما . وكانت تعني اخيراً ، انزاع فرنسا الحرة من النمى ، ووضعها سيادتها الثامنة على ارض الوطن .

ولكن من اين يقترب من امريكا ؟ ما كان في استطاعي ان انتظر شيئاً ايجابياً ، في الحال من مجموع افريقيا : الجزائر ، المغرب ، تونس . وقد ترمى الى مادي ذي يده ، والحق يقال ، عدد من رسائل للأييد ، وحبها محال علىيات ، وحميات ، وحلفات ضباط ،

وفروع من رابطة المحاربين القدماء ، ولكن سرعان ما أعقب هذه الرسائل التحطّي في الوقت الذي اتسمت به العقوبات والرقابة ، وجاءت مأساة مرسى الكبير تحقّق آخر انقاس المقاومة . وكان يلاحظ من جهة أخرى ، شيء من « التضعف الحبان » ، ان الوحدة تركت بلادهم خارج الاحتلال . وكانت السلطة الفرنسية فيها ، تبدو في ظلّ شكل عسكري حارم ، يطامس المستوطنين من غير ان يزعم الفسدين . وهناك أخيراً مظاهر شتى لما كانت تعبّه قبشي « الثورة القومية » ، وفيها استجابة لبرعات الكثيرين : دعوة الأعيان ، احترام للإدارة وإبرارها ، استعراضات للمحاربين القدماء ، اظهار اللامية كان هناك تركّز في الانتظار ، بقول موجز ، مع استمرار في التفكير ، ان افريقيا الشمالية يمكن يوماً ما ، ان « تعمل شيئاً » . وما كان لأحد ان يمتدّ ، في الداخل ، على قيام حركة نشأ حقواً . أمّا ان اقتضى فيه على السلطة بوساطة عمل يأتي من الخارج ، فهذا ما لم يكن في مستطاع ، قطعاً ، ان افكر فيه .

كانت افريقيا السوداء ، تقدّم لنا امكانات مختلفة كل الاختلاف ، فهي الايام الأولى من قيام فرنسا الحرة ، دلت الرسائل التي وردتني ، والمظاهرات التي حوت في دكار ، وسات - لويس ، و « أراغادوغو » ، وأبيدجان ، وكوتاكري ، ولومي ، ودوالا ، وبراغويل ، وثانغاري ، ان استمرار الحرب يبدو ، في نظر هذه البلدان الحديثة التي تسيطر عليها روح الانشاء ، امراً سائراً في طريقه ، من تلقاء ذاته . ولا ريب ان موقف الادعان الذي اتخذه نوغيس اجيراً ، والابطاع السيء الذي أحدثته قضية وهران ، وسلوك براستون الذي كان حاكماً عاماً لافريقيا الاستوائية يادى دي بده ، ثم منصوباً سامياً في دكار ، وهو الذي صيغ حناسة السكان بما ران عليه من التباس - كل ذلك خفف من

غليان أفريقيا . ولكن النار ظلت ، مع ذلك ، تحت الرماد في معظم مستعمراتنا .

وإنما كانت مجالات الأمل تفتح ، على الأخص ، في مجموع أراضي الاستوائية . وكانت حركة المعارضة الهندية تشمل جميع الأوساط في الكامبيون خاصة . فقد أعاظ الإسلام سكان هذا البلد الحي النشط ، فرنسيين ، ومواطنين أصليين على السواء ، وما كان الشك ليحالج أحداً فيها ، من جهة أخرى ، أن انتصار هتلر سيصد السيطرة الجرمانية التي كانت تخضع لها قبل الحرب العالمية الأولى . وكان الناس يتداولون ، وسط الهياج العام ، نشرات يعلن فيها بعض المستوطنين الألمان القدامى من اسحبوا سابقاً إلى جريرة فرزندوبو ، عودتهم القريبة إلى مراكزهم واعراسهم . وكان أن تألعت لجنة عمل حول السيد موكليز ، مدير الأشغال العامة ، ومنعني تأييدها . ولا ريب أن الحكم العام برودو ، إنما رفض الانحياز إلى جانب ما ، وهو ذاهل تحت وطأة الوضع الجديد . ولكن كان في الامكان التصور ، أن قدماً حارماً برودو من الخارج ، يؤدي إلى حل المشكلة .

وكانت لأحوال في تشاد ، تبدو أفضل أيضاً ، فإن الحكم فليكس ايسويه ، استجاب قوياً ، لالتجاه نحو المعارضة . وكان هذا الرجل ذو العظيمة والشجاعة ، هذا الاسود التحمس لهرميته ، هذا الفيمسوف الانساني ، يفتت بكل كيانه إحصاع فرنسا ، وطهر المصرية المذرية . لقد اتحد السيد ايسويه قراره محدثاً ، منذ علم بتداعي الأولى ، متعقاً بذلك مع اميه العام ، لورانتى . ومالت العصر العربية من السكان إلى الجانب معه . وكانت حوافر الشيعة لدى الكثيرين ، بعد كل حساب ، هي حوافر العقل أيضاً . وكان العسكريون قد احتفظوا بالروح الحربية في مراكزهم ، لاحتكاكهم بليبيا الإيطالية ، وراحوا

يتطلبون الى التعدادات التي يمكن ان يدرج بها دخول ديفول ، وما كان
 الموظفون والتجار الفرنسيون ، في الزعماء الاقربيين ، ليحسروا
 بالتمسك في ما يكون عليه حصة بلاد الاقتصادية ، و أعلنت بوجههم
 معاد ايوان موقف الطيب ، وهو يحذر البريطانية ، وأطلقني احييه
 نفسه على هذا الوضع ، فأرقت فيه في ١٦ عمر ، ووجهه في "خوب ،
 في تقرير مودين يحذر من شيء لا يصح علناً ، ويعرض وصاع الدواع
 وحياة الارض التي فوضت اليه فرد ، وجرنتي ، وبطلب احيراً
 ان أحمل ما كنت في عدد عمل ، وهو ان أصبح به يحمل ثمناته ، في
 حل صلب النورس .

وكان موقف لي "كوممو" يتروى اكثر خصوصاً ، فقد قدم لحكم
 العام بوسون في راراميل ، ستر منسب قور (يوليو) ، ثم أقام من
 ثقة في دكار ، وهو ، مثل باقي بلاد في مجموع البلدان الاستوائية
 وكان قد برز في حرس مودين ، واهله ، وهذا جندي يستحق
 التقدير ، ولكنه كان حزيناً ، طريف ، فهو على الرغم من الكرب
 الذي عثرته به شكته ، على عجزاً عن ربط حقه بصفه من الولاء
 وهيشي ، وكان المخرج في "معي" ، حيث انجاز كثير من العناصر الى
 نقادمة ، متوعدة كائناً عن موقف الكوممو ، على العكس كانت التعاون ،
 وهي مستعدة ، شاحداً بالعرف "الشد" ، وقد تقليداً لي نسيم عن غيرها
 من رعي المنظمة ، فقد أضاف ، في وصف وساعها ، على تحفظ غامض
 لا يسر غيره .

قررت دول ما قررت ، وان حذر بعد الاعتدال موقف في فريق
 السود ، العربية ، ان الحصول في أفضل مهلة ممكنة ، ضم مجموع البلدان
 الاستوائية ، و كانت "حسب" ، هذه العملية لا تستلزم اشتراكاً عسكرياً
 حذراً ، "استثناء التعاون" ، من غير شك ، ثم اشرع ، اذا أصبحت

هذه الخطوة الاولى ، في العمل في افريقيا الغربية ، بيدني لا يستطيع الشروع في هذه الرقعة الا بعد جهد طويل وحيازة وسائل مهمة .

كانت المشكلة في بداية الامر ، ان تقرب من فور - لامي ، ودوالا ، وبرارافيل دفعة واحدة . ثم يجب ان تبرز العملية فجأة ومن غير انقطاع ، وذلك لان فيشي التي غلقت تحت تصرفها سفن وطائرات وقوات من دكار ، وتستطيع عند الحاجة أن تستعد بقوات من المغرب ، فضلا عن الاسطول في طولون . كانت في سنة من جميع الوسائل لتتدخل بسرعة . وكان بيتان ودارلان قد ارسلوا في الوقت ذاته ، الاميرال بلاتون ، للقيام بمهمة تفتيش في القانون والكاميرون خلال تموز الجاري ، واكتسبا لفيشي بعض العناصر العسكرية والمدنية . كنت ادن استق الامور ، وقد فهم اللورد لويد ووزير المستعمرات الاسكلييري الذي عرضت له مشروعني وأدرك اهميته ولا سببا لها يتعلق بأمن بحري ، وشاطئ الذهب ، وسييرا - ليون ، وغينيا ، وكلها تابعة لبريطانيا . مصدر الحاكمين الاسكليير التعليمات التي اردتها ، وفي اليوم المحدد وضع تحت تصرفي طائرة لتقل من لندن الى لاهوس فربق المبعوثين ، التابعين لي .

وكان المراد بأولئك المندوبين ، بلوس ، وماران ، وهينتي دي بوالامير ، ان يرتبوا مع حكومة ابويه شروط انضمام تشاد ، وان ينفذوا بالتعاون مع موكلير ولحتة ، انقلاب ، دوالا . وفي لحظة سفرهم استطعت أن صيغ مندوبا رابعا لفريقهم ، سيظهر المستقل مدى ما كان له من فعالية . وذلك هو القبط دي هوتكلوك ، وكان قد وصل من فرنسا عن طريق اسبابا ، معصوب الرأس على جرح احاسه في شصابا ولديه بقية من عشاء . جاء وقدم نفسه معرفت قدره ووجهته على الفور في مهمة على خط الاستواء . ولم يكن لديه سوى الوقت لاتخاذ

حدثه ، ورودته بأمر البشة التي سلفتها لفريقه ، وطار مع رفاقه باسم
المقدم لوكليز .

ولكن كان علينا في الوقت نفسه الذي نرفع به صليب الثورين فوق
تشاد والكاثيرون ان نضم اليه ايضا المستعمرات الثلاث : الكونمو
الاسع ، والارياضي ، والمانون ، وذلك بمشي في جوهره ، ان نستولي
على برارافيل عاصمة افريقيا الاستوائية ، ومركز السلعة ورمزها .
وهذا ما كلفت به العقيد دي لارميا كان هذا انصبط المتحمس بومدك
في القاهرة ، وهو الذي حاول من غير ان يوفق ، توصيه رئيساً للأركان
العمدة في جيش الشرق ، أن يحصل رئيسه الجنرال ميتلهاورر ، في
آخر حزيران ، على اتحاد قرار غتامة القتل ، ثم نظم نفسه رحيل
المعاصر التي تقل الهدنة ، الى فلسطين . ولكن ميتلهاورر توصل الى
حل هذه المعاصر على الكوص على اعقابها يساعده في ذلك ، من
جهة اخرى ، الجنرال وصيل فاند القوت البريطانية الاعلى في الشرق ،
بدي كان يخشى ان يكلعه ذلك الارتحال المعمي ، من الشعب في
جملة الحساب ، اكثر مما يعود عليه بفوائد . ولكن افراداً منهم اصررو
وتسكدوا من دافع المنطقة الاسكندرية . وكان قد صدر الامر باعتقال
لارمينيا ، ولكنه نجح بدوره ، ومر بحبيوتي فاهان الجنرال ليجنتيوم
في جهوده التي كان يبذلها عبثاً ، لاقاء الساحل الفرنسي من الصومال في
الحرب ، ومن ثمة اسحب الى مصر .

وهناك تلقى الامر مني بالشخص في لندن ، وفي الطريق تلقى
الامر بالذهاب الى ليوبولدويل ، وفي الكونمو الملحيكي لقي تأييداً
حقياً ، ولكن حازماً ، من قبل الحكام ريكس ، وتعاضف
ارأني العام ، واحداً معاصده ناشطه من حسب الفرنسيين المقيمين في
تلك البلاد ، وهم الذين تكللوا حول الدكتور ستوب . وكان على

لارمبيا ، سيرا مع تعليماتي ، ان يُعد مقرة لحاص في برازيل و يربط بين صغى الكونتمو ويستى العمل في مجموع البلدان الاستوائية .

وحين تم اعداد كل شيء اجتمع في لاعوس كل من لارمبيا ، وديمن ، ولوكبير ، وبوالامير ، ومعهم المقدم دورنادو الذي حساه من تشاد عبر قعاريح كثيرة ، مطراً للظروف وقدم السير برنارد بورديون حاكم بيجيريا العام ، مؤازرقة الماشطة الدكية ، كما هو شأه على لسوام ، للمريسين الأحرار في تلك المناسبة وكان من المتفق عليه ان تعد تشاد عملية انصامها اولا ، على ان تعد خطة دولا في اليوم التالي ، وخطة برازيل من بعدها .

وفي ٢٦ آب اعلن الحاكم ايبويه والمقيد مارشان قائد قوات المنطقة في فور - لامي ، ان تشاد انصمت ، امام الملاء ، الى الجنرال ديفول . وكان بلغن قد وصل الى المكان عشية امس الاول بالطائرة ليطلق باسمي قيام الحادث وقد اعلنته بدائي من مذباج لندن واستشهدت بتشاد انها على ولائها للامبراطورية .

وفي ٢٧ وفق لوكبير وبوالامير فوجياً رائداً ، الى الاستيلاء على الكامبيرون حسب الخطة المقررة مع انها ذهبا اليهم بوسائل صليبة . وكنت آمل اول الامر ان انكر من ابعاد ممررة عسكرية اليها تسهل الامور . وكنت ، في الواقع ، قد اكتشفت في مصكر في انكلتر نحو الف من الرعاة السود ارسلوا من شاطيء الماح اناء معركة فرنسا لنجدة وحدات المستعمرات ، وقد وصلوا حداث متأخرين وحطوا مؤقتاً في بريطانيا العظمى بانتظار ترحيلهم الى بلادهم . وكنت قد اتفقت مع البريطانيين ان تذهب المقررة الى احكرا حيث يتولى امرتها امقدم ثاران . وكان في الامكان التصور ان عودة هؤلاء السود الى افريقيا لا يحمل فيشي على الاستغاثة . وحدث فعلاً ان ابرلوا في شاطيء الذهب ،

ولكن مظهرهم كان من الروعة بمنزلة لم تتالك معها الصفاط الاسكليز
من دمجهم في قواتهم الخاصة . وهكذا لم يكن لدى لوكليز ونوالامبر ،
ادن سوى قصة من العكربين وبصعة مستوطنين قدموا من «دوالا» ،
لاحين ثم انها في اللحظة التي عادرا بها فكتوريا ، تلقيا من الخمرال
حفاره ، الفائدة الأعلى للعربطاني ، اندي اخذ فصاة يتخوف من نتائج
العملية ، مرأ ينجع نعيذها . ولكها تحذورا هذا الأمر يوفقى النامة ،
اد ارقب اليها ، ان يعمل ، ما يرداه معها . ودها على طهر
قارب الى «دوالا» ، وكان الفصل في ايصالها لاسكليز فكتوريا ، وما
أبدوه من تفهم .

ووصد الجيش الصغير انباء الليل . وهرع عدد من «الديفوليس»
لدى ون شارة الى الدكتور مور ، فاستقبلوه بما يليق ، وأصبح
لوكليز ، وكأنا بقدره ساحر ، عقيدا وحاكما معاً ، فاحتل ببساطة
قصر الحكومة ، وفي اليوم التالي ذهب بالفطار ، لواكه مريت من
حامية «دوالا» ، وبلغ «ياورده» ، حيث تقم السلطات ، وتم فيها
«انتقال» الصلاحيات من غير إراقة دماء .

وكذلك سار الأمر على احسنه في برارافل ، ففي الساعة المحددة
من ٢٨ آب ، ذهب لمقدم دبلاج الى قصر الحكومة ، على رأس هوجه ،
ودع الحاكم العام هوسون الى النخطي عن منصبه ، فتعلى هذا بلا
مقاومة ، وإن أعلن انحناحه . وقلت الحامية الحوادث بفرح ، هي
ومن معها من المواطنين ، والمستوطنين ، والسكان الأصليين الذين كانوا
في عيبتهم الكبرى قد أعدوا من قبل ، على يد الطبيب الصم سيبه ،
ونظروا سوك ، وعقب المدفعية «سير» ، وعقب الطيران كاريته . ولولى
الخمرال لارمب باسمي في الحال ، وقد احتاز هر الكونمو ، صلاحيات
المعوض السامي في امريشيا الاستوائية الفرنسية مع السلطات البلدية

والمسكينة . ورجعت الساخرة التي أفلتت الى ليوبولدفيل ، وعلى ظهرها
الجنرال هوستون .

وأما الاراضي ، فان حاكم سان حار وقف ينتظر من يدور
في برافيل ، ولم يكذب بطلع على حوادثها ، حتى ابرق مؤيداً ،
غير ان أمر الجنود ونصفاً من العناصر العسكرية حاصرت في
شكائتها وهددت بإطلاق النار على المدينة . ولكن لارمينا ذهب توتاً
الى ناسي بالطائرة وأرجع هؤلاء الصالين ذوي البية الطيبة الى حظيرة
الراحب بيدن ممرأ من الصراط أفردوا على حدة ، وأوجهوا حسب
علمهم الى افريقيا العربية .

وهكذا ، ألحق معظم افريقيا الاستوائية - كامبيرون بفرنسا الحرة ،
من غير ان تراق قطرة دم واحدة ، وبقي العابون وحده منفصلاً عن
المجموع . ومع ذلك ، لم تكلف تلك المستعمرة الا قليلاً من العناء ،
لنصم ايضاً بدورها . ففي ٢٩ آب احضر لارمينا حاكم « ليوبيل »
ماسون بنعيم السلطة ، فأارق هذا التي مملاً تأييده ، كما أعلن في
الوقت نفسه على الملأ ، التحاق اسطفا ، وأعلم قائد القوات بذلك

ولكن سلطات فيشي في دكار ، ودت سرعة ، فإن أمر البحرية
في ليوبيل ، وكان لديه طائرة ، وغواصة ، وعدة سفن صغيرة ، عمد
الى معارضة الحاكم بإبصار من فيشي ، وأعلن عن قدوم اسطول حربي .
وحينذاك ، غير السيد ماسون موقفه وصرح أن انضمام العابون لفرنسا
الحرة كان نتيجة سوء تفاهم . وكانت هناك « جوماء » تابعة للبحرية ، تروح
ونجى . بين ليوبيل ودكار ، تنقل الى افريقيا العربية من الاعيان اولئك
الذين « قورطوا » ، وعود الى العابون بالاشخاص الموالين لفيشي .
وانقلب الموقف . اصبح للعدو جيب يصعب علينا التخلص منه ، لأنه مستع
على البحر ، وهكذا يصر بمجموع الأراضي الاستوائية التي اشى فيها ،

وقد اوفدت فيشي الى ليرويل ، كي تفيد منه ، حفرال السلاح الحوي
تتو Teta طلب حاكم افريق الاسواتية ، ومهمته تركيز سلطته في كل
مكان مهم . وقلت في الوقت نفسه عدة قذوفات قنابل من طور
عدي مدرتان وحطت على موقع الطيران ، واطرها الحفرال تينو على
انها طلعة لما يتوها عما قريب .

لا ان النتيجة مع ذلك ، كنت بوجه عام ، مؤنية لناس . وقد
استخلصت من الامر ان الجزء الثاني من خطة صم افريق السوداء يمكن
ان يكون بدوره موفقاً

الحقيقة ان هذا الطور اخيد بدا به اشق بكثير ، والسلطة القائمة
في افريقيا الغربية كانت تحدد نفسها متمركزة بقوة ، مصاهاً الى اب مرتبطة
ارنداصاً وثيقاً ، من جهة اخرى ، بافريقيا الشمالية والوسائل العسكرية
بها ظلت كبيرة . وكان موقع دكار مسلحاً قسلياً جيداً ، محمراً
بمئات والمدريات حديثة ، مدعوماً بعدة أسراب طير ن ، يستخدم قاعدة
لاطول ، ولغوصات على الاخضر ، وكذلك كان للدرعة ، ريشير ، التي
لم يكن اركان محاربتها يحفون الا بالنار مدعطينها السمات لاسكيزية ،
فهر يشكل مجموعة دعوية ومهومية بحية . وكان الحاكم العام بواسون
خبراً ، رجلاً مهماً طموحه اكبر من حدقه ، وقد اختار ان يلعب دوره
لحساب فيشي وقصيتها . واعطى الدليل على ذلك عند وصل الى دكار ،
في منتصف شهر تموز ، مرج ، لومور ، لمدفط الرئيس لفولت العلي في السجن ،
وهذا كان قد أعلن انصار تلك الارض لمرسا الحرة .

لم يكن في امسكي ادن ، وسائلها الرأفة ، ان افكر في الاقترب
مباشرة من دكار . وكنت اعتقد ، في جانب آخر ، ان من الجوهرى
تحب اشتراك واسع وليس ذلك - والأسعاه ! - لاني كنت واهماً اب
في الامكان التوصل الى تحرير البلاد ، من غير ادنى إراقة للدم بين

الفرنسيين . ولكن معركة كبرى ، تكون نحن البادئين بها ، في مثل ذلك الطرف ، وعلى تلك الأرض ، تقاتل تقاتلاً خطيراً من حرص توفيق ، أية كانت النتيجة التي تقضي إليها . ولا يُتاح فهم المجري الذي كانت تجري فيه قصة دكار ما لم يُعرف انما هو هذا الافتتاح الذي كان يسيطر على ذهني آنذاك .

كانت خطتي الأصلية ادن استبعاد المعلوم المباشر . والمراد ان مدول وثلاً من الأشداء الخاضعين يتقدم نحو الهدف ، ويتعالف مع العناصر التي يلتقيها كلما تقدم ، ويصمم الأراضي التي يبحارها . وهكذا امكن الامل ان تقترب قوات فرنسا الحرة من دكار براً ، وهي تردد ، اذ تقف ، قوة وعدداً . وكانت كوناكري هي الموقع الذي واجهت إزال الحنود فيه ، ومنها يصبح في الامكان الرجف على عاصمة اوروبا المربية ، باستخدام سكة الحديد ، وطريق متصة . ولكن كان من الضروري ، لمنع اسطول دكار من القضاء على الخطة ، ان تكون هذه نقطة من جهة البحر . وكان عليّ ان اطلب من الاسطول الاسكليزي ان يقوم بتلك النمطية .

وفالحت السيد تشرشل بهذا المشروع في الانام الاخيرة من ثور ، فلم يجب في الحال بالايجاب ولكنه بعد فترة قصيرة ، دعاني لمقابلته . وفي ١٦ آب وحدته كمادة في تلك المعرفة الصغيرة من دارينغ ساريت التي 'تستخدم' وكان ذلك تقليداً سارياً ، مكتباً للوزير الاول وقاعدة اجتماع الحكومة جلالة ، في آن واحد ثم سط على الطاولة الكبرى التي تملأ القاعة غرناط اخذ امامها روح ويحيي متحدثاً بحماسة .

قال لي : « علينا ان نؤمّن معاً دكار الى جانبنا . ان ذلك امر رئيسي بالسة اليكم ، لأنه اذا وقعت هذه العملية ، نجد لدينا وسائل فرنسية كبرى نفيد منها في الحرب . وذلك مهم جداً بالسة اليك ، لان امكان استخدام دكار كقاعدة ييسر لنا كثيراً من الامور في

معركة الأطلسي القاسية ويمكنني القول أيضاً أنها ، بعد معركة مع
الامبرالية ورؤساء لاركان ، على استعداد للمساهمة في الحملة وإثبات لوجه
أن فكرتس لها اسطولاً عظيماً . ولكننا لا نستطيع أن نترك هذا الاسطول
مدة طويلة على سواحل افريقيا . وضرورة استعادته أت تحتج اليه
للاسهام في تغطية اكلترا ، والمشاركة كذلك في عملياتنا في المتوسط ،
بما يقتضيها أن نقوم بالاشياء على وجه السرعة القصوى . وذلك هو السبب
الذي يحملنا على رفض خططك في لارال ككوناكوي والتقدم البطيء
عبر البراري والغابات ، لأن هذا يرغبنا على الاحتفاظ ، عدة اشهر ،
بسفننا في تلك الشطآن . لذي شيء آخر اقترحه عليك .

واخذ السيد تشرشل ، عند ذلك برسم الدوحة الآتية ، وهو يلفت
بلاغته بالنبذات التي تحمل مختلف التصاور وأكثرها تنوعاً وتستيقظ
دكار ذات صباح ، وهي حربية ، غير واثقة من نفسها ذلك بأن الشمس
طلعت ، واداً بالأهالي يحدون البحر من بعيد بجمع الناس ، به اسطول
ضخم ! مائة سفينة حرب او شحن ! وتقدم هذه بطء وهي تخطب
بالراديو المدينة ، والبحرية ، والحامية ، موحية اليها جميعها رسالات الصداقة
والبحض من الناس يرفع العلم المثلث الألوان والبحض يسبح تحت لآلوان
البريطانية ، والهولندية ، والنرويجية ، والبلجيكية . ثم يسهل عن هذا
الاسطول الخليف مركب صغير مدام يرفع راية العلميين البيضاء ، ثم
يدخل المرفأ ويتزل موفدي الجنرال ديمول . هؤلاء يقادرون الى الحاكم .
والمراد إقحام هذا الرجل ان الاسطول الخليف ينسحب اد هو ترك لكم
ان تنزلوا ، ولا يبقى إلا ان ترتسوا فسيما بينكم ، ثم وهو ، شروط
تعاون . واداً اراد القتال ، أي عكس ما يُعرض عليه ، عنه يتمرض
لهزيمة عاجلة .

وراج السيد تشرشل ، وهو يتدقق عن افتتاح ، يومه ويشير ويصف

مشاهد الحياة المقيمة كما كانت تتجسس ، كلها ابيجست ، من هواه وخياله :
 « وفي اثناء هذه المصادفة بين الحاكم وممثلكم ، تخلق يده طائرات
 فرنسية حرة وبريطانية فوق المدينة وتلقي نشرات ود وصداقة ! ويناقش
 المدنيون والعسكريون بحماسة فيما بينهم الفوائد التي تعود عليهم بتدبير
 الامور معكم ، والاضرار التي يمكن ان تنشأ عن ذلك التدبير ، ومقابل
 ذلك تنسب ممرات كبرى ضد أولئك الذين هم ، بعد كل حساب ، حلفاء
 فرنسا ، وسكون في عداد المنافقين عملاؤكم الذين يقومون بمهامهم
 وبشر الحاكم ، اذا قاوم ، اب الارض تنخطف من تحت قدميه .
 ويصدقون انه سيتابع المفاوضات الى نهايتها المرضية . ولربما اراد ، خلال
 ذلك ، ان يطلق ، « حفاظا للشرف » يضع طلفات مدفع ، ولا أبعد من
 ذلك وفي المساء ، يتساول عشائه معكم وهو يشرب نخب النصر
 النهائي » .

واخذت احمر فكرة المسفر تشرشل من كل ما اضافت اليه بلاغته
 من زخارف خيالية ، فادركت ، بعد التفكير ، انها تستند الى معطيات
 وطيدة . لما دام الاسكندر لا يستطيعون الاستعانة لمدة طويلة ، عن وسائل
 بحرية مهمة في حوار حط الاستواء ، لم يبق لأصبح سيد دكار ، لا ان
 اواجه القيام بعملية مباشرة . بيد ان هذه العملية لا بد ان تشمل
 قسراً على مزيج من الانفصاع والتهويل ، ان لم تتخذ حجة معلوم نظامي .
 كنت أعتقد ، من جهة اخرى ، ان من المحتمل ان تحمل الامبرالية
 البريطانية في يوم او آخر ، مع فرنسيين احرار او بدوهم ، على حل
 مسألة دكار حيث تقوم قاعدة أطلنسية كبرى ، وترسو المدرعة « ريشليو » ،
 وكلتاها يحركان شواطئها وقلعها في آن واحد .

واستخلصت ان العملية يمكن ان تتخذ شكل تحالف ، او نحن
 شركاء ، وان أكرهت عليها فرنسا الحرة . واذا نحن قطع المكس ،

وامتنعنا عن المشاركة ، فان الانكليز لا بد ان يقوموا بها ، عاجلاً او آجلاً ، لحسابهم الخاص . وفي هذه الحالة ، يقاوم الموقع بضراوة مستخدماً مدافع الحصون ومدفعية « ريشليو » ، بينما قاذفات القنابل عليين - مارتل ، والمطاردات كورقيس ، والمواصلات - وهذه جد خطيرة على السفن التي لم تكن تحمل آتذاك ادنى وسيلة من وسائل الكشف - تصع كل اسطول نقل تحت رحمتها . وحين تضطر دكار نفسها اخيراً ، وقد سقطتها القنابل ، الى التسليم للبريطانيين بخراشها و«عظامها» ، فان ثمة ما يحشون ان تدفع فرنسا ثمن العملية من سيادتها هناك .

وعدت الى المتر تشرشل بعد فترة قصيرة ، لأخبره اني قبلت اقتراحه . وفقت بوضع خطة العمل مع الاميرال جون كسفهام الذي سيكون آمر الاسطول البريطاني ، وقد لقيت فيه خلال سير هذه القصبة المؤلفة رفيقاً معاصراً بمصر (الاحيان) ، ولكي بحاراً فائلاً ورجلاً عاماً . وكنت في الوقت نفسه أقوم بإعداد الوسائل - المصيبة جداً - التي كان في امكان نحن الفرنسيين ان نخوض بها تنفيذ الخطة ، وكانت ثلاث سفن متكثف : « سافوريان - دي - برار » و « كومنيدون - دوبوك » و « مكرمندان دوميه » وقاربتي صيد مسلحتين : « فابان » و « فيكنغ » . ثم كانت أيضاً فوج فيلق على ظهر سفيتي بريد هولنديتين : « بيلاند » و « دولرلاند » ، اذ لم يكن ثدياً من بريد فرسية ، وسرية من الحمود اجدد ، وسرية من حلة السائق البحارين ، وهيئة سرية دماءات ، وهيئة بطارية مدفعية ، ورواة لكل مصلحة من مصالح الجيش - والمجموع زهاء أئمة رجل ، وكانت أيضاً طياري سربين ، واحيراً اربع سفن للشحن فرنسية : « اندير » و « كاراماس » و « فور - لامي » و « بيغاد » ، تحمل المتاد الثقيل - دماءات ، ومدافع ، وطائرات « ليراند » ، و « هوريكان » و « بلسهايم » في حناديق ، وعربات نقل من مختلف الانواع ، وكذلك مواد التموين .

أما البريطانيون فلم يكن أسطولهم ليشتمل على السفن التي تحدث عنها المستر تشرشل أول الأمر ، إذ كان يتألف أخيراً من مدرعتين من طراز عتيق : « برهام » و « ريزوليوش » واربعة سفن استكشاف ، وحاملة للطائرات « أرك روبال » ويضع مدرعات وناقلة بقول ؛ وكان هذا ذلك يحتوي على ثلاث سفن نقل 'تقل' فوجين من مشاة البحرية يقودها آمر اللواء إروين ، وتقيب في مختلف الشؤون ، ومعها وسائل السرب إلى البحر . ولم يبق ثمة من حديث بعد ، عن لواء بولوني كان قد أعلن من قبل أنه سيشارك في المعركة . وبدأ ان رؤساء الأركان العامة كانوا أقل اقتناعاً من الوزير الأول ، أو من عرس السحاح في هذه المعركة ، فأهملوا القواعد في الوسائل التي كانت في الأصل مهيأة .

وقبيل الانطلاق بضعة أيام ، أثار الانكليز نقاشاً حاداً حول المصير الذي قد أفرره في حالة النجاح ، لكبة كبيرة من الذهب كانت في باماكو ، وهي كبة من ذلك المعدن الثمين أودعها مصرف فرنسا لحسابه ، وحساب مصرفي الدولة البلجيكية والدولة البولونية . وكان حزمه من ودائع مصرف فرنسا ومدخراته قد نقل ، في الحقيقة ، إلى السفاح أثناء الغزو الألماني ، بينما أودع الحزم الآخر في « القدرال بيلك » الأميركي ، واتي الارصدة تحول إلى المارتينيك . وكان ذهب باماكو موضع تحريات دقيقة تقوم بها مصالح الاستخبارات لدى مختلف الفرقاء المتحاربين ، من خلال الحصار ، والحدود ، ومراكز الحراسة .

كان البلجيكي والبولوني يرغبون رغبة حدّة مترددة ان تترك لهم حصصهم ، وقد قدّمت السيد صبالكا للسيد راليسكي ، التأكيدات المناسبة . ولكن البريطانيين الذين لم يكونوا ليطلقوا ، قطعاً ، بأي حق في ملكية ، على المجموع ، وإنما كانوا يبتغون مع ذلك ، ان يتصرفوا بهذا الذهب كوسيلة يظنون بها مباشرة ما يشترونه من اميركا ، راعين

انهم انما يشعرون به في مصدحه التعالف وكانت اتصالات لخدمه ك
تسبح ، في الواقع ، شيئاً لأحد ، خلال تلك الفترة ، ما لم يدع بقداً
وعلى لرعم من إلحاح سيرر ، وحق من السيد عدي وفتح و به في
تحسني لاسكثير عن تحله ، لمعق عليها ، فقد رفضت ذلك الادعاء ، وحجراً
ثم التعام ، على نحو ما افترحت عند البداية ، ان الذهب المرسي في
بماكو يستخدم وحده رهناً لقاء حصه اسكيترا من مخزونات التي تشتري
اميركا لحساب فرنسا المحاربة

وقس ب سحر ، جاء سبأ انصام تشد ، والكامبرون ، ونكوسو ،
والاواممي ، في الوقت للأنم ، بعض آمالها فنحن حق ان لم يوشق
الى وضع يدها على دكار ، فقد اصبح في حساب ، بفعل السحدر التي
يمكنها شمه دها ، امكايه امشاء قاعدة للعمل والسيادة لفرنسا المحاربة في
وسط افريقيا .

وانطلقت الحملة من ليبربول في ٣٠ آب (اغسطس) . وكنت انما
بنفسي مع قسم من الوحدات العربية وهيئة ركان حريب مصره ، على
ظهر « وسترلاند » رهناً العلم الفرنسي ، الى جانب الهولندي . وكان أمر
ذلك المركب الثقيب دلاءي ، ، واصطاط ، والمعاره قد اظهروا جميعاً ،
شان رملاتهم في د سلايد ، اهم أمثلة بقندي بها في التضحية الودية
وكان يرافقي سبور ، وهو الذي أوفده تشرشل بوصفه صابط ارتباط ،
ودبلوماسياً ، ومحرراً . وتركزت قواتنا المشكلة في اسكيترا تحت مرة
موريليه ، وفي ادارة اسطوان بواة لتنظيم ادري ، وفي شخص ديوارن
عصر ارتباط واعلام مباشرين . رعدا هؤلاء ، كان الحول كازرو ، الذي
اتجه من الهدد الصنعة ، مستظراً ان يصل قريباً ، وقد شرحت به في
رسالة تسلّم اليه عند وصوله ، حملة عطشني وبساتني تحاهه وكنت قد
حسبت ، ان احتياطي الحكمة الذي احبره رفساني يحول ، رغم عياسي

على أن لا يطول كثيراً ، دون أن يحدث من البحر والدماس من
الخارج ، فلا يتزعزع سبيل زوابعاً عميقاً ، وهو الذي لا يزل يربح
المعركة ، ومع ذلك ، شعرت وأنا على ظهره ، وسرلاً ، الذي ترك مرفأ
إبان صدوره ، لا يدار بقصوف حوي ، مع هرقتي الصغير كله وسقي الضئيل ،
شعرت وكأن ثقل الواجب يحدني ، ها هي سعيبة فقيرة عريضة ، تجري
في عرض البحر بلا مدافع والأبواب كلها مغطاة ، أثناء الطلام الدامس ،
هوق عذاب ينفع به لأوفى سر - نعمن معاً ، مصير فردا

كانت فريناون محطت الأولى ، وكان علينا ، حسب الخطة المرسومة ،
أن نعيد بها تجمعنا ، ولتلقظ بها أسير المعلومات . ثم لم نصل إليها إلا في
١٧ أيلول (سبتمبر) وسيرنا كان وثيقاً يتبع صرعة سفننا الشاحنة ،
ويقوم بالمصاف كبير ينتخب به طائرات اللما وعوضاتهم ، في عرض
الاضلعي . وفيها عن بعد لأوقيانوس وصفنا معلومات من لند «اللاسكي»
عن قوات فيشي ، وفيها سمع من زانه أن يحلف على إعادة النظر في
حلف كلف ، ففي ١١ أيلول خرجت من طولون ثلاث طرادات كبيرة
وحديثة هي : « جورج لبع » و « غوار » و « مونكالم » ، وثلاث
طرادات أصغر هي : « أوداسيو » و « هاساسك » و « مالان » ، وعبرت
مضيق جبل طارق دون أن يوقفها الأسطول «الكليري» ، ثم قامت من
بعد الدار البيضاء وبلغت دكار . ولكن ما كدنا نلقي مرصينا في
فريناون حتى فوجئنا بأخطير رادنا ملقة على ملقة ، وذلك أن لأسطول
في دكار الذي أصبح أكثر قوة بالطرادة « بريوجيه » و « نجر » ونحوه بسرعة
نحو الجنوب . وقد حادرت عذمة بريطانية من بعيد انفصلت للمرافقة ،
أن تحنك به .

لم استطع أن أشك في أن هذه القوة البحرية الكبرى ، في تتسلل نحو
أفريقيا الاستوائية ، حيث كان مرفأ ليرفيل مفتوحاً أمامها ، ويصح من

السير على ن تحتولي على د ثوبت توار ، ودرالا ؛ وقد لم تكف عن
هذه الصعبة الصاعقة لملم الموقف في الكونكو وانكسروا ، في هذه
السن الحارة تمتطع بسهولة تمطية نقل وارل القوات شرادعه بعدمة
من دكار وكوذاكري او ابيدجان . وقد تحققت صحة هذه المروية في
الحل تقريبا حين اوقف الاسكندر سببه الشخص وسواتيه ، وكانت قاعدة
من دكار ، منسلة نحو ليرول ، وعدد رماها الى خرقة مفية عرق .
كان واضحاً ان فيشي شرعت في عملية واسعة ترمي بها الى التمركر
في الارضي التي انصمت الى عربا الحرة ، وان إرسال سبع طرادات
الى خط الاستواء شيء لا يمكن تصور وقوعه من غير تراش تام مع
الامان ، ان لم يكن قد حدث بأمر منهم وقد وافق الاميرال كنفهام
على ان الواجب بقصي في الحال ، وقف اسطول فيشي .

وكما على وفاق في الرأي ان الدحلاء سينلقون لايمسار ان يولو
وحومهم شطر الدار البيضاء لا دكار ، وذلك كيد " قادام يعملو ذلك " ،
شرع الاسطول الاسكندري في القتال . وقد فكرنا جيداً من جهة اخرى ،
ان التهديد يكفي لجر هذه السفن الصالة نحو الشاطئ ، لانه اذا كانت
سرعة السفن البريطانية أقل من سرعة تلك ، وذلك واضح ، فلن يكون
في استطاع البريطانية ان تعترض سف فيشي وقوة تلك وهي ضعف
قوة هذه ، تؤمن لها الأفضلية ، في اللحظة التي تضطر بها هذه الى الالتجاء
لاي مرفأ استوائي لا تحمي أية بطارية . ولا بد حينذاك للمعتدي ان
يلقي سلاحه ويسلم و ان يقاتل وسط ظروف سيئة . وكانت هناك
احتمالات ضئيلة ان يرح رئيس الحملة بنفسه في مثل هذا المارق

والذي حدث ان الطرادات الاسكندرية التي شرعت في الانسحاب
بالاميرال د بوراغيه ، قائد الاسطول العاصف ، تكثرت من حمل هذا بسهولة ،
عن الانعطاف نحو الشاطئ حين علم رئيسه ، لندسته التامة ، بوجود

اسطول فريكو - انكليزي في الحوزة . ولكن صفن فيشي استطاعت ان تلتحق سائلة حذمة ، يدكار ، متحدة كل تعقب . غير ان الطرادتين « غرار » و « ريوجيه » وحدهما ، احدهما السر لعطل احاد ادواتها ؛ وكان فقيص البارحة تيسوي دارجيليو ادي البحر على ظهر المدرعة « اسرفيد » وتصل بها مباشرة من يمين ليهوم دمه وجهه « فادعنا لثسروم وبلغنا الدار ليه » بعد ان رفضنا ما عرضت عليه ان تستصلحها في فرناون .

وهكذا نحت افرقيا الفرنسية الحرة من خطر حد جسيم وكان هذا الحادث وحده يدر حادثة مرة الحملة التي اغدورها ثم ان تصرف لاسطول القادم من طولون ، في حادب آخر ، المبحر نحو حط الاستواء كما لو ان لم يكن فيه ، وتحليه عن مهته في اللحظة التي أدرك بها لنا نحن انفسا مثبتون فيه وعودنا ، يحمل على التفكير ان فيشي لم تكن متشنة من قصدي الخاص ولكن كان عليه ، بعد ان هأنا انفسا على احباط خطة اعدائنا هكذا ، ان يفر على ان حطنا كانت في حرج شديد . والواقع ان مخطات دكار احدث بالحيلة والحذر منذ ذلك الزمن وتلقت نجدة من السمر المهمة وعلمنا في الحال تقريبا ، عن طريق موظفينا في الاستخبارات ان رجالا من مدفعية البحرية حلتوا محل مدفيسي المستعمرات الذين سرى الشك في ولائهم ، لتوفروا على خدمة الطاريت في حصة البحر لقد تراءت ، بقول مختصر ، عرض احتلالنا دكار ، بعد اليوم ، اقل بكثير مما كانت عليه .

وفي لندن ، قدر المستر تشرشل والأميرالية ان من الأفضل في هذه الظروف ان لا يُسرع في شيء . وقد أيقنا لنا منذ ١٦ ايلول بذلك ، واقترحنا ان يؤمى الاسطول مواكبة سفننا فحسب ، حتى دوالا ومن ثمة ينتقل لمكان آخر . لا ندسة عن القول ان هذا للتخلي بدا لي انه

سواءً حاولوا التوقيع على الاتفاقية أو لا ، على حدٍ في كاز ،
 يبقى عدم هيتشي التمسك بكرة على هريفند لأسسه أنه ، إلا أن تنظر فعول
 له من التكتيرية نحو الشغل ، د يصحح البحر مامها مفتوحاً ، وتتوغل
 طرقات أو أنه من حدود نحو خط الاستواء ، وهكذا يصحح بحارو
 صلب اللورين من فيهم ، أنه لن ديمول ، محسورين عرجلاً و آحلاً في
 تلك الارضي الدنية ، وحينذاك ، تنصهم ، حتى وأن لم يروحوا ، معركه
 عقيمة ، بحوسوبها ضد فرنسيين آخرين ، في البراري النحاسية والغابات ،
 وليس لهم في هذه الاحوال ، أي محل لمحاربة الأسي ولا الإبطلي .
 وقد شككت عظمى من هذه ، كانت بيست العدو لي تشتت ، ضيقه
 الحائل وراء اشباح هيتشي ، وهؤلاء ادوات عملهم هي وعي أو غير وعي .
 وتراهي بي ان من واحد في الطرف الذي وصلت اليه أسسك ، ن
 نحاول دخول دكار ، رغم كل شيء .

وعلى أن قر بعد كل شيء ، أن المحادثات التي يلدها في امريشيا
 امميتي بأمر أصم ، ورستغته الأخبار الطبية التي كانت تترى عليه من
 جهة أخرى ، من بعدت من لندن ، وفي ٢ يلول التحدث بمرتب
 الحرة ، مؤسسات وفيديسيا الفرنسية ، في ظل الحكومة المؤقتة التي
 قولها الدد ، أمن ، ولا عارد ، ومارفا ، وفي ٩ ايلول أعلن الحاكم
 بولمان ان مؤسسات عهد الفرنسية معازت الى جانبي . وفي ١٩ ايلول ،
 توحيث في الجمعية العمومية للمحاربين القدماء في سان - بيير وميكيلون ،
 بدعيارها الرسمي ، واعتف ذلك ان عهت الحكومة الانكليزية للحكومة
 كذا ، ن تزيد حركتهم ، وفي ٢٠ يلول بلغ الحاكم « سوتو » ، بناء على
 أمر مني ، « ميا » بعد أن كان قد ضم اليه نفسه « هيريد الجديدة » في
 ١٨ تموز ، في يوم سقطت دعه ديمول ، التي يرئسها ميشال عيرج ،
 على الموقف من هذه الأهالي « ميا » ، بما اتاح لسوتو ان يتولى الحكم .
 واحيداً تكنت من حمل « سطون » بدواعيه على تحويل وحته لدى أول

وسوفليه بعثة إحياء وعفت بسرعة ، في الواقع ، ان الطائرتين حطتا
من غير صعوبة ، وان الإشارة ومحاح ! ، اشترت فوق ذلك الميدان !

ومحاة أحدث طلقات المدفع المصادرة للطائرت تسمع في نقاط
مختلفة . وراحت مدافع « ريشليو » ومدافع أخرى من الساحة تقاوم
الطائرات الفرنسية الحرة والاكاديمية التي شرعت في التحطيق فوق المدينة
وإلقاء نشرات الصدقة . وأبنا كان الجانب المحرن من تلك الطلقات
المدفعية ، فقد بداي ، مع ذلك ، انها قنطوي على شيء من الزرد ،
وأصدرت كذلك الأمر لي السعيد اللين نقل الدلائل ان تدخل
المرفأ ، بينما مع الاشتكاف الفرنسية الحرة ، ومثلها « وسترلاند »
و « بيلاند » أحدث تقرب ، في الصاب ، حتى مدخل الميناء .

لم يكن ثمة أي رد فعل لأول وهلة . على ريان النارجة دارجليو ،
ورئيس الموج غوتشو ، والرائدان بيكور - فوش وبشرن ، والمسلارم
الثاني بورغيس ، ربحوا مراكزهم وقرلوا الى رصيف المرفأ ، وحطوا
قائده . وقدم هذا نفسه ، فتقدم منه دارجليو وقبل له انه يحمل
رسالة من المحرل ديمول الى الحاكم العام ، وان عيبه ان يسلمها لصاحبها
تسلم اليد . ولكن القائد صرح بصندوقين ، دون أن يحصي اضطرابه ،
إن لديه الأمر شوقيهم . واظهر في الوقت نفسه النية بالقيادة على المحرمن .
ذلك ناه شهيد المعولن يعودون الى قواربهم ، وفيما أحدث هذه تنعد ،
أعلنت عليها نار المدفع الرشاشة . وسرح دارجليو وديران حراحا
خطرة ، ونفلا الى ظهر « وسترلاند » .

وعند ذلك ، بدأت بطارات دكار في قوحبه بيران متقطعة على السفن
الأكاديمية والفرنسية الحرة ، طوال عدة ساعات دون رد . وحولت
« ريشليو » عن مكانها في الميناء لتتمكن من استمبال مدافعها على نحو
افضل ، وبدأت تطلق بدورها . وحوالي الساعة الحادية عشرة كانت

الطراد ، كمرلاند ، قد أصيب إصابة خطيرة ، فوجه الاميرال كسهم
 بالراديو من موقعه ، هذه الرسالة : « انا لا اطلق عليكم ، فلم تطفون
 عليّ ؟ » وكان الجواب : « اسحب على بعد ٢٠ ميلاً ، ورد الاسكندر
 دورم ، حيداه ، في أن اطلقوا مصع طلقات من المدافع الحربية
 وكان لوقت ير ، في تلك الاثناء ، دون ان يلحظ ، من هذا الحاب
 ولا من ذلك ، حانة حقيقة لقتل ، هما من طائرة اعشي حلت في
 الجو حتى منتصف ذلك النهار .

م استنج من مجموع هذه الأمارات ان الموقع كان عارماً على مقدمة
 صارية ، أيحتمل أن تكون البحرية ، والحمامية ، والحكومة ، تنتظر
 جميعها حادثاً ما يمكن أن تستخدمه درنة الى احراء مصالحة ؟ كان أن
 وجهه الي الاميرال كسهم ، حوالي الظهر ، برقية بشر فيها ، إلى أن
 ذلك هو شعوره الخاص أيضاً ، ولا ريب انه لم يكن في المستطاع إقحام
 الاسطول على المرفأ ولكن ألا يمكن ارل الرئيسيين الاحرار في نقطة
 قريبة من الموقع يحاولون بعدها أن يفتروا من الباسة ؟ كان عد الحس
 قد رُوّجه مسقاً وهذا مبدء روجيك الصغير القائم خارج منطقة العمل
 الحربي ومعظم المشآت العسكرية ، ملاناً لعملية الانزال شرط ن لا
 تلافى هذه ، مع ذلك ، مقاومة صدمة حارمة . ولواقع ، انه ،
 امكن سميا الاستكشافية ان تحدي روجيك ، فان سم اسفل لذب
 لا تستطيع ذلك نظراً لصحاة الماء . يجب ادن ن يبرل اخود
 بزوارق ، وهذا ما يحرمهم من اسلحتهم الثقيلة ويتطلب هدوءاً تاماً .
 ولذا تلقيت في هذه الاثناء من كسهم التأكيد انه يعطيساً من سائب
 البحر ، ادوت كل شيء معو روجيك .

وحوالي الساعة ١٥ ، وصلنا وشرعنا في العمل والصب بحيم دواء .
 ودخلت الطراة ، كومند دوبيوك ، المرفأ وكان على ظهرها فصيلة

من لرمدة ، وأرسلت نحو اليابسة مصمة بمحارين في رورق للقيام بعملية
الربط . وهرعت على الشاطئ ، جمهرة من السكان لاصليين لاستقبال
الدورية ، وإذا بمحمود فيشي المرائطين في الجوار ، يحتدون المسار على
مفبتنا لاستكشافية ، ويفتلون عدداً من الأشخاص ويخرجون أحري
وكانت قبل لحظات قد خلقت قاذفتان علين - مارت على ارتفاع
منخفض فوق قواتنا الصلبة كما لو أرادتا ان تبتس لها انها تضم تحت
رحمتها . وهذا ما كان واقعاً فعلاً . وأبرق الاميرال كسهم اخيراً ان
الطرادتين « جورج لبع » و « موكالم » خرجتا من مرفأ دكار ، واهما
في الصاب على بعد ميل منا ، وان السفن الانكليزية مشغولة في جهات
اخرى ، لا تستطيع ان تعطينا منها . الأكيد ان قصبة الحملة حاسرة !
فليس الارال وحده لم يكن بمكناً ، وانما يكمن ان تطلق طرادتا فيشي
بصع خلقت من مدافهما ، لتصبح الحملة الفرنسية الحرة كلها في القاع ،
فقررت ان عود الى عرض البحر ، وهذا ثم دون أي حادث جديد .

قصيا للبل في وقت ما يحدث وفي الصباح التالي ، وكاب
لاسطول الانكليزي قد تلقى برفقة من السيد تشرشل بدعوه الى دفع
الحملة قدماً ونهائية ، وحته اذاراً الى سلطات « دكار » ، فكان جواب
هذه « ام . بي . تيم الموقع . وحيداً ، مرة الشهر كله ، والبريطانيون
يتبادلون طلاق لدمعية عملاً ، وسط صاب كان أكثف ما يكون ،
مع بطاريات الر ومن المرفأ . ولدى الاصل ، ظهر حلياً ان اية نتيجة
حاسمة لا يمكن ان تحصل .

وحين حارب السلام ، اقتربت « برهام » من « وسترلاند » ورحابي
لاميرال كسهم ان ادعت لمقاتلته ومناقشته . وقف كالب الحو على
ظهر مدرعة الانكليزية حريماً متوتراً شبحه الانخدق . ولكن الدهشة
كانت هي شعور السائد . والبريطانيون وهم قوم عميون ، لم يتوصلوا

ان فهم هذه القضية وهي كيف ان السلطات في دكار ، والحرية ، والحدود
يسألون مثل هذه المطالبة في مقابلة مواطنيهم وحكامهم ، بينما تعرف فرنسا
تحت حرمة العرافة ، ولماذا يفعلون ذلك . ما انا ، فان ذلك لم يعد بعد
ليدهشي ، إذ كشف لي ما جرى ، مرة واحدة ولي ، الأبد ، ان حكام
عشي لن يتورعوا ابدآ عن ان يسيثوا استعمار الشجاعة والانتظام لدى
أولئك الذين يحصون السلطات ، ضد مصالح فرنسا

وقد عرّض لاميرال كسهم الوصح كما رآه : « نظراً الى موقف الموقع ، « لاسطول الذي يسانده ، « لا اعتقد ان القصف يمكن ان يؤدي الى حل ، « وأوصاف الخربى إروى أمر وحدات الانزال ، « كان مستعداً لوصح حدوده في العر لمهاجمة المنشآت ، ولكن كان من الواجب ان يُبهر ن ذلك يعني عارضة كبرى بكل سعية وكل حسيدي ، « وكلامه سألني ما تقول اليه « حركة « فوسا الحرة ، « فبها اذا وضع حد للحملة .

فستدبرهم بوجه حتى الآن ، هجوماً مركباً على دكار ،
ومحاولة دخول الموقع بصورة ودية اخفقت والقصف لم يقرر شيئاً .
ثم نال الدور بقوة عميقة ومهاجمة المنشآت ، يجرى الى معركة بطارية
أرغب من جهتي ، في تجسها ، وأنتم اشرتم بأنفسكم ان هاجتها مربة .
عليه ادن ، في الآن ، ان نتخلى عن الاستيلاء على دكار . وأقترح على
الامير ان يعلق وقف اطلاق القصف تلبية لطلب الجنرال
ديبول . ولكن الحصار يجب ان يستمر كي لا نترك للفرن الرامية
قرب دكار حرية العمل . ثم يكون لنا بعد ذلك ، ان نقوم بإعداد
محاولة جديدة ، في ان نرحل على الموقع من الر ، بعد إرزال في نقاط
غير محبة ، او صعبة الحماية ، كسان - لويس مثلاً . وأية كانت الحال ،
ومما حدث ، فان فرنسا الحرة ستستمر .

وأثارت في لندن عاصفة من الغضب على " وفي واشنطن اتصالاً من
انتهم الصحافة الأميركية ، وكثير من الحرائد لاركيه : راسب في
الحال تمرو للحرسول ديمول اخفاق المحاولة وراحت ..
" انه هو الذي اجتمع هذه المعامرة الرعب ، وخدع الامم بطور مرميات
حيالية ، عن الوضع في دكار . وألج بدويكشوقيته ، ساجده المذيق ،
في الوقت لدي ارسل به دارلان نحران جعلت كل نجاح مستحيل ..
ثم ان طرقات " طولون " لم تقدم الا نتيجة إفشاء لا راس عن
الفرنسيين الاحرار الذين كانوا قد اخطروا قسبي .. لصعد وصح مرقة
واحدة ، والى الأبد ، ان لا يصح الاعتماد على امر لا يمكنه
يحفظوا سرّاً . وبعد قليل ، عومل انثر نشرشل بعد ذلك بوقت لا
مدارة من الصحافة ، إذ قيل عنه انه ترك بعض تفاد حفته وسعي
سير ، بسعة كاخة ، وأظلمني عن رفيعات استقلال ، لذلك من
مراسليه ، وهي فتوح ، س من انتمس ان يتاحي به من كي دانه
وهو الياس الذي خذله نصاره ، وأسقط من حماره (تكاييل) وب
الحكومة البريطانية متأخذ على عائنها مع " كارو " و " برلين " ،
لتجديد الأخوان الفرنسيين ، على مستوى أكثر راضياً

« انه هو الذي احترق هذه المعامرة الرعباء ، وخدع المخططون به ومات
خيالية ، عن الوضع في دكار . وألح بدوكشوثيته ، ساجد المذبح ،
في الوقت الذي ارسل به دارلان لمحات جعلت كل لمحج مستعدا ..
ثم ان طرادات « طولون » لم تقدم الا قليلا فاشبه لاهر من عن
الفرنسيين الاحرار الذين كانوا قد اخطروا فشي .. لصعد وصبح مروة
واحدة ، والى الأبد ، انه لا يصح الاعتماد على امر لا يمكنه ان
يحفظوا سرا .. وبعد قليل ، عومل انثر تشرشل به من بعده ، ولا
مدارة من الصحافة ، إذ قيل عنه انه ترك معه تفاد عذته وسهوي
سير ، بسعة كالحق ، وأظلمني عن رفيعات استعلاء ، ذلك من
مراسليه ، وهي فتوح ، س من انتمس ان يتحلى به من من كل دانه
وهو الياس الذي خففه انصاره ، وأسقط من حماره (كايو) به
الحكومة البريطانية سناخذ على عاتقها مع « كازو » و « روليه » ،
تجنيد الاعوان الفرنسيين ، على مستوى اكثر راحيا

أما دعاوة فيثري فقد راحت تشد دأطهر يدي "عمرته" من عمر
تقيته ولا تحسب. وكانت بلاعت دكار بوحى بالاعتقاد في "تقديراً"
بجرباً رائماً. وراحت الصمصم تفسر أعداداً لا تُحصى من رقصات
التبسة الموحشة في الحاكم العام بوستون ومحاري دكار الاسد ، وتعلق
عليها في المظفتين وتذيعها على موجات يُغار لها "قرية" ، وأر في
عرفني الصبيقة ، الفاقه في فصر مرهلاً بحمصه الحر الشديد ، دركت في
النهاية ، ما تكون عليه مظاهر الخوف لدى الاعداء الذين مثأرون من
شورهم به في الماضي ، كما لدى الخلفاء الخارجين بمعة عنه لصدمة

ولاح لي مع ذلك ، على نحو جيد سريع ، ان الفرنسيين ، لاجرار
 ظلّوا ، رغم إحماتهم صامدين لا يتزعزعون ، اذ لم احد واحد من
 عناصر حملنا حبيها الذين قمت بربرتهم لحظة ألقيا براسي ، يودّ ان
 يفارقني . بل ان العكس هو الصحيح ، فقد ثبتت اقدامهم جميعاً
 موقف قبشي العدائي . وهكذا رأيت كيف ان طائفة من دكار ،
 حوّمت فوق سفننا للعائفة ، فاستقبلت بظاهرة من الصمير الخائج ،
 ارتفع نحوها من كل صوب ، الأمر الذي ما كان ليحدث قبل صوع مثلاً .
 ووصلت اليّ بعد قليل بوقيات حارة من لارميسا ونوكير قمصي ان
 الولاء الحارم لها وحولها ، لم يمد قط موضع تساؤل . ولم ترد من
 لندن أية علامة تشير لي تراج في المرائم ، رغم السخط الحاد الذي
 قدفق على حنودة . وكان لي من هذه الثقة لدى جميع الذين ارتبطوا
 بي ، عراء كبير ، وحافر قويّ على الاستمرار . كانت أسس فرنسا
 الحرة اذن مكينة ، وطيدة . فليض ! كان علينا ان نتابع ا ومنذ
 عاد سرر الى صغوه واعلم ان ، استشهد بمكتور هوغو . وفي المدة ،
 استولى آييري على المدينة .

يجب القول ان الحكومة ، معها في لندن ، عرفت كيف تتعامل
 المشاعر امرسة وان كانت هذه المشاعر ، هي التي انتعشت حية في تلك
 العاصمة . والسيد تشرشل لم يتذكر لي ، رغم كل ما تشبه من لوم
 وتقرص ، كما اني لم اتذكر له . وفي ٢٨ نول (ستمبر) عرس الحوادث
 في مجلس العموم بموضوعية قديم الى مستوى ما يمكن ان يتنظر منه ،
 وصرّح ن . كل ما جرى ، لم يكن الا ليرد حكومة حلاله ثقة على
 ثقتها بالحزب الديمقراطي . صحيح ان "وربر" لاول كان يعلم جيداً في
 ذلك الظرف ، وان لم يشأ ان يصرّح به ، كيف ان الاسطول الذي
 قدم من طولون استطاع ان يعبر مضيق جبل طارق وهو معه الذي

سرد عبيّ القصة ، حين رجعت الى انكلترا بعد شهرين من الحادث

ذلك ان برقية وحدها من طسعة الى لندن ، وحمل طارق ، صابط
استخبارات فرسي التحق سرّاً بفردا الحرة ، هو الفيب لويرد ،
وأطلع بها السلطات على تحرك سمن فيشي . ولكن تلك البرقية وصلت
في وقت كانت الطائرات الألمانية تقصف ، التوايتهول ، (مقر الحكومة
البريطانية) ، وكل من فيب من الموطمين مختبئ في الملاحىء طوال
ساعات ، مما ادى بالتالي الى بلفة طويلة في عمل الاركان العامة . وجاء
حل رموز البرقية متأخراً لدرجة لم يستطع معها لورد البحار ان يحضر
المطول جبل طارق في الوقت اللازم . وهناك ما هو اسوأ ذلك ان
لمحق البحري امبيني في مدريد احضر هو نفسه ، ككل مداحة (؟) ،
المحق البريطاني ، وهكذا كان الاميرال قائد موقع حمل طارق ، قد
احضر من مصدرين مختلفين ، ولم يُتخذ اي تدبير لوقف السفن الخطرة .

ومع ذلك ، فان الموقف العلمي الصريح الذي وقفه الوزير الاول من
« الديموتيب » اعان كثيراً على اتخاذ الجياح في البرلمان والصحف .
وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد تركت قضية دكلر في قلوب البريطانيين
جرحاً لا يتبدل ابداً ، وتركت في اذهان الاميركان هذه الفكرة ، وهي
انه اذا كان عليهم يوماً ما ان يبرلوا جنوداً في اراض تسيطر عليها
فيشي ، فان عليهم يقتضيم ان يكون دون فرسيين احرار ،
ودون انكليزاً

وكان حلفؤنا البريطانيون ، في جميع الأحوال ، عازمين على عدم
اعادة الكرة في الحال وقد صرح لي الاميرال كسمهام حلياً ، ان
الواحب يقضي بالتحلي عن ذلك الامر ، بأي شكل . وما كان هو نفسه
ليستطيع ان يقوم بشيء بعد ، سوى مواكبي حتى الكامبيرون ، وقد
ضرب الحصار على دوالا وفي ٨ تشرين الاول (اكتوبر) في اللحظة

التي كانت تهم بها السفن الفرنسية في خوض خليج دويري ، حيثها
السفن الاسكليزية ، وتوارت في عرش البحر .

وحين دخلت الطرادة د كوندان - دوبروك ، التي أفلتسي في تلك
الرحلة ، مرفأ « دوالا » ، احتاحت المدينة موحة عارمة من الحماسة .
وكان لوكليو بفتظري فيها . وذهبت بمد استعراض الجنود الى قصر
الحكومة ، يسا كانت قمرل العناصر القادمة من اسكلترا . وكان الموظفون
والمستوطنون الفرنسيون ، والأعيان المحليون الذين اتصلت بهم يملكون في
غمرة من الاغتناسط الوطني . ومع ذلك ، فاهم لم يدموا شيئا من
مشكلاتهم الخاصة ، وكان أهمها ، تصدير منتجات البلاد ، واستيراد
الضروريات ، التي كانت تعتقدها . ولكن كانت هناك ، فوق المهوم
والخلافات ، وحدة الفرنسيين الأحرار الممنوعة ، سواء ممن انصروا
في لندن ، او التحقوا بها في افريقيا ، فتلك كانت تظهر لتوهمها
جلية سافرة .

هذه الوحدة في الطبيعة ، بين جميع الذين انصروا قعت حليب
النورس ، ستكون في لآتي من الأيام ، احد المعطيات الدائمة لحطة العمل .
لقد أصبح في الامكان بعد اليوم التنبؤ على نحو أكيد ، بما يفكر فيه
« الدبويلون » ، وصحيف يتصرفون بها حدث ، وأتى حدث . فان
مناعر الحمة التي لقينها هنا مثلا ، سألقاما دوما في جميع الظروف ،
وكما وقعت أمام المجهير . ولا بد من القول ، انه سيشأ لديّ بها
عودية دائمة ، غاسي إذ أجسد لرفقي ، مصير قصيت ، وللجمهور
الفرنسي ، رمز أمله ، وللأجانب وجه فرصة لا تروح قعت الارزاء ،
سأصطر الى توحيه سلوكي وفق ما يقتضيه هذا الأمر ، وفرض موقف
على شعبي لا أستطيع بعد أن أعيرره . كن ذلك مائدة لي وصاية داخلية
لا هكالك مپ ، امارسها على نفسي ، ويراأ جدّ ثقيل في الوقت ذاته .

كان المراد في المرحلة الرابعة إحصاء المجموعة لاستوثانة الفرنسية
وتعبئتها لتسام في معركة إفريقيا . وكان في بيتي ن ركر في محوم
تشاد وليبيا ، مسرح عمليات صحراوية ، منتظراً ، يتبع تطور الأحداث
يوماً ما ، لرنل فرنسي ان يحتاج فزاًل وسند منها في خوسط ولكن
الصعراء ومصاعب القل والتعوي الهائل م تكن تسمح ن يكبر من هـ
هلاكات قتل محدوده واحتصاصه . وأردت كذلك ، في الوقت نفسه ،
ان أرسل إلى الشرق حمة تلتحق به ، بريدهاين . وهذا جميع الأعداء
انما كان ، هرقيا الشمالية الفرنسية . ومع ذلك ، كان على قل كل شيء
تصمية الحبيب المعادي في العيوب ، فأنصرت يوم ١٢ تشرين الأول ،
الأوامر اللازمة ، في دوا

وهنا كانت هذه العملية اقومة قيد الاعداد ، عادت الكاميرون
لأرور البلدان الأخرى . وكانت تشاد هي التي ررتها أولاً ، بعد اقامة
قصة في « يارنده » . وأوشك رئيس فرد ، الحرة ولدين يراققونه ن
هلكوا خلال هذه لرحلة ، وذلك لأن طائرة « السونبر » ٥١٠ ، التي
كانت تقلنا نحو فور - لامي تعطل بحركها ، وكان من الخوارق ان
وجد قائدنا ميلاً إلى الموط على ارض مستطع من عبر صرار حسيمة

لبيت في تشاد حواً حماسياً مؤثراً ، وكان شعور كل فرد ن بور
التاريخ اشرق ليحط فوق هذه الارض المامرة والكفاءة والألم ولا ريب
ان ما من شيء يمكن ان يُعمل بها الا يصرب من البطولة ليشقل من
يسهلها من عبوديات المسافة ، والعزلة ، ولمساح ، ونقص الوسائل .
ولكن كان يجب عليا ، عوضاً لها عن ذلك كله ، الجو الطويل الذي
تثبت فيه الاعمال الجلية .

استقبلني « ايويه » في فور - لامي . وشعرت انه يمحني نهياً ولاء
وثقة ، ولست في الوقت نفسه انه واسع الافق بحيث يستوعب المشروعات

الواسعة التي كنت أريد أن أشرك فيها ، وهو وإن قدم آراء تنض
 بإحسن الحليم ، لم يعترض قط على الخطر والجهود . ومع ذلك ، كان
 أقل ما يراد أن تشرع الحكومة في أعمال المواصلات الضخمة ، لتصح
 تشد في المستوى الذي تستطيع معه أن تقتل من برارميل ، ودولا ،
 واللاعوس ، العناد والتموين اللارمين للقوات الفرنسية الحرة ، وتقلها حتى
 حدود ليبيا الإيطالية ، لتسير حرب فعلة كسبت المسافة ٦٠٠٠
 كيلومتر من الطرق التي ينبغي للبلاد أن تشقها أو تصونها ، وبمثلها
 الخاصة . ويبدو من الضروري ، عدا ذلك ، تنمية اقتصاد البلاد لتتمكن
 من تقديم النداء للصحاري والعمال ، وتصدير ما تنتج لتؤدي النفقات .
 وتلك مهمة ترداد صعوبة بمقدار ما يرداد عدد المستوطنين والموظفين
 الذين سستقدمهم التعبئة .

وطرت مع العقيد مارش فانه حيوش نشاء حتى « فابا » ومحطات
 الصحراء . ومساك لقيت جنوداً ذوي بأس وعزيمة ، ولكن فقرم
 بالوسائل مدفع ، إذ لم يكن ثمة من عناصر متحركة ، سوى وحدات
 « المهاريين » ودمض الأهواج للسيارة . وحين صرحت للصباط أنني اعتمد
 عليهم لاجتياح قرآن يوماً ما وبلغ المتوسط ، رأيت الوجوم يرسم
 على وجوههم ؛ فإلى العارات الألمانية والإيطالية ، التي لا يملكون دفعها
 كلها اقتضت الحال ، كانت تبدو لهم أكثر احتمالاً من المحرم الفرنسي
 على المدى الوسع الذي رسمت لهم بحاله . غير أن ما من أحد بينهم
 أبدى ، من جهة أخرى ، علامة تردد في متابعة الحرب ، وكان صليب
 اللورين مرفوع اللواء ، في كل مكان .

ونزه إلى الغرب ، مع ذلك ، في أراضي البحر والواحات الصحراوية ،
 كان لأوتك الصاط دفاق ، بشموهم في وجودهم ومر كرم ، إذ
 كانوا هم أيضاً يقيمون على تخوم ليبيا ، ولكن ليس « وقيم في سلم

الرتب ، رئيس واحد أوتي المرأة على فلك البحر ، وظلوا مستعدين
لاطلاق النار على أي مريء بداعي حركهم إلى عاربة اعدة فرنسا
وما من رية معوية من جميع الردي التي أنزلتها في اخطاء فيشي
لائعة ، كانت توحضني أشد الوجع ، مثل هذا المشهد الذي بسم عن
عقم ابنة .

ولدى عودتي إلى هور - لامي ، اقيت مقابل ذلك ، تشجيعاً دارز
العام ، وساهبي به الخمرال كاترو ، وكسان المظلمون من ذوي النيت
السيئة قد تصوروا ، صد وصونه إلى لندا ، بعد دهابي إلى افريقيا ،
ان لا يكلمر سيحاولون أن يتحدوا من هذا الخمرال في الجيش ، الذي
تمس «مهام» الكندي ، ورقة راححة يعتمدونها في اللعة للتبدل ، بينما
كان المتحدلون من ذوي الآق محدود بنساء ثون ما اد كان هو
بهم برصي أن يكون مروضاً من قبل عميد لوء بسيط . وكان قد
رأى تشرشل مرراً وتكراراً ، وراح كثير يلطمون حول موضوع تلك
المنحادثات التي ظهر منها حلياً أن التورير الاول كان قد أوحى إليه أن
يأخذ مكاسي ، لا امتحاناً له ، ولا ريب ، ولكن أحداً بالبدأ المعروف :
فرق لندا . وكان تشرشل قد أبق في لندا ، قبل وكبار بأيام أنه
أرسل كاترو إلى القاهرة ليعمل في انشور حيث كان ثمة أمل بنوء
فرصة مؤنية . وكان أن رددت بوضوح على ما بدا لي ، ليس فكرة
سيئة بالتأكيد ، بل مسألة قتل موقوف ؛ وشرح لامر تشرشل
بومدالك عبارات مرضية ، وستن الحاسة الملح منه

وها قد وصل كاترو عملاً إلى القاهرة . ورفعت كاسي ، وأنا إلى
العددة ، على شرف هذا الرئيس الكبير ، الذي ما دلت أهل له على
الدوام ، صداقة هي التوفير والاحترام ، فرد على محور جد نبيل وحدة
بسيط انه بصم به تحت برادتي . وعرف ابويه وسائر الحصور وهم

متأثرون ، أن ديقول في نظر كانوا ، أصبح بعد اليوم ، خارج سلم
الرقب ، وأنه مكلف بأداء واجب لا سبل إلى حصره في سلطة المراقب .
وما عاب عن كل أحد قط قيمة مثل الصالح الذي تقدم ، على ذلك
الحو . وحين افترقت عن الخيال كانوا قرب للطائرة التي عدت به
إلى القاهرة ، بعد أن حددت معه رسالته ، شعرت انه يعود أعظم قدراً .

وكانت الأمور محميتها في براراميل ، حيث وصلت في ٢٤ تشرين
لاول (كنور) تظهر للعين مقبلة بمقدار ما هي في دوالا وفور - لامي .
ولكنها كانت ترمي مثابة رربية كان ذلك سوياً بالسنة له « العاصمة » .
ولاديرة والاركان العامة ، والمصالح ، ومؤسسات الاعمال ، والمعثات كانت
تدير المصاعب التي تواجهه البلدان الاستوائية - وهي افقر بلدان
الامبراطورية - لتعيش خلال السنوات التي انفصلت بها عن الوطن الأم ،
وتقوم بالجهود الحربي . والقول الحق أن بعض منجياتها ، تربت ،
المطاط ، الخشب ، القطن ، القهوة ، الخود ، مما كان يساع ببر
للبريطانيين والاميركيين . ونهض انتقاد المصانع ، والمنتجعات المعدنية ،
باستثناء قليل من الذهب ، لم يكن يدفع الثوارن بين مجموع ما يصدر ،
وما ينفي استيراده من الخارج .

وعيت بلين امياً عاماً ليؤثر لارمينا في ذلك الحال . وسيكون
من شأن بلين حين ياتر العمل ، أن يذهب الى لندن وواشنطن لينظم
مواعيد الاستحقاق والمدفوعات . وبدأ أن كفاءاته جد فعالة ، إذ
تسدها سلطة لارمينا « كلاهما كاتا اداريين ، ومرارعين وفاحرين ،
وعاملين في شؤون القل ، كما كاتا يرمان أن ثمة جهداً كبيراً يجب أن
يبدل ، وأن الهدف يستحق عناء المذل ، فافتشحا ذلك الدور من
النشاط الراجح الذي سيحول تحويلاً عميقاً حياة البلدان الاستوائية خلال
الحرب الدائرة . وقد ألمحت لي المرحلتان اللتان قمت بهما في نهاية

تشرين الاول الى أوانغني حيث استقلني حاكم سان - مار ، ثم الى « بوات - بوار » وكان يديرها داعان - غاغا لي أن اعطي الانطاع لذي كان الجميع يلتظرونه .

ودعت أخيراً في ٢٧ تشرين الاول لي ليوبولد فيس ، حيث لقيت استقلالاً حاراً من قبل السلطات والحاش والاهالي ، والفرنسيين من سكان الكونغو البلجيكي ، وكان الحاكم العام ريكمان ، المقطع هو أيضاً عن وطنه ، ولكنه يريد أن قسم بلاده في الحرب ، يمل بماطفه الى فرنسا الحرة . وهذه كانت من جهة أخرى ، تحرس الكونغو البلجيكي ضد روح الاستسلام ، بقي أوشكت أن تسلط عليها من الشمال . وكان على ريكمان أن يحفظ الى اقصى حد ، على علاقات واثقة بحورته الفرنسية في الضفة الأخرى من نهر الكونغو . ويمكن القول إن ذلك كان أيضاً شأن زميلها لاسكازين بوردبون في بيجيريا وهندلستون في السودان . وحلّ تضام شعبي بين حكام لاغوس ، ودوالا وبرازيل ، وليوبولد فيل ، والخرطوم محل المناهضة والدماسني بقي كانت تصع الحيران ، وفي مصر ، ضد بعضهم البعض . وكان لذلك التضامن ورمه الكبير في اليهود الحربي وأمان أفريقيا .

كان كل شيء في هذه الأثناء قد أعدّ لإنهاء قضية العاون . وكانت لارميا قد اتخذ جميع الاستعدادات الأولية قبل وصولي الى دوالا . وكانت بضمة عناصر تجتمعت تحت إمرة المقدم لماران ، على أرض الكونغو ، قد تقدمت حتى بلغت لامباريت على ضفاف الأوغوبه . ولكنها صدمت بمقاومة من قوات فيتشي . وفي الوقت ذاته ، وجه من الكامبيرون البقيب دير دنلا صغيراً قساده بنعمه ، وحاصر مركز ميتريك وفي لامباريت وميتريك احتلّ « الديفوليون » والفيتشيون ، وقادوا إطلاق القذائف ، وحجج القوة . وحدث في بعض المرات أن حطقت طائرة د غاي -

مارثان ، قادمة من ليرفيل ، فوق قواتنا وألقت بضع قنابل وكثيراً من النشرات . وفي اليوم التالي ردت على المعارضين طائرة من طراز « بيوخ ٢٠٠ » قدمت من راراميل . وما كانت هذه المعارك المهيئة للمهمة والألية لتُنْضِي إلى حل .

وكان أن قررت « مند وصلت » أن أُنْزِع ليرفيل مباشرة وأُفْع خطة العمل . وما كان من منتظر ، لسوء الحظ ، أن يشك أحد في أن مقاومة خطيرة لا بد أن تقترض قواتنا ، فقد كان لدى الحزب ثلث *Tetu* المتمركز في ليرفيل أربعة امواج من المدفعية ، وأربع قاذورات قنابل حديثة ، وسبعة الاستكشاف « يوعفيل » والفواصة « يوسيليه » . واستطاع أن يمتد مدداً من المستوطنين والمهمة التي أمر بها ، من جهة أخرى ، فرضت عليه أن يقاتل . وصلت إلى السيد تشرشل ، ممحاً له من قلبي التحية ، أن يحضر جيشي أن تأطول مسعده إحداه ، عند لاقتصاد وجاء الاميرال كسهم عدم وصول رفيقي فطالبني في دوالا ، وتعلما أن لا ننام معه مباشرة في عمية ليرفيل ، وى بلغ في عرض البحر تسع أهالي دكار من إرسال طردتهم بحدوداً اليه ، وكانت لديهم بنة المعامرة بذلك . وكنا تواجه القضية من جانب ، بقلب « مثفل » وأعلنت وسط الموافقة العامة ، ن لا يشتر حد بأحد في تلك المناسبة الالية ، فكان الجميع على واحد في ذلك .

وفي ٢٧ تشرين الاول ، سقط موقع ميبريك في أيدينا . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ، ألقت حامية لامباريه السلاح وأُقلعت في الحال ، الوانغر التي تقل المرتن من « دوالا » إلى ليرفيل كان لوكلير بقود الجميع ، وكوبيع كان على رأس القوات البحرية هوج نظامي ، وفوج مستعمرات محتلطة ، سعالتيون ، ومستوطنون في الكامبرون . وكان الإنزال في رأس « مونداه » ليلة ٢٨ تشرين الثاني ، وتثبت معارك

حامية في ٩ منه على مشارف المدينة . وفي اليوم ذاته حلفت عدة طائرات « ليراندر » ، بشرى عليها المقدم دي هارميه ، ك قد استقدمناها بهندائق من بكالتراف ، وركبت بمجلى في دولاف وأقيمت عدة قتال وفي تلك اللحظة دخل دارحتليو على ظهر « مافورين دي براراف » ، تناولها « كومنيدان - دوميه » ، مرفأ البلدة حيث كانت ترسو « بوعفيل » . وراحت هذه الطراوة « على الرغم من رسالات المؤدة التي وجهها اليها مراراً وتكراراً ، تطلق عليها ديارها . وكان رد « براراف » عليها أن اشعلت فيها النار وفي هذه الاثناء ، حطمت الحيش « على ارض المطار » مقاومة عناصر فيتشي واستطاع دارحتليو ان يوصل الى المنزل « ثاو » رسالة ساشده فيها وقف العمل ، وانتهى اسسلام المحريرين ، واحتمل كوسج ليعرفان واستم « دن » ، لذي عينه حاكماً للعايون ، مركزه . وبلغ عدد قتلاها ولأسف ، نحواً من عشرين .

وكانت العواصة « بوسيليه » ، قد عذرت عشية ذلك اليوم بور - جنفي ، وأقيمت في عرض البحر إحدى طرادات كسمهام ، فقدفتها بلغم وردت المفردة بفصله عليها ، ودرنعت العواصة ان السطح ، وهما احد الانكليز يجمعون بخارتها ، عند رآها و حرقها وعرق معها ، بمسالة .

بقي حتلان بور - جنفي وهذا ما سمى في ١٢ تشرين الثاني ، بعد مفاوضات طويلة ، ولكن من غير مقاومة أنداها للموقع ، والصحية الوحيدة هذه العمية لاجيرة كان الحاكم ماسون ، الذي كان قد نهم في شهر آب الى لبنان ، ثم رجع عن رأيه . ذلك ان هذا المسكين اعتصم بالطراوة « براراف » ، وقد أباد صلاله وسنحه ، بعد سقوط ليرفيل ، وأبحر الى بور - جنفي مرفقة بالعقيد كروشو ، رئيس أركان

ثاقو ، ليطلب الى المحافظ والحامية ، أن لا يحوضوا بدورهم معركة يقتل فيها الأحباء . ولكن السيد ماستون ، وقد أرمقته المحن المصيبة التي مرّ بها ، شقّ نفسه في غرفته خلال العودة .

ذهبت الى ليرفيل في ١٥ تشرين الثاني ، والى بور - حتى في ١٦ . وكان الشعور السائد لدى الأهالي ، الارتياح لخروجهم من مأزق أبله . وزرت في المستشفى سرحى المسكرين ، الذين كانوا يماخون حسناً الى جنب . ثم عملت على أن تقتل امامي وحدات فيشي ، فانبضت بعض العناصر الى فرنسا الحرة ، ولكن معظمها كان قد أعطى رئيسه كلام الشرف ، أن « يقع على الولاء للمارشال » ، وهؤلاء فصّلوا ان يظلّوا محنّرين . كانوا ينتظرون لاستئناف الخدمة ، دخول افريقيا الشمالية الحرب ، ومنذ ذلك الحين أدّوا كعدد كبير غيرهم ، واحسهم بأمانة وبسالة . أما الجنرال ثاقو فقد وكل امر ضيافته لآباء « الروح القدس » ، ونُقل من بعد الى براراميل . ومن ثمة ، ذهب هو ايضاً ، عام ١٩٤٣ ، الى عاصمة الجزائر .

وايضا مذبّاح دكار ، وفيشي ، وماريس ، بثنائهم المذهب ، بعد أن كان قبل بضعة أسابيع ، يبالغ في صرخات الظفر . ووجهت اليّ التهمة ، اني قصفت ليرفيل ، وأحرقتها ، وهشّتها ، فصلاً عن رمي أهليّ بالرصاص ، ابتداء من الأسقف : الموسيور ثاردي . ولاح بي أن أهل فيشي ، كانوا يريدون من احتراع أمثال تلك لأخاديب ، ان ينقذوا عاراً ما ، إذ كبروا منذ وقعة دكار ، فقد اعتمدوا الطيارين الفرنسيين الأحرار الثلاثة الذين سقطوا عرلاً على ارض « اواكام » ، ثم اعتقلوا ايضاً بوالامير ، وبيستاسه ، وكادورا الذين أرسلتهم لي لمدينة ، ومن طرق حمية ، مع الدكتور بروئل ، ليفتشروا فيها لكم الطبيب . ولم يستطع ان يعود من أولئك ، « الميمونين » سوى الدكتور بروئل ،

لدي تمكن ، بعد الحوادث ، من المرور الى غامبيا البريطانية . وقد حملني التهم التي قدمت بها دكار ، افكر انهم ربما كانوا يريدون الثأر بالانتقام من الاسرى . ومقدار ما اقترحت على بواسون في سرية تامة ، مبدلة هؤلاء ، « ثاقو » وضابطه ، راحت امواج دكار تديع في لحال خطوتي نك ، مرفقة بشديد الإهانات والتحديات . وعمد ذلك ، اضطرت المندوب السامي لعيشي ، ان لدي كثير من اصدقائه استطيع ان ارد باعدامهم على إعدام الفرنسيين الاحرار الذين وضمهم في المعتقل وسمعت لهجة المديع المعادي في اللحظة ذاتها

ثم ان هناك علامات مختلفة كانت تبين مدى الاضطراب ، الذي تلقى حوادث' به حكام فيشي ، فان ذلك النوع القاتل الذي ، الذي نجحتهم به الهدنة ، طلق بنده على عمل فالعدو لم يضع نهاية لاسكترا ، خلافا لما أعلنوه من قبل تبريراً لامتثالهم ؛ وانصواء عدة مستعمرت الى ديمول ، من جهة أخرى ، ثم وقعة دكار ، وأخيراً وقعة العائون ، اظهرت أنه اذا كانت فرنسا الحرة تحس استخدام المديع ، فأن أبداً شيء من مدير كل انفايرة لـ وقعة ، من لمرترقة المنحصب حول الميكروفون . ومساء ، أحد الناس يتصلون في فرنسا الى ملاذ فرنسي خالص ، يبا وحده الأذن أنهم مكرهين على التحصن للصاعب المتفارقة التي تسببها لهم لفارقة وكنت في أعماق اهريقيا ، الملح الهرات التي كان هد الوضع قد أحدثها في تصرفات جماعة فيشي .

كان الصف هو الرد الذي ظهوروا به ، في اليوم الذي تلا وقعة دكار ، اذ انطلقت من المغرب طائرات ألقت القنابل على جبل طارق . ولكن جاءت بعدها محاولة نهضة في الحال ووردتني برفيات من السيدر تشرشل وايدن تطلمي على المحادثات التي افتتحت في أول اكتوبر ، في مدريد ، بين السفير السيد دي لايوم وزميله البريطاني السير صموئيل مور .

وكان المراد الحصول من الاسكليز على السماح لسفن الشحن القادمة من افريقيا بالمرور الى فرنسا ، وقد اعطيت المايب الصيانات بأن لا تستولي عليها . وصرح السيد دي لاكوم ، عدا ذلك ، من قبل بوردون انه « اذا قُبض العدو على هذه السلع ، فان الحكومة تنقل الى افريقيا الشمالية » وتعود فرنسا الى الحرب بحساب المملكة المتحدة .

حذرت الاسكليز ، في الوقت ذاته الذي أخذت به علماً بالاضطراب الذي قمّ عنه مثل تلك التصريحات ، فانه بما لا يفهم أن الألمان الذين وضعوا السرية بأيديهم تحت شرعة العدو ودانوا الذين أرادوا محاربتهم ، يمكن أن يصنعوا فجأة أبطال المقاومة ، لأن المرأة يريدون وضع اليد على بعض السلع زيادة عما كانوا يستولون عليه في كل وقت . والواقع أنه سرعان ما تبدد كل وهم تحت ضغط الألمان ، رغم الجهود التي بذلتها حكومة لندن لتتبع فيشي في تردداتها الطيبة التي كانت تظهر عليها ، ورغم الرسائل الشخصية الموجهة الى المارشال من ملك اسكلترا ورئيس الولايات المتحدة ، ورغم الاتصالات التي قام بها الاسكليز مع فيشان الذي تمركز في عاصمة الجزائر ، ومع فوجيس المقيم دوماً في المغرب ، ففي ٢٤ تشرين الاول تم لقاء بستان وهنتر في مونتوار ، وأعلن التعاون رسمياً بين فيشي والعدو . وأخيراً ، وضعت فيشي حسداً لمفاوضات مدريد في الأيام الاولى من تشرين الثاني .

اصبحت لدي بعد اليوم ، أسباب أكيدة لمجملي أنسكرك ، نهائياً ، لحكام فيشي وتحويلني الحق المشروع في أن أنشئ بمشي وكاشي المدير لمصالح فرنسا ، وأن أعادس في الاراضي المحررة ، صلاحيات حكومة . وهذه السلطة المؤقتة كسداً وكماية قدمت . الجمهورية بإعلان طاعتي وتبعني تجاه الشعب الجديد ، وتمهدي علانية بأن اقدم حسابات في اللحظة التي يساردها بحريته . وحددت في أرض فرنسية ، في برارافيل ، يوم

٢٧ تشرين الاول ، هذا الوضع القومي والدولي ، في بيان ، وأمري ،
 وتصريح عصوي ، يؤلف مجموعها ميثاق عملي الشخصي . وأعتقد أنني
 لم أخجل به حتى ذلك اليوم وهو ضمن المدة الذي وصفت به في اندي
 الممثلين الوطنيين ، بعد خمس سنوات ، تلك السلطات التي عارضتها . ثم
 اني أنشأت ، من جهة اخرى ، مجلس دفاع الامبراطورية ، وكان
 المقصد منه ان يعينني بأرائه ، والذي دخلت فيه أولاً كاترو ،
 وموريليه ، وكاستان ، ولارميسا ، وسبسه ، وسوتو ، ودارحيليو ،
 ولوكليبر وأخيراً ، وجهت مذكرة يوم الخامس من تشرين الثاني الى
 الحكومة البريطانية ، كانت قراراً نهائياً ، بالموقف الذي تتخذه فرنسا
 الحرة ، وتدعو حلفاءها الى اتخاذه . راء حكومة فيشي ومثلها ، مثل
 فينان او بوعيس ، الذين جحد نصر من كائناتين ، القاصري النظر في
 بث الاعتقاد اهم يستفنون يوماً ما الى العمل ضد العدو .

واذا كانت خطتنا الاقربىة مجموعها ، لم تمنح جميع الاعداد التي
 رمت اليها ، فقد وصفت على الأقل ، قاعدة جهودنا الحربي على أسس
 وعديدة ، من الصحراء ، الى الكونغو ، ومن الاطلسي الى حوض النيل
 وفي الأيام الاولى من تشرين الثاني ، وصفت القيادة التي تدبر العمل في مكاب ،
 فكان ايسوبه المعين حاكماً عاماً لافريقيا لاسنوائية العربية مدياً في
 بر رافيل ، ومعه مدرسان بومعه فنداً للحبوش وامندعي دلاي ، من
 لندن ، وأصبح حاكماً للشاد ، وبخافظ كورناري حاكماً للكاميرون ،
 حل محل لوكليبر وهذا أرسل الى تشاد ليقود العمليات الصحراوية ،
 حيث تعرف على نحو فاس ومؤثر الى الجهد ، رغم الاعتراضات التي كنت
 غلبها عليه رغبته في متابعة ما بدأ به في درالا وأخيراً ، كن على
 لارمينا ، ان يقود هذا المجموع كله ، مدعوماً سامياً من سلطات
 مدنية وعسكرية .

وقبل أن أذهب إلى لندن ، أصدرت معه قراراً بخطة العمل خلال الأشهر القادمة . وكان القصد تركيز الممارات المموتة الأولى ، والحوية صد « مرزوق » و « كفرا » من جهة ، وإرسال لواء محتلط إلى ارتريا من جهة ، مع سرب من طائرات القصف التي تساهم في الممارك الناشئة ضد الايطاليين . وستكون هذه الحملة الأخيرة بداية التدخل الفرنسي في معركة الشرق الاوسط . ولكن كان يجب ايضاً تجديد العناصر التي تذهب الى هناك ، ووضع ملاكاتها ، وتسليحها ، وتقوية هذه الطلائع مع الرمس في الصحراء ووادي النيل . ولا سبيل إلى تصور ما يقتضيه ذلك من جهود في ساحات وسط افريقيا الشاسعة ، والمناخ الاستوائي ، والتعبئة والتدريب ، والتجهيز ، والنقل ، لقوات كما يريد أن تقف على اقدامها ، ورسلمها إلى تلك المناطق النائية . ولا سبيل إلى قياس معجرات النشاط التي سعى الجميع في تحقيقها .

وفي ١٧ تشرين الثاني ، تركت امريكا الفرنسية الحرة إلى المكسيك ، عبر لاغوس ، غريتاون ، مافروست وحبل طارق . وفيها كانت الطائرة تقطع لأرقباوس تحت مطر الحريف ، شديت في دهي التماريج المزهقة التي كان على الفرنسيين المحاربين أن يمروا بها بعد اليوم ، في هذه الحرب العجيبة ، لينتخبوا الألماني والايطالي ، ورحلت اقيس العراقيل الكبرى التي تسد عليهم الطرق والتي يمسها امامهم - ويا للأسف - فرنسيون آخرون . غير أنني تشجعت ، في الوقت نفسه ، حين فكرت في الحماسة التي تثيرها القضية الوطنية في اوساط اولئك الذين وجدوا انفسهم احراراً ليقوموا بتحديثها . فكرت فيما نطوي عليه من إثارة لسخوتهم ، معامرة تشمل أبعادها الارض كلها . وأية كانت قوة الوقائع ، فإن في مستطاعي أن اسيطر عليها ، ما دام في امكاني ، كما يقول شاتوبريان . و أن أقتاد الفرنسيين فيها بالأسلام .

لندن

كان الصباب في لندن يفلت العوس ، في مستهل هذا الشتاء . وجدت الانكليز حراسي متوترين لا رب أهم كانوا يحسبون باعتزاز ، انهم ربحوا المعركة الجوية ، وأن أخطار العدو بصدت كثيراً عنهم . ولكن بينما كانوا يرفعون أبناسهم ، أحدثت نصب عليهم وعلى حلفائهم المساكين ، هموم أخرى .

كانت حرب الغواصات حامية الوطيس . والشعب الانكليزي يشهد بقلق متزايد ، غواصات الألمان وطائراتهم وغاراتهم ، تعمل في تخريب سفن التي تتعلق عليها بحرى الحرب ، وحتى معدل حصص المواد الغذائية . ولم يبق من شغل شاعل للورداء والمصالح ، سوى « حيلة السفن » . وأصبح مقدار الحولة فكرة تلاحق الجميع ، وطاعة هيمن على كل شيء . « حياة وكلائرا » ويجريها بتمرسان ، كل يوم ، للخطر في البحر .

ومدأت في الشرق العمليات الشطة . وقد أصبح المتوسط ، غداة الحرف فيشي ، غير قابل لصور الفوادل البريطانية الطيبة . وكان على القوات والعناد التي ترسلها لندن إلى مصر أن يمرأ برأس الرجاء الصالح ، ندماً لطرق بحرية طويلة طول نصف الأرض . وما كان يرسل من الهند أو استراليا وريلامدة الجديدة ، لم يكن يصل إلا بعد قطع مسافات لا نهاية لها . ثم إن ركام المواد ، والمتسلح ، والتموين - ٦٠ مليون طن عام ١٩٤١ - التي كمت تستوردها انكليزاً لصاعتها وأسلحتها وسكاتها ،

لم يكن في الامكان أن يأتيها إلا من أفريقي أميركا واقربها أو آسيا ،
وذبت بنفسها حولة عاية في الصحابة ، من الاطباء ان سحر في طرق
ملتوية ذات مسافات شاسعة تنتهي في مرهأين صبيين *Merser* مرسي
وكلايد ، وتقضي وسائل عواكبة كبيرة .

كان قلق بريطانيا يرداد حده وثقلا كلما بسد أن ليس في الافق ،
من أي جهة ، انمراح يتفتح عن آمل مسعدة . وعلى المكس بما كن
يسأمل كثير من الانكليز أن يؤدي قصف مدهم وانتصار سلاح الجو
الملكي إلى حمل اميركا على اتحاد قرار بدحول ليدان ، فإن شيئاً من
ذلك لم يحدث . ومن المؤكد أن الرأي العام في الولايات المتحدة صكدن
بكره هنر وموسولي . ثم ان الرئيس روزفلت ، شحذ مدد اعيد
انتعابه في « تشرين الثاني » من جهة أخرى ، يحث الخطى في
دبلوماسيته وتصريحاته العامة ، وجهده نحو حر اميركا من التدخل
ولكن الحيات ظل موقف واشطن الرسمي ، وهو الذي يمرضه الف دون ،
في جانب آخر . ثم كان على الانكليز ، خلال ذلك شتاء المظلم ، أن
يدفعوا ثمن مشترياتهم من الولايات المتحدة بالذهب والنفد الددر . وكان
حتى العمون اللامباشر الذي توفره لهم براعة لرئيس السهلواية ، موضع
مخطط دقيق وثقة طيب لا يبي في الكونغرس والصحافة وحلاصة القول
إن الانكليز كانوا يرون ساعتهم تقترب ، ولا يستطيعون بها تلقي ما
يؤمنهم للقتال ، لنقص في الوسائل ، وهم يقومون بدفعات فدرصها
حاجياتهم .

ولم يظهر من جانب روسيا الموفياتية أدنى صدع في السوق التي
كانت تربطها بالرايخ ، بل كان المكس ، فإن انفاقاً تجارياً حرمياً
- روسيا عقد في شهر كانون الثاني (يناير) ، بعد رحلتهم فنام بها
مولوتوف إلى برلين ، وكان من شأنه أن أعان ألمانيا إعادة كبرى على

الشميون ، ووقعت اليابان ، من جهة أخرى ، في تشرين الأول ١٩٤٠ ،
 الميثاق الثلاثي معطية تصديها التهديد مع برلين وروما . وبدأ في
 الوقت نفسه أن وحده أوروبا في ظلّ الرعاية الألمانية وقد تمهّب .
 وفي تشرين الثاني اجازت المحرر همدريا ، ورومانيا وسلوفاكيا إلى
 المحور . والتقى همدنو مع هتلر في ساس-سيامتيان ، ومع موسوليني
 في برديمبر . وأخيراً ، لم تكن قسبي من القدرة بدولة تترك معها
 الحفاظ على أسطورة الاستقلال التي سمعتها هذه الهدنة ، ودخلت طور
 التعاون العملي مع المرأة .

وإذا كان الأفق في الخارج مربوذاً ، فإن في الداخل أعباء ثلث
 كانت ترقى الشعب البريطاني ، إذ كان من أمر النعمة للعمنة أن
 زحمت عشرين مليوناً من الرحالة والنساء في الحبرش ، والمصانع ،
 والحقول ، والمصالح العامة ، والدفع المدي . وكان الاستهلاك للجميع
 جدياً محدود ودقيق ، وصرامة المعايير الشديدة تفصل لنوا في كل حسب
 مع عملاء السوق السوداء . ثم إن غارات العدو الجوية لم تنقطع ، وإن
 كان لا يهدف بعداً إلى نتائج حاسمة ، وراح يخلق الارتباك في المواسم ،
 والصناعة ، وسكك الحديد ، ويسحق بعنة : كوفنتري ، ومدينة لندن ،
 وبورتسموث ، وسودامبتون ، وليفربول ، وغلانكو ، وسوانزيسا ،
 ومهل ، إلخ .. فأنصأ على أساس السكان طيلة ليل وليل ، مبهقاً
 أعصاب هيئات الانقاذ والدفاع ، مكرهاً ومرر الساكنين على ترك أسرهم
 ليوعلوا في عتمة الأفية والملاجيء ، فضلاً عن محطات المترو في لندن
 كان لامكثير في حتام هذه السنة ١٩٤٠ ، يشمرون وقد حوصروا في
 جزيرتهم أنهم في أسلاك نقطة من النفق .

لم يكن من شأن هذه الآراء التي نزلت فالبريطانيين ، على كثرتها ،
 أن 'تيسر' علاقاتهم ، فهم ، وقد استغرقوا في مشاعلهم ، تبدو لهم

مشكلة في عهدنا ، وكانت تزعمهم إلى امتصاص ، عدد ذلك ،
 تعوى ومشتد بقرار ، كما يعتقد ثورهم ، فقد كان من الأيسر عليهم ،
 في الواقع ، من الوحدة الادارية والسياسية ، أن يمسكوا العربيين
 الأحرار كعناصر متحركة ، بثقوت ، ذكورية وعصايتها ، أكثر من
 اعتبارهم إياهم حلفاء ذوي مطامع وطام ، ويضاف إلى ذلك خلال
 تلك الفترة التي أحدثت بها احزاب تنافس ، وروح السخط بتفشي ، أن
 لاوساط الحكمة في لندن ، لم تكن ، إلى شيء نحو الجديد ، ولا نحو
 بعدو الخصم في الأمور ، فقد كان أركان الحزب والوزراء ، يمارسون
 بطبيعتهم ، في حصر المشكلات المستعصية ، بظلمة ، مثل عطفه وتذرع
 الإصلاحات ، بينما كانت الحكومة تلاميذ الماء لشدة السخط على اتحاد
 قرارات ، وهي تحت يراة ، فقد التي بدلتها على البرلمان والصحة .
 بعد قول لي تشرشل ذلك يوم ، هل تعرف ، هو انتم من أصل ،
 الوزارة البريطانية بخط منه .

ومع ذلك ، كانت حاجة فرنسا ، خرم إلى كل شيء ، ملحة .
 كانت الضرورة التي لا مناص منها تعصباً أن نحصل من الإنكليز على
 ما لا غنى عنه ، ولتحفظ في الوقت نفسه تجزئهم باستقلال حارم ،
 بعد رنحالات الصيف والخريف ، وقبل البدء بالمشروعات الجديدة التي
 قررت السير بها في الربيع . وقد نشأ عن هذا الوضع كثير من المشادات

وكانت طبيعة منطقتنا المتحركة ، المتعددة العناصر تدور إلى حد ما ،
 خريطة البريطانيين بمقدار ما قبض في الوقت ذاته تدخلاتهم . كان من
 المستحيل على فرنسا الحرة المجتدة على عجل رجلاً رجلاً ، أن تجسد
 قوتها الداخلي سريعاً ، بعد كانت كل وحدة من مؤسساتها في لندن :
 الجيش ، البحرية ، الطيران ، المالية ، الخارجية ، إدارة المستعمرات ،
 الإعلام ، الارتيادات مع فرنسا ، فتكون وتؤدي عملها برغبة كبرى

في الانقذ ولكن الحرية والناسك كانا يعورانها على نحو قاس مرير .
وعدا ذلك ، كانت روح المصممة لدى بعض الشخصيات أو بسطة ،
إبعدام استعدادهم الإدعان إلى قواعد الخدمة العامة والتزاماتها ، يخاف
هزات شديدة للجهاز ، ويظمه بصره . هكذا حدث أنه ، إقامتي في
أمريكا ، أن ترك أسيرة لامارث إدارتنا ، واصطدم الأميرال موريليه
ودوي المصلح الأخرى . وحزت في « كارثون غاردنز » حدثت حادثة
بين أشعص ، ومأس - هرة في المسكن ، فصح بها منظوعونا ،
وأفلقت حلعاءنا .

شرعتُ منذ عودتي في مائة تشرن الثاني ، بوضع الأمور والأشعاص
في مواضعها . ولكني ما كنت أبداً إعادة التنظيم هذه ، حتى وجدت
نفسى أسيرَ خطي فادعج أرتكته الحكومة البريطانية ، وكانت نفسها
صعبة تصليح ، ففره رجال « الانتيجاس » .

والواقع أن حتى الحصار التي شعلت اسكلترا آنذاك ، حطت مرتعا
لأفراد لاستعمارات وأعصاء الأمن العام ، و « الانسيحيس » الذي
هو للامكبر ولح عقدر ما هو خدمة ، لم يعمل « نطسج » عن عد
شاكه في انجواء هربا الحرية . وكان أن استخدم لذلك أناسا ملهمين
وأحرين أعباء دفعة واحدة . وموحر القول أن الوزارة الاسكليرية
عمدت فعلة ، بهار من عملاء غير مرغوب فيهم ، إلى إنضمان هربا
الحرية ، يجرأ أو شكك أن تكون ذات نتائج سيئة .

كنت مساء اليوم لأول من كلون الثاني في شروشير مع ذوي
وأقاربي ، وإذا « سيد إندن يظلي » بالحاح فقلته وعلى وجه السرعة
في لفورين أوفيس (وزارة الخارجية البريطانية) ، حيث حل مؤحراً
محل اللورد هاليماكس الذي عن سحراً في لولايات المتحدة . وفي صباح
اليوم الثاني ذهبت رأساً لقلته ، وأظهر وهو يستلقي علامات العمل

شديد ، وقال لي : « حدث ما يروى له ، فقد كنت لست أريد أن
الأميرال موزيليه على علاقة سرية بفيشي ، وأنه حاول أن يظل إلى
دارلان خطة الحملة على دكار في اللحظة التي كانت تمتد بها ، وأنه
ينوي أن يسلمه و سركونف » . وحذ أعلم الوزير الأول أصدر أمراً
باعتقال الأميرال . ووافق مجلس الوزراء البريطاني على ذلك . موزيليه
إذن معتقل . ولا تخفي الأمر الذي تحدثه هذه القصة المزعجة في
نفسك ، كما أحدثت في أنفسنا ، ولكن كانت من المستحيل علينا أن
نتهمل قبل الفصل .

وأظهر لي السيد إيدن ، عند ذاك ، الوثائق التي استند إليها
الانهاج . وكانت عبارة عن مذكرات مكتوبة بالآلة في أعلاها ومعها
ختم قنصلية فرنسا في لندن - التي ما زال يشغلها موظف من فيشي -
وموقعة في الظهر من الجنرال روروي الذي كان رئيس السطة الجوية
سابقاً ، وأعيد مؤخراً إلى ملكه . وهذه المذكرات تبين مفاوضات يظل
إن الأميرال موزيليه روى بها روروي وعرف أن هذا كان قد نقلها
إلى مفوضية دولة من حبوب أميركا في لندن ، ومن هناك وصلت إلى
فيشي . ولكن أفراداً حساسين من الاستليجاس ، قطعوا الطريق ،
حسب رواية إيدن ، على الوثائق ، وأصاف . « كان من السلطات
البريطانية ، وبأ للأسف ! » أب اقتنعت بصدق أصالتها ، بعد
تحقيق دقيق .

شمرت في الحال ، وإن أدعيتني المفاجأة لأول مرة ، أن « انكس
كان فعلاً ، حاراً ، وأن الأمر لا يمكن أن يتمدى كونه خطأ فادحاً
ماشياً عن مكيدة . وأعربت عن ذلك بوضوح للسيد إيدن ، وقلت
له إنني سأرى بنفسى ما يمكن أن يكون منها ، وإنني أسجل تحفظاتي
كلها ، بانتظار الحقيقة ، على هذه القصة الخارقة .

لم يذهب في الظن أثناء ذلك ، إلى التصور لأول وهلة ، أن القضية يمكن أن تكون ملفقة تحت ستار مصلحة بريطانية ، معزوتها إلى فيشي . ألا يجوز أبداً أن يكون مؤلفوها قد عبروا هذه القنلة لمقونة وتركوها في انكلترا ؟ وبعد ثمان وأربعين ساعة من الاستعلام والتفكير ذهبت إلى الوزير الأنكليزي ، وصرحت له بما يلي « الوثائق مريبة إلى أبعد عايات الريب . سواء في ساقها ومصدرها المفترض . وفي جميع الأحوال ، هذه ليست أدلة . وما من شيء يبرر الاعتقال المبين لثائب أميرال فرنسي ثم إن هذا لم يستجوب ، من جهة أخرى ، وأنا شخصياً لا املك إمكابة مقابله . كل ذلك مما لا يمكن تبريره . يجب الآن ، على الأقل ، أن يخرج الأميرال موريليه من السجن ، وأن يعامل بشرف إلى أن يلقى النور على هذه القصة المظلمة » .

لم يقل المسار إيدن ، وإن بدا مرتبكاً ، أن يقوم بما يرصيني ، زاعماً جدية التحقيق الذي قامت به المصالح البريطانية . واضطدت احتجاجي برسالة ، ثم بعدكرة . وقت برابرة للأميرال السير ددلي ماوند البورد الأول للبحار ، واعدت إلى ذهنه الصفة الدولية للأميرالات ، ودعوته إلى التدخل في هذا النزاع المشين الذي رُح به احمد انداده . وظهرت على موقف السلطات البريطانية ، عقب خطواني ، بعض الدبدبات . وهكذا ، حمات ، كما حكمت قد ظلمت ، على مقابلة موريليه في اسكونلدبارد ، لا في رزانة ، بل في مكتب من غير حرس ولا شاهد ، لأطهر للناس كلتهم ، واقول له إني رفضت التشهير الذي كان ضحية له . وانخيراً كانت هناك إشارات شتى حلاني على التفكير بشخصين ادجرا أثناء إقامتي في افريقيا بـ « مصلحة امنا » ، تلتسا بلباس فرنسي ، ولكنها لعفا نفقة بإلحاح من لامكثير ، فطلبت مثولها بين يدي ، واقنعت لشهد دعرهما ان الأمر بكل تأكيد ، « قصة انتليجانس » .

و استدعيت الجنرال سيرر في ٨ كانون الثاني ، و بينت بصراحة بقبي
لثت ، و صرحت له أنني أعطي الحكومة البريطانية مهلة أربع وعشرين
ساعة لإطلاق سراح الأميرال و التعويض عنه ، وإلا فإن جميع العلاقات
بين فرنسا الحرة و بريطانيا العظمى تقطع ، أية كانت النتائج لقطعها .
و حالي سيرر في اليوم نفسه ، وهو مرتدك ، ليقول لي إن السلطة
أفرت باخفاً ، وإن « الوثائق » لم تكن إلا دوراً ، وأن لمدعي أقرراً ،
وأن موريليه خرج من السجن و رآني نائب العام في اليوم التالي ،
و أخبرني أن الملاحقات انصائية أخذت تجري في محراها ضد مدبري
المكبدة ، و على الأخص ضد عدة ضباط بريطانيين ، و رحاني أن أعين
من يشع باسم فرنسا الحرة ، التحقيق و الدعوى . و هذا ما فعلته .
و بعد الظهر ، لقيت في داوونج ستريت ، السيد تشرش و إيدن حد
منزعجين و اعروا لي عن استداع الحكومة البريطانية و وعدوها بالتعويض
على موريليه عما أوجه اليه من إهانة . و يجب أن أقول إن هذا الوعد
أخبر ، و كان تعتبر موقف الانكليز و الأميرال كما ظهر من بعد ، غاية
في التام حتى بدا متطرفاً ، على نحو ما سنرى في المستقبل .

لأأحكي أن هذا الحادث الأليم كان ذا تأثير في علمتي بما يجب ، ولا
ربب ، أن تكون عليه علاماتاً مع لدولة البريطانية ، إذ أبرر ما كان
على الدوام راجعاً في موقفنا تجاه حلفائنا غير أن نتائج الشر لم تكن ،
في موقع الراي ، مع ذلك ، جميعها سيئة ، ولأن الانكليز رغبة
منهم ولا شك ، في التعويض عن خطئهم ، اظهروا أنهم ، أكثر استعداداً
للبحث عما في القضايا المعلقة .

هكذا وقعت ، في ١٥ كانون الثاني ، مع المستر إيدن إتفاق و ولاية
شرعية ، على الفرنسيين الأحرار في الأراضي البريطانية ، ولا سيما
بصلاحيات مماثلة الخاصة التي تعمل ، وفقاً للتشريع العسكري الوصي .

و ساعد من جهة اخرى ، ان يفتح معاوضات تتعلق بالنفاق المالي
و اقتصادي و يقضي مع الحربية الانكليزية . و كلف كاسان ، و بلين ،
و « ديني » من قبلنا للقيام بهذه المفاوضات التي انتهت في ١٩ آذار (مارس) .

كانت لمشكلات التي طرعت ن محلها بهذا الخصوص ، معقدة لدرجة
تقتضي ان يخرج من عدم الوسائل التي تفرصها الظروف . وكيف لنا
ان نمنح اللجان المختصة في امريكا و اوقيانوسيا لئلا نكل ، نحن الذين لا نرى
بلا مصرف ، ولا نقد ، ولا مواصلات ، ولا دوات بث ، ولا تمثيل
تجاري معترف به في الخارج ؟ كيف نصور قوات فرنسا الحرة الموزعة
في جميع أنحاء العالم ؟ كيف لنا ان نحذف قيمة الاعندة و الخدمات التي
كان يرودها هذا العدو من تلك التي نرودهم بها ؟ لقد وضع في بعض
الامواق ان كل نظام ، أيا كان عرصه ، يجري تعبيده في لندن بين الحكومة
الانكليزية و الجورنال ديمول ، ولا بد شرع بدأ مع السلطات المحلية الفرنسية
بحسب الظروف و المصادفات ، و كان معدل الصرف المتفق عليه ١٧٦
فرنكاً مقابل الليرة الواحدة ، اي ان هذا هو المعدل الذي كان ساري
المفعول قبل الهدنة المتوقعة مع فيشي .

و أخذاً بالسياسة نفسها ، أسسنا بعد ذلك بقليل « الصندوق المركزي
لفرنسا الحرة » و كان على هذا الصندوق ان يقوم بجميع المدفوعات
البحر ، روتن ، مشعريت ، الخ . و ان يغطي جميع مقاصد :
حصص اراضيها ، سلطات الحربية البريطانية ، هبات فرنسيي الخارج ،
الخ . . . و صبح من جهة اخرى ، المصرف الوحيد للأصدر التام
لفرنسا الحرة في كل مكان من العالم . وهكذا ، بينا كان الانصواء الى
ديمول يربط معدياً بين جميع عناصره ، أصبحت ادارة هذه العناصر
هي نفسها ، متمركزة على نحو وطني . و بدأت وحدة شملت مجموعة
كاتب مع دنك مرتجلة ومنتقاة الى اقصى حد ، او لم يكن قط بيت

إقطاعات مالية واقتصادية ، ولا سياسية وعسكرية ، وامتنعت ايكالترا في الوقت نفسه عن كل تدخل محلي بالوسائل المالية .

غير أننا كنا مع ذلك نمكر اكثر ما نمكر في الوطن الام ، ونحن نوجد قاعدتنا وراء البحار . ما نعمل بذلك الوطن ؟ وكيف ؟ ومدا ؟ .
فأما يمكن تحت تصرفنا أية وسيلة للعمل في فرنسا ، ولم يكن حتى لنرى من أي طرف نتناول المشكلة ، فإن ذلك ما كان ليحول ، على الأقل ، دون محيلتنا والتفكير في اوسع المشاريع ، آملي ان تشارك البلاد فيها مشاركة كثيفة شاملة . وما كنا لتحويل ادن اقل من منظمة لتبج لنا دفعة واحدة ، إلقاء النور على عمليات الحلفاء بعض معلوماتنا عن العدو ، ومن ثم مقاومة على ارض البلاد ، في جميع المجالات ، ونجهر قوات تشترك ، حين يأتي الأوان ، في معركة التحرير حلف المؤتمرات الانسانية ، واخيراً إعداد النجم الوطني الذي بعيد لي السداد سيرها الطبيعي ، بعد الانتصار . واردنا كذلك ان تكون هذه المساهمة المتعددة الجوانب ، مبررة بمرسيتين من ذوي الجهود الحربي اشترك ، وان يكون هذا الجهود لمصلحة فرنسا ، لا حورعاً ابداً ، بل خدمات أدت مباشرة للحلفاء .

ولكن هذا الصيد للعمل السري كان بالنسبة لنا حياً ، شيئاً حديداً كل الحدة . فما من شيء قط ، كان قد أهد في فرنسا لمواحدة انوقف الذي وصلت اليه البلاد . وكنتنا نعلم ان دوائر الاستخبارات الفرنسية كانت تتابع بعض النشاط ، في فيشي . وكذا نعلم ان هيئة اركان الجيش كانت تحاول ان تصحب من لجأ الى الهدنة بعض الاعتداء . وما كنتنا نشك في ان عناصر عسكرية مختلفة كانت تحاول اتحاد الاستعدادات اخذاً منها بفرضية اسلاف القتال . ولكن هذه الجهود الموزعة كانت تبدل خارج دائرتنا ، لحساب عهد يتكون مبرر وجوده

على وجه الدقة ، من عدم استكمال تلك الجهود ، وان لا يكون لستم
لرتب المعكونة ابداً اي معنى او قبول ، بأقل اتصال مع فرنسا الحرة .
وموحر القول إنه لم يكن في الوطن الأم شيء ما ، يمكن ان يستند
اليه عملنا . كان الواجب يقضي ان نستل من العدم الخدمة التي تعمل
في ذلك الميدان الرئيسي من ميادين المراك .

لم يكن حولي نقص في عدد المرشحين ، بكل تأكيد . فقد حدث
ان كان ، بضرب من سوء عمضة لطيفة ، عام ١٩٤٠ ، جرد من
الحبل الراشد 'وجهه من قبل نحو العمل السري . والواقع ان الشبهة
اظهرت ، في فترة ما بين الحربين ، ميلا لقصاص المكتب الثاني ، والخدمة
السرية ، والشرطة ، فصلا عن ميلها إلى الصربات المفاجئة والمؤامرات .
وكانت الكتب ، والصحف ، والمرح ، والسينما ، قد غنيت عنابة
واسعة بمغامرات الأبطال الخياليين - الخياليين كثيراً او قليلاً - الذين كانوا
يحدون بالطولات ، في الظل ، خدمة للبلاد . وكان من شأن هذه
النفسية ان تسهل تحيد المعنات الخاصة . ولكنها كانت تنطوي ايضاً
على خطر ، هو إدخال الرومنطيقية على تلك المعنات ، والحفة ،
والتلصص اسماً ، بما يشكل عقبات كأداء . ولن يكون ثمة مجال
تكثر فيه طليسات الاستخدام كهذا المثل ، ولكن على الرجال الذين
يكتفون فيه بالأعمال ان يقدموا الدليل على جدية أكثر ، وجراءة أكثر
في الوقت ذاته .

وقد وجد ، لحسن الحظ ، طيوس من هؤلاء . وكان المقدم دبرافران ،
الملقب بـ 'باسي' ، رئيسهم . وما من شيء أعقد 'باسي' لهذه المهمة
التي لا سابق لها . ولكن كان ذلك في نظري ، افضل . إذ لم يكده
بمقبر ، من جهة أخرى ، حتى استولت عليه مهمته بضرب من الولع
البارد كان من شأنه ان سدّد خطاه في مسالك مطمة حيث وجد نفسه

منخرطاً في كل ما كان حتماً وكل ما كان شيئاً . ولقد قضى ناسي على دفعة الرورق في عباب القلق الضامي ، والدسائس ، والوان لإحفاق ، خلال المساء اليومية التي كانت هي العمل في فرنسا ، يؤارده ماوبل . ومن بعد فاللون ، وويبو ، وبيير بلوخ ، الخ ... واستطاع هو نفسه ان يقاوم القرب ويتحامي المناهاة ، وهما الايليدان الحديشان مثل ذلك النوع من النشاط . وذلك هو السبب الكامن وراء احتفاظي بناسي في منصبه عبر الرعارع والاعاصير ، اية كانت التغيرات التي كانت تطرأ على المكتب المركزي للاستثمارات والعمل ، مع تراكم التجارب .

كان المطلب الأكثر إلحاحاً ، ان نؤكد في ارض الوطن نواة منظمة . وكون الحبيب البريطاني يريد ان يرانا يرسل فقط عملاء مكلمين بأن ملتفتوا ، مفردين ، معلومات تتعلق بأعراض محددة ، على حساب المدور . تلك هي الطريقة المتبعة في خاسوسة . غير أننا كنا نؤوي من ما هو افضل من ذلك ، فما دام العمل في فرنسا سيأخذ في الانتشار وسط اناس فندفق فيهم الارادات الطيبة ، كما يرى ، دون ما كنا نؤوي نكونه ، هو الشكات السرية . وهذه ترتبط فيما بينها بمناصر منتخبة ، ولحاربنا بوسائل متكررة ، ونحصل على افضل النتائج . وكان لذين قاموا بالتجارب الاولى . يشيخ دورف ودوكلو ، زلا على شاطئ الماش ، فوركو وفيل كوريل عمرا بإسبانيا ، روبر وموتيه قدما من تونس الى مملكة وأعيدا الى افريقيا الشمالية . وبعد هؤلاء ، بلليل ، بدأ ريمي بدوره ، هذه المهنة كميل سري ، وبها اظهر ضرباً من المقربة

وحينذاك بدأ الصراع في ذلك الميدان الذي ظل حتى ذلك الزمن محمولاً . ولكن بعد اشهر ، او هلال بعد هلال ، بتصير اوضح ، لأن كثيراً من العمليات كانت تتوقف على كوكب الليسل ، شرع

الـ $B C R A$ (المكتب المركزي للاستخبارات والعمل) في نشاطه :
 لتجنيد المحاربين للحرب الخفية ؛ اوامر تصدر للبعثات ؛ تقارير للنشر
 والدرس ؛ نقلات على روارق ، وغواصات ، وطائرات ؛ تسلات عبر
 البرق ؛ وإسبانيا ؛ نزول مطلبين ؛ اتصالات مع ذوي البياض الطبية في
 فرنسا ؛ دهاب وإذاب المفتشين وضباط الارتباط ؛ الكتب عمطات راديو ،
 وانواع البريد ، والملاحظات المتفق عليها ؛ الشغل مع المصالح الحليفة التي
 كانت تصوغ مطالب اركانها العامة ، وتروء المعتاد ، وتسهل ، حسب
 الحالات ، أو تعقد الامور . واتسع العمل من بعد حتى شمل العتث
 المسلحة في الاراضي وحركات المقاومة ذات النشاطات المتعددة . غير
 اما لم يكن بعد قد وصلنا إلى ذلك ، خلال هذا الشتاء المظلم .

كان عليا ، ونحن منتظر ، ان غارس مع الانكليز « طرار مبيشة »
 يسمح لـ $B C R A$ (المكتب المركزي للاستخبارات والعمل) بأداء
 وظيفته على ن بطل وطنيا . وكان ذلك رهاما حقيقيا . والاكيد ان
 البريطانيين كانوا يدركون مدى الفوائد التي يمكن ان تعود به عليهم
 امومات التي يقدم بها المرسيون من ناحية الاستعلامات - وهي الساحة
 الوحيدة التي كانت تهتمهم اولاً - ولكن الموهبة المباشرة هي ما كان
 يسمي وراه الانكليز المختصون قبل كل شيء ؛ وابتدأت إذن في الحال ،
 ماسة حقيقية : كما نحن ندعو المرسيين ان لا يتدججوا في خدمة
 المصالح لاجنية اداء للواحب المعنوي والقانوني ، والانكليز يستخدمون
 وسائلهم في محاولة الحصول على عملاء ، ثم على شكايات لهم خاصة .

ما كان لمرسي ن يصل إلى انكليترا ، الا ويحدد له « لانتاليعاني »
 غرفة في « الباربيثيك سكول » ، هذا ان لم يكن شهراً ، ويدعوه
 إلى الاضطرط في الخدمات السرية البريطانية . ما كان يجلس ليستمع بنا
 لا بعد سلسلة من الزان للصعظ والاعراضات . واذا حدث ان ادعى

نعول عما فلا يراه بعد بدأ وكان الانكليز في فرنسا نفسها يستخدمون التماس الالفاظ لتجنيد مساعدتهم ، ويشيرون هذه الاشاعة ، ، ويقولون وربطاب العظمى مما شيء واحد ، ، اما الوسائل المادية التي تخضع بها كلباً على وجه التقريب ، خلعتنا ، هاتنا لم تكن نحصل عليهم احياناً الا بعد صارومات مرهقة . ولا يخفى ما قدسوق اليه هذه الطريقة في المعاملة من مميزات . صحيح ان الانكليز كانوا ، اغلب الاحيان ، يلامسون الحد ، ولا يتجاوزونه ابدأ . لقد كانوا في اللحظة التي يريدون بها التدخل يمدون اصابعهم ثم يرجعونها جريئاً على الأقل ، حين تقع عند حدودنا ، وعند ذاك يفتح عهد من التعاون الثمر الى ن يأتي يوم تثور به فجأة عواصف جديدة

ولكن ما كنا نحاول عمله ، في هذه الناحية كما في غيرها ، لا يمكن ان يكون ذا قيمة ، الا اذا اتبعنا الرأي العام الفرنسي ، فقد اكتشفت اي دور يمكن ان تلعبه الدعاية على امواج الاثير في خطتنا الجديدة ، يوم ١٨ حزيران (يونيو) ، اذ تحدثت بالراديو لأول مرة في جيباتي وتصورت شيء من الدور أولئك الذين يستمعون الي من ساء ورجال.

وكان فصل الانكليز ، وهو واحد من افضالهم لأخرى ، هم ادركوا فوراً الامر الذي يمكن ان يحدثه مدياع حمر في نفوس الشعوب المعولة ، واستخدموه على اوسع مدى ، وعمدوا في الحال ، الى تنظيم دعاوتهم الفرنسية . ولكنهم كانوا في ذلك اعميين كما في كل شيء ، فهم وان ارادوا ملصق تمزير الصدى الوطني الذي لقيه ويقولون وفرنسا الحرة ، رعبوا ايضاً في ان يفيدوا من هذا الصدى لانفسهم ويظنوا في الوقت نفسه ، سادة الموقف . اننا نحن فكنا نرى ان لا نتكلم الا لفصيحنا . ولم نسلم قط من حقي بأي إشراف على ما نقوله ، حتى ولا بأي رأي احبي حول ما نقوله لفرنسا ، وذلك مما لا حاجة الى بيانه .

وكان ان سويت وجهات النظر المختلفة هذه تسوية واقعية تقتصر وفقاً لها فرنسا الحرة كل يوم بإداعتي مدة كل منها خمس دقائق ونشأت ، من جهة ثانية اللجنة الشعبية « فرسيون » يتحدثون إلى فرنسيين « مستقلة عنا » وكان يقوم بإدارتها السيد جاك دوشين ، رجل المسرح الذي استقدمته الي. بي سي وكان يشارك فيها عدة فرنسيين احرار مثل جان ماران و جان أوبرله ، موافقي . وكان من المنفق عليه ، في جانب آخر ، ان تكون اللجنة على اتصال وثيق بنا ، وهذا ما جرى لمدة طويلة ، فعلاً وعلى ان اقول ان مواهب تلك الجماعة وفعاليتها حتمت علينا ان نمنحها كل عون قدرنا عليه وكذلك فعلاً ايضاً مع مجلة « فرنسا الحرة » التي يعود الفضل فيها إلى السيدين لامارت وريمون آرون . وتعاملنا بالطريقة نفسها مع « الوكالة الفرنسية المستقلة » وصحيفة « فرنسا » ، الاولى كان يديرها مابو المعروف بـ « بوردون » والثانية السيد كومبر شاييد مباشر من وزير الإعلام البريطاني ولكن من غير ان يكونا مرتطين بنا ، على حال من الاحوال .

كاث الامور تشير على هذا النحو ، ولا نخلو من بعض احوادث الطبيعة طالما ظلت مصالح ائكلترا وسياساتها متوارية مع فرنسا الحرة . وستناً فيها بعد أرمان لا ننف بها مما « فرسيون » يتحدثون الى فرنسيين ، ولا « الوكالة الفرنسية المستقلة » ، ولا صحيفة « فرنسا » . صحيح انه كان لدينا في مدام برارافيل على النوم وسيلة لنشر ما كان يبدو لنا مفيداً . والواقع ان مذياعنا لا يرقى المتواضع قدم صد الداية بوضيعة على نحو فعال ، وقد استقدمه نفسي مراراً . ولكن صك نريد توسيعه وتكبيره ، وطلبت المواد اللازمة لذلك من اميركا . وكان يترمنا للحصول عليهم ان نحيط في الولايات المتحدة الكثير من الدسائس والمرايدات ، لا أن مصر طويلاً وندفع كثيراً من الدولارات ، فحسب .

وأخيراً ، هضت لاداعة الصميرة وكانت بدايتها بطولة في الكومبو ،
خلال ربيع ١٩٤٣ ، التي كانت أساساً للقطعة الكبرى لغربا المهارنة

لا حاجة الى ذكر الأهمية التي كان يعلقها على دعائنا الموحدة من
المدن ، فقد كان يدخل الاستوديو كل يوم ذلك الذي يتكلم باسمنا وهو
مشمع كل الاشياء بقمعته . ومن المعلوم ان موريس شومان كان يقوم
بذلك أغلب الأحيان . ومن المعلوم كذلك أية موهبة كانت ترحبه .
وكل ثمانية أيام تقريباً ، كنت أتكلم بمعي ، ولدي لانتطاع التبيع
المؤثر أبي أودي للدايين من المستمعين الذين كانوا يستتون إلي ، في حومة
القلق عبر نشوؤات رهبة ، صرباً من طقس كهنوتي . كنت أركثر
خطائي على عناصر حدّ بسيطة يجري الحرب الذي كان يبتس خطاً
الاستلام ، الكرامة الوطنية التي كانت تحرك النفوس بعمق ، لدى
الاحتكاك بالحدود ، والأمل بالنصر أخيراً ، وعظمة جديدة له ، سيدتنا
فرسا .

ومع ذلك ، كان عليا ان نلح جيداً ان الرأي العام كان على
صليته ، في المظفتين ، أياً كان التأثير الذي تحدثه تلك الخطابات وما
تلقاه من قبول . ولا ريب ان راديو لندن ، كان يسمع في كل مكان
مارتياح ، وفي أغلب الأحيان بحماسة . كان الحكم على مقابلة مودتور جيداً
صارم ونصيرة طلاب مارس ، وهم يحملون في موكب ، حلف لافتة كتب
عليها « دو غول Deux Gaules » ، في ١١ تشرين الثاني ، الى قوس
النصر ، والتي فرقها الفهرماحت بطلقات التمدق والرشاشات ، تعطي
فكرة مؤثرة وثقة الهمة . وبدأ طرد لاول الوقت وكأسه هتارة

(١) Gaule تعني ديمومية نصيب طومال لغربا التهار و Deux ، اثنان . نطقها معاً
مؤلف جيناً لفظياً يشير الى الجبال ويمول .
المترجم

رسمية لتقويم الاعوجاج . وفي اول كانون الثاني ، ظن قسم كبير من السكان ، ولاسيما في المنطقة المحتلة ، قابضين في موارثهم تلبية لما طلبت اليهم ، وأحلوا الشوارع والساحات مدة ساعة . « ساعة الأمل » . غير انه لم يكن ثمة ادنى علامة تحمل على التفكير ان عدداً كبيراً من الفرنسيين مصمتة على العمل ، فالدور لم يكن يعاني في ديارفا أي خطر . أما فيتشي فقليل هم الذين كانوا يدعونها في سلطانه . ولدارشل نفسه طر يتمنع شحنة دنقة وقد وصل اليها فيلج عن رماراته للندن الكبرى في اوسط الجنوب يعطي التديل القاطع على ذلك . وكانت الاعلية العظمى قد « في قرارتها » ان ترى في بيتان داهية من الدهشة ، وأنه سيرفع السلاح في اليوم الموعد . والرأي العام كان يحس اذن أنه وإيدي على وفاق سرتي . واخلاصة السهائب انه لم يكن للدعاوة ، شأها على أندواء . سوى قسمة حشبة في حد ذاتها . كل شيء كان يتعلق على الأحداث .

كان الاهتمام ، في الطرف الرابع ، منصرفاً الى معركة الفريقتين . وقد احدث قرب الحرة نظير فيها . وكان ان رحلت اتصل مباشرة ، منذ ١١ ثور ، « جندل وديال الدند البريطاني الاعلى في الشرق الاوسط » ليجمع في وحدات منظمة العناصر الفرنسية التي كانت في منطقة عمدة ، ويرسلها إتحاداً للبحرل ليحتل يوم في جيبوتي ، ثم حسين تأكد من ساحل الصوحد الفرنسي أدعى للهدنة ، حصلت من وبعين على موافقة بأن يشترك فوج مشه البحرية الذي التحق بقمرص في حبرون واكمل الفرنسيين من مصر ، في اول محوم يشه الانكليز في بركة نحو طبرق ودرنة . وكثير من الوطنيين في فرنسا والخارج اهتزوا هرجاً حين عرفوا ان الفوج السائل الذي يقوده المقدم « فوليو » غير في معركة سدي برياني ، في ١١ كانون الاول (ديسمبر) . ولكن الامر المهم انما كان

الآن الإتيان بفرقة - خفيفة وبألأسف ١ - من أفريقيا الاستوائية الى البحر الاحمر ، والموافقة على اشتراكها بهذه الصفة ، في العمليات الحربية .

غير ان القيادة البريطانية كانت تريد بهذا الجهد كله في أريتريا والحشة ، خلال الربيع ، بحيث تصفي جيش الدوق دارست قبل الشروع بعمل آخر على شطآن المتوسط . كنت اريد ان يسهم اول فوج عربي في العمل ، أية كانت المسافات . وفي ١١ و ١٨ كانون الاول اعطيت لارميا وكاترو التعليلات الضرورية . وكان المراد إشراك نصف اللواء من اللصيف الاحني ، وفوج سنغالي من تشاد ، وسرية من الرماة البحريين ، وسرية من الدماات ، وبطارية مدفعية ، وعناصر مصالح ، والكل تحت إمرة العقيد موكلاز . وكانت هناك كوكبة من « الصيادين » جاء بها المقدم جوردييه من سوريا في حزيران (يونيو) ١٩٤٠ ، وبصفة طيارين قدم بعضهم من تونس مسح النقيب دوديليه ، واسمض الآخر من رماق مع الملامين كورنيز ودي ميمون ، وكوا بحاريون الى حاسب الانكليز . وكنت قد نظمت ازال المبلق القادم الى بور سودان بالاتفاق مع الجنرال وبفيل ، وكان على الدماات والمدفعية ان تتبع المبلق والكوكبة المشار اليها ، ولكن من طريق البحر . اما فوج تشاد ، فقد ذهب الى الخرطوم عتقياً آثار الاقدام بكل بساطة ، مستخدماً شاحنات صغيرة محلية ، وقد وصل من غير عشاء ، رغم نبوءات الشؤم التي فكس له بها أعارقة محسكون . وخاض القتال منذ ٢٠ شباط (فبراير) بقيادة المقدم خارماي ، على مقربة من « كيكب » واحرز مجاًساً مرموقاً . ولتحت من بعد اربعة افواج سنغالية بهذه العناصر الطليعية ، وشكلت معها وحدة قتال ذات قيمة . وكنا تنوي من جهة اخرى ارسال شرفة فصاف فرنسية مزودة بأجهزة « لنتام » استفدناها من اسكترا الى الخرطوم . واتجهت اخيراً سفيتا الاستكشاف

« ساورين - دي - برازا » و « الكومندان دوبوك » نحو البحر
الاحمر

« كان أهمّ إسهام فرنسا في معركة الحشة لو ان ساحل الصومال
الفرنسي بحاميته ذات الـ ١٠٠٠٠ رجل الذين أحسن تسليحهم ، وميقاته
حيثوتي ، مية سكة أدبيس » ، كان قد ستألف القنال وكنت
احول وناحت حطى الجيوش الفرنسية حول الحشة ، ان تصوي ثبث
المستعمرة الفرنسية الى جانت ذلك بأن حيثوتي خضعت لاوامر فيشي
بعد ردت في رفض الهدنة ولكن لا يخلص ان مشوب معركة
تدور رحا ضد العدو في المنطقة نفسها ، وقدم فرنسا للمشاركة
فيه ، كما يؤيد ان تعديل في الموقف « وفي هذه الحانة كان علينا
ان نزل جيوش فرنسا اخرة في حيثوتي لتلحق بها الحامية ، وعند
ذلك ، تأخذ المدرة في الهجوم قوت فرنسية مهمة فعلا ، وانطلاقاً من
تلك اللحظة ، تربط مجهودات المجهود البريطانيين . وادا كان العكس ،
ولم يقل الصومال فرنسي ان يحلما ، فإن الحلة الفرنسية الحرة تقايل
مفردة ، الى جانب الاسكليز .

وافق حله لنا في لندن على هذا المنهج ، هكلفت الجنرال ليحيثيوم
ان يحول قنياد قوته القديمة في حيثوتي الى القتال ، وفي جميع
الاحوال ، ان يقدود تلك التي أرسلت او تلك التي ترسل الى البحر
الاحمر من افريقيا لاستوائية ، عدهم قوياً الى الخرطوم ، وحددت
للبحر كثر والحوار وبفيل الشروط التي تدعي للجنرال ليحيثيوم ان
يعمل فيها ، والقوت التي تأمر بأمره . ورحوت السيد تشرشل في
الوقت معه ان يطامن من قلقه اراء المادرة الفرنسية التي قدسها اول
لامر بوجه عانس ، وسحة مظلة .

وبما كنا نحاول مؤازرة القوات البريطانية العاملة في الشرق ، فتحنا

على مخوم تشاد وليبيا جهة فرنسية خالصة . وكان فتحها ، والحق يقال ، بوسائل جد ضعيفة ، وعلى مساحات واسعة ، ولكن كله في استطاعتنا هناك ان نستقل بأنفسنا ، وكنت أصر على ان يكون الموقف بحومره ، على ذلك النحو .

وكان لوكليز منذ وصل الى تشاد قد أعدت بنشاط مشاء العمليات الأولى المقررة في الصحراء ، تحت قيادة المشدوب السامي دي لارمينا الذي قدم له كل ما كان يستطيع تقديمه . وقد اندفع في استطلاعه ، خلال كانون الثاني (يناير) مع العقيد دورانو الذي قتل خلال ذلك حتى بلغ مركز « مرزوق » الإيطالي ، وكانت جولة استطلاع موفقة التحقت بها دورة قدمت من النسل . وانطلق لوكليز في جهة كانون الثاني على رأس رتل محكم للنفيان ، بإساده طيرانتا ، في اتجاه واحات كفرا ، على بعد ١٠٠٠ كيلومتر من قواعدهم ، وراح يهاجم الإيطاليين في مراكزم ، ويصف قواهم المتحركة ، طيبة عدة أسلحة من المناورات والمعارك ، وفي أول آذار (مارس) أرغم العدو على الاستسلام . وفي غضون ذلك ، كان التقدم السريع الذي أحرزه البريطانيون في ليبيا ، يبدو وكأنه يقدم لنا أيضاً مجالات أرحب . وذلك هو السبب الذي جعلني أصدر للصحراء دي لارمينا ، في ١٧ شاط (فبراير) ، أمراً بأعداد غزو فزان . ثم اضطرنا سير الحوادث الأخيرة في ليبيا الى الامتناع عن تعيد الخطة المعدة في ذلك الحين . ولكن لوكليز وقواته الصحراوية ، اصبحوا على أهبة الاستعداد نحو ذلك الهدف الرئيسي . وكان ان حملتي الاحوال ، خلال ذلك الوقت ، على توطيد وضع فرنسا بالنسة الى وضع البريطانيين ، فيما يتعلق بكفرا وفزان . سوف تنقضي في كفرا ، رغم ان الواحات كانت قد ألحقت من قبل بالسودان الاسكليزي - المصري . وسين المحتل فزان ، يوماً ما ، وتفر انكثرا بحف في البقاء

على أرضها ، يمكن عند ذاك ان نخلو عن كغرا .

ومع ذلك ، طلت اسادرة الاستراتيجية دوماً في يد العدو ، مها
فعل الانكليز والروسيون الاحرار معهم ، وعليه كان يتوقف توحيد
الحرب . أتراه ينقص على افرقيس الشمالية عن طريق السوس وحمل
طرق ، بعد ان احقق في عرو انكليز ؟ أم تراه يريد ان يصعب
حساباته مع السوفييات ؟ كانت هناك ، في جميع الحالات ، أمارات
تدس انه سيطلق في تعيد هذه او تلك من خططه . وأياً كان الاحتمال
لدي يصح اكثر من غيره ، بعد كذا ، فيما نرى ، نخدنا من لاستعدادات
ما يسمح لفرنسا الحرة ان تخلص الميدان على محور محدد بما لديها من قوت
الا انسي كنت مصفاً ، عدا ذلك ، وبالرغم من المعمر الذي كسا
تقلب فيه ، على التكلم باسم فرنسا وأدعي في ذلك حسب ما تقتضيه
الظروف ، حيل كل مشكلة بطرحها على العالم معوم حديد نشه الدب
وحملاتها .

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٤٠ ، هاجت ايطاليا اليونان . وفي اول
آذار ١٩٤١ 'رغم زرع' بلغاريا على الانضمام الى المحور . وفي الايام
الاولى من نيسان (ابريل) دخلت الحيتوش الانانية بلاد اليونان
ويوغوسلافيا . واصبح في إمكان العدو ، بعد وضع يده هذه على اللقدان
ان يهدف الى الانصباب على الشرق ، بمقدار ما يمكنه ايضاً ان يطوق صد
البريطانيين كل رأس جسر خلف المهرماحت (الجيش الالماني البري)
اداً اراد هذا ان يتفعل في روسيا . وكنت قد ابرقت الى الجنرال
ميتاكاس ، وزير اليونان الاول ، منذ بدأ الهجوم الايطالي على بلاده ،
ليكون معلوماً لدى الجميع الجانب الذي تميل اليه أمانتي فرنسا وولاؤها .
واظهر جواب ميتاكاس انه ادرك القصد . غير انني لم اوفق الى حمل
الانكليز على القبول بنقل سرية صغيرة الى اليونان كنت أردت ايفادها

صفة رمزية . ولحج القول إن وبفيل ، وهو المتهمك بعمليات لبيب وأريثريا ، لم يوفد هو ايضاً الى اليونان آنذاك ، أية قررة من قواقه الخاصة

وعلمنا في مستهل شباط (فبراير) برصول البعثة الالمانية دون هنتيغ وروزير الى سوريا . وكان من شأن الهياج الذي أثارته تلك البعثة في الاقطار العربية ، ان يعيد إمّا بأعداد غارة لقوات المحور عليها ، وإما بأن يخلق فيها إلهاء مفيداً في حالة شن هجوم من قِبل هذه القوات على كيف وأوديسا .

وراح الخطر الياباني في الوقت ذاته بتعديده في الشرق الأقصى . لم يكن في الامكان ، ولا ريب ، تبين ما اذا كان اليابانيون يسوون دخول الحرب قريباً ، عن ارادة وتصميم ، أم أنهم يمارسون بدساسة ، ضغطاً في جنوب شرق آسيا ، يراد منه إشغال اكبر عدد ممكن من القوات البريطانية والاستمدادات الاميركية ، بينما تنفق كل من المايك وإيطاليا جهودهما إما لمحور موسكو ، وإما فجاً وراء المتوسط . ولكن اليابانيين كانوا يبتغون بأي شكل ان يؤمنوا لانفسهم فوراً السيطرة على الهند الصينية . وادام دخلوا الحرب ، فإن مستمرالنا ومصالحنا نفدو كلها مهددة من كاليدونيا الجديدة ، الى أرخبيلنا في الباسيفيك ، الى المنشآت الفرنسية في الهند ، وحتى الى مدعشر .

كان للتدخل الياباني في الهند الصينية قد بدأ منذ اتصح ان فرنسا خسرت المعركة في أوروبا . وفي شهر حزيران ١٩٤٠ ، وجد الجنرال كارو الحاكم العام نفسه مكرهاً على قلبية المطالب اليابانية الاولى . وقبل ان يلبثها ، جسّ بعض البريطانيين والاميركيين ، واستنتج انه لا سبيل الى انتظار مؤازرة خارجية ، من اي نوع . وعند ذلك ، عيّنت فيشي ديكور ، محل كارو . واما بالنسبة الي ، فقد وجدت نفسي معكراً على رقب الاحوال الى اشعار آخر ، إذ لم يكن في وسعي ان اثبر حركة

في الهند الصينية قدرة على تولي الأمور سداً ، ولا أن أعظم التدخل
ليدهني اندي لا بد ثل تلك الحركة أن تتجدها ، ولا أن أحمل الحلفاء
يصممون على معارضة التعديلات اليابانية . وكان صبي أن أبرقت ، بمشاعر
يدركها الجميع ، من دولاً ، في ٨ تشرين الأول ، إلى معيش المستعمرات
العام كآر ، ومدير المالية في سايغون ، حوالة عن رسالة مؤثرة أعرب
فيها عن الود الذي يكنه قسم كبير من السكان الفرنسيين الأحرار ، كما
عرض أيضاً أوصاع الهند الصينية مبدأ أنه يستحيل عليها أن تتصرف
وفق ما ترغب وتتمنى . وكانت الهند الصينية تراهي لي شخصياً ، وأنا
الذي أفود قديماً صغيراً فوق أوقيانوس الحرب ، وكأني ، يومذاك صعبة
كبري تشرف على العرو ولا استطيع انقاده . قبل أن يتساح لي وقت
طويل أجمع به وسنني الانقاد . وقد اقسمت أن أعيدها إلى الحياة يوماً
ما ، وأنا أراها تبتعد في الضباب .

وفي مثل عام ١٩٤١ ، دفع اليابانيون سيام إلى الاستيلاء على ضفتي
نهر الميكونغ ، فضلاً عن كمبوديا واللاوس ، وفي الوقت نفسه راحوا
يشددون في مطالبتهم الخاصة ، وهم يشدون لأنفسهم ولا ، سيطرة
على الهند الصينية من الناحية الاقتصادية ، ثم احتلالاً عسكرياً لأهم النقاط
فيها . وكنت أطلع على تطورات هذه القضية الخطيرة ، لا عن طريق
الاسكندر والهولنديين في لندن وحسب ، وإنما عن طريق الممثلين الذين
كانت همسا الحرة تعتمد في أهم منقبات الطرق العالمية . شومر ،
ثم نارون ولاملاد في سبافورة ؛ عارو - دومال في واشنطن ؛ إيدال في
شمهاي ؛ هيو في طوكيو ؛ برمسك في سدي ؛ أندرو عيمو ثم بيثان
في تشونغ - كسج ؛ فكتور في بيودهي . وهذا لي أن مختلف التيارات
أراء تلك الأحداث الصارية ، مرتبكة بعضة ما كانت معقدة ، ولكن
أحداً ، على كل حال ، لن يندل شيئاً لمساعدة الهند الصينية الفرنسية

على مقاومة اليابانيين . لم يكن لدى فرنسا الحرة ، بطبيعة الحال ، وسائل المقاومة . وفيشي التي كانت تلك هذه الوسائل ، وجدت نفسها مع الألمان الذين أسلمتهم قيادتها ، غير قادرة على استعمال وسائلها ، ما دام سادتها يرفضون . وكان هم الانكليز مصرفاً الى ربح الوقت ، وهم يشعرون ان المعاصرة لا بد ان تبلغ يوماً ما سنهاورة . وبد مثلهم في بانكوك حريصاً قبل كل شيء ، على الاحتفاظ بعلاقات الود مع سيام ، أيا كان مصير أراضي الميكووسج . أما الاميركات ، فانهم كانوا عبر مستعدين مادياً ، ولا مضموناً لجبهة الرأع ، فقدوا الية على ان لا يتدخلوا .

كان كل ما نستطيع عمله ، في تلك الاحوال ، وهو ما عملناه ، إنما كان أولاً أن نشعر الناس في كل مكان أن فرنسا الحرة تعتبر كل تحلل من حكومة فيشي عن نصرة الهند الصينية لمواً وليس له أي مفعول شرعي . وكان أيضاً ان لا نقوم بحركات داخلية من شأنها أن تسيء إلى المقاومة التي تنفي منها السلطات المحلية ، احتمالاً ، معارضة السياسيين والسياسيين . وكان أيضاً وايضاً ، ايجاد انسجام بين عملنا في الباسيفيك وعمل الدول الأخرى المهتدة ، ومحاولة - ولكن عثاً - وساطة مشتركة تقوم بها انكلترا والولايات المتحدة وهولندا ، لمصلحة الهند الصينية . وكان أخيراً ، تنظيم دفاع كاليدونيا الجديدة وقامبي ، بالاشتراك مع أستراليا وزيلندا الجديدة .

وكان أن قابلت ، فيما يخص هذه النقطة الأخيرة ، وزير أستراليا الاول السيد منزيس لدى مروره بلندن في شهر آذار ، ووضعت القاعدة الجوهرية مع ذلك الرجل ذي الحس السليم . وقام على أثر ذلك ، الحاكم سوتر بالمفاوضة ، وخلص باسمي الى اتفاق دقيق مع الأستراليين متخذاً جميع الاحتياطات لتفادي وقوع أي انتقاص من السيادة الفرنسية .

وعند هذه الفترة وحيدة ، السلاطين أخذوا في مهاجمة اليكوج ،
 و بهم حصلوا ، ثم لم تم تدفعه ، لو رلت بهم في البحر ، على
 الاراضي التي كانوا يطمعون بها ، ولما نتيجته صعد شديد فقام به
 البابليون على سابعون وفيشي تحت ستار اسمه : « وساطة » . وكان
 ان فرصت السطان ساعد بها من بعد على اعداء تصديده ، ولم يكن ثمة
 أدنى مقدومه ، ولا رافع صوت واحد بالاحصاح من جانب أية دولة
 اخرى ذات علاقة بالخطأ الهادي . وصيح وصحوا ، منذ ذلك الحين
 ان دخول البابليين الحرب العاقبة لم تعد سوى قصة وقت .

وراحت العلاقات بين الفرنسيين والبريطانيين تزداد كلها توصفت اسباب
 العمل المشترك . وكان الحشاك ، على مدى الابد ، قد ادى ، من
 جهة اخرى ، الى التعارف ، و من واحة القول إنه قد كان تقديري
 لأولئك الاسكندر الذين يدرون دفة الحكم في بلادهم امراً مفروغاً منه ،
 فمن هؤلاء كانوا يولوني ، فيما بدا لي ، تقديرهم ماي شعبي . لقد
 كن املك أولاً قدوة وعلى اطلاع دائم ، والملكة ، وكل افراد اسرتها ،
 يضمون عديد امسات ، لاطهر تقديرهم . وكنت مع السيد تشرشل
 من بين الوزراء ، اكثر ما اكون بالطمع على صلات عامة وخاصة ،
 غير اني كنت ارى ابصاراً ، اكثر ما ارى ، في تلك الحقبة سواء من اجل
 الشؤون العامة ، او في اجتماعات ودقة ، السيد ايدن ، والسير جون
 اندرس ، والسيد آمري ، والسير ادوارد ايريس ، والسيد ألكسندر ،
 والسير أرشبولد سكر ، والورد لويد ، والورد كراسور ، والورد
 هيكلي ، والسير ستافورد كريس ، والسادة أنلي ، ودورف سكور ،
 ودالتون ، وبيس ، وهوريسون ، وبيمان ، وبنر ، وبراندا - بركن .
 كنت أشتقي اكثر الاحياء من بين اوائل الخدمة ، المديين او
 العسكريين السير روبرت هاستنارت ، والسير ألكسندر كادوغان ، والسير

سترايغ ، والسيد هورتون ، والقيادة السير جون ديل ، وإسماعيل ،
والأميرال السير داني ماوند ، ومارشال الجو بورغال . وكان الجميع
يظهرون فيها بشئق بالمصلحة البريطانية امانة وثباتاً بفرضان نفسيهما
ويلفتن الانتباه ، سواء كانوا من الحكام او كبار الرؤساء ، او كبار
الموظفين ، او من شخصيات البرلمان ، او الصحافة ، او الاقتصاد ، الخ ...

وليس ذلك ان هؤلاء الرجال كانوا بحال ، مجردين من كل روح
نقدية ، فضلاً عن بدوات الخيال ، فكم من مرة قطعت محلاوة السخرية
التي كانوا يمارسونها في نظرم الى الرجال والحوادث ، رغم الإعياء الذي
يقتايم ، وفي صميم المأساة التي كما تنقلب فيها جميعاً كما تنقلب الحمى
في لجج البحر ! بيد ان كل واحد منهم كان يطوي على احلاص للخدمة
العمامة ، وكانت بينهم جميعاً وحدة نبات تشدم بعضاً الى بعض . وكان
المجموع يوحى ، من خلال الهيئة الحاكمة ، ان هناك تماسكاً كنت
اعبئهم عليه ، واعجب به اعطب الاحيان .

وكان علي ايضاً ، ان أحمّل شدات الحزام ؛ ذلك بأن مطارمة آلة
الحكم البريطانية بحمة قاسية ، ولا يب حسين تأخذ في التحرك لفرض
أمر ما . فإن المرء لا يملك ان يتصور أي استغراق في الجهد ، واي
تنوع في الطرائق ، واي إلحاح طوراً ثامناً رقيقاً ، وطوراً ضاغطاً او
مهبطاً ، يستطيع الانكليز ان يمارسوه لنيل ما يرضيهم ، اللهم الا اذا
كان قد هانى التحرية بنفسه .

هناك أولاً تلميحات كثيرة لها وهالك ، ولكنها باردة في توافقها
كانت ترد عليا فتوقظ انتباهنا وغارس عينا إعداداً منهجياً . وكانت
الشخصية ذات الصلاحية تقدم المطلب أو المقنضى البريطاني فجأة ،
خلال حديث منظم في الشكل ، فاذا نحن لم نقل الدخول في السبل
المقترحة - ويجب أن أقول إن هذا ما كان يحدث كثيراً - بدأت بحمة

« الصعظ » ، « وراح الناس كلهم يمارسون من حولنا » ، بجميع القوالب ، وعلى مختلف الدرجات . وكانت هناك للحادثات الرسمية أو شبه الرسمية ، التي 'تستدعى' بها المستويات على أنواعها المتعددة : الصدقة ، والمصلحة ، والرهبة حسب المناسبة . وهناك على الصدقة الذي 'يختزن' بمهارة لاستخدامه في موضوع الدرع نفسه ، ولكنه كان يحقق فيما يتعلق بنا ، جواً من البرء والكآبة . وكان هناك موقف الأناضول الذين يتفق أن تربط بهم علاقات شخصية ، وكانوا جيباً يجهدون ، متوافقين بالضرورة ، في قساعاً . وكانت هناك في كل مكان ، وعلى نحو مكثف جماعي ، هاتيك الملامات ، والشكايات ، والوعود ، والمصبات .

وكان يساعد شركاءنا البريطانيون في ذلك كله هذه النزعة الطبيعية لدى الفرنسيين إلى التحلي اراء الأجنبيات ، والانقسام فيما بينهم . لقد كان النسرل عندما ، عادة أغلب الأحيان ، إن لم يكن صدأ ، في أوساط أولئك الذين قدر لهم في حياتهم العملية ، أن يهتموا بالشؤون الخارجية من قريب أو من بعيد . وكان أمر فرنسا في نظر كثرة من الناس ، وكأن فيه تعاقاً بينهم ، أنها لا تقول أندأ : « لا » ، وذلك لمرط ما فمرسوا بالحجة في ظل عهود محرومة من انشأت والصلابة . وكنت أشهد كذلك حتى من حولي في اللحظات التي ، صمد بها أمام التطلعات البريطانية ، تظاهرات مذهمة ولصيق وقلق . كنت اسمع المقصات ورر ، الكواليس ، وأقرأ في العيون هد السؤال : « إن أين يريد أن يذهب ؟ » ، كما لو كان أمراً يفوق التصور أن لا يذهب امرؤ ما إلى قول ما يراد منه . أما أولئك الفرنسيون المعتزون الذي لم يجهلونا ، فإنهم كانوا يسعدون موقفاً معادياً لنا ، على نحو شبه أوقوساتي ، وكان معظمهم يتبع مسدرا الذي تسير فيه مدرستهم السياسية ، وهي التي ترى أن فرنسا كانت دوماً على خطأ ، في الوقت الذي كانت تشتت به وجودها . وكانوا جميعهم يسعون

باللائمة على ديفول ذي الصلابة التي يتعونها أيا دكتاتورية ، وتترامى لهم
منار رية بالنسبة لروح الامال والتخلي التي يدعون أنها وروح
الجمهورية سواء !

وحين أتبع لهذه التأثيرات المتعددة أن تلعب لعبتها بعمق ، كان
الصمت يهيم فجأة ، وبشيء حولنا ضرب من الفراغ يخلفه القريطانيون ،
فلا محادثات بعد ، ولا مراسلات ، ولا زيارات ، ولا ولائم . وتظل
المسائل معلقة ، وأجراس الحوائف تنقطع عن الرنين . والذين كنا نلتقيهم
مصادفة من الانكليز يظهرون غامضين لا سبل إلى دخائلهم . كنا إذ
أنا ينكروهم ، كما لو كانت صفحة التحالف وحتى صفحة الحياة ، قد
طلبت بعد الآن عنا ، وامطرينا معها ، ويحيط بنا في قلب انكلترا
المستفرقة والحازمة ، برد جليدي .

وأقبل في ذلك الجو المكهر الهجوم الحاسم ، فقد عقد اجتماع فرنسي
- بريطاني دون تفكير سابق ، وفيه وصحت جميع الوسائل لتعمل كل
واحدة هلمها ، وقامت جميع المحجج ، واشتبكت فيما بينها الاحقاد ،
واصبح كل جانب ينفي على ليله . وعلى الرغم من أن كان لتلك
المرحبة درجالها لدى الانكليز المسؤولين ، فقد راح كل واحد منهم
يلعب دوره كفتان من طبقة اول . وتولت الساعات ، وكنت فتوال
مما المشاهد الثورة الرابعة . واقترق الجمعان على إنذارات متبادلة ،
وذلك لأننا تخليسا عن كل رغبة ومطلب .

وما كاد يمضي بعض الوقت ، حتى كانت المقدمة . هناك عدة
مصادر بريطانية ألفت بعلامات انفراج . وأقبل بعض الوسطاء يقولون
ان ثمة ولا ريب ، سوء تفاهم . وراح بعض المسؤولين منهم يتسقط
اخباري . وظهرت في الصحف مذمة تشيد بذكري ، وهذه المناسبة
وصل مشروع تسوية انكليزي يتعلق بالمسألة موضوع النقاش ، وهو يشبه

كثيراً ما سبق لنا ان اقترحناه بأغسا . ومنذ اصححت الشروط مقبولة
"سوتي" الأمر سرعة ، في الظاهر على الأقل . وكان النص قد وُضع
اشياء احتجاج ودّي ، لا لأن شركاء كانوا قد حاولوا ، في غبطة
التعام الذي وحد بعد صياح ، ان يحصلوا بفترة على بعض الفوائد . ثم
"قلّف" التقارير كما يجب ان تلف ، وحوهر الأشياء بظل مع ذلك ،
غير محدد . وذلك لان ما من قصة بالنسبة لبريطانيا العظمى يتم حولها
التفاهم ابداً .

وفي بداية شهر آذار ١٩٤١ ، لم استطع ان اشك ان الحرب كانت
قرينة الاندلاع بالنسبة لنا ، في الشرق واطريقيا ، واسا شئني هناك
معين كرى تجاه العدو ، معارضة فيشي الجديدة ، واستقاقات خطيرة
مع الحماة . وكان عني ان اتخذ المقررات الضرورية في المناطق تلك نفسها ،
فهممت على الذهاب اليها .

وقصيت عطلة الاسوع ، قبل ان اسافر ، في وزارة المال عند الوزير
الاول الذي نقل اليّ "مشارئين" ، وهو يودعني في الوقت نفسه ، فقد
اقل السيد تشرشل في ٩ آذار ليوقصي ويقول لي ، وهو يرقص فعلاً
من المرح ان الكونغرس الاميركي اقترح الى جانب قانون الاعارة
والتأجير ، ان يناقش مد عدة اميرج . وكان في ذلك ، ما يلا
بوصف عطلة ، لا لأن المحاربين سيحدثون انهم بعد اليوم مطمئنين الى
تلقي المدد الضروري نقشل ، من الولايات المتحدة وحسب ، بل لان
اميرك خطط أيضاً ، ان اصححت كذا ، عمر دورفلت ، مصنع حرب
للديمقراطيات ، ، خطوة حجارة نحو الحرب . وبعد ذلك ، أراد السيد
تشرشل ان يبعد ، ولا ريب ، من رتيباضي ، فصاع الحشر الثاني ،
قائلاً : "انا أعرف أنك نحمد على سيرر باعتباره رئيس ارتباط معكم
غير اني اطلب اليك ان تحتفظ به بعد ، وان تقتضاه الى الشرق

وتلك خدمة شخصية تؤديها لي . . ولم استطع ان ارفض ، وفترقنا
على ذلك .

وكان لديّ الشعور هذه المرة ، وانما اطير نحو خط الاستواء في
١٤ آذار ، ان فرنسا الحرة تتفتح ببحار قيم من الاسلحة . وكان
مجلسنا الدفاعي عن الامبراطورية بشكل ، أيا كان تشتت اعضائه ، مجموعة
متناسكة ، مقدرة ومحمداً بها من قبل الحكومة البريطانية ، منذ
٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٠ ، من جهة اخرى ، وقد توطدت
في لندن ادارتنا المركزية ، واصح بؤلف هيكلا رجال اكفاء مثل
كاسان ، ويلفن ، وبالفكي ، واسطوان ، وبييه ، وديمان ، وألمان ،
وديتيري ، ووريس ، وآميه ، إلخ . . وكان لدينا ، في جانب آخر ،
هذه ضباط ذوي قيمة من الناحية العسكرية امثال العقلاء : بيسي ،
الجيينو ، داسوفيل ، بروسيه ، قدموا من اميركا الجنوبية حيث كانوا
في بمشاة اختصاص ، وانتقل وورس من الكامبيرون . وعقيد الجوفالان
ابدي وصل من البرازيل ، وكلاهما زاد في صلابة اركان حربنا . وكارو
في الشرق ، ولارمينيا في افريقيا ، قبضا على مقاليد الامور جيداً .
وكانت مفاوضاتنا تتركز ثابتة في كل مكان من العالم الجديد ، بتأثير من
هارو - دومبال في الولايات المتحدة ، وريدو ، في اميركا الجنوبية ،
وسوتيل في اميركا الوسطى وماركان - برينل في كندا . وما انضكت
بلجاسا في الخارج عن التسامي ، رغم العمل الذي كان يمارسه بمثل فيشي
في امكنتها ، ورغم سوء المعاملة من قبل معظم الاعبيان الفرنسيين
والشاحنات المعتادة لدى مواطنينا . وكانت منظمة التحرير ، التي
أنشأتها في برازيل ، بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٠ ،
ومظمتها في لندن بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٩٤١ ، قد أثارت منافسة
من أرقى الدرجات في أوساط الفرنسيين الاحرار . واخيراً ، كنا نشعر

من على البحر ، إن فرنسا تتطلع إلينا .

هذا التقدم الذي أحرزته فرنسا الحرة ، في الوسائل والتوطين ، بدأ لي ، مدى الطريق التي ملكتها في موقف الحكام الانكليز الذين كانت تحطّ لديهم الطائرة التي تقلّتنا في جبل طارق ، فيج بالورست ، في غرنتاون ، في لاغوس . كنت أرام من قبل يملأ قلوبهم الود ، وأرام الآن وكلهم تهيّب واحترام . ونحن صكّنت أجوب ، في الايام التالية ، كتلة البلدان الاستوائية الفرنسية ، لم أشعر قط في أي مكان ، بقلق ، ولا باضطراب . لقد أصبح الآن كل فرد مطمئناً في إيمانه وأمله ، يدير طرفه نحو الخارج ، فضوراً وهو يشهد قوتنا نخرج من مهدها البعيد ، وتكبر بما ينضم إليها ، ونضرب العدو ، وتقترب من فرنسا .

الشرق

طرت نحو الشرق المعقد وأنا أحمل أفكاراً بسيطة . وكنت أعلم ان قسماً جوهرياً من لغة القدر يجري به ، في صميم الموامل المتشابكة . كان الواجب يقضي ادن ان لا ينسب عنه . وكنت أعلم ان مفتاح العمل بالنسبة للعلاء انما كان قناة السويس التي قد تعضي حصارها الى نيل المهور آسيا للمصري ومصر ، وان امتلاكها يُتيح ، على العكس ، العمل يوماً ما حسن الشرق الى الغرب ، في تونس وإيطاليا وجنوب فرنسا . وذلك يعني ان كل ما في الموقف كان بقتضينا الحضور في المعارك التي تدور حول القوة . وصحبت أعلم ان الأهواء والمطامح السياسية ، والمصرية ، والدينية ، احدثت تنضرم وتتوزع في وهج الحرب ما بين طرابلس الغرب وبغداد ، مروراً بالقاهرة ، والقدس ، ودمشق ، كما بين الاسكندرية وبيروني مروراً بحدة ، والخرطوم ، وحيبوتي . وكنت أعلم ان مواقع فرنسا في هذه المناطق تحوم حوماً المطامح وتبت حولها الالغام ، وانه لم يكن ثمة اية فرصة ، على اي فراض ، لنحتفظ بأي منها اذا هي بقيت - اي فرنسا - سليمة ولأول مرة في التاريخ ، بينما كل شيء كان موضع شبهة وإشكال . كان الواجب يقضي بالعمل اذن في كل مكان ، وأداء ما يجب أدائه من غير توان ولا بطاء .

اما الوسائل التي كانت في حوزة فرنسا في تلك المنطقة من العالم ،

نأيا تلك التي كنت أنصرف بها أولاً : قوات محاربة « احتياطي في طريق التشكيل » ، وأراضي تشاد أيضاً التي جعلتنا في سعة من العمل في ليبيا من الجنوب ، ووفرت عدا ذلك ، للطيران الجليف قاعدة ينقل إليها معداته جواً من الأطلسي رأساً إلى الليل ، بدلاً من أن ينقلها عن طريق البحر ، في عودة طويلة حول رأس الرجاء الصالح . وكانت هناك ، من جهة أخرى ، الأوراق الراجعة التي طفقت فيشي تحسرها في اللعبة : حضور فرنسا في دول المشرق ، حيث كان لها جيش ومصب بذول ، ومستعمرة جيبوتي ، واسطول الاسكندرية . وإذا كان لي أن أواجه ، فكتيكاً أو ضرورة ترك هذا أو ذاك من العناصر خارج الحرب ، وإذا كنت أقدر وحده الأعداد في سلوك المنقذين ، وأقر ما أقر من نزعة إلى الانتظار أو الادعاء والطاعة ، فإنني لم أكن أقبل عزماً ونصيماً على إخضاع تلك العناصر في أسرع وقت . وكنت ، من جهة أخرى ، قد أخذت رأي أعضاء مجلس الدفاع ، لحظة غادرت لندن ، حول ما يناسب عمل ليبيا إذا قررت ائكثرا وتوصيا ضمان الأراضي السورية واللبنانية تجاه تهديد مباشر ، يمارسه الألمان . وموحز القول : إني وصلت إلى الشرق وأنا عازم على ألا أداري شيئاً لتوسيع العمل من جهة ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من موقف فرنسا ، من جهة أخرى .

تُلت ، أول ما تُلّت ، في الخرطوم ، قاعدة القتال في أريتريا والسودان . وكان يقود هذه - أحسن قيادة - الجنرال بيلات ، إذ كان رئيساً فقطً مليئاً بالحوية ، وقد وفق منذ وقت قريب إلى انتزاع خط الدفاع الاساسي في أعالي « كيرين » ، من أيدي الإيطاليين . واشترك في ذلك اشتراكاً مشرفاً لواء العقيد مونكلار ، وكتيبة الطيران التي يقودها المقدم أسليه دي فيتات . أما قوات جيبوتي فإنها لم تقرر خط سيرها

رغم بعض الاتصالات التي قام بها الجنرال ليجنتيوم معها ، وراح الحاكم فواييتان يجمع الحركات التي تتظاهر بتأييد الانضمام الى فرنسا الحرة ، مستخدماً جميع الوسائل ، بما فيها الاعداد .

لم يكن اذن يصحّ الاعتماد على انضواء طوعي لتدخل جيوتي الحرب . ولم أكن ، من جهة اخرى ، لأزعم أنني سألجأ بقوة الحراب ، فهناك الحصار الذي يستطيع ، مؤكداً ، ان يحصل مستمرة تلقى حاجاتها الأساسية عن طريق البحر ، من عدن ، وشبه الجزيرة العربية ، ومدغشقر . ولكننا لم نتوصل قط الى حل الانكليز على عمل كل ما هو ضروري في هذا السبيل .

لا ريب ان قيادتهم العسكرية كانت مبدئياً ، تحبذ الانضمام الذي يزودهم بمعدات جديدة ، ولكن جهات امكليزية اخرى كانت أقل تمعلاً ، إذ كانت تفكر ، في اكبر احتمال ، هكذا : « إذا كان للتزامهم في اتجاه منابع النيل ، منذ ستين سنة ، بين بريطانيا العظمى واطاليا وفرنسا ، ان ينتهي مظفر بريطاني صرف ، واذا سُحق الطليان آخر الامر ، وبدأت الفرنسيين ظلوا على عجزهم وسلبيتهم ، فأي موقف فريد تحوزه امكليزاً بعد اليوم في مجموعة هاتيك المنطقة بأسرها : الحبشة أريتريا ، الصومال ، السودان ! أليكون علينا ان نشغل عن مثل هذه النتيجة ، من أجل بضعة افواج تستطيع جيوتي ان تجندوها في معركة هي ضمناً مكتسبة لا محالة ؟ » . كانت هذه الحالة الذهنية المنتشرة على نحو يقل أو يكثر في اوساط البريطانيين هي التي تفسر ، في رأيي ، نجاح سلطات فيشي ، طيلة عامين كاملين ، في تكوين المستعمرة ، ومن ثم في الإبقاء عليها خاضعة لطاعة مثرومة .

غير ان ثواني البريطانيين ذاك لم يزد على الموقف الا انه جعل خدمات الجيوش الفرنسية التي كانت تحارب في أريتريا ، أعلى شأنًا وأرفع قيمة .

فقد ذهبت لأقضي معها يومي ٢٩ و ٣٠ آذار (مارس) ، وأقلعتني طائرة فرنسية الى ارض آغوردات ، وبلغت المنطقة الفاتحة الى الشرق من كيرين ، حيث كان لواؤنا بشكل مع فرقة هندية ، ميسرة الجهار الخليف . كان جنودنا في حالة معنوية فائقة ، فقد أسهموا اسهاماً ملحوظاً في انتصار كيرين بعد كبكب ، اذ توغلوا في مينة الطليان وبدؤوها . وقدم لي العقيد الملازم جيتان الذي تميّز في تلك الواقعة ، وهو الذي عبر افريقيا ، منطلقاً من عاصمة الجزائر ، ليتحقق بنا وما كاد يصل حتى شاخص الميدان . وقبل لي - « ما قد رأيت الآن ما رأيك به ؟ - « آه ! لو كان الجميع ، في الجانب الآخر ، يستطيعون أن يروا ، لما كان ثمة مجال لسؤال . »

ومنذ عهد الجنرال بلات ، في اليوم التالي لزيارتي ، الى استقلال الانتصار ، فقد ساق آمر اللواء الفرنسي جنوده نحو مصوّع ، عاصمة أرباريا وهرزير دفاعياً . ومنذ استولى جنودنا في السابع من نيسان على دنيكولو و « فور أومبرو » ، دخل الجيش مصوّع في شكل اعصار ، وأسرع أفرادنا في حال من الفوضى اختلطوا معها يجماعات الطليان المنهزمة ، نحو المرفأ ، واستولوا على الاميرالية وأعطى العقيد مونكلار شرف تلقي الاستسلام من قائد البحرية المدوّة في البحر الأحمر . وكان مجموع ما ألقت القبض عليه المفزة الفرنسية في القتال ٤٠٠٠ أسير ، ونقلت في مصوّع استسلام ١٠٠٠٠ آخرين .

لم يبق لفلول القوات الايطالية بعد ذلك اليوم ، وقد اكفأت الى الحبشة ، الا أن تعمل متفتحة غير منسقة ، ولكن بقاء الصومال للفرنسي خارج الصراع ، كان يعوق فرنسا عن الدور الحاسم الذي كان في استطاع قواتها أن تقوم به ، في أن ترحف رأساً ، على مدى سكة الحديد ، من جيبوتي الى أديس - أبابا التي كانت يوم النجاشي بالعودة

اليها . لم يكن في مستطاعي الا أن أستلّ النتائج المؤسفة . كان يجب الآن ، نقل القوات العربية الحرة الى مكان آخر ، سواء في ذلك هذه التي تجددت وتلك التي تسمى سرعة الى النعمد . سيظلّ بالوفسكي مكانه كمعرض سياسي وعسكري ، محنطاً بفوج وبصع طائرات تحت تصرفه . وهبطت اول نيسان ، في القاهرة ، وها كان يفيض قلب الحرب ، ولكنه قلبٌ مخرج متزعزع . وكان موقف البريطانيين وحلفائهم فيها يبدو ، واقفاً ، غير مستقر ، لا بسبب من الأحداث العسكرية وحسب ، بل لأنهم يقفون هناك على صعيد نكس تحته تيارات سياسية هي الغام ، بين اقوام كانوا يشاهدون اقتتال العربيين فيها بينهم ، دون ان يسهوا فيه ، وهم ، الى ذلك على أهبة للاستعداد من غنائم المهلوبين .

كانت هذه الاوضاع تجعل مجرى الحرب في الشرق جدياً ممقداً . وكان الجنرال ويفيل القائد البريطاني الاعلى يتحرك في بلج من التقلبات العديدة التي لا تتصل ، في معظمها ، بالاستراتيجية الا على نحو غير مباشر ، بيد أنه كان لحسن الحظ وافر الموهبة فيها يتعلق بمحاكاة الامور وهدوء الاعصاب . ثم ان تلك الاستراتيجية نفسها كدت من اعسر الاشياء وكان من يفيل ان قاد في مستهل نيسان (أبريل) معركة على ثلاث جبهات كانت تدها بعناء مواصلات لا نهاية لها

كان على الاسكتلزي في ليبيا ان يتراجعوا ، بعد انتصارات رائدة حلتهم الى ابواب طرابلس الغرب ، وأوشكت برقة ، خلا طريق ، ان تسقط في يد العدو . فإن القيادة على كفائها ، والجيوش على بسالتها ، لم تكن بعد قد نرست بذلك الصراع في الصحراء ، وهو جد متحرك وسريع فوق مساحات شاسعة مكشوفة ، جد مملة ، وما يرافقه من العطش والحميات الدورية ، تحت شمس محرقة ، على الرمال ، وبجفاف الذباب . وكان ان غير رومسلي مصير المعركة في الوقت نفسه الذي

فرضت به حكومة لندن على وبيل ان يحدد بعض قواته في حملة الى اليونان . ذلك بأن الحبهة اليونانية لم تكن هي أيضاً تسير على ما يرام . صحيح ان انتصارات اريتريا والحشة قدّمت بعض المراء ، ولكن علامات تسدّر الخطر اخذت تظهر في الاقطار العربية ، فالمراق بنغي ، ومصر لغز لا بين ، وفي سوريا شرع الالان في مساومات حقلقة مع فيشي ، وفي فلسطين كان الصراع الكامن بين العرب واليهود يفره الكثير من الاحتياطات .

وبصاف الى هذه المشكلات المتراكمة على وبيل ، ضروب التدخلات ، فهناك برقيات لندن ، لأن السيد تشرشل لم يكن يترك شيئاً يمر ، وهو الكهف الفارغ الصر ، دون ان يطلب تفسيرات ، ومطي توجيهات وكانت هناك ، بصرف النظر عن ربارات المستر إيدن كوزير للحرب أولاً ، ثم كوزير للخارجية في نيسان ١٩٤١ حيث لقبته في القاهرة - خطوات السير عايلر لميسون ، الموض ، نظراً لكعاقته وقسوة الاشياء في ايامه ، بسوع من مئة تسيق دائمة وكان هناك هذا الواقع وهو ان جيش الشرق كان يشتمل ، في قسم كبير منه ، على قطع عسكرية من اقطار الدومينيون ، اوستراليا ، ريلاند الجديدة ، امريكا الجنوبية ، وكانت حكومات هذه الاقطار تراقب استعداد قواتها بدقة وحذر . وكذلك كان الشأن مع قوات الهند التي يجب ان يمد منها من غير إساءة اليها في سير الحرب . وخلاصة القول ان وبيل لم يكن يمارس قيادته العسكرية الا من خلال قيود سياسية متنوعة لا حصر لها .

يجب ان قول إنه كان يتحمل هاتيك القيود يبدوه بسبل ، لدرجة انه احتفظ بمقر قيادته العامة في القاهرة ، حيث مكات تلك الاعلال تكتسفه من كل جانب ، فهي قلب هذه المدينة الصاخبة ، في الموضاء والغبار ، بين جدران مكتب صغير ترصد الشمس في حره ، كانت

التدخلات الخارجية تنهال باستمرار على ذلك الحندي العادي . وما أنا
أصل 'معاصر' وملحق ، مصمماً على حل المشكلات الفرنسية التي تجعل
البريطانيين موضع اتهام ، وعلى رأسهم قائدهم الأعلى .

رسمت مخططاتنا مع الجنرال كانزو . والجنوري في نظرتنا ، انك
كان ما يحدث في سوريا ولسان . ولا بد من انهيار اليها عاجلاً او
آجلاً . وانتهاء من اليوم لدي نكون به هناك ، يصبح لدى فرنسا
فرصة للاتين بمجهود مشترك دي عون كبير ، وبدون ذلك ، تصبح
تلك الفرصة ، ويضيع موقع فرنسا ، فاداً افترسا ن المهور كالب
العالم ، يطر هناك كما يسيطر في مكان آخر ، وفي حالة المعاكسة ،
يحل الانكليز علماً ينبغي ادراك ان نمند سلطة فرنسا الحرة الى دمشق
وبيروت ، في اللحظة التي تقدم بها الحوادث فرصة الامتداد تلك .

ولكن الفرصة لدى وصولي الى القاهرة لم تكن مؤنية . وما كان
في الامكان الأمل بأن تفكّ سلطات المشرق وحبيشه ، من تلقاء نفسها ،
سحر لاعلال المشؤومة التي كانت تكبلها . والحركة التي دعمت ،
واسر حريبران ١٩٤٠ ، بأرثال كامة في انحاء فلسطين ، تجتمعت لتتظفر
ثم ان فريخ كنبر من المباط والافرد ، الذي اصدرت به فيشي قراراً
بعد هذيتها ، حملهم على العودة الى فرنسا . وكان في عداد الموظفين
والسكريين الذين اقاموا على نشاطهم واستمادتهم فيشي ، دعك من
الذين اعتقلتهم ، عدد من « الديموليين » وموحز القول ان الحركة
التي كان يؤمل بها لدى وصول الجنرال كانزو الى القاهرة ، لم تحدث ،
ولا كان من شأن المعلومات التي تلقيناها من غنبريا في بيروت ودمشق
ان تحمطنا على الاعتقاد بأن نشومها قريب .

وهذا الانحياز نفسه للتخلي عن الحرب هو الذي جدد الاسطول الفرنسي
في الاسكندرية . فذات عقد الاميرال عودفروا الاتفاق الذي جعل

سفنه محايطة ، مع اندرو كستفهام ظلت راسية في المرفأ المدرعة « لورين » والطرادات : « دوغساي - تروين » ، و « دوكن » و « سوفرين » ، و « تورفيل » ، والمقاتلات المضادات : « باسك » ، و « فورمان » و « هورتوبه » ، والعواصة « بروقيه » . وراحت بعض العاصر من الاركان العامة والبحارة فلتحق بنا في فترات متقطعة . ولكن الآخرين ممن اطاعوا تعليمات فيشي ، كانوا يستخدمون اوقات الحرب في تبادل الدواهي ان افصل طريقة الخدمة فرسا المخوفة ، انما هي اللاتقال . وفي ذات يوم من نيسان ، شاهدت ، وانا اعد مرفأ الاسكندرية في زيارة للأميرال كستفهام ، سفناً فرنسية بديعة غاية لاجدوى منها ، بين سمن الاسطول الانكليزي ، على أتم الأبهة لمنازلة الأعداء .

ولما لم يكن في استطاعتنا التلمح ، اراه تلك الحبال ، ان سير المركبة في المتوسط لم يحدث أي تأثير على أدهان الرؤساء في افريقيا والشرق ، فقد حاولوا اجراء اتصالات بهم ، وكان كاترو قد اوصل خلال تشرين الثاني رسالة جوار الى فيمان . وقد وافقت على هذه الخطوة بالما ما بلغ املي فيه من الصالة . واطلقت بنفسي عدة نداءات صريحة من المذيع ، مبنياً في ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٠ ، بشكل بارز : « اننا نقف الى جانب جميع الرؤساء الفرنسيين الذين يصمون على استلال السيف الذي الحمدوه أنه كانت خطايهم بلا استثناء ومن غير مطمح ، واذا نهضت افريقيا المرسية ، اخيراً ! لتعارب ، فدا تندمج بها مع الجزء الذي في ايدينا من الامبراطورية » .

ووجدت في كانون الثاني أعضاء مجلس الدفاع متلي ، مستعدين للاتحاد مع فيشي في حالة عودتها الى القتال ، حين استترتهم حول الموقف الذي ينبغي اتخاذه ، اذا اتفق لتلك الفرضية أن تصح . وكنت في ٢٤ شباط بهذا المعنى نفسه الى الجنرال فيمان ، رغم المصير المزعج

الذي كنت انتظره والاستقبال الباقى الذي تلقى به رسالتى السابقة .
 وشدته أن يقسم العرصة الأخيرة التي تمت له ليستأنف القتال ،
 واقترحت أن تتوحد معي إياه أنه اذا قبل ذلك ، يستطيع أن
 يعتمد على احترامى ومؤررتى . وكان كاترو ، من جهة أخرى ، لا
 يترك مناسبة تمر دون أن يستنمها لتوجيه اشارات للأميرال غودفروا
 لحمله على السير مضاً . وأخيراً ، كتب فى تشرين الثانى الى السيد « بيو »
 المفوض السامى فى الشرق ، والجنرال فوجير القائد الأعلى للقوات ،
 ومساعد الجنرال « أرلايوس » ، وما كان هدفه سوى أحداث ارتباط
 ما معهم .

إلا أن هذه المحاولات المتعددة لم تسفر عن أية نتيجة . كانه فبعدان
 يجيب موعدياً ثارة ، أنه يجب اعدام ديفول رمية بالرصاص ، وثارة :
 « أ ، هو جنداً هرماً لينتخذ موقفه المتمرد ، وطوراً ، أن ثلثي فرنسا
 فى قبضة العدو ، والثلث الباقي فى يد للحرية ، وأن دارلان - وذلك أسوأ
 ما فى الأمر كله أيضاً - يتحس عليه باستمرار ، فلا يستطيع أن
 يفعل شيئاً حتى وان هو أراد . أما الأميرال غودفروا ، فقد
 تلقى رسائل الجنرال كاترو بوقار ، ولكنه لم يجب عنها . ووجهه أرلايوس
 من بيروت الى الجنرال كاترو جواباً رصيناً ، ولكن بارداً . ثم
 ان السيد بيو استبدل فى نهاية كانون الأول بداتر ، على أثر الحادث
 الحوتى الذى وقع فى « شباب » ، وكان داتر هذا جبراً جدياً قتلدي ،
 مستعداً لتطبيق الارشادات التي يوجهها اليه دارلان ، بمحذيرها
 وبعد قليل أقبل فوجير وانتقلت قيادة قوات الشرق الى الجنرال
 دي فوديلهاك .

م يكن فى استطاعتنا ، والحالة هذه ، أن نفكر فى دخول سوريا
 لا اذا وطئ أرضها العدو نفسه . وما كان أمامنا ، ونحن نترقب ،

الا ان نجمع قوات ليحيبوم ونضعها تحت تصرف وبفيل ليخوض بها ميدان ليبيا . وهذا ما كنت قد اتفقت عليه مع القائد البريطاني الأعلى ، ورتبت في الوقت نفسه ، مع مارشال الجو لومبور تنظيم قواتنا الجوية الصغيرة واستعدادها .

يجب ان اقول ان حمودا كانوا يعطون أحسن الانطباع لأي وصولا . فقد كانوا يشعرون في هذا الشرق المتعد حيث تردد أصده القرون صيت فرنسا ، أنهم ابطال ثم ان المصريين استقبلهم بترحاب خاص ، ورى كن رحيبهم بالفرنسيين ينطوي على اظهار البرودة التي يحملونها تجاه البريطانيين . وقد قت شخصيا مآصلات ممتعة مع الأمير محمد علي ، عم الملك ووارث عرشه ، ومع سرتي ماشا رئيس الوزراء ، وعدد من ورائه . اما الفرنسيون المقيمون في مصر . علماء ، واعضاء في سلك التعليم ، واختصاصيون في الأثریات ، ورحلان ، ورجال اعمال ، وتجار ، ومهندسون ، ومستخدمون في الفأة ، فقد بذل معظمهم نشاطا حاراً لمحوه قواتنا . وكبوا قد اشارا ، منذ ١٨ حزيران ، بتوجيه من البارون دي بنوا ، والامتاد جوعيه ، والسيد ميسوست وبوبيتو ، مظلمة حكات في الحال ، احدى دعائم فرنسا الحرة . ومع ذلك ، فان بعضاً من مواطني اقاموا بمأى عن الحركة ، وكانوا يتمشون عند الماء أحياء ، هي حديقة القاهرة للحيوانات ، ويمرون امام معوضيه فرنسا المقابلة للحديقة حيث تطل وجوه متورة ، لأولئك الذين لم يلتحقوا بي ، رأيتها من خلال النوافذ ، وكانت نظراتها تتبع الجنرال ديمول .

هناك اذن بعض أمور اقتضت أثناء الاسوعين اللذين قضيتها في السودان ومصر وفلسطين . ولكننا لم نقم بالجوهري منها بعد ، وما كان في استطاعتي ان أوذي منها شيئاً لتوي . ففعلت اذن عائداً الى برازافيل . وكان من الضروري ، بأي شكل ، ان مدع 'قدماً' تنظيم

كنتمنا لاشوائية ، فاذا كانت خسارة الشرق مقدرة ، فتكون تلك
الكتلة محطة للمقاومة الخلية ، واذا لم يضر الشرق ، فيكون لنا فيها
قاعدة لهجوم مقل .

وبلغني دورتي التفتيشية مرة أخرى الى البلدان الآتية : دوالا ،
ياونده ، سمروى ، ليفريل ، بور - جاتي ، فور - لامي ، موستورو ،
فابا ، فادا ، أبيشه ، فور - أرثمو ، بامي ، وات - لوار ، وكانت
تموزها أشياء كثيرة ، ولكن النظام والعربة ما كانا قط يعورانها في
شيء . وكان الحكم : كورناري في الكمبرون ، لامي في تشاد ، سان -
مار في أومانفي ، هورتون في الكومبو الأوسط ، هلتان - سميت في
المانون . وهذا جاء ليحل محل مارن الذي هلك في حادث طائرة أثناء
الخدمة - بقودون وبديرون في ذلك الجو الذي لا يساوره شك في شيء ،
ويهمن على الفرنسيين حين يصادف أن يكونوا على اتفاق لخدمة قضية
كبيرة . وقد جعلت الأولوية في المجال العسكري لاعداد رتل لوكير
الصمراوي ، وأرسلت اليه من امحلترا كل ما بقي من الملاكات ، وكل
العتاد الخاص بها الذي قبل الانكاز تويندا به . غير اني لم أكن
اشك ، منذ حلت نهاية نيسان ان عملنا المقبل اما سيكون ، بين يوم
وآخر ، في الشرق .

وراقع الأمر ان الالمان كانوا قد نفذوا الى المتوسط ، ففي ٢٤
نيسان انهارت المهاجمة الانتكالي - يونانية ، بينما حلت لهزيمة باليونغوسلافين
انفسهم . ولا ريب ان البريطانيين سيحاولون التعلق بحريزة كريت .
ولكن هل يستطيعون الصمود فيها ؟ لقد بدا لي من المؤكد أن العدو
سيجمل الى سوريا عما قريب اسرا به الحوية على الأقل ، انطلاقاً من السواحل
لأعربية . وحضور تلك الاسراب في قلب الاقطار العربية بشير بها
اضطراباً يمكن أن يستخدم قوتاً لقدم الفهرماخت (الجيش الألماني) .

ثم إن الطائرات الألمانية تستطيع بسهولة من جهة ثانية أن تقصف القناة ومنافذها من أراضي دمشق ، ورياق ، وبيروت ، على بعد ٥٠٠ كيلومتر من السويس وبور سعيد .

كان دارلان بهذا الخصوص ، أعصر من أن يرد مطالب هتلر . ولكني رحت أعهده في نفسي الأمل أن كثيراً من الفرنسيين سيوقعون الادعاء للوجود الألماني ، ولفظون رفضهم ذلك بأسلحتهم ، على افراض أن الرؤساء والجوهر للفرنسيين في الشرق سيشهدون أسيرة اللقنات (سلاح الطيران الألماني) تهبط على قواعدهم . وفي هذه الحالة ، يجب أن يكون قادرين على مد يد العون لهم ، فوراً . وهكذا ، ركزت ذن توجيهاتي فيما يختص بالعمل الذي تشرع فيه . والمراد أن مدفع فرقة الجنرال ليستيموم الصغيرة رأساً إلى دمشق في اللحظة التي يثير بها ظهور الألمان لدى مواطنينا الحركة التي كانت تبدو محتمة . وكان كاترو من جهته يستعد ، في هذه الحال ، للقيام بجميع الاتصالات المحككة ، مع دانتر نفسه عند الحاجة ، بحيث يركز ضد غزاة فرنسا وسوريا ، جهة الفرنسيين المشتركين .

ولكن هذه الخطط لم تلاق القبول من البريطانيين . فالجنرال ويفيل الذي استفرقت جهات قتل ثلاث ، لم يشأ أن يفتح مجال ، وأبنا كان الثمن ، جهة رابعة . ثم لم يشأ ، في جانب آخر ، أن يأخذ بأحقال الاسوأ ، فكان يقول ، انه متأكد استناداً إلى تقارير الفصل الانكليزي العام في بيروت ، أن دانتر سيفاوم الألمان عند الاقتضاء . وراحت حكومة لندن تجهد ، في الوقت نفسه ، بلاطمة فيشي ، وهكذا كان من الأميرالية البريطانية ان سمحت في شباط ، رغم تحذيراتي ، بمرور الماخرة ، بروفيداس ، التي كانت تقل د دينوليين ، اعيدوا قسراً إلى بلادهم ، من بيروت إلى مرسيليا . ثم هكذا عقدت ، في نهاية نيسان

معاهدة تجارة مع دائرة تومثن تومثن الشرق . وهكذا ، كانت تستمر
المفاوضات في عدد لتموين جيبوتي مع الحاكم لوابيتاس .

وكان من شأن المعلومات التي تلقيتها من فرنسا ان حملتي على التمكيز
في ان النفوذ الاميركي كان يعمل عمله في محاولات « التهدة » هذه .
وقد نقل إلي ان بيتان ودارلان كلا يبذلان مفرقاتها تجاه الاميرال ليهي
السكر في فيشي ، في الوقت نفسه الذي كان يلبين سرّاً مطالب هتلر .
وقد أثرت برقيات ليهي في روزعت بدوره ، فراح هذا يضغط على
الانكليز ان يظهروا تسارلاً وليناً . وبمقدار ما كان يبدو لي إعداد العمل
في الشرق ضرورياً ، كان حلفاؤنا يبدون انهم على غير استعداد له .
وقد أهي إلي سيز من القاهرة في ٩ ايار ان « احداً لا يفكر بأية
عملية في الشرق يقوم بها الفرنسيون الاحرار » وان لا فائدة لي ان
ازور مصر ، وان من الافضل ان اسلك طريق لندن .

واعتقدت ان واهي يفنصني ان أؤثر في الانكليز بدوري ، وانا
المتبع ان سياسة الاعتدال بحارفة تكلف عالياً ، فأبرقت في ١٠ ايار
(مايو) الى السفير البريطاني في القاهرة والقائد الاعلى «حتج على
« القرارات المتخذة من جانبهم وحده حول تموين الشرق وجيبوتي » من
جهة ، وعلى « المراقيل في طريق تجمع فرقة ليجنيتيوم في النجاء سوريا »
بينما يزداد احتمال وصول الالمان اليها يوماً عن يوم » من جهة اخرى .
وبينت ان لم تكن لدي في هذه الظروف ، أية بالذهاب الى القاهرة في
وقت قريب ، وأني تركت الامور فيها تأخذ مجراها ، واسي ساء مصر
بجهود الفرنسيين الاحرار بعد اليوم ، في تشاد . ثم اوضحت الى لندن
أني استدعيت الحتراز كاتر من القاهرة ، حيث اصبح وجوده فيها بلا
جدوى . واحيراً ، جاءني السيد مارتن قنصل بريطانيا العام في برارافيل
برمائل بعضها السيد إيدن لتبدير سياسة التهدة حبال فيشي ، فأدليت

عليه جواباً يدين هذه السياسة محرارة تواري حرارة تقمقي عليها
بعد ان عرفت خبر المقابلة التي جرت في برشفغادن بين دارلان وهنزلر ،
وعقد اتفاق بينها ، وهبوط طائرات الماية في دمشق وحلب .

ذلك بأن المدر كان يلعب هو ايضاً لعمته الكبرى ، فقد بدأ رشيد
علي الكيلاني رئيس حكومة العراق الانزاع في الايام الاولى من ايار ،
مؤيداً من العدو . وحوضر الاسكندر في مطاراتهم . وفي ١٢ ايار ،
وصلت الطائرات الألمانية الى سوريا ، ومن هناك بلغت بغداد . وفي
عشية ذلك اليوم ، ارسلت سلطات فيشي الى « نل كججك » على الحدود
العراقية عتاد الحرب الذي كانت لجنة الهدنة الإيطالية قد وضعت من
قبل ، في عهدة تلك السلطات ، وبإشرافها . كانت هذه الاسلحة مرسلة
بكل تأكيد الى رشيد علي وألح الاسكندر على دانتز وهم بطلون
اليه بين ما عده ، فأجاب حواشياً تعتمد فيه التهرب ، دون ان ينكر
الوقائع ، مع ذلك . واصاف انه اذا تلقى من فيشي الامر بالسماح
للقوات الألمانية ، فإنه لن يتوانى عن الطعنة ، مما يعني ان الامر
كان قد صدر . وأعلم في الواقع ، ان الشيطان التي سيرل بها العدو
كانت قد حُجبت سلفاً

ورأت وريرة لندن ان من الافضل ، في هذه الظروف ، ان تنحاز
الى وجهة نظري ، وكان انقلابها ساعناً وقاماً . مما اقل ١٤ ايار حتى
اعلن في ذلك ايدين من جهة ، وسبيرر . وكان لا يزال في مصر
من جهة اخرى ، بدون مداورة . وحادثتي اخيراً رسالة من المستر
تشرشل يطلب فيها إلي ان اذهب الى القاهرة ، ولا اسحب منها كازرو ،
ماعتار ان العمل قريب . وانغسست كثيراً الموقف الذي تبناه الدور
البريطاني الاول ، فأحسته محرارة ، ولأول مرة ، بالاسكندرية . ولم يكن
بوسعي ، مع ذلك ، لا ان استل انتائج التي كانت تعرض دمسها من

تصرف حلفائنا في هذه القضية . اما الجزائر ويصير ، فإن حكومته أمرته بالشروع في العمل الذي كنا قد ارتأينا التقييم به في سوريا . وقد وحدت مملكتنا بأدائه عند وصولي الى القاهرة في ٢٥ يار . وانصح جميع ان حسارة كريت وانعدام الجبهة الاعربية في تلك الفترة ، حثفتنا من أعباء القائد الاعلى .

ولم تكن الأمور تجري في سوريا ، أثناء ذلك ، على نحو ما كنا نأمل . لقد حسب كانوا ، في لحظة من اللحظات ، أن في إمكانه تنفيذ حطتنا والرحف على دمشق بقوات فرنسا الحرة وحدها . ولكن سرعان ما تبين أن التآمر بين فيشي والمدور لم يترأدنى حركة لدى مجموع القوات في المشرق ، بل كان العكس هو الذي وقع ، إذ تمركزت تلك القوات على طول الحدود لمقاومة الفرنسيين لأحرار والحلفاء ، بينما كان الألمان حلفاء ، يتجولون على هوامم . ومنذ كان دانتو يتصرف بأكثر من ٣٠٠٠٠ رجل مزودين أحسن الراد عذمية ، وطيران ، ومصمحات ، عدا القوات السورية واللسامية ، هذه لا يمكن تطبيق حطتنا الأولى ، عي ما كانت عليه ، أي في الرحف رأساً على دمشق بما لدينا من قوات وعدد ٦٠٠٠٠ من المشاة ، ٨ مدافع ، ١٠ دبابات ، ونحو من ٢٠ طائرة ، ولافادة من المؤثرات التي كـ ، مائة ألفها في المنطقة كانت لا بد للامكثير من ان يندسو في صوفسـ ، وعصي في حوض معركة منسقة

كما يريد أن تكون تلك المعركة أقل ما يمكن احثداماً ، وأقصر . يستطيع أن يمدد . وكانت بذلك مسألة وسلس . وقد أشاع أصدقونا في بيروت ودمشق عن لساننا القول : إذا دخل الحلفاء سوريا من جميع الجهات بعدد كبير ، قلن يكون ثمة سوى معركة رمزية ، وإذا حدث العكس ، ووجدت قوات المشرق نفسها تجاه قوات ضخمة في

العدد والعتاد ، فإن كرامتها الملكية تلعب دورها وتصبح المعمة حامية الوطن . . ولقد قمت ، يرافقي الجنرال كاترو ، بعدة محادثات حول هذا الموضوع ، مع وبيل ، وألحاحاً عليه أن يتوغل في الشرق ، لا جنوباً ، إطلاقاً من فلسطين وحسب ، بل شرقاً أيضاً من العراق ، حيث كان البريطانيون يعملون في قضية رشيد عالي وحركته ، وطلبنا إلى القائد الأعلى أن يخوض الميدان بأربع فرق ، تكون إحداها مصفحة ، وأن يحمل إلى جو سوريا عدداً كبيراً من طائرات السلاح الجوي الملكي . وتشدت في أن يقدم القوات ليحتيتم ما يعوزها من وسائل النقل والمدفعية ، خاصة .

الأكيد أن الجنرال وبيل لم يكن مجرداً من الدكاء الاستراتيجي ، وكان يرغب ، عدا ذلك ، في إرضائنا ، غير أنه ، وهو المهتم في عمليات ليبيا ، المتزعج دون ريب من برقيات المترئشثل الملقى بالتهديد ، وها كان يطلع على تأثير إلحاحنا الخاص ، كان يرد على تقريرتنا بلطف طيب سلمي . وما من شيء استطاع أن يقنعه بأن يكرس من قوته للقضية السورية شيئاً أكثر من الحد الأدنى ، فهو لم يصح في الميدان تحت إمرة الجنرال دبلس سوى فرقة أسترالية ولواء من الفرسان يسلك الطريق الساحلي : صور - صيدا ، ولواء من المشاة يتبعه محور الفييطرة ومرحبيون ، ولواء هندي أعير للجنرال ليحتيتم لدى رحف على دمشق من طريق درعا . وقد أضاف إليه وبيل من بعد ، فوجين أستراليين ، وأخيراً مفرزة هندية أفضت ، عند نهاية المطاف ، إلى العمل بطلافاً من المرق . وكان يُساند الكل رهاء متين طائفة ، وسفن حربية شتى فواكب العمليات البرية ، على طول الساحل . وبهذا ، يكوّن الحلفاء قد خصوا الميدان بمجموع يقل عن مجموع ما قابلهم من عدد وحسب لا بد مع ذلك ، من العمل بإنهائه على هذه الأسس المتعلخلة واتحد

القرار النهائي ، وأوشكت المأساة ان تبدأ .

وذهبت لتفتيش القوات الفرنسية الحرة إلى فلسطين ، في ٢٦ أيار (مايو) وهي التي تجتمعت هناك الآن ، ولكن ظلت بيئة الزاد ، فقدم لي ليجشوم صبعة أفواج ، وسرية دبابات ، وبطارية ، وكوكبة الصباحين ، وسرية استكشاف ، وهاصر مصالح . وقد سلمت هذه المناسبة صلبان التحرير الأولى التي كسبها في ليبيا وأريتريا . ولست ، من خلال اتصالي بالضباط والأفراد ، أهم كانوا في الحالة النفسية التي كنت أمر بها تماماً . أسف واشتتار لقائه فرنسيين ، سقط على فيشي التي تضلل انتظام الجنود ، اقتناع بوجوب الرسف ، وتأمين المشرق ، وتجويزه ضد العدو . وفي ٢١ أيار احتار الحدود والتحق بنا مع قسم من جنوده المقيد كولييه *Collet* آمر الكوكبات الشركسية ، وهو ضابط ذو كفاءة كبرى وبسالة أسطورية . وفي ٨ حزيران (يونيو) اندفع الفرنسيون الأحرار والبريطانيون إلى الامام نطلبهم الرايات الخليفة ، ويأثمرون بريميل وكارو معاً اللذين أمراهم أن لا يطلقوا إلا على أولئك اللذين يطلقون عليهم أولاً . وكانت هناك محطة اداعية أقيمت في فلسطين قبل أسابيع ، تتوجه بمنشادات ودبة إلى مواطنينا ليس كما نأمل من أعمالي قوتنا أن لا يسادروا بالعداء ، وكان يوحى هذه المناشدات كل من النقاء شمينلان ، وكولي *Collet* ، وريبتون . وكان علينا أثناء ذلك أن نصبر ، ولم أدع محالاً لأي شك حول هذه البسطة ، في تصريح هام .

وكنيت من جهة أخرى مصمماً على المضي في دفع الأمور إلى قراراتها وعلى وجه السرعة ، بمقدار ما كانت هناك علامات تحمل على التنبؤ بهجوم تقوم به فيشي ، وربما المحور ، ضد إفريقيا الفرنسية الحرة . وقد رشحت إلى عليا أثناء تعيد أن هنر طلب إلى دارلان عندما تم لقاءهما في برشتسغدن خلال ١١ و ١٢ أيار ، أن يصع تحت تصرف ألمانيا مطارات

سوريا ومراقبتها ، وامكانية استخدام تونس وصفاقس وقابس من قبيل
قواته وطائراته وسفنه ، لاحتلال المناطق الاستراتيجية بقوات فيشي . ولا
ربب ان غمرينا اصابوا ان فيغان رفض فتح معبد تونس للاندن ، وشن
هجوم على الاراضي الفرنسية الحرة ، راحاً أن مرؤوسيه لن يطيعوه .
ولكن لو كان هتلر مصمماً على تنفيذ مشروعه هذا ، فما ورن احتجاج
فيغان الذي لم يكن أمامه في نهاية المطاف ، وقد ثبت عدم ارادته في
القتال ، إلا أن يقدم استقالته في المجالس التي كان يعقدها المارشال ؟

وهكذا أقمنا على أهبة لصد الهجوم ، وأفاد لارمينا من الأثر الذي
أحدثه بآ وصول طائرات ألمانية إلى سوريا ، في بعض عناصر من شاطئ
العاج ، وداهومي ، وتوغو ، والبيجر ، فاعدت للتوغل في سوريا
لدى أول فرصة . وكنت أنا نفسي قد أرشدت الى الملك الذي ينبغي
له أن يسلكه . وأجابني الحكومة البريطانية ، من جهة ثانية ، في
رسالة بحث بها المستر إيدن ، أبا مساعدتها على المقومة بكل ما لديها
من رسائل ، وأنا الذي كنت قد سألتها عما تقوم به ، فيما اذا حاولت
فيشي أن تهاجمنا في تشاد مثلاً ، سواء آرتها الامان فوراً او لم
بؤاردها . وقمنا أخيراً بما هو ضروري لحل الاميركان على الاهتمام
مباشرة ، بأمن افريقيا الفرنسية الحرة . وفي ٥ حزيران قدمت مذكرة
لوزير الولايات المتحدة في القاهرة ، بيئت فيها أن اهريقيا ستكون يوماً ما
قاعدة انطلاقات اميركي لتحرير أوروبا ، واقترحت على واشنطن أن تقيم ،
دون ابطاء ، قوات حربية في الكامبيرون وتشاد والكونغو . وبعد أربعة
أيام ، توجه قنصل الولايات المتحدة في ليوبولدفيل لمقابلة لارمينيا وسأله
باسم حكومته ما اذا كان يفدر أن اهريقيا الاستوائية الفرنسية مهددة ،
وحين ردت المندوب السامي بالإيجاب ، طلب اليه أن يطلعها على المساعدة
المباشرة التي ينبغي على أميركا أن ترودها ، من ناحية التسليح خاصة

وعلى الرغم من كل شيء ، ومن بعض الاحتياطات التي استطعنا اتخاذها
للدفع المحتمل عن لحسن الاستوائي فاني كنت أنعجل رؤية المشرق
معلقاً في وسع الأمان ومنقطعاً عن فيشي ، أمام احتمال جهد جنار بدل
في افريقيا من قبل المحور وأعوانه .

وفيما كان الانكليز والفرنسيون ، الأحرار يُعدّون العدة في افريقيا
للعمل معاً على الصمد العسكري ، راح ناعهم السياسي يرتسم في
الأمق كما يدرك تحركات هيئة مختصة أحدث ترى مجال التطبيق يفتح
أمامها أحياناً الخطة عمل معدة منذ زمن طويل ، في سوريا ، وذلك
على مقربة من الأركان العامة الخليفة ، وحول السفارة في القاهرة ،
وحول المفوضية العليا البريطانية في القدس ، وفي مخبرات الفورين أوفيس
التي تقوم بها مع كسان ، ولبين ، وديجان ، والتي كان ينفذها هؤلاء
إلي رانا في لندن ، ثم في اعمدة الصحف التي يوحى اليها ، وخاصة في
« المستانب بوست » (بريد فلسطين) . فان الحوادث ستقدم لبريطانيا
المعظمى في سوريا ، مجموعة من أوراق سياسية وعسكرية واقتصادية ، راجحة
لدراسة لا تفلك معها قطعاً ، أن تمتنع عن اللعب بها لحسابها الخاص .

كان ذلك واضحاً بمقدار ما كان يستحيل علينا ، إذا نحن تمركزنا
في دمشق وبيروت ، أن نحفظ فيها الوضع الذي كنا من قبل راغبين .
فان الحزب التي أحدثتها مكة ١٩٤٠ واستلام فيشي ، وقائير المحور ،
كل ذلك كان يتطلب من فرنسا الحرة أن تتحد لتجاء دول المشرق وصعبة
جديدة تلمي التطور وقوة الاشياء . وكان يبدو لنا ، من جهة أخرى ،
أن فرنسا لن تحفظ بالانتداب ، حين تنتهي الحرب . وإذا افترض أنها
لا تزال راغبة في إعادته ، فقد كان واضحاً أن حركة لأقطار العربية
والصعوبات الدولية لن تمنح لها بذلك . هلك ، والحالة هذه ، نظام
واحد ، يمكن في الواقع والقانون أن يحل محل الانتداب ، ألا وهو

الاستقلال ، على أن يحفظ لفرنسا مصالحها وحقوق المصداقة التاريخية .
وذلك هو ما كادت تهدف إليه ، في جانب آخر ، معاهدة ١٩٣٦ التي
عقدتها باريس ، مع لبنان وسوريا . وهاتان المعاهدتان تشكلان حادتين
لا سبيل إلى إنكارهما ، فإن الحس السليم والظروف تمنع من التمسك لهما ،
وإن كان إبراهيم قد تأجل .

وكذلك كنا قد عقدنا العزم على أن نعلن فرنسا الحرة إرادتها في
إنهاء نظام الانتداب وعقد معاهدات مع دول أصبحت تتمتع بالسيادة ،
مور دخولها الأراضي السورية واللبنانية . وما دامت الحرب قائمة ، وما
سعتظ طمعاً بسلطة المدبوب العليا في الشرق ، وما عليها من التزامات
في الوقت ذاته . وإساً لنقل أخيراً أن تمارس القيادة العسكرية البريطانية
على مجموع البلاد ، سلطة التوجيه الاستراتيجية ضد العدو المشترك ،
نظراً لأن سوريا ولبنان حرة لا يتحرراً من ميدان المعطيات في الشرق
الأوسط ، وللاكتفـر فيه فـالسة لنا ، نعتق ضعم في الوسائل

ولكن ظهر في الحال أن لاكتفـر لم يمكتموا بذلك راضين . فإن
لبنان ركزت في لندن على أيدي إبهارات ملعة ، وكان يجر كها في
المطلة جـمـر مجرد من كل وارع شريف ، مـجـمـر بجميع الوسائل . وقد
رئضت الفودين أوفيس تلك اللعة التي كانت تئن منها أحياناً ، ولكن
لم تتنكر لها قط ، وساندها الوزير الأول الذي كان يصدق الوعود المبهمة
والعواطف التي أحكم تقنيها ، وكان الناس يصدعون لـهـلـهم «لبنات» .
والوزير الأول كان يرمي منها إلى إنشاء «رعاية» بريطانية في الشرق
بأسره . كانت السياسة الانكليزية تهم إادن في مدل جهدها على نحو
خفي وطوراً بعظظة ، للمدول محل فرنسا في دمشق وبيروت

كانت المريدة كأسلوب عمل هي التي ستعيد منها تلك السياسة ،
موجهة أن كل امتياز نقتد به عنق سوريا ولبنان ، إنما كان بعض

مسئمتها الحبيدة ، محرضة الحكومات المحلية على تقديم مطالب تأخذ في
الأردباد ، وتقصي أحياء في مسانده التصريعات التي تتولى من بعد أمر قيادتها .
وكانت المحارلة تدل في الوقت نفسه ، لحمل الفرنسيين 'نمضاء' وحمل
الرأي العام المحلي والدولي على الوقوف ضدهم . وهكذا ، يتحول لاستياء
الشعب عن المظالم البريطانية في الأقطار العربية الأخرى .

وما كاد القرار المشترك بدخول سوريا 'يتخذ' ، حتى راح الإنكليز
يتصرفون على نحو نفوذ منه إلى بياهم . فلما كان كانون 'يعد' مشروع
التصريح بإعلان الاستقلال ، طلب السير هيلز لامبسون أن يكون لإعلان
باسم الإنكليز واسم فرنسا الحرة معا . وعارضت ذلك ببطبيعة الحال .
والجدير بالذكر يومذاك أن يشير النص إلى الصيانة البريطانية لوعدها ، فرفضت
هذا الطلب ، مبينة أن كلام فرنسا لا يحتاج إلى ضمانة أصلية . وأبرق
إلى السيد تشرشل في ٦ حزيران ، عشية الرحيل ، يعرب لي عن نسيته
الودية ، ويبلغ في بيان الأهمية التي تحملها على الموقف تلك الضمانة الشهيرة .
فأجبت عن نسيته ، لا عن ادعائه ذلك . وكان من اليسير أن نرى أن
شركاءنا كانوا يريدون إعطاء هذا الامتياز ، وهو أنه إذا قال الأوروبيون
واللبنانيون استقلالهم ، فإنما هم مديون به للإنكليز ، ومن ثمة يأحدون
موقف الحكم بيننا وبين دول المشرق وكان تصريح كانو ، في نهاية
الأمر ، كما يجب أن يكون ، ولكنه ما كاد يذاع ، حتى نشرت
حكومة لندن تصريحاً آخر باسمها الخاص ، على حدة .

إنها لذكريات أليمة هذه التي تعيدها إلى ذهني لمركة التي اضطررنا
إلى خروصها . وامي لأشاهد نفسي ، من خلال تلك الذكريات ، وأنا
أغدو وأروح منتقلا بين القدس حيث اتخذت مقرّي ، وقوتنا الباسقة
التي تتقدم نحو دمشق ، أو داهيا في زيارة إلى الحرمي ثقلني سيارة
الاسعاف الفرنسية - البريطانية مع السيدة سيزو والدكتور غروشو .

وفهمتم ، مع الزمن ، أن كثيراً من حرجنا ، ومن أفضليهم ، كانوا يتركون في الأرض المراء ، وأن الجبال ليحتبوم مثلاً أصيب بحرج خطير ، وأن العقيد بيجان ونقيب السينة المصرية ، دكتوراي قتلا ، وأن المتقدمين دي شعيبه ، ودي بوانودي ودي هيوتري أصيبوا إصابات بالغة ، وأن عدداً من الضباط والجنود انطبلر يسقطون ، في الحاسب الآخر ، صرعى رصاصا ببساطة ، وأن قتلاً عيباً در حول البيطاسي في ٩ و ١٠ حزيران ، وفي ١٢ منه أمم و كسوة ، و حول القسيطرة ودرعا في ١٥ و ١٦ ، وكانت هذه الممارك تخطط أموات المرسيين من المسكرين ، بأموات حلفائهم البريطانيين . وكنت اشعر لحباء أولئك الذين يمارسون من أجل فكرة الشرف التي يحملونها ، ومواطني حنلظ فيها التقدير بالثناء . وفيها كان العدو يدق دبري كاس هون ، ويهجم في افريقيا ، ويشل إلى المشرق ، كانت هذه الشعبة تدن وهذه الحياتر تحمل في صواع بين الاحوة مرمه هتلر على رؤسه سقطوا تحت يده ، فاشعر أن ذلك كله تذيير لطيف .

ولكن ، كلما كان الأسى بمصر نفسي ، كس ردود مضاء في عرسي على الخلاص منه . وذلك هو ، من جهة أخرى ، موقف جنود فرنسا الحرة كلهم ، ادلى يكون فيهم واحد يشمر بالخور ، وذلك هو أيضاً موقف جميع مواطنينا في مصر الذين اجتمعوا في القاهرة لإحياء لذكرى السنوية الأولى لـ ١٨ حزيران ، وقد استقلوا كلمتي في تلك المناسبة بتهنئات إجماع .

‘خيّل في ذلك اليوم أن دانتر أوشك أن يُنهي الصراع النقيض ، وكان هذا الصراع من جهة أخرى ، لا يفتح له أدنى باب أمل . والواقع أن هيتلي أوفدت ينوا - ميسان إلى أفرة لإرسال تحذات إلى المشرق ، فلقني الرفض . وفتحت هريفة رشيد عالي في العراق ، مر

الجانب الآخر ، وهربه الى ألمانيا في ٣١ أيار ، أبواب سوريا للحلفاء عن طريق الصحراء والقرات . وبدأ فجأة أن الأسان غير متعجلين إرسال قوات جديدة الى الاقطار العربية . بل ، على العكس ، أهدت الطائرات التي بنوا بها ، الى اليونان . والسجلات الوحيدة التي وصلت الى الشرق منذ بداية المعارك ، كانت صريخ من الطائرات الفرنسية ، قدمت من أفريقيا الشمالية عبر اثينا ، حيث استقبلها الألمان ومدوها بالمؤن . وها هي واشنطن ، ونحن في تلك الحال ، تنقل اليها النبأ ان السيد كوني ، مدير العرفة السياسية في المفوضية العليا للشرق ، وجه الرجاء في ١٨ حزيران الى القنصل الأميركي العام في بيروت ، ان يطلب على وجه السرعة من البريطانيين انفسهم ما هي شروطهم ، وشروط الديبوليين ، لوقف القتال .

وكنتم ، ادراكاً للعاقبة واحتياطاً للمستقبل ، أعلنت السيد تشرشل ، منذ ١٣ حزيران ، بالقواعد التي كنت ارى انه ينبغي للهدنة الهبة ان 'تتخذ على اساسها . وكتبت نص الشروط بالمعنى نفسه ، خلال اجتماع عقد في ١٩ حزيران ، عند السير مايكل لامبيون وحضره كارو ، وهي الشروط التي كانت تبدو لي مقبولة منسأ ولانقة بأولئك الذين كانوا يحاربون : « يجب ان ترتكز التسوية على القواعد الآتية : معاملة شريفة للمعسكرين والموظفين جميعهم ، الصيانة المظاة من بريطانيا العظمى بأن حقوق فرنسا ومصالحها في الشرق مصانة ، تظل كذلك بمجرد واقعها ، تتولى السلطات الفرنسية المهمة تمثيل فرنسا في الشرق ، . وخدمت ان « جميع الموظفين والمعسكرين الذين يرغبون في البقاء حيث هم ، يمكنهم ان يبقوا مع أسرهم ، والآخرين يرحلون الى وطنهم فيها بعد . . غير اني أضفت ان « جميع الاجراءات ينبغي ان تتخذ من قبيل الحلفاء ليكون هذا الاختيار حراً ، فصلاً . وصرتحت اخيراً ، رداً على

الإشاعات التي كانت تروّج لها فيشي ، أنتي لا أوي مجال ، محاكمة رفاقي في السلاح الدين حاربوني ، تنصبذاً منهم للأوامر التي تنقوها ، وأنا الذي لم احاكم احداً منهم قط ، . وذلك هي الاجراءات الجوهرية التي تبناها البريطانيون حالاً آنذاك ، وابق بها الى لندن لتقلها هذه بدورها الى واشنطن ، ومن ثمة الى بيروت .

وشمرت كذلك في اليوم التالي ، عمارة في النفس حين اطلعت على النص الصحيح الذي كانت الحكومة البريطانية قد نشرته آخر الامر ، والذي لا يشه البيان الذي كنت قد وقعت ، فهو لم يذكر حتى اسم هربا الحرة ، كما لو كانت اسكتلندا هي التي يُراد من دانتر ان يسلمها سوريا ، ثم لم يذكر ، عدا ذلك ، الاحتياطات التي اردت الاخذ بها منعاً لمكربي الشرق وموظفيه ان يرحلوا جماعياً الى بلادهم ، ويأمر من السلطة ، وأنا الذي كنت ، آنذاك ، في حاجة الى الاحتياط ما امكن بهم ، فكان ان وجهت الى السيد إيدن احتجاجاً صريحاً ، وحذرته فيما يتعلق بي ، انني لا ارل عند الشروط المقسولة في ١٩ حزيران ، ولا اعترف بغيرها . وكان لهذا التحفظ اهميته ، كما سنرى من بعد .

ما هي الاسباب التي جعلت سلطات فيشي تفتظر اكثر من ثلاثة اسابيع لتنفيذ قرارها الخاص بالمفاوضة لوضع حد للنزاع ؟ لماذا كان من المحتوم نهماً لذلك ، إطالة أمد عراك لا يملك ان يغير شيئاً ، سوى ارباب الحسام ؟ لم اعثر على تفسير الا في اندلاع الهجوم الألماني على روسيا ففي ٢٢ حزيران ، وهو اليوم الذي تلا إيداع المفوضية الملب في بيروت جواب بريطانيا المظني عن طريق قنصل الولايات المتحدة ، اطلق هتلر جيوشه على موسكو . وكانت له مصلحة لا يطاقها شك في ان تظل اكبر كمية ممكنة من القوات المادية مشتبكة في افريقيا وسوريا ،

فترلتى روملى جداً من ذلك ، وكان على القوات الفرنسية الشاعمة في
المشرق ان قتولى الجانب الآخر .

ومع ذلك ، دخلت قوات دمشق في ٢١ حزيران ، بعد قتل شديد
في كسوة . ردها اليها كاترو في خلال ، ووصلت انا في ٢٣ . وخلال
الليلة التالية ، حامت الطائرات الالمانية تقصف المدينة ، وتقتل مئات
من الاشخاص في الحي المسيحي ، وتظهر بهذه الطريقة تعاونها مع
فيشي . ولكن ما كذا استفاد ، حتى رامت اليها من جميع الجهات
اساء مقلعة ، من حوران ، وحبل الدور ، وتدمر ، والحيرة ،
خاصة ، عن السلوك التبريطي . ولم يكن لدى من الوقت ما تصبغه
للتدليل على ان هزيمة فيشي لم تكن تقهقراً لفرنسا ، رنوطبداً لسلطاننا .

وفي ٢٤ حزيران ، عينت الحزب الكارو مفوضاً عاماً مطلق صلاحية
في المشرق ، وحددت له في رسالة ، غاية مهمته ، توجيه الموقف
لداخلي والاقتصادي نحو استعادة وضعه الطبيعي بمقدار ما يمكن ظروف
الحرب ؛ التفاوض مع ممثلي الاهلي الاكفاء ، لاجراء معاهدات تضع
اسس استقلال الدولتين وسيادتهما ، كما تركز تحالفها مع فرنسا ؛ تأمين
دفاع المنطقة ضد العدو ؛ التعاون مع الحلفاء في عمليات الحرب في
المشرق . وقد تولى الحزب كاترو ، جميع سلطات التدوب السامي
لفرنسا في المشرق ، وتبعاته ، في انتظار تطبيق المعاهدات المقبلة .
اما المدوصات التي يُشرع بها ، فينفي ان تكون مع حكومات
موافق عليها من قبل مجلس وطنية تمثل وقيماً مجموع السكان ، وتلتم
متى امكن ذلك ، وتكون نقطة انطلاق المدوصات ، معاهدات ١٩٣٦ .
وهكذا ، يكون الانتداب الذي 'وكيل' الى فرنسا في المشرق ، قد
بلغ نهايته ، واكمل عمل فرنسا .

وقد استقلت خلال إقامتي في دمشق كل من فيها من اعيان

السياسة والدين والادارة ، وكان من هؤلاء الكثير . وكان واضحاً للعيان ، من خلال النقطة شرقية المعقدة ، ان سلطة فرنسا كانت موضع اعتراف بلا راع ، هي شخص ، وث حسمت الخطة الادبية الرامية الى تثبيت قدمها في سوريا ، يد سيجل هي حرة كبير منحه لريدة رصيدة المعسوي ، وأن كل امرئ أصبح ، يمكن ينظر إعادة تسيير اعضاء الدولة ، وتركيز حكومة جديدة من احد سوا . وكان من الجنرال كاترو الذي يعرف اهل البلاد وامورها معرفة معينة ، ان أعاد الامس ، والتموين ، والخدمات الصحية للمستشفيات ، ولكنه نهمل في تعيين الوزراء .

ونتهت المسألة على كل حال . ففي ٢٦ حزيران استولى ليجنبيوم على النيك ، وهو الذي ما أمك ، رغم جراحه الخطيرة ، عن قيادة جنوده ؛ وفي ٣٠ منه صد عنها هجومًا مماكاً شديد الوطأة . وفي ٣ تموز (يوليو) عبر رقل هندي قدم من العراق نهر الفرات ، على جسر دير الزور الذي بقي سليماً بفصل مصادفة أستطيع القول انها كانت مدروسة ، وتقدم نحو حلب وحمص . وفي ٩ بلغ البريطانيون على طريق الساحل مدينة الدامور ، وحزبن الى الشرق منها . وفي ١٠ تموز ارسل داتر سفنه الحربية وطائراته الى تركيا حيث عزلت ثم طلب وقف القتال ، فأجيب في الحال وتم الاتفاق على ان يتمتع مطلقو الصلاحية بعد ثلاثة ايام في عكا .

كان هناك كثير من الدلالات تحدوي على التفكير ان ما يفر عنه ذلك الاجتماع لن يكون متوافقاً ومصالح فرنسا . لا ريب اني كنت في ٢٨ حزيران قد انتهت السيد تشرشل ، الى الاهمية للقوى السقي يقسم بها ، من وجهة نظر تحالفها ، سلوك اسكتلندا تجاهنا في الشرق ، ثم لا ريب اني كسبت من ذلك ان يحضر التفاوض الجنرال كاترو . ولا

ربب ان مندوبينا في لندن كانوا قد تلقوا مني إرشادات تتعلق بالشكل
الذي ينبغي لسلطتنا في المشرق ان تقوم عليه ، ليقيدوا من في خطواتهم .
ولكن الشروط التي صاغها لندن من قبل الهدنة مع دانتر ، والحو الذي
كان يسود الدوائر البريطانية ، وتعيين وبفيل نائب ملك الهند وممادته
القاهرة ، وإحلال خلفه أو كنتك محل دون ان يلتحق بمركبه الجديد ،
بما ترك المجال حراً امام اهواء المستعربين ، كل ذلك لم يكن يسمح
لي بالنك ان تسوية الامور بما لا يُطمأن اليه ، وانها تسير من سوء الى
اسوأ . ولكن الهدنة ستعقد آخر الامر على يد ولسن مع فرديلهاك .
ولم يكن لدي من وسائل لتعديد الاضرار سوى التهريب والاستعلاء ،
وبدوع نحملة أنفس منها على اتفاق لا يترمي بشيء ، وفي منطاعي
ان أمزقه في حدود الممكن .

كانت العمارة برارافيل . اتمت فيها بيتنا كانت يكتب في عكا ذلك
النص الذي تجاور بمناء السوء ، وفي شكل ومحتواء ، كل ما كنت
الخوف ان يكون .

الواقع ان نص الاتفاق كان يرازي إنتقال سوريا ولبنان للبريطانيين
على نحو خالص وبسيط ، فليس فيه كلمة واحدة عين حقوق فرنسا
سواء في الحاضر او في المستقبل ، ولا اي ذكر لدولتي المشرق ، فقد
تمحلت فيشي هي كل شيء ووضعته في يد دولة اجنبية ، ولم تمنح الا
للحصول على شيء واحد : رحيل كل الحيوث ، وارتحال كبر عهده
ممكن من الموظفين والرعايا الفرنسيين . وهذه الطريقة ، يمنع على ديقول ،
قدر المستطاع ، ان يريد في قواته ويحتفظ بمركز فرنسا في المشرق .

لقد أظهرت فيشي بتوقيع هذا الاسلام انها امينة نصيرها الكتيب ،
ولكن الاسكليز ظهروا انهم يعبرون فيشي افكارهم الدفينة جميعها ، انهم
يبدون ، وقد تجاهلوا ، حتى بالكلام ، حلفاءهم الفرنسيين الاحرار

الدين أعانهم أكبر العون ، بما بذلوا من جهد وإبداع ، على بلوغ غايتهم الاستراتيجية - يريدون انهم يريدون الاستفادة في الظاهر ، من تحركات فيشي لبلعوا ، تحت ستار من قيادتهم العسكرية ، السلطة التي منحها لهم دانتز في بيروت ودمشق . وكلوا ، عدا ذلك ، يوافقون فيشي على تحويل حبوش المشرق بأسرع ما يمكن ، اد يكون من شأن هذه ، حسب الاتفاق ، ان تجتمع بأمر من رؤسائها وتنقل على السفن التي يبعث بها دارلان . وهناك ما هو أدهى وأمر ، فقد صيغ على الفرنسيين الاحرار ان يتصلوا بفرنسي فيشي ويحاولوا ضمهم اليهم . والعناد الذي تركه حبوش المشرق بسلم الانكليز وحدهم ، اما القوات التي يقال لها خاصة ، اخيراً ، اي السورية والسورية التي اظهرت دوماً ولاهما لموسا ، حتى ان فيشي لم تجرؤ على استعادتها صعداً في الماروك الاخيرة ، فلانها ستوضع كما هي ، تحت القيادة البريطانية

وكان ان أعطت أني ارفض اتفاق عكا حتى قبل ان اطلع على التفاصيل ، مسلداً الى الاشارات ، المزوقة طعماً ، التي كان قد اعطاها عنه مذبح لندن . وسافرت على الأثر ، الى القاهرة ، مسبباً للحكام والرؤساء العسكريين الانكليز ، في كل مرحلة من مراحل سفري الى اي حدث بلغ الامر من الخطورة . هذا ما فتت به في الخرطوم مع الجنرال السير آرثر هودلتون حاكم السودان العام الورد ، الفائق ، وفي كمالا مع الحاكم ، وفي وادي حلفا مع محافظ الدائرة ، بحيث تسبقني بوقبات التحدير المنذرة بالويل . وفي ٢١ تموز (يوليو) اتصلت بالسيد اوليفر لينتتون وزير الدولة في الحكومة الانكليزية ، وكانت حكومته قد أوقدته الى القاهرة ليجمع بها ، تحت سلطته ، جملة الشؤون البريطانية في الشرق .

لم يشأ الكائن ، لينتتون ، وهو الرجل الورد الرصيد ، ذو العقل

المنعج الناشط ، ان بدأ علناً مهمته ، مكارثة . وقد استقبلني بشيء من الصيق ، فأخبرت نفسي في مخالب الانعجارات ، وتلفتت بالحديد ، وصرت له بما يلي ، وهو الجوهرى من حديثي البه :

- « لقد استطعنا بفضل المعركة التي خضناها معاً ، ان نؤمن ميزة استراتيجية مرموقة . ها هي الرهينة في المشرق صبيت وهي التي كان يضعها الحور في ميدان فواء على مسرح العمليات في الشرق ، وثأها بخضوع فيشي له . ولكن الاتصاف الذي عقدتموه مع دانترو هو بما لا يمكن القول به . ومن واعي ان اقول لك ذلك . ولا يمكن ان نتقل السلطة في سوريا ولبنان من فرنسا الى إنكلترا ، فهي لفرنسا الحرة ، ولها وحدها ان تقارنها هناك ، وعليها ان تؤدي حسابها لفرنسا . ثم امي في حجة ، من حجة أخرى ، الى هذه اكر عدد من الجنود الذين حاربوا ، وزحيلهم السريع المكثف ، كالاكتفاء بهم بمجموعين ومعزولين ، يبرع هي كل وسيلة كالتبرع فيهم . ومثل القول ، لا يستطيع الفرنسيون الاحرار القول بأن يكونوا صمدين عن مورد فرنسي بدعم ، للحداد ، وهم لا يستلمون ، على الاخص ، بأن يفصي جهداً مشترك الى تركيز سلطنتكم في دمشق وبيروت . »

أحاب البد لينتون : « ليست لدينا البية في ذلك وبريطانيا العظمى لا ترمي في سوريا ولسان الى هدف سوى كسب الحرب . ولكن هذا يقتضي ان لا يكون الموقف الداخلي في البلدين ، مضطرباً . وسندو لنا أيضاً ان من الضروري ان نسال دول المشرق الاستقلال ، الذي همته لها انكلترا . وما دامت الحرب قائمة ، من حجة ثانية ، فان للقيادة العسكرية حقوقاً عليا فيما يتعلق بالأمن العام ، والتيها اذن ، عند نهاية المطاف ، يجب ان ترحم القرارات التي تتخذ محلياً . أمسا الشروط التقنية التي تساهم الحزبان ريلسن وهرديلباك لانسحاب القوات الفرنسية

وترحيلها ، فانها قلبي كذلك على نحو ما ، حاجة القيادة الى سير
الامور بشكل منتظم . وانه ليسوؤا ان لا تفقوا لنا ، فقضيتنا ،
بعد كل حساب ، مشتركة .

وعدت الى الكلام ، فاجبته :

« - نعم ! قضيتنا مشتركة . ولكن وضعا غير مشترك ، وعمليا
يمكن ان يصح مثل وضعنا . ففرنسا في الشرق هي المتنبذة وليست
بريطانيا العظمى . انتم تتكلمون عن استقلال الدول . ولكن نحن وحدنا
ذوو الصفة لاعطائه ، وقد اعطيناه في الواقع ، ضمن شروط ولأسباب
نحن وحدنا لنحكم بها ، ونسأل عنها . ومن المؤكد ان في استطاعتكم ان
توافقوا من الخارج ، وليس لكم ان تدخلوا معنا ، من الداخل . ما
الامن العام في سوريا ولبنان ، فهذا من شأننا لا من شأنكم ابداً .

وقال المستر ليتلتون : « - ومع ذلك انت اقررت في اتفاقنا في ٧
آب (أغسطس) ١٩٤٠ ، بسلطة القيادة البريطانية . »

أجابه . « - لقد اقررت فعليا بهذه القيادة ، لاعطي توجيهات للقوات
الفرنسية الحرة ، ولكن كان إقرارى في الناحية الاستراتيجية وصدا العدو
المشترك ، نعم . وما كنت قط لأفهم ان هذه الصفة تنفذ الى السيدات ،
الى السيدات ، الى الإدارة في مناطق وكلفت شؤونها الى فرنسا . وعندما
يعود يوماً ما الى الارض الفرنسية ، هل تميدون الى الدهن حقوق القيادة
لتدعوا حكم فرنسا ؟ ويجب ان اكرر عليكم ، من جهة أخرى ، انني
اصر على الاتصال بالامصار التي كانت تدبر بالطاعة لمبشور . وهذا مما
يعود عليكم ، بعد كل حساب ، بالفع ايضاً . وذلك لان من الميث الخاص
تسريح جيوش كما هي ، شهدت وطيس القتال واكتوت بجرارته ، ثم لمجد
أعصنا يوماً ما تحاه العدو في افريقيا ، او في مكان آخر . ويجب اخيراً
ان يعود القتاد الفرنسي وقيادة الجيوش الخاصة ، الى فرنسا الحرة . »

وحينذاك ، ردّ السيد لينتون قائلاً . - « لقد أطلعتني على وجهة نظرك . وفيما يتعلق بعلاقاتنا المتبادلة في سوريا ولبنان ، نستطيع ان نتناقش حولها ، ولكن فيما يتعلق باتفاق الهدنة ، فإنه موقع ويجب تطبيقه . »

- « هذا الاتفاق لا يلزم فرنسا الحرة ، فأنا لم اوافق عليه .

- « ماذا تنوي أن تفعل إذن ؟

- « هاك اياه لي لشرف ان أعظم ، راقلة لكل ايهام يتعلق بالحقوق التي ترعب القيادة البريطانية في سوريا ولبنان ، في ممارستها ، ان القوات العربية الحرة لن تخضع بعد لهذه القيادة ، ابتداء من ٢٤ تموز ، أي بعد ثلاثة أيام . وأنا آمر الجنرال كازرو ، عد ذلك ، ان يضع يده فوراً على السلطة في جميع أراضي سوريا ولبنان أية كانت اعمارصة التي يلقاها ، ومن أي جانب أنت . وأمر القوات الفرنسية الحرة ان تتصل كما تستطيع ، بجميع المراكز العربية لآخرى وان تأخذ لحسابها ما لديها من عتاد . واحيراً ، هناك تنظيم الحيوث السورية والنسابة الذي كنا قد بدأنا به سلتابعه بشايط . »

وسلمت الكاتبة لينتون مذكرة معدة من قبل ، وفيها تلخيص دقيق لهذه النتائج . وقلت له : « وأنا استأذن بالانصراف . »

« وبك لتعرب ما فعلته انا والدين يسعونني ، وما نفعله في سبيل تحصيلنا . فأنت نستطيع إذن ان تقدين مقدار أسفنا إذا لم نتمكن علينا ان نرى ذلك التعاضد يتعكك . ولكن لا يملك التسليم نحن ، ولا أولئك الذين يملقون في بلادنا أمهم علينا ، ان يقوم التعاضد على حساب قوس ، وضد مصالحها . فإذا وقع ذلك ، لسوء الحظ ، فإذن ، نفضل ان نعلق تمهيداتنا نحو انكافرا . وكيف دار الامر ، فإننا سنتابع لقتال ضد العدو من جهة اخرى ، بجميع ما لدينا من وسائل . وإني

لأبوي السمر الى بيروت خلال ثلاثة ايام ، وأنا مستعد لكل مفاوضة تبدو لك مرغوباً فيها ، اثناء هذه المدة .

وعادرت ليلتون الذي بدا لي ، على برودته الظاهرة ، قلقاً ، متأثراً . وكنت انا شخصياً حاد مسعل . وبعد الظهر ، أكدت له كتابة ان اقتناع القوات الفرنسية الحرة للقيادة البريطانية ينتهي أجله : الساعة الثانية عشر من ٢٤ ؛ غير أنني مستعد للتوية الكيليمات الجديدة لتعارن العسكري ، معه . وأبرقت أخيراً لتشرشل ما يبلي . د إنا لنعتبر اتفاق عكا ، مخالفاً في محتواه ، لمصالح فرنسا الحرة العسكرية والسياسية ، أي لمصالح فرنسا ، وفي شكله نعتبر انه يسيء إساءة بالغة لكرمتنا . أتمنى ان تشعروا شخصياً ان مثل هذا الموقف البريطاني ، في قضية لحسبها حيوية ، يزيد في مصاعنا الى حال من التماقم خطيرة ، ويكون ذا عواقب أفدّر اها وخيمة ومؤسفة من وجهة لمحة السني شرعت فيها .

كانت المناذرة لانكثرا ، فتنازلت عس موقفها . وفي مساء نعه طلب السيد ليلتون مقالتي ، وراح يكلمي باللمة الآتية :

« د أنا أوافق على ان بعض المظاهر أوحى اليكم اننا نريد ان نحل في المشرق محل فرنسا وأؤكد لك ان ذلك خطأ . وأنا مستعد ، تسديداً لسوء التعام هذا ، ان اكتب اليك رسالة تضمن تجردنا التام في المجال السياسي والاداري . »

أجبنه : « سيكون ذلك تثبيتاً للبدا ، نضبط به . ولكن يبقى اتفاق عكا الذي ينقض المبدأ على نحو مرعج ، والذي يوشك ، بالاصافة الى ذلك ، ان يؤول الى اصطدمات بين ذويكم الذين يطبقونه ودوين الذين لا يقبلونه . ويبقى كذلك الامتداد للصلاحيات الذي تنوون اعطائه لقياداتكم العسكرية في المشرق ، والذي لا يتوافق مع وضعنا هناك . »

- « أياكون لديك ما تقترحه حول هاتين المسألتين ؟ »

- « لا أرى من مخرج ، بالنسبة للأولى ، سوى عقد اتفاق فيها يسا حول « تطبيق » معاهدة الهدنة ، يصلح به عملياً ، ما هو مردول في النص . أما المسألة الثانية ، فإن من الضروري والملح ان تتعهدوا بتحديد الصلاحيات لقيادتك على الاراضي السورية والسانية ، في الصلوات العسكرية ضد العدو المشترك » .

- « اسمع لي بأن افكر في ذلك » .

ونحنس الجو . وانتهيا في ٢٤ ثور بعد تقليات شتى ، ال اتفاق « تفسيري » ولا ، لاتفاقية عكا ، وهو ما فاوهر فيه لحسابنا الجبرال لارميا والمفيد هالان . وبه صرح الاسكليز انهم مستعدون للساح لنا بالاتصال بقوات المشرق ليعترف فيها على من ينصوي اليها ، واعترفوا ان المعتاد يعود لي القوات العربية الحرة ، وتخلوا عن اخذ القوات السورية والسانية الى حاسهم ، ونحت لواثهم . وذكر ، عدا ذلك ، انه اذا حدث إحلال جوهري لاتفاق الهدنة من قبيل سلطات فيشي ، وجب ان يلاحظ ، وتتخذ القوات البريطانية والقوات العربية الحرة جميع التدابير التي راها ناعمة لإلحاق قوات فيشي بفرنسا الحرة . وهذا كانت هناك عدة : إحلالات جوهريه ، قد لحظت وكشفت ، فإن في الامكان لاعتقد - وهذا ما اكده لي السيد لينتون نفسه - ان قضية مصير القوات يرمتها ، ستكون موضع اعادة نظر .

لم يحالني الشك في حسن نية الورير الامكليري ، ولكن ما الذي سيقوم به الجنرال ويلس ورمركه من المستعربين ، رغم الاتفاقات المعقودة ؟ كان ان ابرقت مرة ثانية للسيد تشرشل ، محاولة مي لهم على ان يسلكوا سلوكاً حسناً ، ناثبته فيها ، ان لا تترك تحت تصرف فيشي حيثاً كاملاً ، بوحداثه المشكلة . وأصفت : « يجب ان اكرر

عليك انه يبدو لي ان ايسط قواعد الامن تقضي بوقف ترحيل جيش دانتر ، وترك الفرنسيين الأحرار يتبعون السبل التي يرونها ويفهمونها لإعادة هذه القوات المسكية التي صلاتها دعاوة الأعداء ، لي حظيرة الواجب » .

وفي اليوم التالي ، ٢٥ ، كتب إلي السيد أوليغر ليتلتون وزير لدولة في الحكومة البريطانية ، باسم بلاده :

« إنا نعرف مصالح فرنسا الدريجة في المشرق . ليس لبريطانيا أية مصلحة في سوريا ولسان ، باستثناء كسب الحرب . وليست لدينا النية في التنازل بأي شيء ، على مركز فرنسا . لقد وعدت كل من فرنسا الحرة وبريطانيا العظمى ، سوريا ولسان ، بالاستقلال . وإنا لنسلم طوعاً انه حين تقطع هذه المرحلة ، ومن غير وصعها من جديد موضع جدل ، يجب أن يكون لغرب مركز سيطرة وامتياز في المشرق ، من بين أمم أوروبا جمعاء .. ولكم أن تأخذوا علماً بتأكيدات الوزير الأول ، الأخيرة في هذا المعنى . وأنا سعيد في أن أؤكد لكم اليوم ذلك » .

وبصرح السيد ليتلتون في الرسالة نفسها ، بقول نص الاتفاق الذي وصته بين يديه ، والمتعلق بالتعاون بين السلطات العسكرية البريطانية والفرنسية في المشرق . ونجم عنه أنه لن يكون للاكليز أن يتدخلوا في المجالين - السياسي والإداري في المشرق ، لقاء قبولنا أن نقارن قيادتهم التوجيه الاستراتيجية ، ضمن شروط أحكم تحديدها ، من جهة أخرى .

وفي اليوم نفسه سافرت إلى دمشق وبيروت .

ولدى دخول رقيس فرنسا الحرة عاصمة سوريا ، وكان يوماً مشهوداً ، ظهرت الحماسة لحة ترتفع فوقها تلك المدينة الكبرى التي عاشت دهرها حتى ذلك اليوم ، وهي تبدي العتور لجاء السلطة الفرنسية في كل مساسة

وبعد بضعة أيام ، توجّهت في رحلة الجامعة ، بخطاب إلى شعبيّة البلاد المهتمين حول الحكومة السورية ، وأوضحت الهدف الذي وضعت فرنسا نصب عينها بعد اليوم في الشرق ، فقلت فرحيباً حاراً لا تشوبه شائبة .

ووصلت إلى بيروت في ٢٧ تموز . كان الحود الفرنسيون واللتانيون يشكّون من السباح لحظة وصولي ، بينما كان الأصالي ، وقد تجمّعوا حول الطريق ، يصفقون ، ولا يأنفون تصفيقاً ودّهت ، ماراً بساحة الشهداء المدوّية حارة ، إلى السراي الصغير ، حيث تبادلّت علانية مع رئيس الحكومة اللبنانية السيد ألفرد نقاش كلمات يعمّمها التعاؤل . ثم انطلقت إلى السراي الكبير حيث التأم جمع الشخصيات الفرنسية . وكان معظمهم قد أولى الجهار الذي أنشأته فيني مؤازرته ، وفي أغلب الأحيان ثقتي ، عبر أسّي تحققت مرة أخرى ، لدى اتصالي بهم ، من ثقل الأمر الواقع - حين يكون واقعاً حقيقياً - في الموقف التي يتخذها الناس ، وحتى في المادى ، إدراج الموظفين والأعيان ، ورجال الدين جميعهم يؤكدون لي ولاهم ، ووعدوني أن يقدموا لمصلحة البلاد ، في ظل السلطة الجديدة ، إسهاماً لا يشوبه تحمّض . ويجب أن أقول إن هذا التمهّد روحي تقريباً وأنجز ، باستثناء عدد ضئيل . وما أنفك جميع الفرنسيين الذين طوّروا في لبنان وسوريا عن اظهار تململهم الشديد في حرج الظروف ، بفرنسا الحرة واحتجاج شملهم عليها ، وهي التي كانت لقاتل لتحرير البلاد ، حاملة في الوقت ذاته حيث كانت تحمل ، حقوق فرنسا وواجباتها .

وكانت الضرورة الملحة قلبي ، على وجه الدقة ، أن نعيد لتلك الحقوق والواجبات وديها واعتبارها . فأنا لم أجد نفسي في بيروت حتى لمست ، دور دمهنة ، مقدار ما يستحقّ الجنرال ويلس والعملاء السياسيون الذين كانوا يعاودونه ، بالاتفاقات التي عقدتها نفسي مع لبتلتون

لنحت ستر من اللباس العسكري . فقد كان كل شيء يجري في سوريا ولبنان ، كما لو ان احداً لا يدين لنا بشيء ، سواء في ذلك ما يتعلق بتنفيذ الهدنة وتصرف البريطانيين في بلدي الشرق .

كان دانتز ، وهو على وفاق تام مع الانكليز ، قد جمع جموشه في منطقة طرابلس ، وظل مستمراً في قيادتها ، وكانت الوحدات تجمع على مقربة من بعضها البعض ، مع رؤسائها ، وسلحتها ، وأعلامها ، تعقد عليها فيشي الصلابة والثبات . ولا تطلق من الاساء سوى ما يرد عليها بطريق التسلسل ، ويضمها نحو ديسي من الارشمال الوشيكي الى الوطن . وكانت السفن التي تملكها دفعة واحدة ، قد أعلن عنها ، من جهة اخرى ، في مرسيليا ، وما كان دارلان ولا الالمان ليصيغوا يوماً واحداً في الاسراع بذلك الترحيل . وفيما كان الصايط واخوه يسطرون ، وقفوا لتعليمات دانتز التي كانت تعمل بها كلباً لحمة الهدنة البريطانية ومراكز الشرطة الانكليزية ، اذا بهم يجمعون انهم ممنوعون من كل اتصال برعايهم الفرنسيين الأحرار ، وهؤلاء بدورهم لا يملكون ابداً ان يقترحوا من ولئك . وفي مثل هذه الأحوال ، يصحح من البادر ان يصمم اليها احد وبدلاً من الاقتاع المهادي الذي كما يدعي مراده في خدائهم الرجال وذهبهم من وضعوا منفردين بحيث يقفرون على تعهدها واحتياط السبل التي يرونها ، لن يكون هناك سوى تمجير جماعي لطيش متكون ، أعلق عليه في حو من الحقد والفران ، ولم يبق له من رغبة سوى التحلي بأسرع ما يمكن ، عن تضحياته الباطلة وجهوده المبررة .

وبينا ظلت التمهيدات التي أعطيناها من الحكومة البريطانية فيما يخص تفسير هدنة عكا ، حراً على ورق ، ظل كذلك بالصسط ، تحمي بريطانيا العظمى عن العمل السياسي في سوريا ، وتحديد السلطة لقيادتها العسكرية . واذا كانت التحذيرات في دمشق وحتى في بيروت ، قد احتفظت بشيء

من مظاهر السرية . فانها بدت على العكس من ذلك ، هي لمناطق
الأكثر حساسية ، اذ راحت مطامح اسكوترا او مطامح اتباعها الحسينيين
الذين كانوا يهدفون إليها في كل زمان ، تعرض نفسها هناك عارية

وقد عومل المقدم ربيير في الحرية ، وكان مندوب الخبر كاترو ،
معاملة المتهم من قبل القوات البريطانية هناك ، وتمنع من إعادة تشكيل
الأفواج الأشورية - الكلدانية وظكوكيات السورية التي تمزقت موقفاً
وتعمل إلى تدمير والسيادة المستر غلوب المسمى ، غلوب ، شا ، القائد
الاسكائيري له ، قوات شرق الأردن ، محاولاً ضمّ القسائل الدوية
للأمير عداة . وفي حوران ، عهد إلى عملاء الاسكائير الصعط على
الرحماء المحليين ، لحلم أبصاً على الاعتراف بسلطة عدله ودفع الصرائب
له . وكانت التقارير ترد من حلب وبلاد العلويين مرعبة صندرة بالشر .

ولكن البريطانيين كانوا مظهرون بياتهم علانية في جبل الدروز ، على
الأخص . ولم تنشب مع ذلك ، أية معركة هناك ، وكان التفاهم قد
تمّ بين كاترو وويلسن أن لا تدخل القوات الحليفة إلى أن يتخذ في شأنه
قرار مشترك . وليس من الميسر أن ينصور اللاوي . حالنا السنية حين
عصا أن لواء بريطانيا مركز فيه ، وأن الكوكبات اندرية أصبحت
رسمياً في عمدة الاسكائير ، وأن بعض الرؤساء استدعاهم وأبقى عليهم
المستر فاسن اسمي ، الكومودور فاسن ، وصرحوا أنهم طرخوا
السلطة الفرنسية ، وأن د بيت قرب ، في لويديا حيث كان يقسم
مندوباً ، تحول القوة إلى مقرّ قيادة البريطانية ، وأن هذه القيادة
سافقت إليه أخيراً جنود العلم المثلث الألوان على مرأى من القوات
والأهالي ، ورفعت علم بريطانيا (الأرموني حاك)

كان الموقف يقضي أن تردّ في ١٤٠٠ ، على هذه الحركات . وفي ٢٩
تموز أصدر الخبرال كاترو أمراً ، بموافقتي ، لامتديد موسكلاز أن يتوجه

فوراً للسويداء على رأس رتل من الأشداء ، ويستعيد بيت فرنسا ،
 ويسترد سرايا الحبيسة الدرور . وأحيط وبلس عفاً بذلك ، وفق
 الأصول في الوقت المناسب ، فوجت أياً في الحال رسالة تنطوي على بعض
 التهديد يناشدني أن أقف الرتل ، فأجسته : « أن ذلك ارتل بلغ
 مرامه ... وأن له بنفسه أن يسوي مسألة تمرير القوات البريطانية
 والمصرية في جبل الدرور مع كاترو - وهو الذي كان قد اقترح
 ذلك - ... وأني أعتبر كتاباته التهديدية مما يؤسف له ... ولكن
 إذا أنا بقيت على استعداد لتعاون عسكري محض ، فمن الواجب
 يقضي أنت تفضل حقوق السيادة لفرنسا في سوريا ولسان ، وكرامة
 الجيش الفرنسي أعز من أن تنال بسوء » .

وحين وصل مونكلار إلى السويداء ، ومهم أن قائد اللواء البريطاني
 صرح أنه « إذا اقتضى الأمر القتال فليكن القتال » وكان حوسه
 بالإيجاب . ثم لم يبلغ الأمر ذلك الحد إذ استطاع مونكلار أن يتمركز
 يوم ٢٦ ثور في بيت عرسا ، وأن يرفع فوقه علامة عم لألوان الثلاثة ،
 ويتخذ في المدينة ثكنة خجوده ، ويعيد تشكيل سرايا الدرور تحت
 إمرة ضابط فرنسي . وبعد فترة وجيزة من الزمن غادر الاسكليز المنطقة .

غير أن كثيراً من حوادث الاصطدام رحلت تدبج في كل مكان ،
 بعد تسوية ذلك . فقد أعلن وبلسون من جهة أخرى ، أنه سينشئ
 ما دعاه « الحكم العربي » ويتولى جميع السلطات ، فأحضرناه أسب
 نصح سلطتنا ، في مثل هذه الحال ، على طرف النقيض من ملصقاته ،
 وأن ذلك يؤدي إلى القطيعة . وقد امتنع ليتلون عن التدخل في هذا
 النزاع ، رغم اطلاعه على أطواره . وكان من هذا الوزير البريطاني ،
 حتى لدى سريان الاشاعة أن كاترو أخذ في إجراء محادثات في دروت
 ودمشق لعقد معاهدات مقبلة ، أن كتب إلى كاترو مباشرة يطلب إليه

أن يحضر سيرر في تلك المناقشات ، كما لو أن الأمر كان بدهماً .
وهذه الادعاء المتواصل بحق الدحل في شؤون ، بلغ الآن الحد الذي
لا يمكن أن يحمله ، شأنه شأن الاعتداءات التي ما انفكت تترصد ،
هكان أن أرفقت في أول آب لكاسان ، أن يذهب لقاعة إيدن ويقول
له من لساني ، إن تدخل إنكلترا يسوق إلى أحضر التعقيدات ، وأن
المؤثر المرمية التي يمكن أن تستلهم السياسة الانكليزية في الشرق ، من هذا
انصبان لحقوق فرنسا ، لا بد أن تكون حد ضئيلة مقابل لأصرار
البحري التي تنجم عن خلاف بين فرنسا الحرة وإنكلترا .

حلاف ؟ لم تكن لندن عند وأول في ٧ آب السيد ليتنن
يروري في بيروت ، ومضى الثور كنه معي وكانت هذه الزيارة مناسبة
لاحتجاج بمتقد أنه كان حاسماً مانسة للبريطانيين في الشرق ، كما لم يستق
هم قط أن عرفوا مثله . فقد أقر الورير بصراحة أن التفكيرين
الانكليز لم يمدوا انصاقت لمفردة في ٢٤ و ٢٥ ثور ، وقد أكد
د أن ليس في ذلك سوى تأخير يُعزى إلى نقص في الإبلاغ ، وربما
إلى سوء فهم آسف له من كل قلبي ، وأنوي أن أصح حداً لهذه الأشياء
كلها . . وبعد دعت ومساء من الحوادث التي انقطعا عملاء الانكليز ،
وسردها كانوا عليه ، وصرح أن «دشي أخلت باتفاق الهدنة ، وأن
الضابط البريطاني مثلاً ، وعدمهم انفس وحسون ، الذين أسروا في
المعارك الأخيرة وكان ينبغي أن يهادوا بلا إبطاء ، لم يرجعوا بعد ،
ولا يعرف حتى أين وصدوا ، وأن دانتير سيدفن بتيعة لذلك ، إلى
فلسطين ، وستقدم له بعد اليوم جميع التسهيلات للقبض فاستلحاق
الحدود وضمتهم إلى صفوفنا .

م أحفر عن لينتون ، ما كنا مهكين من الطريقة التي مارس بها
حلفونا التعاون ، وقلت له . . د إنا لفصل ان يسير في طريق الخاصة ،

ونتم تلبعون طريقكم ، على ان نستمر هكذا . . ومنذ راح يشكو بدوره ، الموائت التي نضعها في طريق القيادة للبريطانية اجبته انه لا يمكن ان يكون ثمة قيادة حليلة مشتركة ، كما علمي « فوش » في سالف الايام ، من غير تجرد وزاهة ، وان كل ما يقوم به هو شخصياً ، اي لئلتون نفسه ، عن اخلاص ، وما يقوله لي او يكتبه ، لا يبرهن وضع الانكليز هنا ، ولا هم يتقيدون به . اما الخوض في حديث الدفاع عن المشرق ، على محسو ما كان يفعل ويلس ، لاعتصاب السلطة في الجزيرة ، وفي تدمر ، وفي جبل الدروز ، فما ذلك سوى حيلة واهية ، اد كان العدو بعيداً ، في الراهن من الظروف ، عن جبل الدروز ، وتدمر ، والجزيرة . وادا كان من الحكمة مواجبة مثل هذا الاحتمال بعين بقطعة ، اي حين يعود خطر المحور يحوم بظله الثقيل على سوريا ولبنان ، فإن ما ينبغي عمله ، لأحد الأمانة والاحتياط ، بصبح من شأن الدفاع المشترك بين فرسيين وبريطانيين ، وليس سياسة اعتداء انكليزية على مجالنا بحال من الاحوال .

ومنذ كان همّ المستر لئلتون منصرفاً الى اهراء ريارته عند نقطة من نقاط الاسباجام ، فقد وثب يستعمل « خطة الدفاع » ، واقترح عليّ إدخال الخنزل ويلس لتكمم حولها ، وانا الذي لم اشأ ان يحضر اجتماع ، فأحست سداً ، ولكن قلت : ان بلنقي ويلسن وكاترو خرج بسيروت ليصعد مشروعاً عملياً . وكان القافزما في اليوم الثاني ، ولم يسر عملياً عن شيء . وذلك دليل على ان الحجاب الاسكليزي كان يفكر ، بما يخص المشرق ، في كل شيء ، ما عدا احتمال هجوم الماني . ومع ذلك ، وضع وزير الدولة بين يديّ ، وهو يفادري ، رسالة تكرر التأكيدات التي سبق تقديمها حول تجرد بريطانيا العظمى السياسي ، وقد اراد بها اظهار حسن نيته . وكان المستر لئلتون قد اكد لي شعوراً اني سأكون

مرتباً لنتائج حديثنا العملية .

ولما كانت تلك الهزات ، على كثرتها ، لم تزعزع فرنسا الحرة ، فقد قرّر في الرأي على ان في الامكان فعلاً ، ان يعتمد على مهلة في المصاعب التي يترقب حدوثها . عبر ابي لكثرة ما كان لديّ من ، اصعبت وثقاً مع ذلك ، ان الارمة ستعود عاجلاً ام آجلاً . ولكن كان لكل يوم من عدته ما يكفيه . وقد رجعت الى معوصية لندن ، التي كانت تتخوف من موافقي ، وصفاً مني لصيغة السليخة التي انجلت عنها المحنة الاخيرة ، وقد تعلّما عليها بصورة موفقة ، وبحثت رسائل تلحّص لقلبات الحال ، وصرحت احيراً كتيبه احلافية ، و قد تقوم عظمتنا وقوتنا في الصلابة وحده . لدى كل ما يتعلق بحقوق فرنسا . وسنكون في حاجة الى هذه الصلابة حتى نهر الراين ، الداخلى ضمن جهودنا .

ولقد تحدثت لأمور ، على كل حال ، بحري آخر ، انطلاقاً من ذلك الحادث . واستطاع لارميا مع مساعدته ان يتصل بالوحدات التي لم تخرج بعد ، ويوفد لمداد الأخير ، على عمل ، الى الضباط والافراد وتقيص لكارو ان يقابل بعضاً من الموظفين الذين كان يرغب شخصياً في الاحتفاظ بهم . واستقيبات نفسي عدداً من الزائرين . وارتفع عدد تصميم آخر الامر الى ١٢٧ صابطاً ، ورماء ٦٠٠٠ من صف الضباط والجنود ، اي ، يعادل خمس قوات المشرق . وأعيد ، عدداً ذلك ، تشكّل العناصر السورية والشمالية في الحال ، وقد بلغ مجموعها ٢٩٠ صابطاً ، و ١٤٠٠٠ جندي . ولكن اشرع منا ، في النهاية ، ٢٥٠٠٠ بين صباط ، ورواب صباط ، وحمود في الجيش والطيران الفرنسيين ، بها كان القسم الاكبر منهم يميل ، دون ادنى شك ، الى الالتحاق به ، هي لو كان لديهم الوقت الكافي والوسائل اللازمة لتوفير اذعابهم . وذلك لان ليس نقلوا الى فرنسا بإذن من العدو ، متخليين عن امكانية العودة

أليها كبحاريين ، انما كانوا ، فيما اعلم ، ترهقهم الريبة والكآبة . اما من
جاني ، فقد كنت اشهد ، والقلب يغمره الأسى معن النفس للقي
ارسلتها فبشي ، واراها بعد ان امتلأت ، تتوارى في عرض البحر ،
وهي تحمل معها احدى قرص الوطن ، للظفر .

ولكن ما بقي هنا من تلك العرص يمكن الآن ، على الاقل ، ان
يُعدّ للعمل ويعمل . وهذا ما شهد كاترو في مرآه بكل نشاط . لقد
انطلق بكثير من الكرامة والتميز يقود حركة فرنسا في المشرق ، وهو
لمالك حسن العظمة العربية والميل الى السلطة ، البارع في تسيير الرجال ،
ورجل الشرق خاصة الذين يحسن النفاذ الى مراوغاتهم الدقيقة المنفعة
بالأهواء الحارة ، الواثق من قيمته الخاصة بمقدار ما هو محصل لعملها
الخليل ، والعمل الذي يشرف عليه . وادا خطر لي ان افكر مرة في
ان ميله الى الإغراء ورعته الى المسافة لا ينسحبان دوماً وتوع الصراخ سي
فرض عليه ، وادا تأخر ، على الاخص ، في تبين المكر الذي ينطوي
عنه القصد البريطاني في اعرقه ، فإني لم اترك فرصة قط تمر دون
الاعتراف بكفاءته وعراياه الروبعة . لقد خدم الجنرال كاترو فرنسا
احسن الخدمة ، في موقف حرج حمود ، على نحو استثنائي بسبب من
ادباع رهبة اساسية ، ونقص في الوسائل ، وعوائق كانت توضع في
كل مكان .

كان عليه ، في مستهل امره ، ان ينظم من اعلى الى اسفل ، فتيين
فرنسا الذي تحول فجأة ، وفي كل مكان ، الى التقدم تقريبا ، بسبب
من ارتحال معظم الموظفين ذوي السلطة ، والقسم الاكبر من صراط
الاستخبارات . وقد اتخذ كاترو بول لببتيه اميناً عاماً ، وهو الذي
جاءنا من بانكوك ، حيث كان وريثاً لمرسا . وانتدب كلا من الجنرال
كوليه والسيد بيير بار . الاول لحكومة سوريا والثاني لحكومة لبنان ،

كما انتدب في الوقت نفسه السادة : دافيد ثم فوكينو في حلب ، ودي
مونخو في طرابلس ، و « دومارسي » في صيدا ، والحاكم شوغلر ثم الجنرال
مويكلار في ملاد الطلبيين ، والعقلاء . يروسيه في الجزيرة ، ديربيتر
في حصص ، اوليما - روجيه في حلل الدرور . وقد ذهب هؤلاء لتأمين
حضورنا ونفوقنا ، في كل واحدة من تلك المناطق .

يجب ان اقول - ان الاهالي اظهروا تجاهها ترحيباً حاراً ، فقد
رأوا في فرنسا الحرة صرباً محسباً اليهم من الشعاعة ، وإثارة ،
والعروسية ، بدا لهم انه يلي ما كان في نظرم فرنسا لمثلي وشعروا ،
عدا ذلك ، ان حضرة بعد عن ارضهم خطر الحروب الانساني ، وبؤس
عدم في المجال الاقتصادي ، ويمرض حداثاً لمساويهم الاضطعين
وكانت تشتت الكربة أحياناً التي علقها عن استقلالها ، مشار
أرجحياتهم ونظائرات الحمة التي قامت دور دحوي دمشق وبديوت ،
مجددت بعد مصممة أمم في حلب ، وثلاثينية ، وطرابلس ، وكديلت كل
الأمر في كثير من مدن هذه القطر الداعت على الاعجاب ، ود . ك .
حيث تنص كل محلة فيه وكل بقعة ، بأدائها رقة ليدها ، وحكم
شهود التاريخ

ولكن ، إذ كان شعور الشعب يظهر بخلاء في حارسه ، فإن رجال
السياسة كانوا أول صراحة في إبداء مشاعرهم ، كان أكثر الأمور إيجاباً
من هذه الجهة ، في كل من لدولتي ، نولية حكومة فدرية على الاصلاص
بواسط حديدة ، كما نريد أن ننقل إليها سلطات الانتداب ، ولا
سيما من فواحي ادل ، والاقتصاد ، والأمن العام . وكنا سوي ، في
الواقع ، أن لا نحتفظ من تلك السلطات بغير الدفاع ، والملاقات الخارجية ،
و « المصالح المشتركة » بين دولتي « اسعد ، حرك ، والتمور ،
رسائل المحلات التي يستعمل بقلمها فوراً ، كمصل سوريا عن لسان بعثة

وحين يسمح تطور الحرب من بعد ، يُعتمدُ إلى إحراء انتخابات تفر
عن تولية سلطات وطنية عامة . وفي انتظار ذلك ، راح تسيير حكومات
دات صلاحيات واسعة يرفع حتى الطغيان ، حرارة الأهواء القبلية ،
والمنارعات الشخصية .

وكان الموقف في سوريا ، من هذه الوجهة خاصة ، معقداً . لقد
تحمس مندوب فرنسا الأسامي في تور عام ١٩٣٩ ، وقد رفضت باريس
آخر الأمر المصادفة على معاهدة ١٩٣٦ ، لحل على إقصاء رئيس الجمهورية
هاشم بك الأسامي ، وحل البرلمان وقد وجدنا مكانه في دمشق ودارة
حصرت مهمتها في تسيير الأمور ، من غير أن تكتسب صفة حكومة
وطنية ، وكان على رأسها محالد بك للعظم ، وهو شخصية تتمتع باحترام
وقيمة كبيرين . وكنت آمل أول الأمر ، أن اتكئ من إعادة الأمور
إلى نصابها السابق في سوريا . وقد أظهر الرئيس هاشم بك ومعه رئيس
حكومته الأخيرة جميل مردم بك ، كما أظهر السيد فارس الخوري رئيس
المجلس المنحل ، خلال المحادثات التي أحرقتها مع كل منهم بحضور الجنرال
كانزو ، أنهم مستعدون للعودة إلى الوضع السابق ؛ ولكن
هؤلاء الثلاثة ، على أهم كانوا ساسة محكمين ، ووطنيين مخلصين لبلادهم ،
ورحالة يرعون في إدارة الصداقة العربية ، ظهروا أنهم لا يتبنون
الفرصة التاريخية التي منحت لهم بكل صغامتتها ، ألا وهي تسيير سوريا
على طريق الاستقلال ، بالاتفاق التام مع فرنسا ، والتجاور بوثة كبرى ،
عن التحفظات والمآخذ السالفة لقد وحدتهم يصرطون في اهتمامهم ،
على ما شمرت ، بالشكليات التشرعية ، ويصرطون أيضاً في حماسيتهم
القومية . وقد دعوت الجنرال كانزو ، مع ذلك ، إلى متابعة المحادثات
معهم ، وأن لا يأخذ بحمل آخر ، إلا إذا كانت تحفظاتهم تحول ، على
سبيل قاطع ، دون الوصول إلى نتيجة .

وقد استطعنا في لبنان ، أن نحضي بسرعة أكثر ، من غير أن نعثر ، مع ذلك ، على الحل الأمثل ، فإن رئيس الجمهورية إميل إده ، صديق فرنسا الصامد ، ورجل الدولة المثبت ، كان قد استقال قبل ثلاثة أشهر من الحركة التي ساقطنا إلى بيروت ، ولم يحل أحد محله . وكانت مدة ولاية البرلمان قد انتهت ، من جهة أخرى ، منذ زمن طويل . وبهذا كان الوضع من ناحية المادى والدستور ، مهدأ ، غالباً من كل عقة . بيد أنه لم يكن كذلك من ناحية المسائل السياسية ، إذ كانت هناك خصومة شائعة تجعل إميل إده على طرف النقبض من شخصية مارونية أخرى : السيد بشارة الخوري . فهذا ، وقد انقضى لللايست الشؤون اللبنانية ومنصرحاتها ، جميع حوله عديد الأنصار ، ومتعدد المصالح . وصرح لي السيد الخوري : « سبق أن بلغ إده المنصب الأعلى ، وحياه دوري لأن أكون رئيساً » . وكان أخيراً رياض الصلح ، رعيم مسلمي السنة المتحمس ، يلوح حول الساحد بعلم القومية العربية ، ويحمل لتدسين على الاستمراخ ، دون أن يخلصنا ، مع ذلك ، إلى وفاق .

ورأينا ، في تلك الأحوال ، أن من الأفضل أن نرفع إلى السدة العليا ، الرجل الذي كان على رأس الحكومة ، أعني السيد ألفرد نقاش ، وكان أقدر لمعاناً من أي من الثلاثة الآخرين ، ولكنه كمؤ ، وموضع تقدير . ولم يبدو لنا أن وجوده على رأس الدولة في ظرف سياسي انتقالي ، يثير معارضة عنيفة ، وذلك لم يكن صحيحاً ، من جهة أخرى ، إلا في حزم منه ، فإذا كان إميل إده قد اسعج ، تكريماً ، واختياراً ، الآتي ، ورياض الصلح تجب مضايقة من حمل الصب ، فإن السيد بشارة الخوري ابطلق ضده في ميدان من الدساتير والمؤامرات .

لم يكن هذا الموقف السياسي في دمشق وبيروت ، ليطوي في دائه على ما يفتق ، بانتظار الاستعناء الشعبي الحر . وما كان النظام العام

يعاني أخطاراً تهدده . وكانت الإدارة تؤدي مهمتها . والرأي العام كان راضياً بحكمته ، عن تأخير الانتخابات ، هذا الأخير الذي تفرجه قوة القاهرة ، وهي الحرب . كان في الامكان ، ومن واجب دون أدنى شك ، نقول مختصر ، أن عمر فترة الانتقال من نظام الانتداب وعهد الاستقلال ، يهدوه تام لو لم سحبت الانكلتر حلالها ، عن نحو مسمح ، عن مبررات ومناسبات ، للتدخل .

وهيما كان المستر لينتون في القاهرة ، سبهما في المشكلات التي طرحها . قوير الشرق ، وهي كان احمر ل ويلس يتورى مع حكمه العربي وتطاولاته المباشرة ، مركز سير في بيروت ، كرئيس للاراء، طات الانكليزية ، ليصبح في كلون الثسالي (بير) ورياً ريطابا مطلق الصلاحية لدى حكومتى سوريا ولبنان . وكان تحت تصرفه أوراق رابحة لا تطير لها وحود جيش الانكليزي ، عملاء الانتلجيدس دور النشاط المتعدد الأشكال ، السيطرة على العلاقات لاقتصادية بين لندن والدير بمبشان على التبادل ، تأييد الدبلوماسية لأول في العالم ، في جميع المواسم ، وسائل دهارة كبرى ، مؤامرة رحمة من قبل دول عربية معادرة العراق وشرق الأردن ، حيث يسود أمراء حسبيون ، وفلسطين حيث يتظاهر المندوب السامي الانكليزي باستماتات لا تنقطع يتلقى أصداءها ، ويطلقها عرب مطلقته من الجور ، الذي يعابه إخوانهم السوريون والبنانيون ، وهم أحياناً حيث لم يكن يجد الورراء سبيلاً إلى الاستقرار في السلطة ، كالذين يطمحون إلى بلوغها ، من فرصة حقيقية آنذاك ، سوى التمتع برضا البريطانيين عنهم .

كان اللعب بمثل هذه الأوراق سهلاً ومعرياً ، في الوسط الرشاح ، الدساس ، النفسي الذي يفتحته المشرق لمشروعات إنكلترا . وكانت إمكانية قطيعة معنا ، وضرورة مداراة شعور فرنسا ، وحدهما ، هما القادرا على

أن تعرض على لندن بعض الاعتدال . غير أن هاتيك الإمكانيات نفسها ،
وتلك الضرورة ذاتها ، كانتا متحدان أيضاً من ناحية وردودنا .
بالصور المادي والمعنوي الذي يعود علينا من جراء انفصال عن برطاني
المعظمي ، كان يقوم ، على التحقيق ، بدور قصير في تنفيذ ثم أمنا
كانت حربنا الحرة تفقد ، كلما اتسعت ، بعض الشيء من ذلك الحرم
المركز ، الذي أتاح لنا ان نتطلب هذه المرة ، وهي تحسارنا بكل
شيء في سبيل كل شيء ؟ وكيف نكتف للشعب الفرنسي خبيراً ،
الاسباب خلفه خلال وقوعه في الهوة ، وفي الوقت الذي لم يكن فيه
من شيء أهم من بحث الثقة والامل في نفسه ، لنتمكن من حمله على
قتال العدو ؟

لقد كان من تركيز سلطاننا في سوريا ولسان ، على الرغم من جعل
شيء ، من مدّة معسكر الحرة بحدة كبرى ، فقد أصبحت مؤخرات
اختفاء في الشرق بعد اليوم ، مؤمنة على نحو وطيء . ولا سبيل بعد
للألمان الى موصىء قدم في الانصر العربية ، إلا دأبهم حاسوا في حملة
واسعة وحضرة . وتركيا التي كان يأمل هتلر ان يثير من مخوفها مسا
يكفي لحملها على الانضمام الى المحور ، ويستعملها جسراً بين أوروبا
وآسيا أصبحت في مأس . وثبتت دفعة واحدة حيث كانت واحداً ،
عدت فرنسا الحرة في مستوى حملها قادرة على قيادة قواتها

وقررنا ، من هذه الجهة ، ان نركز في اراضي الشرق مع القوات
السورية واللبنانية ، دفاعاً ثابتاً في الساحل مكيفاً الى بحريتنا ،
وحتياطياً يتألف من لواء فرنسي ، ونضع الجميع تحت إمرة الجنرال
هملو . ونظمتنا في الوقت نفسه ، لنذهب ونقاتل في مكان آخر ، لواءين
قويين محتلفين ومجموعة مصفحة مع ما يدرمها . وكلف الجنرال دي لارمينا ،
وقد حل محل مدونا سامياً في براراميل الطبيب اللواء سيده ، بقيادة

هذا المجموع المنحرف ، المحدود - ويا للأسف ! - بلاكانته ، ولكنه يتمتع بقوة كبرى من السلاح بفضل العدد لسي بلباء في المشرق . ولدى مروري ثابة بالقاهرة ، قابلت الجنرال أركمك القند لاعلى الحديد ، وقلت له . « في اللحظة التي تصبح بها قوات جبهة » نصعبا تحت تصرفك ، على ان يكون ذلك لقتل . . فأجابني : « سيقوم رومل مؤكداً بما يرم لتسحق لي فرصة الاعادة منها » .

ولكن ، بيس كانت الحرب في المتوسط تجري ضمن ظروف افضل باندسة لنا ولخلفائنا وتنحصر في تخوم مصر وليبيا ، كانت تشتعل على مساحات اوروبية شاسعة من السطيق الى البحر الاسود . وكاب المحرم الادبي على روسيا يتقدم بسرعة . وأية كانت الانتصارات الاولى التي حققتها جيوش هنر ، فقد كانت المقاومة الروسية ، تشدد مع ذلك يوماً بعد يوم . كانت هذه ، على صعيد السياسة كما هو الشأن على صعيد الاستراتيجية ، أحداثاً لا يرقى الى مداها حساب .

ورأت اميركا في تلك الاحداث ما تقدم لها فرصة اعمال حساسة . وما لا شك فيه ان الموقف كان يقضي ان تتوقع من اليابان الشروع قريباً ، بعملية إلقاء وسمة الطاق في المحيط الهادئ ، تحدة من تدخل الولايات المتحدة وتعميقه . ولكن هذا التدخل حول اوروبا واقربق ، اصبح بعد اليوم كيداً ، ما دامت هذه مغامرة حسارة تقتص في أقصى روسيا الجوهري من القوة الالمانية ، وما دام البريطانيون من جهة ثانية ، استطاعوا عسؤاررة الفرنسيين الاحرار ، ان يؤمنوا مواقع حصينة في الشرق ، وما دام المنعطف لدى سارت فيه الحرب اخيراً ، يبعث الامل ، وبالتالي روح التصميم على القتال ، لدى الشعوب المعلوبة على امرها .

ان ما ينشئ لي ان اقوم به الآن ، وكان في حدود المستطاع ، انما

هو التأثير في واشنطن وموسكو ، ودفع الاحداث لتسمية المقاومة
الفرنسية ، واستثارة مجهود وماتلنا في طول العالم وعرضه ، وقيادته . وقد
وجب عليّ ، من أجل ذلك ، أن أذهب الى لندن ، مركز المواصلات
وعاصمة الحرب ، فكان ان بلغت في اول ايلول (سبتمبر) ، وانا اشعر
بعدم التجارب الاخيرة ، بما ستكون عليه عتق العملية حتى اليوم
الاخير ، ولكي كنت حقتماً بعد اليوم ، ان النصر قائم هناك ، في
نهاية المطاف .

الحلفاء

لم تعد فرنسا الحرة ، حين اقتربت من عتامها الثاني ، في نظر العالم هاتيك الزمرة المثيرة للدهشة التي قوبلت اول امرها بالسخرية ، والشفقة او الدموع . الآن اصبح الناس في كل مكان يواجهون واقعها السياسي ، والحربي ، ومجالات اراضيها ، واصبح لازماً عليها اطلاقاً من ذلك الواقع ، ان تتعد الى الصعيد الدبلوماسي ، وتحتل مكانها مع الحلفاء ، وتظهر فيها كفرنسا المحاربة ذات السيادة التي يجب احترام حقوقها ، وإفراد حصتها من النصر . وكنت في هذا الشأن ، على استعداد لتحمل فترات الانتقال . ولكي لم أشأ ، ولا كان في استطاعي ، ان اتنازل عن شيء ليسياً يتعلق بالاماس . وكنت ، عدا ذلك ، أتمجّل العاية وكسب الموضع قبل ان تقرر الصورة الحاسمة مصير الحرب . لم يكن ثمة إذن وقت مضيق ، ولا سبيل الى حاسب الكبار : واشنطن ، وموسكو ، ولندن .

كانت الولايات المتحدة ذاتي كسار الأمور بمشاعر مدنيّة ، وسياسة معقّدة . هكذا كان موقعها تجاه فرنسا عام ١٩٤١ ، فيها كانت حركة الجنرال ديفول تبحث في أحماق الرأي العام الاميركي ردود فعل حماسية ملتهبة ، كان كل ما هو شبه رسمي يجهد ان يعاملها ببرودة او عديم اكتراث . اما الرسميون فقد احتفظوا بعلاقاتهم كما هي ، مع فيتشي ،

راعيهم اهم يشارعون بذلك النفوذ الالائي على فرنس ، ويمنعون تسليم الاسطول ، ويحافظون على الصلة بفيضان ، وورعيس ، وبواسون ، الذين كان ينتظر منهم دورهم ان يفتحوا له يوماً ما ابواب فريقه . ولكن سياسة الولايات المتحدة المعتلة لدى بيتان كانت تقف ، وذلك تناقض يبعث على الدهشة ، مستعدة عن فرنسا الحرة ، وحينئذ انه لا يمكن الحكم مسبقاً على الحكومة التي توليها الامة الفرنسية مقابلتها بعد ان تحرر . وسوهر الأمر ان الحكام الاميركيين كانوا يحسون انهم فرنسا مرةً مفروغاً منه ، فاستحووا ثعماً لذلك ، مع فيشي . وذا واحدها ، مع ذلك ، في بعض نقاط من العالم ، ان يتحدروا ، تحت إلحاح من ضرورات الكفاح ، مع هذه او تلك من السلطات الفرنسية ، فقد كانوا يرون في ذلك تسويات عارضة ومحلية ، لا أقل ولا أكثر .

هذه الحالات جعلت من العسير علينا ان ننضم مع واشنطن . وما كان للرئيس روزفلت ان يخفف من تعقيد المشكلة ، أو يقرتها من حل مقبول ، نحن ، وان كنا لم نتمكن بعد من التلاقي ، فقد كانت ثمة علامات تجعلني أحزر ما ينطوي عليه تجاهي من تحفظ . غير اني أردت ، مع ذلك ، ان افسرهم بكل ما استطيع لأمنع الولايات المتحدة التي هم بسدحول الحرب ، وفرنسا التي أردت عنها انها لم تخرج منها قط ، من ان تسيرا في طريقين مختلفين .

أما شكل العلاقات المراد إقامتها التي مضى رحال السياسة والدبلوماسيون والدعاة يلبارون في مناقشتها ، فيجب ان اقول إنه كان يومذاك ، بما لا يثير اهتمامي على وجه التقريب . كان يعني وقع العلاقات وعنوانها اكثر بكثير من الصيغ المتتالية التي راج مشاريع واشنطن بلسجونها حول الاعتراف . ومع ذلك شعرت ان الاستقلال موضع شبهة وتساؤل امام ضخامة الموارد الاميركية وطموح روزفلت الى تطبيق

القبول وقبول الحق في العالم - ولو اردت ، باختصار ، ان أحول التفاهة مع واشنطن ، لكان ذلك على اسم عليه ، ولكن في وضع مناسب وقدا .

لقد أوقفت خلال لحمة الضولية ، وهي الأشهر الأولى من قيام فرنسا الحرة ، إعادة حرمة ، من عذرو دول وحك التي سيس كسطفين بلدي ، ونرد الآن ان معامل ، فكنت بلين ن يشرع في إحراء الاتصالات ، وكان يعرف أميركا كان مدعاً ، لا يحمل شيئاً من شؤون الخاصة وقد حدثت له منذ شهر ابر ١٩٤١ في برافيل مهمته تلك ، كما يلي : تنظيم إعادة علاقات الدقة والاشارة مع وزارة الخارجية ، وعلاقات أمريكا وأوقياناسيا لفرنسيتين الحرب مع اميركا ، ومشترياتها لداشرة من العتاد المفيد للحرب ؛ إتهام إعلاما ودعاوتها حتى يقف على اقدامها في الولايات المتحدة ؛ إنشاء جلسا فيها وتنظيم المؤامرة التي يوليها إليها دور الإرادة الطيبة من اميركا ، ولم يصل بلين الذي سافر في مستهل حزيران ، صغر اليدين ، لقد قدمنا ، في الحال ، للولايات المتحدة ، إملاية تركز قواتها الجوية في الكاميرون ، ونشد ، والكومور ، وكانت اميركيا يمدك ملحوظة مسبقا ، لأن تكون قاعدة لهم يستعدمونها في اطلاقهم صوب أوروبا ساعه يصطرون ان أعمال السلاح ، وكان ، عدا ذلك ، عون حرر المحيط الهادئ حيث يرفع صليب اللورين ، إراه التهديد الياباني ، د أهمية بارزة بالنسبة اليهم .

والواقع ان الحكومة الاميركية لم تتأخر عن طلب الحق في استخدام بعض مسن قواعد الافريقية لطائراتها ، ثم قواعد هيريد ، الجديدة وكاليدوب الحديد ، ولم تكن بعد بحارمة ، وانما فوجئت بذلك الطلب لحساب شركة الطيران ، التي أميركان ، ولكن احدا لم يحاخه شك

في مدى ما تطوي عليه خطوتها تلك .

كانت واشنطن تولى موقعنا المربد من الانتاء ، كلما اقترب أجل الحرب من الولايات المتحدة ، فهي آب أرسلت الى تشاد بعثة ارتباط يديرها العقيد كستهام ، واعطى كوردل هول على ملأ في ابول ان هناك وحدة في المصالح بين الحكومة الأميركية وفرنسا الحرة ، و صاف ، « إن علاقاتنا مع هذه المجموعة حدة حنة على جميع المستويات » . وفي اول تشرين الاول (اكتوبر) استقبل بلين رسمياً في وزارة الخارجية ، وكان نائب الوزير « سمير ولر » هو الذي استقبله . وفي ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) شمل الرئيس روزفلت فرنسا الحرة ، لإفادة من نظام « الإعارة والتأجير » في رسالة وجهها الى المؤتمر ستيلبيوس لأن « لدفع عن الاراضي المنصمة الى فرنسا الحرة حيوي » للدفاع عن الولايات المتحدة ، وفي نهاية الشهر نفسه ، استدعي فيعان من عاصمة الجزائر ، فذهب يحمل معه ومها اميركيا ان واشنطن لا تعرف بعد الى اي جانب تنحاز . وفي هذه الاثناء ، عاد بلين الى لندن ليكون عضواً في اللجنة الوطنية التي شكلتها ، واصبح آدريان تيكسيه مدير مكتب العمل لدولي «الاتفاق مع مظارة الخارجية » رئيس معوصيتك في اميركا . وانتظمت خيراً علاقاتنا في لندن معها ، بدأ وبين المؤتمر دريكس بديل ، سفير الولايات المتحدة لدى الحكومات اللاحقة في بريطانيا العظمى .

وفيا راحت العلاقات الرسمية لأولى تسعد على هذا النحو ، كان يلاحظ تحولات شتى في الصحافة والاداعة ، وهما الأدان اللذان طلب حتى ذلك الزمن تحملان علينا ، هذا اذا هما لم تلتزم الصمت . وظهر من جهة اخرى ، بين الفرنسيين المعتربين وبيهم رجال ماررون ، رغبة في الارتباط بأولئك الذين يصوبون علم البلاد . وهكذا كسب المروفور فوسيتون موافقة زملائه على الطلب من الجنرال دينفول ان يصدر مرسوماً

يعترف فيه بالثؤينة التي أشاعها ، وهو الذي كان قد أسس ، المعهد
العربي ، في نيويورك ، جمع فيه أئمة العلم والتاريخ والفلسفة .

وفي ٧ كانون الاول (ديسمبر) ، رجع المحترم على ميل هاربر ،
بأميركا في الحرب . وأصبح في الامكان الاعتقاد ان سياستها بعد ذلك ،
ستميل بها الى معاملة الفرنسيين لاجرار الدين كانوا يجاربون ، عداها
بالت ، على اهم حلقات . ولكن شيئا من ذلك لم يكن . لقد كانت
من المحتمل تحمل كثير من التقلبات الأليمة قبل ان تعقد واشنطن العزم على
اعتبارها أخلاقاً . وهكذا كان من امر الحكومة الاميركية ان حجرت
في مراقبتها يوم ١٣ كانون الاول السابعة « بورماندي » مع ثلاث عشرة
سفينة فرنسية اخرى ، ولم تقبل التفاوض بشأنها ، حتى ولا التكم
معا حول استيائها ، وتسلحها . وبعد مصحة اسابيع ، كانت « بورماندي »
طعمة للذئبان في ظروف مفعمة . وحلال شهر كانون الاول (ديسمبر)
حررت مساحات ميثاق الامم المتحدة . ووقعته ٢٧ حكومة لم يكن نحن
في عدادها . والعجب ، ان لم يكن الموضع ، في موقف الولايات المتحدة
تجرباً ، هو ما سينكشف على يد حادث يكاد لا يدرك لصآته في
حد ذاته ، ولكن ردة الفعل الرسمي عليه من واشنطن جعله على جانب
خطير من الامة . وردا كنت أنا اندي أثرته من جهتي ، لأحرك قراره
الاشياء ، كما يلقى حصر في عدير . والموضوع إما كان يصم جريزي
سان - بير و « ميكون »

لقد فكرنا فيها ، منذ البداية . لقد كان في الواقع ، معيلاً
يطلب الاتحاد بها هالي أرجيل فرنسي صغير يقع على مقربة من
« قير بوف » (ارض الحديد) ، ويظنوا تحت بير فيشي . وكان وسواس
البريطانيين الدائم ، عواصت الالمان على طريق القوافل الكبرى ، وان
تتمكن هذه العواصت من العثور يوماً ما على مساعدة تطلقها خاصة ،

من محطة إذاعة كانت قائمة في سان - بيير ، ولذا كانوا - أي البريطانيون - يرغبون في انضمامها . ولكن لا بد ، حسب رأيهم ، من موافقة واشنطن على ذلك . أما أنا فكنت أعتقد أن تحصل هذه الموافقة ، ولكي لا أحدها ضرورة لا غنى عنها ، طالما أن القضية كلها من شأن فرنسا وحدها . وقد رادني نصيماً على استعادة الأرخبيل إلى فرنسا الحرة ، ما رأيت من تعامل الاميرال روبيير ، مدعوب فيشي السامي في جرر الأنتيل وعبثاً وسان - بيير ، مع الاميركان ، مما لا يمكن أن يؤثر إلا إلى تحييد هذه الاراضي العرسية بضمان مس واشنطن . وقررت العمل لدى أول فرصة ، حين علمت في كانون الاول ان الاميرال هورن أوفد من قبيل الرئيس رورفلت إلى « فور - دي - فرانس » ، ليضع مع روبيير شروط تحييد ممتلكاتنا في اميركا والسفن الراسية في موانئها .

وقد سعت تلك الفرصة على يد الاميرال موزيليه ، إذ كان عليه ان يذهب إلى كندا لتعويض الطرادة العوامة « سوركوف » التي كانت متمركزة آنذاك في هاليماكس ، ويعمل كذلك السفن الحربية الفرنسية التي تواكب القوارب ، فاتفقت معه على اجراء العملية مبدئياً . والذي حدث انه جمع في هاليماكس يوم ١٢ كانون الاول ، ملحق لحرب « ميسورا » ، و « أكوني » و « آليس » حول « سوركوف » ونائب للمرور في سان - بيير وميكون . ولكنه حسب ان عليه ان ينال موافقة الكنديين والاميركيين في أوغوا مبقاً ، وهذا انكشف السر ، فرأيت بي مرغم على إعلام البريطانيين نجساً لمظاهر المداخلة . وكان جواب واشنطن لموزيليه . « لا » عن طريق وزيرها في أوغوا ، وصرح الاميرال انه ما دام الامر كذلك ، فهو يعدل عن الذهاب إلى الحريثين . وكنت إلى حكومة لندن انها لا تسمع ابداً من جهتها ، ولكنها تطلب ، نظراً لمعارضة اميركا ، تأجيل العملية . واتجه الرأي

في تلك الظروف ، الى الادعاء ان ثقله ، إلا اذا طرأ حديد على الموقف

ولكن الحديد طرأ ، فقد أحاطت بها القورين أويس علماً بعد ساعات من حوارها . أما كان ذلك مقصوداً ؟ ان الحكومة الكندية بالانفاق مع الولايات المتحدة ، إن لم يكن بإيعاز منها ، قررت الدول بالعدد والعدة اللازمة في سان بيير ، طوعاً أو كرهاً ، لتأمين محطة الإذاعة . فأدلتنا على الفور احتجاجاً الى لندن واشتطى غير به منذ أصبحت مسألة قضية تدخل احبي في ارض فرنسية ، بدا لي ان ي تردد بعد ذلك ، امر غير مسموح به إطلاقاً ، وأصدرت للأميرال موريليه أمراً بضم سان بيير وميكون نوآ وهذا ما فعله عشية الميلاد ، وسط حماسة الأهليين الكبري ، من غير ان تطلق رصاصة واحدة ، وكان استفتاء ثالث به فرنسا الحرة اكثرية ساحقة . ولحمد الشان في الحال ، وأتلف لراشدون من الرجال معبرة تؤمن بدفاع عن الحرر ، وتعتن ساهاري محافظاً ، حل محل الحاكم .

كان في الامكان لاعتماد ان هذه العملية الصعبة التي بددت تنويعي رفع ، سنال موافقة الحكومة الاميركية من غير صحة ، أو أنهم ستقبل على الأكثر شوء من الاستياء في مكاتب بطارية الخارجية . ولكن الذي حدث ، ان عصبة حقيقية هنت في الولايات المتحدة ، والمستر كورديل هن ، معه هو ندي انارها في بلاء على به أنه قطع إحارته في عيد ميلاد ، ووصل على مدح السرعة الى واشنطن ، وأصاف سكرتير الدولة ، إلى العمل الذي قامت به في سان - بيير وميكون السم التي بقل إم فرنسية حرة ، . أخرى دون ان تكون حكومة الولايات المتحدة على علم سابق به ، ودون ان تكون قد وقعت عليه ، تحول ، ونسهي بلاءه مصرحاً ان حكومته سالت الحكومة الكندية

عن التدابير التي تتوي هذه انجازها لإرجاع « الحالة الراضة سابقاً » الى الحزيرتين .

وظلّ لفظ الصحافة وهيجان الرأي العام في الولايات المتحدة ، طوال ثلاثة أسابيع ، يتجاوز حدود التصوّر . ذلك بأن الحدث قدم فعلاً للجمهور الأميركي فرصة المفاصلة بين سياسة رسمية لا تزال تؤلر بيتان وشعور كثرة من الناس قيل الى ديعول اما نحن فكما نرمي ، وقد بلغنا الهدف ، الى حمل واشططن على فهم للأمور أصط وأصح . ومد كان تشرشل في كويك ينشاور مع رورفلت ، فقد أبرقت للوزير الاول أعله بالأثر السيء الذي أحدثه موقف نظارة الخارجية في الرأي العام الفرنسي . وأحابي تشرشل انه مبدل ما في وسعه لتسوية لأمره ، ملحقاً في الوقت نفسه الى مثل فلك التطورات المؤاتية التي حبل درها . وملتم تبكيه ، من حاسي ، المستر كوردويل هل في الوقت نفسه ، معلومات مطمئنة ، بيب راج روسي دي سال يستخدم صلاته بالصحافة الأميركية في الوحة نفسها ، وكذا نجهد في ان يستعيد المستر و . ملتم آخر سفير للولايات المتحدة لدى الجمهورية ، مشطه ، وكان يقم آتذاك في القاهرة .

م يبق في وسع حكومة واشيطن ، إراء القند الشديد في بلادها ، وتذكر بريطيا وكذا امهات ، لها ، إلا ان تسلّم في نهاية اهدف بالامر الواقع . وقد حاولت التهيول ، مع ذلك ، قبل ان تسلم به ، وذلك في ان تستخدم توسط الحكومة البريطانية . ولكن هذا التوسط نفسه لم يكن مقنعاً بصواب موقفه . وقد قلبي المستر إيدن ، وكرّر مقابلتي في ١٤ كانون الثاني (يناير) وتظاهر بالإلحاح في ان يصل تحييد الجور ، واستقلال الإدارة عن اللجنة الوطنية ، وإقامة إشراف علي يؤمنه موظفون حلفاء . وقد رفضت أي حل من هذا القبيل .

أخبرني المستر إيسدن أن الولايات المتحدة تفكر في إرسال طراد ومدمرتين إلى سان - بيير وقال لي : « ماذا تفعل في هذه الحالة ؟ » فأجبت : « فتوقف السفن الحربية عند حدود المياه الإقليمية الفرنسية ، ويذهب الاميرال الاميركي لتناول عدائه مع موزيليه الذي يكون معتبطاً به ، على وجه التأكيد ، » ولكن اذا تجاوز الطراد الحدود ؟ - « يقوم رجالنا بتوجيه الإنذارات المفقاة » . « هذا تعدّي هذه الإنذارات ؟ » - « سيكون إذا ذاك الويل الكبير ، لأن على حدودنا ان يطلعوا النار . ورفع المستر إيدن ذراعه إلى السماء ، فأهتت الحديث مبسماً وقلت : « إنني لأهم استعانتك ، ولكن لي ثقة بالديمقراطيات . »

لم يبق إلا ان نقلب الصفحة . وكان ان استقبل المستر كوردويل هل في ١٩ كانون الثاني نيكسيه وسرد عليه ، من غير حيدة ، اسباب السياسة التي تسببها حق ذلك اليوم . وبعد قبيل أحد عشر عاماً بالحواف الذي كنت قد أنهيته إليه . وحين عاد المستر تشرشل في ٢٢ إلى انكلترا ، طلب ان اقابل ، وقابلته مع بلير . واقترح عليا الوزير الاول ، ويجاسه بدن ، من قبل واشنطن ولندن وأرغوا ، تسوية يقى معها كل شيء على حاله في سان - بيير وميكلون ، على ان نترك للحكومات الثلاث ، اقدم ذلك ، ان ننشر بياناً يصون ماء الوجه فيها كان ضئيلاً ، لطائرة الحربية . وقال لنا الوزيران البريطانيان : « وبعد ذلك ، لن يتدخل احد في هذا الشأن » . وقطنا التسوية . غير ان شيئاً لم يُذع ، آخر الامر . لقد احتفظ سان - بيير وميكلون ، ثم لم يتم احد بها بعد ، من جانب الحلفاء .

وأما كان وضع واشنطن القانوني والمعضي تجدينا ، فإن دخول الولايات المتحدة الحرب فرض عليها ان تتعاون مع فرنسا الحرة . كان ذلك صحيحاً ، في الراهن العوري ، من اجل الباسيفيك ، حيث كانت

ممتلكاتنا كاليدوي الحديدية ، وحرر المركب ، ونواموتو ، والسوييني ،
وحقنا تاهيتي ، امام تقدم اليابس الصاعق ، قائلا لان تصبح في يوم او
آخر ، صرورية للاستراحة الخليفة وكان بعضها قد استخدم كمحطات
حوية - بحرية . وكان البكل الكاليدوي ، عدة ذلك ، مما تحتاج اليه
كثيراً صناعة الاسلحة . وقد ادرك الاميركان ، على وجه السرعة ،
العائدة التي يحموها من النعام معداً . وكذلك هي حائنا ، اذ لم يكن
في مقدورنا ان ندافع وحدنا عن حدودنا ، عند الاقتضاء . وكانت لحمتنا
الوطنية قد قررت مسبقاً ، عن روية ودرس إيدن ، ان يلبي كل طلبات
لاميركان فيما يخص ممتلكاتنا في المحيط الهادى . لقفء شرط واحد ،
وهو ان يحترموا فيها السادة المربية وسلطت الخاصة .

ثم يجب ان نمارس هذه السلطة عالياً على نحو مرضى ، ولم يكن
ذلك امراً سهلاً ، نظراً لمدد حرربنا ونشنتها ، ونقص الوسائل ، وطبيعة
السكان ، وهم المتعلقون اكيداً بفربنا . وقد ثبتوا ذلك «بصهارهم الب» ،
ولكنهم من جهة ثانية ، مشاعدون وقبولون للأحد «الدسائس السني ثمت
عابها مصالح المحلية او الاجنبية . ويضاف الى ذلك ان من بين العناصر
المهنددة ، وكثيراً من «فصلها» تركوا اوقيابيا امثالاً لأومري ، وقدموا
الى اقريف ، ليحاربوا مع القسوات المربية الحرة . وهكذا أرسل الى
الشرق فوج الدسيميكت التاسل الرائع مع غيره من جنود الافواج لآخرى
تحت مرة التقدم برروش ، وقد اكتسبت هذه المساعدة لاوقيابية في
المعارك لتحرير فرنسا ، مصرى سامياً . ولكن الدفاع المباشر عن منشآتنا
اصبح معها اكثر صعوبة . وكان من حالة حرب حبراً ، ان تملك
الحياة الاقتصادية لملك الممتلكات النائية . وحمة الموقف ان الحدة الى
سلطة قوية ومتمركزة قدر المستطاع ، كانت تفرص نفسها في اوقياب .

كنت قد رأيت ، مد رسع ١٩٤١ ، ان مى الصالح ان أرسل

اليها ، في جولة تقييضية ، لحاكم العام برونو الذي أصبح متفرعاً منذ ضمّ لوكثير الكامبيرون . ولكن برونو اصطدم ، بعنف اغلب الاحيان ، وموظفين يعرفون اليه ، ولديهم صبب ظاهر ، فية الحلول محلهم مع اصدقائه . وكانت « نابت » مسرح احداث مصحكه - مبكية ، فقد شهدت الحاكم ، والامين العام ، وقصل اكلترا يُعتقلون بأمر من برونو ، بينما كان الحاكم سوفو في اوميا ، يذبح في انلأ مخطئه على المفتش . كان لا بد من اجراء تدابير استثنائية ، فعيّنت في ثور (يوليو) ١٩٤١ نقيب البحرية - ثم اميرال - ثييري دارجليو متوضاً سامياً في السابيك لجميع الصلاحيات المدسة والمكرية ، وصحة . « إعادة سلطة فرنسا الحرة » شيئاً من غير أنصاف حلول ، وقصّة موارد البلاد في سبيل الحرب ، وتأمين الدفاع عن الأراضي المرمية بالوفد مع الخلفاء ، ضد جميع الاخطار الممكنة ، والمهمة في وقت قريب .

كانت لي ثقة بدارجليو ، وإلى رفعة عنه وحرمة كائنا يضمه معزوباً في مستوى يسيطر به على الدوائس . وكانت كفائه حكرئيس تحملي على ثقة من ان وسائلنا لنخدم بمصاء ولكن بحس فهم ، وستلاني كدهته كدبلوماسي عبلاً رحياناً نحول به ، وذلك لانه اد كان قد ادرك بهطرقه ، ولي الجرأة ان اقول « إلهامه » ان عمل فرنسا الحرة يشبه صبراً من صليبية ، فانه كان يرى ، وهو على صواب ، ان هذه الحرب الصليبية يمكن ان تكون موفقة . وقد وضع الطراد الخفيف « ترونتان » وسفينة الاستكشاف « شمروني » تحت تصرف بعض السامي في السابيك . وشرع هذا بتدعيم الامور في تهيتي ، وفي فيها أورسيلي حاكماً ، بينما قدم برونو « صحبايه » يفسرون في لندن ما حدث لهم ؛ وبعد كان الموقف في الشرق الأقصى برعته ، من جهة اخرى ، لا يكلف عن التجهّم ، فقد ارتأى دارجليو

أن يصيف لي مهمته الأولى ، تسبق العمل بين ممثلينا سواء في 'لوسا' أليا
وريلندا الجديدة ، والصين ، وفي هونغ كونغ ، وساموارة ، ومادايلا ،
وإفريقيا . وذهب إسكرا في الوقت نفسه ، وهو الشير ليدى الصبيين
كشترع دولي ، إلى تشونغ كينج ، ليقعد الصلة مع المارشال تشان .
كاي - شك ، وبعد إقامة علاقات رسمية

والتهب المسيحيك دفعة واحدة في مستهل كانون الأول ، إذ برز
البابون بعد مصادفة بول هدرر الرهينة ، في ملاير البريطانية ، وحرر الهند
المولدية ، والفلبين ، واستولوا على عوام ، ودايك ، وهونغ كونغ .
وحاصروا في مستهل كانون الثاني جيشاً بريطانيا في ساموارة ، اضطروا
بعد قليل إلى الاستسلام ، واستولوا في الوقت نفسه على مادايلا ، وحوصر
مك آرثر في شبه جزيرة تانجا . وما أعرفه عن هذا الجنرال كان
يوحى إلي الكثير من تقديره . وقد أديت يوماً دحون ويمانت ، سفير
الولايات المتحدة في لندن ، وكان دبلوماسياً مفعماً بالذكاء والشعور ،
وصرحت له : بيلي ، علي أن أقول لك كحدي وكحليف ، أن افتقاد
مالك آرثر وبيد كبير ، فليس في معسكرنا سوى فتلة من الرؤساء
العسكريين من الطراز الأول ؛ وهو أحد هؤلاء . ولا يجوز أن نخسره .
هنا نحن نعتقد دا لم تصدر إليه حكومته ، الأمر بأن يصدر ، بأن ، نفسه
على ظهر رورق حربي ، وحماية حو - ماء . اعتقد أن مثل هذا الأمر
يجب أن يوجه إليه ، وأطلب منك أن تصلح الرئيس رورفلت على رأي
الجنرال ديمول في هذا الشأن . . وامي لأحمل ما دا كانت خطوتي
هذه قد أسهمت أم لا ، في القرار الذي اتخذ . غير أنني عشت داعشاشط
كبير ، على كل حال ، أن الجنرال مالك آرثر استطاع ، بعد وحيز من
الوقت ، أن يبلغ ملبورن .

كانت كاليدونيا الجديدة إذن مهددة منذ بداية كانون الأول (ديسمبر)

وكان الخطر يشتد بمقدار ما هي ملاصقة لأستراليا ، هدف لعدو الرئيسي . ثم إن فيشي ، وقد توقعت احتلال اليابانيين حررتنا في أوقيانيا ، واراوت دون ريب ، ان تحاول استعادة السلطة فيها تحت ستار الفراء ، عيّنت الاميرال ديكو مفوضاً سامياً للسيفيك . وهذا لم يترك مناسبة إلا اغتصبها لتحرير لاهلين في كاليدونيا الجديدة ، من مدياع سايعون ، على التمرد ضد فرنسا الحرة . وكاب دارجيليو ، وهو يشغل في لجنة من الهوم والمصاعب ، يوحه الى تقارير ملأى بالحماسة ، وتناهى عن الاوهام . أما من جهتي ، فقد وجهت نصيحة إمدادات امكي الحصول عليها ، الى بوميا ، وبنت له في الوقت نفسه اعتقادي انه قادر على انقاذ الشرف ، على الاقل . وكان المدد الذي أرسلته يتألف من . ملاكات عسكرية ، ومدفع بحرية ، طراد مساعد ، كاب ديالام ، والمواصة وسركوف ، أخيراً التي كان يعتقد ان كفاءتها في العوص وسعفتها تجد مجالها العملي في السيفيك . ولكن هذه المواصة . وهي اكبر غواصة في العالم . ارتطمت ، وبالأسف ، ليلة ١٩ شاطئ على مقربة من مدخل قناة بناما ، مسعينة شحنة ، وغرقت على رأسها مع ربانها : نقيب السفينة الحربية « بليرون » ووثنيته جميعهم البالغ عددهم ١٣٠ رجلاً .

أخذ النامون مع حلفائنا ينظم ، في هذه الاثناء ، تحت ضغط الحوادث . ففي ١٥ كانون الثاني ، رحبت بظارة الخارجية الى مفوضيتنا في واشنطن مذكورة نوضح التمهيدات التي التزمت بها الولايات المتحدة فيما يتعلق بـ « احترام سيديتنا في حزر السيفيك الفرنسية » وان القواعد والمنشآت التي يرخص لها تظل حفاً مكتسبة لمرسا ، وان حق التبادل يعترف به لمرسا في الاراضي الاميركية إذا بقيت للقواعد الاميركية بعد الحرب ، . وفي ٢٣ كانون الثاني أرق لي المستر كوردل هل اب رؤساء الأركان العامة الاميركية والبريطانية يقدرون أهمية كاليدونيا

الجديدة ، وهم يتخذون التدابير لتأمين الدفاع عنها وفق الشروط الجديدة
في مذكره ١٥ كانون الثاني . وأعرب فاضل الخارجية بروتش عن « أمله
في أن يسير في المستقبل التعاون الرئع والتعاون اللذين قد تمهما من قبل
المفوض السامي الفرنسي » .

وقعت هذه الأساليب الطيبة ، تدابير عملية ، إذ تمكنت في ٢٥
سبتمبر أن أحضر دارحليو إن الجرال فانتش ، الذي عين قائداً للقوات
الأميركية في الساميك ، تلقى من حكومته الأمر بالذهاب إلى
بومب ، وبأن يتفاهم وإياه « مباشرة وبروح ودية كبرى » حول تخطيط
القيادة . وفي ٩ آذار كانت اللجنة الوطنية الفرنسية مدعوة لإيجاد ممثل
عنها في « جهة الحرب للمحيط الهندي » التي سُنّت في لندن حيث
يجتمع مندوبون عن بريطانيا العظمى ، وروسيا الجديدة ، وأستراليا ،
والولايات المتحدة ، لبيان المعلومات و« مقترحات » . وفي ٧ آذار ،
صالت أيضا الحكومة الأميركية الإذن « بة إقامة قواعده في أرخبيل توموتو
وحزر اسوسيني » والتي طلبها . ووصل الجرال فانتش أخيراً إلى لوميا
في ٩ آذار ، وكانت تلمعه قوات مهمة .

لقد أصبح لدى الحركات الفرنسية في الساميك بعد اليوم ، فرص
للتغلب من العدو . ولكن كان عليها ، مع ذلك ، أن تتغلب على رمة
دقيقة في تلك المنطقة ، قبل أن يسير التعاون بين وسين حلفائنا كما
كان يجب أن يسير . ولا ريب أن الاستجمام ساد العلاقات أول الأمر
بين فانتش ودارحليو . ولكن وجود القوات والدولارات والمخابرات السرية
الأميركية سيؤدي حتماً قريباً أسباب الاضطراب الكامنة لدى «ناس تقص
مصاحبتهم حتى الحصار . وهناك قسم من الميليتيا عملت فيه المطامع
لحلية عملها ، فتغلبت من المفوض السامي ، ووضع نفسه تحت إمرة
فانتش الذي ارتكب خطأ التعطية لذلك العصيان . ثم إن الحاكم

سونو الذي لم يطق ، من جهة اخرى ، ان يكون مسؤولاً دارجيو ،
راج يسمى وراء شعبة شخصية يستطيع ان يعيد منها . وكان مني ان
دعوت سونو الى لندن ، بعد اضطراب مدة من الوقت ، لأعطيه منصفاً
يتوافق مع الخدمات التي أداها ، فقرر أول الأمر ان يلتقي دعوتي ،
غير انه عدد واحتج «استياء آثاره الأمر الذي تله في اوساط الاهليين»
وأعلن أنه يأخذ على عاتقه « التمهّل في السفر » .

إلا ان الحاكم سونو أبحر تلبية لدعوتي متبعاً الأسلوب اللائق مشدراً
بالحزم المنشود ، وأوفد مونتشان من تشاد ليعمل معه ، والعقيد دي كونشار
من لندن ، ليقود القوات ولكن تبع ذلك في روما والأدغال ، مظاهرات
عنيفة كان الاميركان يشتمونها علناً وحالتي الشهور بأن حركة مرعبة
لديتر بلاتي من الأيام ، فعدت واشتغل وسيت ، من جهة اخرى ،
باتش أبا لا يمكن ان نقل قدسه في شأن مرسي ، عبد أبي أوعرت
في الوقت نفسه الى درجيليو ، ان يذن أقصى جهده في توطيد علاقات
شخصية وثيقة مع باتش ، وان يظهر ، إذا أمكن ، بعض السذاجة
تجاه أهالي لا يرقى شك الى هباحهم . واستعاد لحسن السليم حقوقه
كاملة بعد ثلاثة ايام من الاضطرابات ، كما استعاد دارجيليو جميع مقومات
القيادة . وكان ذلك امراً لا بدحة عنه ، لأن آخر قوت المقاومة
الاميركية في الفلبين استسلمت في ٦ ايار في كوريبيدور ، و ١٠ منه
في مندلو ، بينما نشبت معركة بين اسطولي اليابان والولايات المتحدة في
الكوراي شمال شرقي اوستراليا ، توقف عليها كل شيء ، واصبح من
المحتمل ان تهاجم روسيا بين لحظة واخرى .

وتراعى الاهالي حذراً واحداً ، حول السلطة الفرنسية ، امام الخطر
لدام وهم يشجبون الاضطرابات الأخيرة ونقل عديد من الاشخاص
لمشاهين ليخدموا في سوريا . وذهب باتش من جانبه لمخابرة دارجيليو ،

يعتد له عى . سوء التفاهم . الذي أقحم فيه . وأبرفت الى اخر ل
الاميركي أعرب له عى ثقى وثقة فرنسا الحرة به ، إذ هو مشى بدأ
يسد مع مقوص فرنسا السامى . وسار الاميركيون والمريسون معاً عى
أثر ذلك ، ليأخذوا مراكزهم للقتال معرم ومصاء . وحدث ، من جهة
اخرى ، ان لم يكن عليهم ان يدافعوا عنها ، لأن اليابانيين وقد أعلنوا
في بحر الكوراي آنذاك ، تخلفوا عى مهاجمة اوستراليا وكاليدونيا
الجديدة .

ومكدا دفعت الحرب الولايات المتحدة على ان تقسم مع علاقات
أوثق وأوثق . ويجب القول ان المحيط القومى لديهم كان يوطئه لذلك
قوتنة واضحة ، عى وثبة الصليبية التي توحىها للشعب لاميركي مثالب
المرزية ، وفي وسط ذلك الجهد الضخم الرائع لدى صمم ذلك الشعب
ان يمرسه عى عى في السلاح والتعبئة ، لم يكن محاربو فرنسا احرى
ليظهروا بهم شعبون ، وقد انعكس ذلك عى السياسة وتأثرت هذه
به ، فقد كان في وسنا في شاط (فبراير) ١٩٤٢ ، ان تتم معوضتنا
في واشنطن بمئة عسكرة وكلت أمرها الى المقيد دي شعبه . وقد
اعترفت ميركا اول ادار في تصريح عام ، ان « حرر الباسيفيك الفرنسية
كلت تحت الاشراف العملي للجنة الوطنية الفرنسية » ، وان حكومة
الولايات المتحدة « تتعامل وتستمر في تعاملها مع السلطات التي تمارس ذلك
الاشراف » . وصرحت بظارة الخارجية كذلك ، في شأن افريقيا
الاستوائية ، في بلاغ اصدرته بتاريخ : بيان ، ان « تعترف بسلطة
فرنسا الحرة هناك » ، إذ عيقت قنصلاً عاماً للولايات في برارافيل وسائر
المناطق الاستوائية التي كانت تخضع لسلطتها . وحين طلست الولايات
المتحدة حق استعمال المطار لقاذماتها الثقيلة في بونت - مور ، أدبت لها
بذلك ، شرط ان تزودنا أولاً ببناسي طائرات من طراز « لوكهيد » كانت

ضرورية لمواصلاتنا خاصة . وقد قلنا ، بعد مفروضة مقدمة ، ، أتاح
 للعقيد دي هارميه ان يشره حصداً قديماً بين برلين ودمشق
 ولطيفرت الاميركية ان تتخذ من بونت فوار محطة نقل وهكذا
 صبح الجو بيننا وبين اميركا ، من غير ان تكلف عن توطيد مكانة
 فرنسا .

وهنا كنا نقصر المسافة الدبلوماسية التي رمض واشطن عن فرنسا
 الحرة ، خطوة خطوة ، فوصل الى عقد علاقات تحالف ، في وثيقة
 واحدة ، مع موسكو . وهنا ، يجب القول ان المحوم دي شه هنتر
 على روسيا ووضعها امام خطر الهلاك ، يستر عليه السبيل ، ثم ان
 السوفييات لموا ، من جهة اخرى ، اعقم انفسه اني انه هو من
 انبأ عامي ١٩١٧ و ١٩٣٩ ، بين ادارا ظهورهم لفرنسا وانكسرها
 وقد بدا احكام الكرملين ، في هذا السطر ، انه " في انعام بها العود الالامني ،
 يتراجعون عن موقفهم في عكسه بوضوح ، ومن غير تحفظ . وهذا كتاب
 مدياح موسكو لا يكف عن طمس ، لامبراييه انكسرها ، و د هرتزفتم
 السبعوليين ، حتى الملاحظة التي عرفت ، انبذات لامية حدود روسيا ،
 إذا بالناس يسمعون إدعاءات موسكو ، تهتق الله ، على قشرشل ودومول
 تماماً بعد ساعة ، على وجه الدقة .

وكان نهار روسيا في الحرب نتج في جميع الاحوال ، لفرنسا
 الملهقة ، أوسع آفاق الأمل ، فإن لهذه ان تكسب المدد أهدح الخسائر
 ولحق به اصراراً رهبة ودافعة إذا لم يوفق الرايح سرباً الى تصفية
 الجيش السوفييتي . وما كنت يقيناً لأشك في ان نصراً يكون للسوفييات
 فيه سهم رئيسي أوفر ، يمكن بمحرد مذهبهم ان يضع العالم من بعد
 امام حطار اخرى . يجب التحسب لهذه الاحصار ، في الوقت نفسه
 الذي يكافح به الى حاسمهم . ولكني كنت أرى انه يجب علي قبل

التعسف ان نعيش ، اي ان نغلب . وروسيا قدّمت إمكانية هذه العتبة ،
وحضورها في معسكر الحلفاء ، من جهة اخرى ، مدّة فرنسا الحاربة
تجاه الانكلو - سكسون ، بمصر توازن وحتّى تعتمد جيداً على
الإفادة منه .

لقد عشت وأنا في دمشق ، التي ررتها على أثر دخول قواتنا المدينة
يوم ٢٣ حزيران ١٩٤١ ، اندلاع الحرب بين الروس والامم ، واتخذت
موقفاً لثنوي ، إذ أبرقت في ٢٤ الى مفوضية لندن بالتمهيلات الآتية
« يجب ان نعلم - كما فعل تشرشل - أننا نكل صدق مع الروس ،
ما داموا يحاربون الامم ، ولا نسل للمناقشة جانباً في عيوب النظام
السوفييتي وحتى في جرائمه . فليس الروس هم الذين يسحقون فرنسا ويحتلون
باريس ورأس وبوردو وسراسورج . فطائرات وابدعات والحسود
الامم الذين يقضي عليهم الروس الآن وعداً ، لن يكونوا هناك بعد
ايمنعوا من تحرير فرنسا . تلك هي اللهجة التي أمرت ان تعطى
لدعاوت . وأشرت على مفوضيت في الوقت نفسه ان قدّم لي السيد
ميسكي سفير السوفييت في لندن ونقول له «سمي » والشعب الفرنسي
مع الروس ضدّ ألمانيا . أنا سمي بالتالي ، تنظيم علاقات عسكرية مع
موسكو » .

وقابل كاشن وديجان السيد ميسكي ، فأظهرهما في الحال ، أعطي
لاستعدادات اما النتائج العملية ، فإن قطع العلاقات بين فيشي وموسكو
وهي القطيعة التي طلبها هنري فيشي ، افصى الى تسهيل الامور ،
على نحو عاجل . ولذلك أوعزت ، وأنا في بيروت في ٢ آب (أغسطس)
الى كاسان وديجان ان يسألا السيد ميسكي « عمن إذا كانت روسيا
مستعدة لاقامة علاقات مباشرة معنا » وعما إذا كانت تموي ان تتوجه
اليها بتصريح عن نيتها في عودة استقلال فرنسا وعظمتها ، ون تصيف

الى ذلك ، إذا أمكن ، وحدة كيانها .

وأوصت المحادثات في ٢٦ أيلول إلى تبادل رسائل ممي وبين السيد ميني ، إذ صرح مدير الاتحاد السوفي ، باسم حكومته أن هذه . تعترف في كرئيس لجميع القريبيين لأحبار . . وأنها على استعداد للاتصال بمجلس الدفاع عن الامبراطورية الروسية من أجل جميع المسائل المتعلقة بالهوان مع أرمني . ما وراء البحار لموضوعه تحت سلطتي . وأنها مستعدة لتقديم الامون والمساعدة للقربيين لأحرار في سبيل الكبح المشترك . . وأنها مصممة على تأمين إعادة استقلال فرنسا وعظمتها ، إعادة كلمة مطلقة . . ومع ذلك فإن السوفييت شأنهم شأن برطانيا اعظمى التي لم تعمل بموجب اتفاق ٧ آب ١٩١٠ مع كلوا ليتحدثوا عن وحدة كيانها .

وبعد ذلك ، قليل اعتمدت الحكومة السوفياتية السيد بوغومولوف ، لما لدى اللجنة الوطنية . وقدّم السيد بوغومولوف من فيشي حيث كان ، مندوبه ، سفيراً لدى بيشان . وكان أن تكيف دون أدنى ارتباك ، مع الأوضاع الجديدة على الأقل ، التي أحد يمارس فيها مهمته . غير أي لم أسمع قط من هذه كلمة تشير إلى سحقه منه على أشخاص . المارشال وورران ، ممن كان يمثل لديهم حكومته ، حتى أنه سرد على مسامعي ، في إحدى محادثاتها ، هذه الحكاية . : كان لدي في فيشي من أوقات الفراغ ما أستعده في البره حصة وتطواف الريف والمحدث إلى عمدة الناس . وقد قال لي يوماً هلاج وهو يحرث أرضه : : إنه لخير أن يكون الفرنسيون قد نعلوا أولاً . ولكن ، انظر هذا الحقل ! إنما أنا أستطيع أن أحرثه ، لأب لأمر سوتت على نحو تركي به الألمان وشأنني . وسأرى أنها ستؤوى عما قريب على نحو يرحلون معه من فرنسا . وقد حسنت أن السيد بوغومولوف أراد ، من خلال هذه

التعريف الذي يوضح نظرية « الثرس » و « السيف » ، أن بين لي أنه
هم الموقف الهرسي جيداً ، وأن يشرح لي في في الوقت نفسه مبررات
المواقف المتعاقبة التي اتخذتها روسيا السوفياتية .

ومع ذلك الزمن ، أحدث ألتقي السيد بوعومولوف ، أغلب
الأحيان . وكان يستخدم أقصى ما يستطيع ليظهر أنه إنساني بما يتحدد
من خطوات ويجري من محادثات ، في حدود ما يسمح له المرف الدبلوماسي
الصرم المفروض عليه . وكان حين يوجه أو يتلقى بحبرة رسمية ، صلب
العود ، متأهلاً كتلة واحدة ، وهذا الرجل نفسه ذو الثقافة الحقيقية كان
يبدو ، في ظروف أخرى ، مرناً ، رحب الصدر ، يحسن استخدام
السخرة ، ذمناً حتى الانسجام عند الحكم على الأشخاص والأشياء . يجب
أن أقول إنني اقتنعت من خلال احتكاكي به ، أنه إذا كان النظام
السوفياتي يطلع على شخصية حادمية علناً لا فكك منه ، فإنه لا يملك
أن يمنع من أن يظل تحت ذلك العمل ، إنسان .

وكنّا ، من جانب ، قد أرسلنا الجوال بقي إلى موسكو ليقوم مهمة
الارتباط العسكري . وأظهر السوفيات لتوهم ترحيباً عاتقاً به وأعطوه
بالرعاية والاعتبار ، من احتفالات أقامتها لأركان المصانة ، إلى زيارة
للحصة ، إلى استقباله من قبل سنالين نفسه . ورحلت أناسل من بعد ،
ما إذا كانت عاية حفاوتهم هذه للجوال بقي ، مجرد عمل مملوكي . وفي
جميع الأحوال ، كانت التقدير التي نرد من مصادر شتى تعطي الانطباع
أن الجيوش الروسية راحت ، وقد تصدعت أول الأمر ، على أثر
الهجوم الألماني ، قتلاهم شيئاً فشيئاً ، وأن الشعب في أعماقه ، وقف
على قدميه ليقاوم ، وأن سنالين إزاء الخطر الذي احتاج الأمة ، عين
نفسه مدرشلاً ثم لم يعرج اللباس العسكري قط ، وأنه يجهد في أن يظهر
كرئيس لروسيا الدائمة ، الثابتة ، أكثر مما يظهر وصياً على النظام .

كانت خريطة المعركة الحارة مشورة على حدران مكائشا ، وكان
 أحمد الحار الذي ينفقه الأمان صمو في يومه على الخريطة ، مجموعات
 حبوشهم الثلاث : عون لوب ، وهون بوك ، وفون رونشتت بعدو خلاص
 أربعة أشهر. إلى قلب الأراضي الروسية ، وأسروا عدة مئات الوب ،
 واستولوا على عثائم صعدة ، إلا أن عمل حوكوف الناشط في كلون
 الأول حول موسكو ، ساءده شتاء قاس سابق لأوانه ، أوقف المرأة ،
 ثم جعلهم نراحمون . ولينسراد لم تسقط ، وسياسنوبول ظلت صامدة .
 وبدأ أن هلل لم تنوص إلى فرض الاستراتيجية الوحيدة ، التي كان يمكن
 أن تكون حاسمة ، على القيادة الألمانية ، أي تجميع كل القوات الآلية
 في تحرك العاصمة السوفيتية وحده ، لضرب العدو مباشرة في القلب .
 لقد اضطر الموهبر هذه المرة إلى الأخذ بالأخطاء البليغة ، وبوريس
 وسئل لاحتياج من مارشالاته الثلاثة ، والنورع على حصة ، لا إطلاق
 مسبق يصبغ للعدو دفعة واحدة ، رغم الانتصارات المتتالية التي حققها
 في معارك بولوب ، وفريدا ، والدقن . مما قد مرت لحظة المدعنة ،
 وسيرغم الروس ، مع لديهم من مساحات شاسعة ، على أن يدفع
 الثمن عالياً .

رحم . بالتصديق ذلك ، نحمد في أن عد الحربة الشرقية يعود حاضراً ،
 منها كان صليلاً . هناك سمى الحربة وشاحنا تشارك في القوافل
 الخلعة التي تأتي مورمانسك «امتداد» عبر الأوقيانوس لتحمي الشمال ،
 وفي أشق الأحوز والأوصاع . وثمة أوقى بادي دي دده ، إن التعصيل
 من البريطانيين سوى العزيتين الخفيفتين التي ألقيها لأرمينيا في المشرق ،
 وحاصتا لبدان في ليبيا ، فقد أصدر الأمر في شباط (فبراير) إلى
 الجنرال كارو أن يجمع القوة لقلب واحدة منها نحو إيران والقفقاس ،
 مما غشط به الروس وشغل بال لاسكندر . ومنذ كانت قوات لأرمينيا قد

اشتبهكت من بعد في المركب ضد رومل ، فقد أرسلت الى روسيا مجموعة المطاردة « نورماندي » ، التي أصبحت من بعد : فوج « نورماندي - نيمن » ، وأدت خدمات جلتي ، وكانت القوة الغربية الوحيدة التي تحارب على الجبهة الشرقية . وشاهدنا ، في الجبهة الماكنة ، مدرزة من خمسة عشر ضابطاً ولجواً من مائتي رجل محاربين ينزلون في لندن بقيادة النقيب بيلوت وكانوا قد هربوا من الأسر في ألمانيا ، واستطاعوا بلوغ روسيا ، ليسجنوا بها من جديد ، واطلق سراحهم بعد قليل من اندلاع الحرب الألمانية للسوفياتية ، فوصلوا عن طريق السيبرغ في قافلة عائدة من أرخانجيلسك .

وحيت من المدياع ، في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ انبعاث روسيا العسكري وأكدت التحالف الذي جددنا عقده معها في الحاضر والمستقبل . وفي شباط أوفد روحيه غارو الذي كان حتى ذلك الوقت وزيراً مطلق الصلاحية في بانكوك ، وكان قد انضم الى فرنسا الحرة ، أوفد الى موسكو مندوباً عن اللجنة الوطنية . وقد مثل غارو فرنسا في روسيا طيلة ثلاث سنوات غنياً ومجيداً وواهباً وقام فيها بحميم الاتصالات التي يسمح بها النظام القائم ، وجعلنا على علم واسع بما كان يجري فيها . ومنذ تسلم مهته قابل السيد مولوتوف وفيتنكي : الأول مفوض الشؤون الخارجية والثاني مفوض مساعد الشؤون نفسها كما قابل السيد لوروفسكي ، وكيل الوزير . وهؤلاء الثلاثة بينوا له مؤكدين نية حكومتهم في عقد علاقات أوثق مما يمكن أن تكون مع فرنسا المحررة .

وفي شهر أيار قدم السيد مولوتوف الى لندن ، وجرى بيني وبينه ، في ٢١ ، حديث معصق ، وكان يرافقه بوغومولوف ، ورافقني ديمان . وقد وجدت ذلك اليوم ، كما بالثاني من الأيام ، في السيد مولوتوف رجلاً بدا أنه ممد بكل ما اجتمع له من ظروف وصفات ، لأداء العمل الذي

وكل إليه . لقد كان وزير الشؤون الخارجية السوفياتية يقول ما
 بود أن يقوله برصانة ، وبصبي بؤسة وله بيرة حادة ، قليل الإشارة ،
 إلى ستعمة مندرة ولكن دقيقة ، ونظرة مصونة إلى داخل ذاته .
 بيد أنه ما كان ليلقي شيئاً يظهر أنه عموي ، فلا سبيل إلى حملته على
 التأثير ، ولا إلى إصحاكه ، ولا إلى إعاضته . وإن المرء لبشر معه ،
 أية كانت مشكلة التي تخرج ، أنه يعرف مذهبها ، ويسمع العناصر
 الحبيبة التي سجلت أحداث عليها بدقة لا تخطيء ، وبصوغ بالضبط
 وضعها الرسمي ، ولكنه لا يخرج عما كان قد أعد وقرر من قبل
 وصدق أنه كان قد عقد من قبل لاتفاق الجرماني السوفياتي مع
 رينستروب بالصلابة معها التي أتى به رض لأن يها ، لعقد الموائقي
 العربية . واعتقد أنني تعلمت في شعب مونونوف ، سي لم يكن ولا
 أراد أن يكون سوى دولاب أحكم صممه وتركته في جهاز ميكانيكي لا
 يدور في غيره ، إلى محاج كامل أحمره النظام الاستبدادي ، وفيه حثيت
 عظمة ذلك النظام ، وانكسر تحت الكتابة التي يسطري عليها ، أية
 صكت تقدره التي اصطلم بها أصاره على إخماء ما يكمن في قرارة
 لاشبه .

لقد تبين من خلال حديثي في لندن أن وزير الشؤون الخارجية
 السوفياتي على وفاق عمي حول ما ينبغي لحكومته واللجنة الوطنية أن
 تفعله كل منها للأحرى في الحال . فإن من شأن حرب الحرية أن تدفع
 حايقيها أميركا وبريطانيا على فتح حصة ثانية بأعمال ما يمكن في أوروبا
 ونؤازر ، من حصة ثانية ، بموقفها الدبلوماسي والعام ، روسيا السوفياتية في
 جهدها لتلك طوق العرلة الذي حصرت به منذ زمن طويل . وهذه من
 جانبها تساعد جهتنا في واشنطن ولندن لاعادة وحدة الامبراطورية
 والوحدة الوطنية ، فيما نحن نتابع الحرب . وهذا ينطبق على إدارة

أراضينا - مدغشقر مثلاً - ، على المشرع التي يقال إنها متوالية وهي في الواقع ، متمركزة في المخرج يبرزها الأكلو مكسون من وراء ظهورنا ، وأخيراً على حركات المقاومة في فرنسا إذ تعرف موسكو أن لاحق لأية حكومة أجنبية - حتى الحكومة للسوفييات - أن تصد أية حركة منها عن الادعاء بالجنرال ديفول أما في المستقبل ، فكان من المنطق عليه أن يتم التناغم بين فرنسا وروسيا حول بناء السلم . وقد قل لي السيد مونولوف : « ان حكومتي حليقة حكومتي لندن وواشنطن . ومن الجوهرى أن متعاون تعاوناً وثيقاً معها في سبيل الحرب . ولكن روب ترعب ، في أن يكون لها مع فرنسا تحالف مستقل » .

وما كان عهد فرنسا في توسيع علاقاتها بالتحالف واشنطن وموسكو ليمنح أن يكون مركزها قديماً على الدوام في لندن ، وأن تكون شؤونها الخاصة من عمل عسكري ، إلى ارتباطات بالوص الأم ، إلى دعوة ، إلى إعلام ، إلى مالية ، إلى اقتصاد أراضي ما وراء البحار ، جميعها ، وكأنها صدفة قسراً بشؤون تعريضيين . وقد نجم عن ذلك «السنة التي» أن يحتفظ معهم بعلاقات أوثق مما كانت عليه في يوم من الأيام غير أن اعتماداتهم كانت تزداد يلاماً لما بمقدار ما يرداد كثيراً ومع ذلك ، كان دخول روسيا وأميركا الحرب ، وهو بطوري «السنة لاكثر بدورها» ، على عهوديات تحالف مع حبارين ، قديلاً لأن يحتم عليها تقرب سياستها من سياستها ، وأن تمارس في صلاتها بنا تصامناً صريحاً للعمل في أوروبا ، والشرق ، وغربها ، والاسيعة . ونحن نتجيب صريحاً مثل هذا المعبر ، وكان لدينا الانطباع في بعض الأحيان أن بعض الحكام البريطانيين كانوا كذلك على استعداد لنقل التعبير .

ذلك هو شأن أمطوي ايدن ، فإن هذا الوزير الانكليزي آدمي ، ون ظل انكليزياً ، ما أمكن أن يكون وزير بريطاني ، بعضاً في

ابدهن وحشية أوروبية أكثر مما كانا العربيين في الجور ، واستبدن أكثر مما ظهرا ، فربما هذا الولد لم يلد لأمة ليد الرقطة ، ابتون ، اكهورد ، حرب المخلص ، مجلس العموم ، الفوريين أوغوس ، لم تكن كلها مما سهل ولوحه لم تدور عدواً ومعدداً ، هذا دبلوماسي الذي بدر نفسه كلياً لمصالح بلاده لم يكن ، درني مصالح الآخرين ، وظل مهتماً بالأخلاق الدولية في حصص محمد عصرية الرينة ، لقد كان في أغلب الأحيان شأن ما مع السيد ابدين وكثرة هي المصايب التي كان عليها أن نعالجها ، وكانت مزرعة إرعاعاً صريحاً ، وكنت متعمداً في معظم تلك المسائل ، لا بل كان الأمر مع ، ومعرفة بالأمور ، وسحر تصرفاته وحس ، وإنما بالأسلوب أيضاً الذي حواره في خلق جو من التعاطف حول المفوضة والآلة عليه ، ذلك الجو الذي يعزز الوفاق بين يمكن التخلص منه ويتجنب الآفات المذرة حين يتصدر بلوغة . وكنت مقتنعا قديماً كل شيء ، أن أنظر من ابدين شمر تحاه فرنسا بمررة خاصة ، لديها كان قد استقى حروماً كبيراً من ثقافته ، وكانت تدور لهذه السببي وكأها ضرورة لتوارن عالم تحتنا هذه المحدثات جميعها من كل جانب . وما كان هذا لرجل ذو القلب الكبير ليدع نفسه غير متأثرة أحياناً ، بويل أصاب أمة عظيمة .

لا أن يبات السيد ابدين الطقة لم تستطع أن تجعل من التحالف ردة بلا شك ، وامي لأفتر أنه كثيراً ما عوكس في جهوده ، كان يلقى من خشونة وعوس ، ولكن الصعوبات إنما كانت تنتصب من جانب البريطانيين على الأخص ، وتمثل في . حذر المورس أوفيس ، ومطامح المستعمرين ، ومحاذير العسكريين ، ودسائس الانتلجاس . ثم إن علم لندن السياسي من جهة ثانية ، رغم أنه كان يحملته مؤيداً لفرنسا الحرة ، كان يخضع لتأثيرات ليست منه دوماً ، فقد كنت بعض

الأوساط المحافظة تنظر شزراً الى أولئك العربيين من ذوي الصليب اللوريني الذين أولعوا بالثورة وحديثها ، وهناك عناصر عمالية شتى كانت عكس أولئك ، تتعامل ما اذا كان يقول ورفاقه لا يدعون مربع المشيئة . وامي لا ارال اري السيد أنلي وهو يدخل مكنتي بهدوء ، يشدني التأكيدات التي من شأنها ان تخفف ما شغل ضميره كرحيل ديفرطي ، ثم يسحب وهو يتنسم ، بعد ان سمع مي ما سمع

كان كل شيء متوقف ، عند نهاية المطاف على الورير الاول وهذا لم يكن في سربرته ، قادراً على ارضا والتسلم باستقلال قرب الحرية . وكان السيد تشرشل ، عدا ذلك ، يعمل من خلافه وكأنه قضية شخصية ، في كل مرة تصادم سبب من نصائح التي تنوئ كل مما أمرها . وكان الخلاف يجرح شعوره ويحمره بدسة الصداقة التي تربطه لوحد ما بالآخر . هذه الحالات من الفكر والشعور ، يصف اليها نكتيكه السياسي ، كانت تلقى به في أزمات من المصعب تثير معها صلاته اهتماماً غنياً

وكانت ثمة اسباب أخرى تتعاون فيها بينها ، من جهة ثانية ، لجعل ذلك برحل الكبير مربع المصعب ، دون الانكليز كانوا يعدون في بعض الاحيان خطأً ومحباً هادئة شتت عليهم وقفها بمقدار ما كان العدو الذي يُبهرهم ، لا يملك دوماً التصوق لمدي ، وإن بدلوا خلال ذلك الدور جهوداً عديدة تنير الإغصاف ، ولا سيما في حرب العواصم . ففي ١٠ كانون الاول (ديسمبر) أعرفت طائرات « نايبة » في بحر ماليزيا لمدرعة الرافعة ، برمس أوف ويدر ، والطراد الكبير « ريمس » قتل اب يتمكنوا من طلقة مدفع واحدة . وفي ١٥ شباط ١٩٤٢ استسلم ٧٣٠٠٠ جندي بريطاني في سغاهورة بعد مقاومة قصيرة . وفي حزيران عظم رومل حسم الجيش الثامن وأرغمه على التراجع حتى أبواب الاسكندرية على الرغم من الوسائل الحديثة التي كدتها الانكليز في الشرق ، يسم

استلم الآن بسرعة يصعب تمريرها ، الثلاثة والثلاثون عاماً من الجهد الذي كان عليهم ان يصمدوا في طريق ويحموها . وكان السيد تشرشل يتدبر اكثر من اي شخص آخر ، نتائج هذه المكبات في سير الحرب . ولكنها كانت تؤله كالكليزي وكماحارب ، على الاحص .

ويجب ان نصيف هنا ان النقص في الاوساط الحاكمة ، لم يكن يرعوي عن نه يعرفوا اليه جميعه قدمة حرة من العتبات البريطانية . وعلى الرغم من ان امكنترا برمتها كانت تتمسك بويستون تشرشل تمسكها بإدسان عينا ، فقد كانت تشر ، والبرلمان يستمع ، والادون تهمس ، والاندية تتدقل تقديرات كانت بعض الاحد ، نسيه اليه وتؤدي سمعت . ولحم عن ذلك كله ان السيد تشرشل ، يكن يجسد معه ، خلال لاشهر الاولى من عام ١٩٤٢ ، دا مراح يُلطف ولاسأى عن التوتر ، ولا سيا تجاهي

واسير ، وزعب كان لاهم في ذلك كله ، ان الورير لاون اتخد قعدة لساوكة ، وهي ان لا يقوم بعمل دي اهمية ، الا بالاذن مع رورفلت . وادا كان يماي اكثر من اي اسكليزي آخر ، 'عسر' أساليب وشطن ، وادا كان يتحمل بعض حانة الخسوع ابي وضع بها عون' الولايات المتحدة الامراطورية البريطانية ، وادا كان الشعور بالمررة يخالجه إراء لهجة الاستعلاء التي اتخدم الرئيس الاميركي تجده ، فانت السيد تشرشل كان قد قرر نه ثيا ان مدعي ، بليه عليه التحالف لاميركي ثم إنه لم يكن يرغب في ان يتعد تحاه هربسا الحرة موقفا مدحهم على نحو حاسم مع موقف السيت الابيض . ومد كان رورفلت يُظهر نه غير وثق من اخبر ل ديمول ، فان احتمال التعمظ من جانب تشرشل ، حد وارد .

كان الورير البريطاني الاول منذ وصولي الى لندن في ياول (سبتمبر) ١٩٤١ ، على جانب كبير من صيق الصدر ، إذ كان مزعجاً لما جرى

بيسا وبين سكلترا في سوريا ولبنان . ونهب به السخط ان حد كتب
لي معه في ٢ ايلول انه لا يرى في الوقت الحاضر من المفيد ، نظراً
لموقعي ، ان تتلاقى وأدلى في مجلس العموم ، في ٩ ايلول ، بتصريح
يسمى على الفلق صحيح انه اعترف ان وضع فرنسا في المشرق كان
متميزاً خاصة ، من بين جميع الدول الأوروبية . ولكنه اخذ على
عائفه الاضافة ، و انه لم يكن وارداً ان تحتفظ فرنسا في سوريا والمركز
نفسه الذي كانت تحتله قبل الحرب . وانه لا يمكن ان يكون المراد
حتى في اوقات الحرب ، مجرد احلال مصالح الفرنسيين الاحرار محل
مصالح فيشي . وكان يرافق السيد تشرشل ، كعادته ، لور
مسيح في العلاقات الفرنسية البريطانية . وقد تظاهرت حكومة لندن
طوال عدة أسابيع ، ان ليس لها مع أية دولة في أي شأن ، وأنها
أعانت دونها ابوابها مما حدث في من حربي ، على تطبيق كل اسهام للفرنسيين
في مذباغ لندن . غير ان عودة العلاقات ، مع ذلك ، سرعان ما تلت
هذه المناشات ، حسب ابقاعها المعتاد ، ففي ١٥يلول جرى لي حديث
مع السيد تشرشل انتهى جيداً بعد ان بدأ سيئاً ، إذ أكد لي في ختامه
ان سياسة حكومته تجاه المشرق ، ظلت كما احدثت في تفافان ، التي
حدثت في القاهرة .

وأردت ان اكون مطمئناً في سلامة موقعي ، فتقابلت السيد إيدن
عدة مرات في تشرين الاول وتشرين الثاني ، ونشبت لي ثروة أوصفت
الكوهري وركوته ، فقد اعتبرت سكلترا ان الانتداب ما زال قائماً
وان الجيرال ديفول يمارسه الى ان يستعاض عنه بمعدات يصدق عليها
قانوناً ، حسب تشريع الجمهورية الفرنسية . اى في الواقع ، بعد الحرب ،
وسلت ان اعلان استقلال سوريا ولبنان من قبل فرنسا الحرة لا يغير
هذا الوضع الحقوقي . ويمكن من المفهوم ، عدا ذلك ، ان تفافات

نيتلتون - ديمول تظل الميثاق الأساسي الذي تقوم عليه العلاقات العربية
البريطانية في الشرق .

والواقع ان اسكتلرا ، وإن عاكت قرار استقلال كل من سوريا ولبنان
قبل اتحادهما ، فقد عمدت إلى التكيف معه منذ اتخذت ، وعرفت ، الجمهوريةتين
ورئيسي' الدولتين اللذين انتقاهما منذ أقام الخريف كاترو في ٢٧ ايلول
استقلال الجمهورية السورية وسيادتها برئاسة الشيخ تاج الدين ، واستقلال
الجمهورية اللبنانية وسيادتها برئاسة السيد ألفرد بقدش ، في ٢٦ تشرين
الثاني . وكنت قد وحيث مذكرات متوالية ، من جهة ثانية ، إلى الأمين
العام لمعصنة الأمم في ٢٨ تشرين الثاني ، و ٢٩ منه إلى الحكومة الأمريكية ،
و جميع الدول الحليفة ، كما لتركيا ، بيت فيها الاحكامات التي تشذت
باسمي في سوريا ولبنان . وقد ورد في تلك المذكرات ، وهذه
الاحكامات لا تؤثر في الوصف القانوني السائد عن تلك الاشباق ، والذي
يجب أن يستمر حتى عقد موائيق دولية جديدة . ولم تد الحكومة
البريطانية أي اعتراض على هذه البيانات ، بل إنها هي التي اقترحت
القيام بها .

كان في الامكان الاعتماد إذن ان المسألة هذه 'سويت' ، اي ن تضع
الحرب أوراها ، على الأقل ومذ كنت حذراً كل الحذر ، حرصت على
أن اكتب بيدي إلى معوصيتنا العامة في الشرق ، ان من رأيي و إراء
اصابع التي تلافبها اسكتلرا في الاقطار العربية ، وهي تعاني مثلنا الهم
في ن تشهد شعور التنصم يسود أكثر دولتين سلاميين ، ويحصل عمل
المافيت المسكنة التي سادت الماضي ، ن ن تتعجب كل ما من شأنه
ان يريد في مصاعب طماننا ، وان لا يهل شيئاً يستهن عليهم مهتهم ،
وذلك يتعاون محض ، والابقاء في الوقت ذاته على مركز فرنسا وحقوقها
سليمة ، مصانة . وكان هذا لسوء الحظ ، عتاداً على شيء لا وجود

له . وواقع الأمر ان السياسة العريضاوية مستمرة في التعمق به دون ان
تتراجع نظرياً في انه حق .

والواقع أيضاً ان أحداثاً منكرهه أحدثت تحدث في الشرق من شأنها
ان تنفي الخصام العربي - البريطاني على ما كان عليه وهذا ما جرى
في تجريد - غير مشروع - لقررة هروان دررية من قبل الانكليز ، وكانت
دعواهم المدخوعة طعناً بإعلان حالة الطوارئ من نفاق بهم ، أي
الاستيلاء على السلطة في الجزيرة ، حيث بدلت اضطرابات نتيجة التمرد في
العراق وهذا ما جرى في تدخلهم لاعتباطي في عمليات مكتب التمتع
الذي امتثاله في المشرق ، وكلموا بلعون في لاسهم به عدة التل إلى
الادارة المحلية وتأثير فيها وهذا ما جرى في التهديد - الساطل من جهة
أخرى - الذي وجهه الجنرال ويلس ، بطرد بعض الموظفين العربيين الذين
لم يرقه مسلكتهم وهذا ما جرى مع سمر في الموقف الذي تحمسه اد
كان يدي بتصرجات عدتية ، وتطوي عن التهديد ، ويتدخل دوماً في
علاقات مفوضيل العامة بحكومتى دمشق وبيروت

كان الجنرال كاترو يمارس الرضاة والحكمة في سياسته ، فهو ، وان
ظل راعاً إلى المؤلفة ، وتدارل للانكايير بأكثر مما كنت أريده أن
يعمل ، كان يجد معه أمم تدخلات تتحدد في كل لحظة ومن هنا ،
كان ذلك اتفاق الذي لا يقطع في المشرق ، وذلك بمدرسات الشافه
المرهقة دوماً في لندن .

وحده الصعق البريطاني خلال أيار ١٩٤٢ ، في الحصول على إحراء
انتخابات عاجلة في سوريا ولبنان ولم تكن لجنسنا الوطنية لتعرض ،
بطبيعة الحال ، في استفتاء شمس ينبثق عنه حكومات تمثل حقيقة البلاد
تمثيلاً كاملاً . والذي كانوا يحتلون مراكز السلطة ، ي وضعهم فيها
بصفة انتقالية ، وذلك ما كان في دمشق خاصة وقد أسعت من حاسي

ن لا يكون لرئيس هاشم ملك قد استأنف القيام بمهام منصبه ، بد
أت قدرنا ان من المناسب ان تنتظر انتهاء الحرب ، ليجري استئناف
السوريين واللسانيين ، أي الوقت الذي تجد به الدولتان نفسيهما في أوضاع
طبيعية ، وتحف أنفسهما لتعتنا كمتدبين ومدافعين ، ويكون الانكليز فيه
قد استمدوا عن اللاد ، فلا يُثقل وجودهم عمليات الاعتراع . ومع ذلك ،
وعد الحمرال كاترو السيد كاري الذي ألح في الصمط ، وكان قد حل
عن السيد لينتون في القاهرة ، كورير للدولة البريطانية وعده كاترو
بإحراء تصديقات قريبه ، ونشرت الصحف ذلك في الحال . وكان علي
ان اتكيف صبح هذه التسمية ، ولكي أشرت في الوقت نفسه دناجيل
التصديق ، وكان من السهل نؤ بان هذه لماسة ستكون بعد ذلك اليوم ،
يدوعاً لا يصب ، لمصادمات امريسية البريطانية .

وسيكون هناك مصادمات أخرى في امكنة أخرى ، فقد كات
حلفائنا بلمون حول حيوتني لعة مزدوجة ، اد فكوا احصار لبحري
عنها ، في الوقت نفسه الذي تركوا به قوتنا الصميرة فوج التقدميون ،
والمهاجرين ، تنبع الحصار المري ، فكانت تصل الى تلك المستعمرة المأوى
امطولة تصدبة دعاة لانتظار ، من عدن على ظهر قارب عربية ، ومن
مدعشقر في غوصات أو في سمينة لحرب « ابرهيل » . ولكن الانكليز
كاثرا في هذه لائمه ، يفاوضون النجاشي لافقد معاهدة تصع لحشة تحت
وصانتهم وكان العمل الذي يقومون به في أدبس آباء يفسر جهودهم تجاه
حسوتي ، اد لو استطاعت فرنسا الحرة بمؤازرتهم ، ان تتعكن من ضم
الصومال العربي ليها على وجه السرعة ، والتصرف بها ، وماتالي الحرفاً ،
وسكة الحديد ، والقوة المهمة المقيمة على أرضها ، لكان في وسعها ان
تقدم نفسها للخدمة المهد والامن اللذين كانت هذه في حاجة اليهما . وعلى
العكس ، لما دامت فيشي تحتل ذلك الموقع ، فإن البريطانيين هم الذين

كما يقصون بأيديهم وحدها على مصير الامر طور وولاياته

ذلك هو السب الذي لم تتفكر معه عاصفون بالوفاة من ان يحبس
الحصار بالمصروب على المستعمرة فعلاً ، ولا هو توصل ايضا الى حمل
الانكلز والاحاش على عقد اتفاق ثلاثي بدلاً من ثنائي . ومع ذلك من
نشاطه وشدته حربية المقدم آتير ، آمر المفرزة ، وشاسيل بدلوفا في
الثاب في بروني ، أعداء التبعة التي تلت إعداداً مفيداً فقد كان
من شأن ارواح التي أقاموها مع مختلف المناصر الفرنسية في جيبوني ،
ثم مع السكان الاصليين ، والدعوة التي قدموا بها في الدشرت وديع ،
وصلاتهم باعتراف بلات ، من جعلت من انصاف الصودال في اليوم الموعد ،
حادثاً شكلياً ثم انهم كما يقومون في أدس آرا ، من جهة أخرى ،
تمثيل فرد ، د حذقت حقوقاً بسكة الحديد ، واستطاعت معاهدة
الدينية وديعية التي أنقذها لاحتلال ليطاي من قبل ، أن تتصد
بشائها ، وفتحت معوصية فرنسا أنوارها . وكنت ، وما أديب اوقت
لمصرع على يد الانكلز ، أشاهد الثمرة وهي تنضج على ساحل البحر
الاحمر .

ولكن ها هو تدخل الانكلز في حره آخر من الامبراطورية ، يظهر
فجأة ، ويحطلي في درره السعد وعلق . ففي ٥ أيار ١٩٤٣ ، رن
هاتف احدي وكالات الصحف ، وأعلي في ساعة ٣ صباحاً ان أسطولاً
بريطانياً أرسل حرداً في (ديمو - موارير) . لقد حتل حله مؤناً أحد
الممتلكات الفرنسية ، حتى من غير ان يستشبرونا !

كنت أجهد ، منذ وقعة برل ، رجور ، أن أعالج ، بعدد الخطوات ،
قصية التحالف مدعشقر بحكومة لندن ، من احتاج في ١٥ كانون الأول ،
«جنرال بروك رئيس الاركان الامبراطورية العامة» الى رسالة موحدة في
١٦ منه الى السيد تشرشل ، الى مشروع عملية أودع في ١١ شاط

الرئيس البريطاني الاول ، والجنرال بروك ، والمفاوض السامي في الاتحاد جنوب افريقيا ، الى رسالة جديدة للسيد تشرشل في ١٩ شباط ، وحيث ان مذكورة عحة للسيد إيدن في ٩ نيسان وقد اقترحت في هذه الوثائق جميعها ، القيام بعملية سريعة بؤديها لواء هرسبي حمر يدور في ماحضا ، ويحمل على ثنائيات عديدة البريطانيين الحوية ، إذا حدث ان كانت هذه ضرورية ، سيسنجا يقوم حلهاؤنا بعملية إنهاء في محاصرة ديبغو من البحر . وطالت ، من جهة ثانية ، ان تتولى اللجنة الوصية إدارة الجزيرة .

ومد كان الاتحاد جنوب افريقيا يبدو في ، خلال تلك الفترة ، انه يتم بحث لأمر مدائه ، فقد رحلت الحزبي المشروعات المهمة التي تعدها حكومة برينوريا ، وأرسلت اليها في اواخر ١٩٤١ المقيد بشكوف كمدوب لغرب ، الحرة . وكان من شخصيه شكوف ان سمعت الجنرال سمطس ، وحدثت أنه إذا كان لنحو سوي دخول الميدان ، فإن وريوه الاول لن يحصي ذلك على حدودي الشارع الامين . واخيراً ، ذهب في آذار العقيب الجنرال سمه ، مفوض بر رافيل السامي ، في زيارة الى افريقيا الجنوبية ، وخرج من مدائه مع سمطس ولورراه ، بالانطباع ان للاتحاد سمه لن يقوم بعمل م في مدعشر . كان عليّ إيدن س أبذل جهدي في لندن ، وأذا مقتنع بأن ليس ثمة مر محاذير أدارها .

الواقع ان دخول لمان الحرب كان يبدو مدعشر . وكان علينا ان نتوقع زكراء جيش من قبل الاذن ، عاجلاً او آجلاً ، على ان نترك في أقل تقدير ، للضائقات المالية المصيرة والفواصات اليابانية استخدام قواعد مدعشر ، وشأن ملاحاة الخلفاء في عرض البحر ، جنوب افريقيا .

كنا على علم دقيق وكان مأخوذه ذهبية التي تعود الجزيرة ، عن

طريق المتطوعين الذين كانوا يتمكنون ، من وقت وآخر ، من التغلّب منها ، ثم عن طريق الفس التي تمر بها . فقد استفسلت احدى هيئات اول الامر بالسياسة ، وكان في استطاع الحاكم العام دي كوتيه آنذاك ان يلتحق بفرنسا الحرة من غير عشاء ، لو انه اقنع نصريجاته الخاصة بالعمل ، ولكنه لم يرض في تصميمه ، فقد وضعت فيشي لتوها ، وكلاهما محله ، وأعان هذا قائد الطيران حوبو ، فصرف همه الى إحماد روح المقاومة ، قبل ان يخلي هو نفسه مكانه للحاكم العام «آنتيه» ولو ان بيتان أمر بترك العمل للباسيين في الحرية ، لكان قبول بالطاعة والإذعان ، وكذلك اطيع لو انه أمر بمقاومة إرغال حليف ولا سيد للأكلو - سكسون في يوم قريب من تأمين جانب الحرية ولكن نظراً للخوف من التقليدية وراء السياسة البريطانية ، فكان كل شيء بنفسه آنذاك ، ن تكون فرنسا الحرة حاضرة في العملية .

يمكن ادن فهم المصوم التي كانت تنبئ من حراء اساليب الانكليز ونصرتههم . وكان يريد فيها ، ن واشطن شرث ملاعاً ، في اليوم نفسه الذي تم به المصوم على ديفغو - سواريز تمل به أن « الولايات المتحدة وبريطان العظمى على وفاق في شأن إرجاع مدعشقر الى فرنسا ، حين لا يعود بعدها احتلال هذه الجزيرة جوهرياً لفصية الامم المتحدة ، لشركا » . اما الآن ، هل تترج مدعشقر من فرنسا ، بانتظار ما يأتي به المستقبل ؟ ثم بأي دولة سنلتحق ، ، إن لم تكن اكلو - سكسونية ؟ وما يكون من امر مشاركة العرنسية على ارضها ، في الحرب ؟ وما الذي يتلوه فيها من سلطة فرنسا في المستقبل ؟

كان عليا ان نتفقت من هذا المأرق الحرج ، فانتظرت محمداً سنة أيام لأتصل بالسيد إيدن تلبية لطلب . وكان ان اظهر الوزير البريطاني ، بعض لارته ، خلال حديثي اليه الذي جرى في ١١ ايار ، وقال لي :

« إذا أضمن لك أننا لا نرغمي إلى أي غرض في مدغشقر ، وإما لترغب في أن تستمر بها الإدارة الفرنسية على أداء مهامها فيها » ، قالت .
« أية إدارة فرنسية ؟ » . وقد فهمت من مطارحات السيد إيدن أن الاسكتلزي يخططون للتفاوض مع الحاكم العام آتتبه لإقامة وضع من التعيش يترك به كل شيء على حاله في مدغشقر ، لقاء بقاء الخلفاء في ديبغو - سوارير وبشرهون على ما بقي من الحرية .

صرحت للسيد إيدن أننا معارض هذه الخطوة ، وقلت له : « إما أن تفصي إلى نهاية » وتكون النتيجة تحييد أرض فرنسية بصحابة الخلفاء ، وهذا ما لا نسلّم به أبداً ، وإما أن لا تحصل إلى غاية » ويصبح من راحكم خلال بضعة أسابيع » أن تشرعوا وحدثكم داخل الحرية في حملة تتخذ مظهر عرو لها . ويدعو لي ، من جهة أخرى ، جد محتمل ، أن هذه القضية الثانية هي التي سندقق ، لأن الألمان سيكرهون عيشي على محاربتكم » . واعترف السيد إيدن قائلاً : « إما أنغرض في الواقع مشروعاً بوشك أن يتمدد كثيراً . غير أني في موقف استطيع أن أؤكد لك به أن حكومتي ترغب ونحسب أنكم أنتم الذين تستعيدون ، آخر الأمر ، سلطانكم على مدغشقر ، ونحن نعمل على استعداد للتصريح بذلك علانية » . وتم التعميم على أن تشر وزارة لندن بلاءً بهذا ، وهذا ما قدمت به في ١٤ أيار (مايو) « مصرحة : » فيما يخص مدغشقر من نية حكومة صاحب الجلالة أن تقوم اللجنة الوطنية الفرنسية كمثلة لفرنسا الحرة ، ومظراً لتعاونها مع الأمم المتحدة ، فالنور الذي يعود إليها في إدارة الأرض المحررة ،

كان في ذلك تعهد مهم من جانب إنكلترا ، استشهدت به عند التحدث من المنبر في اليوم التالي ، وأظهرت ، لقاء هذا التعهد ، تفقي بولاء الخلفاء ، غير أني رفعت علماً كل نوبة حول مدغشقر ، « مصرحاً

أن إرادة فرنسا هي التي تلي أن لا تتحرراً امبراطوريتها ، ولا تكون محايدة . وأضمت « إن ما تريد فرنسا » هو أن توحده فرنسا المحاربة الجهد الرسمي وتظهره في الحرب بجميع أشكاله وفي جميع الحالات ، أن تؤمن تثيل حقوقها تجاه الحلفاء ، كما تؤمن الدفاع عنها ضد الأعداء ، أن تحافظ على السيادة الرسمية وتقدر شؤونها في أراضي فرنسا السني حُررت والتي ستتحرر ، وأحررت قائد القوات في أفريقيا الاستوائية ، في ذلك اليوم معه ، أن بعد عدة لواء مختلط ويضمه على أهبة التوجه إلى مدغشقر .

إلا أن وعود الحكومة البريطانية وتأكيداتي الخاصة فيما يتعلق «دور القفل لأهبة الوطنية » كانت تفترض أن الحل «وضع مسألة لم تكن محلولة ، إذ بقيت فيشي في الواقع ، سيده الحرية برمتها تقريباً ثم تبين بعد قليل ، أن البريطانيين دخلوا ، وقد حصرنا جهودهم في الاستلاء على ديفو ، في مفاوضات مع الحاكم العام آتشي ، وأن « تنظيمات » أفريقيا الشرقية أرسل ، في الوقت نفسه ، زمرة من العملاء إلى الحرية يفودهم استمر لاش . وكانت هذه التدابير تير عكس ما تريده فرنسا حرة ، فقد تأخر من حرارتها دخول مدغشقر ميدان القتال ، وقوت سلطة « آتشي » ، وتقدمت انقسام الامبراطورية ، وكنت أخشى ، هذا ذلك ، عمل الزمرة البريطانية الذي يكرر أن تدرسه على محو رأيا اسويج عراسه في الشرق ، وجيبسوني ، وأحدثه . وثمة حدث مرعب حدثت حديثنا هذه الدليل الموري ، وذلك أن شكوف الذي أردت يعساده إلى ديبغو - موارد ليطاني على ما يجري فيها ، أصبح من السر .

وهكذا ، كانت هناك عيومت مرمدة تبسط ظلها الثقيل على العلاقات الفرنسية - البريطانية حوالي مستهل حزيران (يونيو) ١٩٤٢ . وكانت تضاف تدابير أخرى فتأكد بها محاربتها ، إلى جميع الأفاعيل التي كن

يكثُر الانكليز من اتيانهم في سوريا ، والصومال ، ومدغشقر ، اد راحت بعثة بريطانية يديرها المستر فرانك في الشاطئ ، لذهي تقسم بانصالات عامصة حمية مع اهالي الاراضي العربية في نطاق البحر ، وفي الوقت ذاته ، راح الجنرال جيمارو القائد الأعلى في افريقيا العربية يحيطر الحثاث العربية الحرة في ماثورست وهرتاون ، ان عليهما ان تعادر البلاد . ومد كنت أنا نحد استعداداتي لرباره ايبيا في حولة فتنس بها قواتنا ، فقد تلقيت من الحكومة البريطانية طلباً عاجلاً لتأجيل سفري ، وكن هذا يعني ان وسائل السفر لن تقدم بعد لي . وفي لندن ، راح الحكام ، والموظفون في الدوائر ، وركن الحرب الانكليز يحبطون انهم بحو كثيف من لدرية ، ان لم يكن من الحذر .

كن أكيداً أن الانكليز سكون سرعوا في وضع خطة لعملية واسعة على المبداء العربي ، وقد أقام الجنرال مارشال رئيس الاركان العامة للجيش لاميركي ، والاميرال كبح القائد الأعلى للأسطول الأطلسي في لندن طول شهر ايار ، ومما يتحصن لقائي . ومع ذلك ، كنت فرنسا بممتلكاتها ، وسكانها ، وقواتها ، تدرج صمماً في كل ما ينوي الخلفاء ان يقوموا به من مشايخ ظاهرة . ولكن مما لا ريب فيه ان ثمة فكرة ترمي الى إبعاد المصير العربي الناشط قدر الإمكان ، وهو فرنسا الحرة ، والتصرف بأراضيها ومادتها قطعة قطعة ، ورواها الإعادة من ثمنها ذاك لوضع اليد لها وهناك ، على أنف من بممتلكاتها . وقد آن أوان الرد على هذه التحركات . كان الواجب يقضي ان سين للخلفاء ان فرنسا الحرة إنما وقعت في مصكرم لتدمج به فرنسا ، لا لتغطي ثغراء الأمة العربية هذه المادى والاعتداءات التي يفرها الخلفاء على حسابها . وقد اجمعت اللجنة الوطنية على هذه الفكرة ، بعد مذكرة مؤثرة ومعمقة .

وكان ان كلفت في ٦ حزيران ، السيد تشارلس بيك ، وهو دبلوماسي مختار أوفدته إلينا القورين أوميس ، ان يطلع السيد تشرشل وليدست على موقعنا ، وقلت له : « إذا كان على فرنسا ان تخسر اي شيء مما يخصها في مدغشقر ، او سوريا ، او اي مكان آخر ، بعمل حلفائها ، فإن تعاوننا المباشر مع بريطانيا العظمى ، ومن المحتمل مسح الولايات المتحدة ، لا يبقى له ما يبرره . يجب علينا ان نصنع له حداً وهذا يعني عملياً ، ان نتجمع في الاراضي التي انصمت لينا او التي منضم ، وان منابع الكفاح ضد العدو بكل ما في وسعنا ، ولكن وحدنا ، والحساب ، . وأبرقت في اليوم نفسه الى إسويه ولوكسبر في جناب ، والى كاترو ولارمينا في جناب آخر ، لأطلعهم على هذا القرار وأدعوم للاعداد له ، وأوصيتهم ايضاً ان يحيطوا بمضي الحلفاء الذين انتدبوا لديهم ان ذلك هو ما قررت عليه هزيمتنا .

ولم تفتظر النتيجة لتظهر ، فقد دعاني السيد تشرشل لمناقشة في ١٠ حزيران ، وقضينا معاً ساعة ملأى ، إذ تناول الوزير الاول قضية مدغشقر ، بعد الشاء الداع الذي اعدقه على القوات الفرنسية التي تعرفت وبررت في معركة شر حكيم . وأقر مخلصاً ان لفرنسا الحرية ما يور تخفيف حركتها في الظروف التي نعدت بها العملية ، وأكد : « ولكنا لا نضر أية خبيثة في شأن مدغشقر . اما ما سوي القيام به في المستقبل ، فإننا لا نعرف بعد عنه شيئاً . الحرية حد كبيرة . ونريد ان نمنر على تسوية ما حق لا نصيب فيها ، . قلت له : « إن ما يريده نحن ، هو ان نضم مدغشقر لفرنسا الحرة وتدخل ميدان الحرب . ولذلك ، نحن اليوم مستعدون كما اقترحت عليك امس ، ان نزن فيها جنوداً ، . واجاب الوزير الاول : « لست حليقي الوحيد ، ، وكان يلح لي بذلك الى ان واشطن تمارض مساهمت . وما كنت حقاً لأشك في ذلك .

وافقت انتباه السيد تشرشل بالحاج ، إلى الخطر الذي يدهم تحالفنا في بعض التصرفات إزاء الأباطورية العربية ، وغداً إزاء فرنسا نفسها ، فأظهر الاستنكار حينئذ ، ثم اندفع فصاحة وصرخ . « أنا صديق فرنسا ! كنت دوماً أريد ولا أزال أريد فرنسا عظمى ذات حس عظيم . وهذا ما يجب ان يكون من أجل السلام والنظام ، وأمن أوروبا . وما كانت لي قط سياسة غير هذه . أجبت : « هذا صحيح ، وكان لك حتى الفصل ، بعد هدنة عشي ، في الاستمرار بالاعتماد على فرنسا وإبلائها للثقة . ولكن حذر الآن أن تخسر هذه الورقة التي تدعى ديقول ! إن ذلك سيكون أكثر عيباً مما أنت فيه اليوم وقد أفلحت بسببك وعدت فيه فرنسا الحرة روح القسامة الفرنسية وإطاراتها . »

وتحدثنا عن رورفلت وموقفه مني ، فقال السيد تشرشل : « لا تسرع في شيء ! أنظر إلي كيف أنني ثارة وانتصب ثارة ، فاندبت هذه الملاحظة . إنك لفادر على ذلك ، لأنك على رأس دولة وطيدة الأساس ، وأمة متراصة ، وأباطورية موحدة ، وجيوش كبيرة . ولكن أنا ! أين هي وسائلتي ؟ ومع ذلك ، أحمل على كامل ، كما تعرف ، عبء مصالح فرنسا ومصيرها . وإنه لصب جد قليل ، وأنا فقير لدرجة لا أقوى معها على أن أحسي رأسي ، وختم السيد تشرشل حديثنا بظاهرة من التائر والود . « إن لدينا بعد عقبات كأداء ينبغي أن نتغلب عليها . ولكن سيكون يوماً ما في فرنسا . وربما يحدث ذلك خلال السنة القادمة . وعلى كل حال ، سيكون فيها معاً . » وشبني حتى بلما الشارع ، وهو يردد : « لن نتخلص منك . تستطيع ان تعتمد علي . »

وحده السيد إيدن بدوره ، بعد ثلاثة أيام من هذا الحديث ، في تحديد التأكيدات المرحية حول تجرد بريطانيا عن كل مأرب في الأباطورية

الفرنسية عامة ، ومدغشقر خاصة . وأخبرني ان « أمر اللواء » لاش
استدعي ، ون في استطاعة شكوف ان يسافر ، وقال بحماسة :
« نحن على ثقة بي اننا نتمس السير معاً بدأ بيد لإعداد الجهة
الغربية » .

وظلت الأمور إذن متعلقة ، على نحو موقت . ومع ذلك ، فإن
التحذير الذي تقدمنا به حظي بأذان صاغية . وأصبح الموقف البريطاني
الاعتسافي تجاه أميراطوريتنا ، محصوراً في حد لا يحتمل بعد اليوم أن
يتجاوزها ، إلا في الشر البادر . كانت هناك فرص لا طمئنان الخواصر
حول القضية السورية ، فخل الوصول على الانضمام ، لأن يرفرف صليب
اللورين يوماً ما فوق مدغشقر . وأصبحت أشعر بوصوح ، كما لم أشعر قط
من قبل ، أن سكلتوا لن تتحول ، آخر الأمر ، عن تحالفها معنا .

كانت المسرحية التي 'نشاهد' فيها فرنسا الحرة وهي تستعيد مكانة
فرنسا في مائة فصل متنوعة ، ترى الحكومات اللاحقة في بريطانيا العظمى
من بين مشهديها الأكثر اهتماماً وتحمساً ، وقد اتسعت حلقة تلك
الحكومات عام ١٩٤١ بوصول منك اليونان ووزرائه ، ثم ملك يوغوسلافيا
ووزرائه . وكان ما يحدث لفرنسا في نظر هؤلاء وأولئك موضع اهتمام
شديد ، فهم وقد أخذ منهم في بلادهم أشياء كوبولسج ، وأُهبوا على أيدي
هؤلاء الذين اعتصموا مراكزهم ، يشعرون ان فيشى بعيدة إليهم في قررة
بموسم ، إذ كان موقفها حجة في أيدي المتعاونين مع الأعداء في ديارهم .
ثم إهم كأوا من جهة أخرى ، وإن لم تكن سيادتهم موضع راع لدى
الدول الكبرى الخليفة ، يسانون المصير الألم الذي يصير إليه الصعد
اد يُسلم أمرهم للأقوياء . وما كان أحياناً ليحالبهم شك في أن هوض
فرنسا شرط لتوازن أوروبا واتزان مستقبلهم نفسه . ولذا ، كأوا يشهدون
العمل الذي قامت وتقوم به فرنسا الحرة في سبيل تركيز استقلالها ، وهم

يستشعرون عبطة خفية ، وكانت الآدب الصاغية التي تجدها لديهم تجعلها في الشراح لا مريد عليه لمستريد .

وما كنا لنفعل ، مقابل ذلك ، عن عقد أوثق الصلات مع هذه الحكومات المخرقة من أراضيها ، ولكر لها تمثيلاً رسمياً ونفوداً واسعاً في كل مكان من العالم الحر . وكان ديجون ورملاؤه في اللجنة الوطنية يتصلون برؤساء تلك الحكومات وموظفيها ، ويتعامل أعضاء أركانها العامة ، ودوائرنا مع زملائهم فيها . وكنت أنا نفسي أقابل رؤساء الدول وكبار المسؤولين .

وكنا نكسب الشرف ، ونعيد من هذه الزيارات والمبادرات ، إذ ان علاقاتنا كانت مع رجال من ذوي القِيَمِ الرفيعة ، بيد اننا كنا نلبين وراء المطاهر الرسمية ، هاتيك المآسي التي غمرتهم بها الهزائم والمذابح . لا ريب ان هذه الحكومات التي استمرت تدبر جهاز السلطة ، كانت تجهد في التظاهر بالهدوء والاطمئنان . ولكن كل واحدة منها كانت تعاني في قراراتها مأساتها الخاصة التي ترقبها ، في بحر ان من المصوم والأوصاب .

والحقيقة ان حكام البلدان الغربية ما كانوا يشكون ، ان بلادهم مستحرة ، منذ دخلت الحرب روسيا والولايات المتحدة . ولكن بأية حال ؟ ذلك ما كان يشمل مال الذين يتحدثون الي من الهولنديين ، والبلجيكيين ، والنوكسمورغيين ، والنرويجيين . وكان حكام البلاد الواطنة (هولندا) يشهدون جميعهم بقنوط امراض طوريتهم في اندونيسيا وهي تتوارى امام أعينهم : من الملكة ولطيفنا طليقة ، الى وزيرها الأول البروفسور خيربراندي ، الى وزير خارجيتها الخذاب السيد فان كليفسز ، الى الأمير برنهاردت ، على الرغم من الجهود الجبارة التي كان بذلها اسطول الأميرال هلمريش والمقاومة المتصلة في الأدغال التي يقودها الجنرال

تيربوري . وكان السادة بيرلو ، غوت ، وساك يؤلفون معاً في خدمة بلجيكا ، قريباً من الحكمة والحكمة والمهارة ، تغمزه الكآبة وهو يستعيد القضية الملكية . اما الدوقة الكبرى شارلوت ودوجها الأمير فليكس دي بوربون - دارم ، والسيد بيش وزيرها الدائم لحسن الحظ ، فإنهم لم يكتفوا عن حسان التمتع المادية والأدبية التي نصيب العرکسبورغ من الاحتلال الساري . وهناك أحبراً الملك هاكون السابع ، القدوة في الثقة والحرم ، وكذلك السيد تريسمي لي لدي كان يذل في جميع المجالات نشاطاً لا يعقل ، وقد هاله أن يشهد سفن الفروج التجارية تتواري ، وانذروحيون يرددون معه : إن رأسمالنا الوطني هو الذي يفساه الظلام .

وكانت حالة اليونان ، وبرغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا أكثر مأسوية بعد ، لانه اذا كان دخول موسكو الحرب بضمن هذه البلدان هزيمة ألمانيا ، فانه بطوي في نظرها ، على تهديدات أخرى وكان رؤساء دولها ووزرائها يتحدثون بذلك صراحة ، وقد كان ملك اليونان جورج الثاني والسيد تسوديروس رئيس الحكومة يصدان في البؤس المروع الذي ألقى به العدو الشعب الهليني ، والمقدمة التي أظهرها رعم ذلك كله ، ضد العدو ، كما وصفا لي أيضاً هلاك الجائعين والمحاربين على يد الحرب الشيوعي . وكنت ألاحظ في الوقت نفسه ، حول ملك برغوسلافيا الشاب ديمر الثاني ، وداخل وزارته معها التي رئيسها على التوالي الجنرال سيموفيتش ، والسيد برفانوفيتش ، والسيد تريغونوفيتش ، تلك المرات التي كانت تبحث عليها أحداث يتصدع بها البلد . انتصاب كرواثيا مملكة منفصلة يتولى عرشها الدوق دي سوليت والمادة ، ملكاً عليها ، وصم إقليم ليوبليانا السلويني من قبل إيطاليا ، وكذلك دناسيا ، والتنافس لدي تحول عاجلاً الى عداوة بين فيتو والجنرال ميخائيلوفيتش الذي كان

يقود الكفاح ، مع ذلك ، ضد العراة ، في الصرب .

صحيح أن الرئيس « بينيش » ووزرائه المونسنيور شراميك والسادة ماراريك ، وريبكا ، والجنتراي أمور كانوا عكس أولئك ، يظهرون أهم على ثقة من حسن تصرف السوفييت في المستقبل ، وكانوا يعتقدون ، بوساطة السيد برغومولوف ، علاقات طيبة ظاهرة ، مع الكرملين . وكان مثلهم في موسكو السيد بيرلر ، يبدو بها معزراً . وكان هناك فيلق تشيكوسلوفاكي أحد جنوده من التشيكيين ، وأسرهم الروس في صفوف المهرمات ، أعادت القيادة الروسية تشكيله . وكان في الامكان الادراك ان بينيش كان يعتمد قـل كل شيء ، على روسيا ، أي كان معه النظام السوفييتي ، ليعتمد سلطانه في براغ ، ويعيد بناء الدولة التشيكوسلوفاكية .

كانت المحادثات مع بينيش دروساً عليا في التاريخ والسياسة يلقيها بأسباب دون أن يلها الأستاذ ولا السامع . واني لأسمعه حتى الآن ، وهو يتحدث عن مصير الدولة التي أضرب على مقدراتها كرئيس ، مدة عشرين سنة . وكان يقول : « لا نستطيع هذه الدولة ان نبقى على قيد الحياة دون تأييد موسكو المباشر ، ما دام يجب ان ندمج بها منطقة السوديت وهم شعب من الالمان ، وسلوفاكيا التي سلخت عن المجر وهم نستطيع هذه ان نسلوها منذ عهدنا ، والد « بينيش » التي يطمع بها اهل بوليا . وفرنسا غير متأكدة ابدأ من موقعها ، بحيث لا نستطيع ان نبقى بأنفسنا الى ارادتها الطيبة » . واختتم الرئيس حديثه قائلاً . « نستطيع في المستقبل ان نتجنب عفات التحالف المنفرد الخالص مع الكرملين وحده ، ولكن شرط ان تستعيد فرنسا مكانتها ودورها اللذين ينبغي ان يكونا لها ، في أوروبا . وبانتظار ذلك ، أين هو الخيار بالنسبة لي ؟ ، هكذا كان يفكر بينيش ، وأنا اشعر بالاضطراب الذي يقتلي في قرارة نفسه .

أما البولونيون ، ، فهؤلاء لم يكن يخافهم شك ، فالروسي في نظرم
 خصم ، حتى وإن أكره على قتال العدو المشترك ، فقد كان تدفق
 السوفييات امراً يلبى هزيمة الألمان حتماً ، في نظر رئيس الجمهورية
 واكبريكر ، والجنرال سيكورسكي رئيس الحكومة وقائد جيش ،
 والوزراء السادة ، والسي ، واكرسكي ، والجنرال كوكيل . أما الطريقة
 لهذا مطالب موسكو ، حين تغلب برلين ، فكانت هناك نزعتان
 تتورطان البولنديين ، إذ يستولي عليهم طوراً ضرب من الاعتقاد بالأسوأ
 يستقي منه بأسمهم أوهاماً مسكرة ، كما تستل موسيقى شومان الحسلم من
 الألم ، وطوراً يداعسون الأمل بحل يحد بولوبيا نحو الغرب ، ويتبارل
 لروسيا من جره من أراضي غاليسيا وليتوانيا ، ويحملها على أن تمتنع
 عن حكم فرصوبيا وفرض حكومة شيوعية عليها . ولكمهم كانوا حين
 يرحبون اتفاقاً ما ، إلى يلاقوه بدمية يسيطر عليها طوى لدرجة
 تمنعهم على المرابدة فيما بينهم ، وتثير البلية لدى الحلفاء ، والسخط
 لدى السوفييات .

ومع ذلك ، كان الجنرال سيكورسكي مصمماً على القيام بتجربة
 المصالحة ، أياً كان حظها من النجاح . لقد كان هذا الرجل لهم يمثل
 بشخصه مصر بلاده ، وذلك لأنه ، وقد عارض من قبل سياسة المارشال
 بلسودسكي ، ثم "جبلالة بيلك" و "ريدزسمييلي" ، وحد نفسه منذ المكة ،
 ويبدد جميع مقاليد السلطة التي تتمتع بها دولة في المنفى .

لم يتردد سيكورسكي لحظة ، مد دخلت جيوش الرابع روسيا ،
 في إعادة العلاقات الدبلوماسية مع السوفييات ، رغم الاحتقاد المتركة في
 قلوب البولنديين . ووقع في تموز (يوليو) ١٩٤١ اتفاقاً مع موسكو
 يصريح أن تقسم بولوبيا الذي جرى عام ١٩٣٩ بين رومب والماديا ،
 لمؤ وليس له أي معمول شرعي . وفي كانون الاول ذهب نفسه إلى

موسكو ليعاوض في شأن الأسرى وإطلاق سراحهم ونقلهم إلى اللقمان ، ومن ثمة يمكن نقلهم إلى المتوسط ، تحت إمرة الجنرال أندرسون . وتحدث سيكورسكي مطولاً إلى متالين . ولدى عودته صور لي ، وهو يسرد علي قصة محادثاتها ، سيد الكرملين عارفاً في بجران من «القلق» ولكن من غير أن يمس شيء صفاء ذهنه ، وشراسته ، ومكره . وكان لي سيكورسكي . « لقد ترسخ متالين في قبوله مبدأ التعامل ، ولكن ما سيفعله في محتوى ذلك المبدأ ، وما يتطلبه ما ان نصمه فيه ، بن يتوقف إلا على القوى الراهنة ، ومعارضة أخرى ، على ادعائهم التي ستسببنا أو لا ، في الحرب . فإذا دقت الساعة من يعني بولونيا ؟ إما أن فرنسا هي التي ستكون المعين ، وإما لا أحد ! »

هكذا ، كانت الجوقة الفلقة للحكومات اللاحقة تراكب في الخفاء خطى التقدم التي تحرزها فرنسا لحرة . وكان الجميع قد اعترفوا ، كالاسكندر ، «للجنة الوطنية اعترافاً بشوب عباراته التعهظ ، ولكن الجميع كانوا يقولون ان الحمرل ديمول المرسي الكمل للتكلم باسم فرنسا ، وكانوا يعرفون عن ذلك مثلاً في التوقيع معي على تصريح مشترك يتعلق بجرائم الحرب ، هد ما حدث في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٢ خلال مؤتمر رؤساء الحكومات . امد كانت علاقاتنا مع الدول اللاحقة والسمة التي ساعدتنا على إحرازها ، نصيبنا ، يحفظها ، على الصعيد الدبلوماسي وتمدنا في أوساط الرأي العام ، بمؤاررة مجموعة من العوامل التي لا سبيل إلى تقييدها .

وإذا كان عظماء الرجال هم الذين قادوا الرأي العام الأسكلو - سكوبي ، في مأساة العالم ، فان ذلك الرأي العام هو الذي كان ، في الحبة الماكسة ، يوجه الحكومات . وقد كنا نحاول ايضاً ان نصمه في حسابنا ، وحدث اننا شخصياً في تحقيق ذلك بالإفادة من قطاعات المطب

والفصول التي كانت تبث عليها حركتها ، فكنت أوجه الخطافات بانتظام
للجمهور الانكليزي والأميريكي . وكنت ، حسب الطريقة الكلاسيكية ،
أختار من بين الجمعيات التي تدعوني لالقاء كلمة ، جماعة تناسب الظروف
والموضوع . وكنت أشاهد في ختام الوليمة ، وأنا صيف الشرف في الغداء
أو العشاء المعدة في تلك المناسبة ، ان عدداً عديداً من محترفي الإعلام أو
الشخصيات المتميزة يندسون في صفوف المدعوين ويشطلون الى القاعة وقد
أقبلوا لسماع الخطاب . وحين يلقي « المعترف » ، على حسب العادة
الانكليزية ، كلمة الافتتاح ، أقف وأقول ما أريد بینه .

وكنت أتكلم ، أكثر ما أتكلم ، بالعربية لأنني لا أعرف الانكليزية ،
وياً للأسف ، معرفة جيدة كافية . ولكن كان سوشين يدخل الميدان
على أذني ، إذ يُترجم خطابي متبهاً ، ويورع في اللحظة التي خرج بها
من إلقائه . وكانت الصحافة والإداعة في بريطانيا العظمى والولايات
المتحدة ، تتوليان نشر الخواري منه . أما الموضوعية ، فلدي جرأة
على القول إنها تدور لي نسبة في الصحف الأميركية التي تبرز هذه
المسألة أو تلك المنقوعة من سياقاتها ، دماً وتشهيراً ، وكانت هذه ، مع
ذلك ، دأب الحائز . أما الصحف الانكليزية ، فنادراً ما كانت
تشوه النص ، ولمكنها لا تقري في انتقاداتها ، اغلب الأحيان . ويجب
ان أضيف ان صحافة اميركا اللاتينية لم تكن تتوانى عن وضع تصريحاتي
الحاصلة في أمكنة بارزة عن صداقة منها لعمسا ، وتقدير لـ « لديفولية »
ورعاً عن رغبة في التمويه عن موقف الولايات المتحدة . والخلاصة اني
كنت اجد الديمقراطيات الخليفة ، على الدوام ، تحترم حرية التعبير ،
إلا خلال بعض الأزمات التي كلوا يندفعون أثناءها بـ « الضرورات
المسكرة » لخنق صوتي .

وكنت قد توجعت بخطاباتي ، قبل ان أرور اشرق في ربيع ١٩٤١ ،

الى مستمعين بريطانيين ، ولا سيما في نادي « فويلز الأدبي » و«ثة البرلمان
 المرفسية - الانكليزية . واستمع إلي بعد عودتي الى لندن في ايلول حتى
 حزيران ، على التوالي . « الصحافة السويدية » ، « العمال » ، ثم مديرو
 المحافظات ، وعلاكات محل الدبانات ، « تحليلات الكتريك » ، وفي
 استافورد « الجمعية الاقليمية الملكية » و « اتحاد متكلي الانكليزية »
 و « جمعية الصحافة الاحنية » و « النادي المرفسي لجامعة اكسفورد »
 و « نادي مدينة ليوري » و « لجنة الدفاع عن المصلحة العامة » وبلدية
 ادنبره واعيانها ، واجتماع عقد في البرلمان لأعضاء مجلس العموم . وفي
 ايار (مايو) ١٩٤٢ ، عقدت لأول مرة مؤتمراً صحفياً . ومنذ كنت في
 ١٤ تموز ١٩٤١ في براراميل ، فقد أدعت شركة « هيئة الاداعة الوطنية »
 الاميركية ، من جميع محطاتها ، مداء وحتته في المدياع الى الولايات
 المتحدة . وفي ٨ تموز ١٩٤٢ أدعت « كولومبيا » في «ميركا » وفي
 حديقة نيويورك المركزية خاصة حيث جمع عمدة المدينة « لا عوارديا » الأهالي
 قسمة ، كلمة بالانكليزية لـ « صديقا وحليفا الحول ديفول » ،
 ورسالة جديدة الى الاميركان في ١٤ منه ، بمناسبة العيد الوطني الفرنسي .
 وكانت تضاب الى هذه المناسبات الكبرى ، مناسبات اخرى أضطر
 فيها الى الكلام دون استعداد ، وكنت اجد مع ذلك ، اصداء مفيدة .
 وذلك هو ما كان يحدث في الاستقبالات التي اقيمت لي في مدن :
 برمنهام ، ولبيدز ، وليفربول ، وغلاسكو ، وهول ، وأكسفورد ،
 وحاممة أدنبره ، وأميرالية بورنموث ، ورساني برعام وكاون ،
 ومصانع غالوت ، ومعامل هارملن ، وصحيفة « التايمز » ، وعدد
 كبير ، أخيراً ، من الأندية ، وكانت جميعها ، دوماً ، يعمرها الود
 وطيب النيات .

غير أنني كنت ألقى ، على الدوام ، بالأفكار والشاعر نفسها للأصداء

الأحسية ، وإن موّعت البرة . كنت أقدم هزيمة فرنسا أول الأمر ،
تصيراً في النظام العسكري المهلهل العتيق ، الذي كانت تمارسه جميع
الديمقراطيات في بداية الحرب ، وذهبت بلادي ضحيته لأسسه لم يكن
لديها أوقيانوسات تمطيها ، ولأهها تركت وحدها في الطليعة . وكنت
أؤكد أن الأمة المرسية ظلت نجياً ، تحت الحور ، حياة عميقة وقوية ،
وانها متطهر عما قريب ، وهي مصممة على الجهد والتجدد . وأعطيت
الدليل على ذلك في المقاومة التي كانت تقاوم في الداخل والخارج . إلا
أنني ظهرت الشعب الفرنسي وهو يتحسس اسلوب حياته في صرفاتهم
تجاهه ، بمقدار ما كان يكابد الويل والحدود ، وأن دعاية هتلر تعرض
امام عينيه بحالات الامس في اليهود ، شرط أن يفتقل إلى المعسكر
الاستبدادي ، معسكر الحكم المطلق ، وإن فيشي ليست على خطأ - أما
كان عليّ أن أريد من كل شيء ؟ - إلا في حدود ما تحترم الديمقراطيات
حقوق فرنسا .

هكذا ، وعلى هذا النحو ، ألقيت في أول نيسان ١٩٤٢ ، خطاباً
وضعت فيه النقاط على الحروف ، من هذه الحقبة ، وأثار عاصفة من
المجادلات ، وقد صرّحت فيه : « ألا لا يفهمون للطن بأحد لي أن
هذا النوع من المعركة الذي تكتوّه فرنسا المحاربة ، إنما هو نهائي لا
يتكرر ابداً . الأمر كله يرتكز على ما يلي : إن فرنسا المحاربة تفهم
أنها تسير مع حلفائها وهي متحفظة تحفظاً صريحاً ، أي ما دام حلفاؤها
يسيرون معها . . . وصوتت أرمي مباشرة هاتيك العلاقات التي
استمرت الولايات المتحدة في الحفاظ عليها مع فيشي ، ولطائرات
الحفية التي كانت تجريها مع قنصلها ، فأصفت : « إن انعطاف
الديمقراطيات على أرس هدموا الحريات المرسية ثم يحاولون قولبة نظامهم
على القالب العاشقي أو صورته المموّخة ، إنما يعني إدخال مبادئ

المسكين «غريوي» الذي ألقى نفسه في البحر خشية ان يقبل ، على السياسة ، ثم اضفت ، « وانا اسعى في تمجير الصاعقة . » « إن في ذلك تذكراً خطيراً لحادث يمس على المسألة الفرنسية برمتها ، ألا وهو ما يدعى الثورة . ذلك لأن هذه إنما هي ثورة ، وهي اكبر ما عرفه تاريخ فرنسا السني حيث بخيانة نخبتها الحاكمة وذوي الامتيازات من ابناءها ، وقد بدأت فرنسا في انجازها ، « وقلت بأعلى صوتي : « لن يكون من المسموح به ، ان ما يقال عنه واقعية ، وهو الذي ساق الحرية الى شفير الهاوية ، بين موبخ وموبخ اخرى ، ان يستمر في خداع الحاسرات وخيانة التضحيات .. » .

وسقطت المواقع لقد وفقت فرنسا الحرة الى التعريف بنفسها والاعتراف بها من الجمهور وشعوره ، والورارات ورضاها ، لا كسيافة لمرسا وحسب ، بل قهرمانة ايضاً لا تذرعرع في إدارة مصالحها . وقد أدركت هذه النتيجة في الوقت اللازم الذي كان يجب ان 'بلّغ' به . وذلك لأن الظروف التي تأخذ فيها الحرب وحية حاسمة كانت قد تجمعت في اوائل الصيف من عام ١٩٤٢ ، إذ ان روسيا ظلت واقفة على قدميها ، وانتقلت ، لأن الى الهجوم ، وانكفرتا استمرت تتصرف فوق أرضها بقوت كبيرة ، ولما كانت ترسل نخدرات وافرة الى الشرق ، والولايات المتحدة على استعداد لقل وحداتها الحديدية بأكملها ، مع هتادها الصمم ، الى العرب ، وفرنسا انخيراً لا تزال قادرة على خوض المعركة الاخيرة بقوات عسكرية مهمة ، وامبراطوريتها ، ومقاومتها على شدة ما تعاني من تقنت واستعباد في الوطن الأم ، وعلى ما ران من جمود على جره كبير من اراضيها فيما وراء البحار . ومنذ كانت الربة رجع ، على جوانب الميدان ، فقد دعوت في ربيع ١٩٤٢ « فرنسا الهاربة » ما كان يدعى حتى ذلك الزم « فرنسا الحرة » ولفت

انتباه الحلفاء الى هذه التسمية الجديدة .

ذلك بأن مصير فرنسا سينقرر في حومة القنال القادم ، وستكون اراضيها - افريقيا الشمالية او الوطن الام - مسرح العمليات الحربية . وسيقرر حصتها من النصر ، ما تملكه او لا تملكه ، عند مهاجمة العدو . ولكن مكانتها في العالم ووحدةها الوطنية وكيانها الامبراطوري ، إنما تتوقف على سلوك حلفائها . وما كان في مستطاعي ان اشك في ن بعضهم ، وليسوا من القلة ، كانوا يفكرون ان يتصرفوا على نحو يحملون به ، في هذه الفرصة الكبرى ، جهاز الحكم الفرنسي اقل ما يمكن ان يكون استغلاً ومناكراً ، وتصبح معه فرنسا المحاربة لقمة سائغة يزدردونها ، ان لم تعد هائبة . ولكن المكان التي احمررتها في العالم ، غدت الآن جنة راسخة ، بحيث لا يمكن لمخيطيها من الخارج .

ولكن ذلك مشروط بأن تصمد هي جيداً ، وان تحظى بتأييد الأمة كلما أخذت هذه نظير على حقيقتها . وما كنت لأفكر في شيء سوى ذلك ، وأنا أقود في الوقت نفسه كماحدا . أيمكن لدى فرنسا المحاربة في المهنة القادمة من الجسارة ، والقيمة ، والهمة ، ما يكفي لوقايتها من التصديع في الداخل ؟ أترى يريد الشعب الفرنسي الحاضر ، المضلل ، الممزق ان يصني إلي ويقتضي ؟ أتراني أتمكن من لم شتات فرنسا ؟

فرنسا المحاربة

بينما كانت فرنسا المحاربة قوتع بين صيف ١٩٤١ وصيف ١٩٤٢ ميدانها الدبلوماسي لم تكف هي نفسها عن النمو . وإذا كنا نسردها بالتوالي قصة تنامي هذين الجبهتين ، فإن هذين لم يكونا أقل توافقاً في الزمن وتلاحماً في الأصول . ولكن بما أن سجل العمل كان يتسع يوماً عن يوم ، فقد أصبح لزاماً علي أن أضع على رأس الحركة هيئة ملائمة ، فديفول لم يعد بعد كافياً لإدارة كل شيء . لقد أصبح عدد المشكلات وسعتها يتطلبان قلل التقرير ، مجابهة وجهات النظر والكفاءات ، ويجب أن تفرع المركزية عن تدابير التنفيذ . ومنذ كان الشكل الجماعي أخيراً لجميع الدول ، هو شكل السلطة ، فستعاون فيما بيننا على الاعتراف ببعضنا البعض الآخر ، ونحن نتبناه لأنفسنا . وكان أن أسست اللجنة الوطنية بأمر أصدرته في ٢٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٤١ .

وإنا لم أنقطع ، والحق يقال ، عن التفكير في تلك اللجنة ، من بداية الأمر ، ولكن اضطراري إلى قضاء ثمانية أشهر في أفريقيا والشرق ، خلال سنة واحدة ، واقتفاء الرجال الذين يُسترون أنهم « يمثلون الشعب » على الأحص ، أمران أكرهاني على التأجيل . وكان في استطاعتي لدى وصولي إلى لندن ، بعد قضاء سوريا ، أن أدير طوراً طويلاً من التنظيم ، عكس الطور السابق . وإذا كان معظم الشخصيات الذين انضموا إلي من

قبل ، مضمورين ، من جهة أخرى ، فإن بعضهم أصبحوا من البارزين ، وأصبح في إمكانني اذن ان أشكل لجنة ذات قيمة . وسندور اللجنة الوطنية بالنسبة لفرنسا المحاربة ، جهاز التوجيه الذي تجتمع حوله . وقد راح « المفوضون » فيها يتداولون عما في جميع الشؤون . وكان على كل واحد منهم ان يشرف على إحدى « الإدارات » التي يمارس فيها نشاط . وسيكون الجميع متصاعنين في القرارات التي تتخذ ، أي ان اللجنة ستكون ، بقول موجز ، هي الحكومة . وستكون لها صلاحياتها وبنيتها . ومع ذلك ، هل يكون لها أن تتخذ محتها التي احتفظت بها اليوم الذي تستطيع فيه ان تملك سلطة تتسع أبعادها للشمل الوحدة الفرنسية ، مما كان ذلك اليوم بعيداً . وفي حدود هذا النطاق نفسه ، كان الامر الذي وحته يصحح في الحجاب تكون جمعية استشارية من بعد ، تكلف تزويد اللجنة بأوسع تعبير ممكن عن رأي المصالح الوطني . ولست بمضي وقت طويل مع ذلك ، قل ان ترى هذه الجمعية النور .

ومذ كان علينا ان نستظر قيامها ، فان قرارني آثار كثيراً من اللغط في اوساط الفئات العربية القليلة ، التي راحت تضطرب على نحو بقل أو يكثر ، بحجة انها سياسية ، في كل من بريطانيا العظمى وولايات المتحدة . وكانت هذه الفئات تتساهل في ان يتصرف ديفول كعاجندي ويمد خلفاء بشرام عسكرية ، ولكنها لا تقبل بحال ، ان يأخذ رئيس المرنسيين الاحرار على عاتقه نعتات درلة فهم وقد أبروا الانصواء الي ، نبدوا سلطتي وراحوا يفصلون إيلاء مستقل فرنسا للأجنبي ، سوء كان ، في الواقع ، رورفلت ، أو تشرشل ، أو ستالين .

وإنني لارافق انه كان هنالك تناقض حقيقي بين معاهم هذه الاوساط ومفاهيمي . كان من رأيي في المسألة الوطنية ، ان السياسة يجب ان

تكون العمل في خدمة فكرة قوية ومبسطة . أما هم ، فقد طاولوا يتابعون الخرافات التي كانت تداعبهم منذ زمن بعيد ، وما ارتصوا ان تكون شيئاً آخر غير فن زخرفي لرسم الخطوات في رقصة طاله مصطنعة يقوم بها جماعة من ممثلها المترفين ، ولا يمكن ان يصدر عنها سوى مقالات وحطوب ومعرض مواهب ساذجة ونورج مفعد . وعلى الرغم من ان هذا النظام كسسته الحوادث كساً ، وعلى الرغم من انه أنزل بفرنسا كارثة كان 'بشك' في قدرتها على النهوض منها ، وعلى الرغم من ان هؤلاء المستعنين اصبحوا الآن مجردين من وسائل صخبهم المعتادة : برمان ، ومؤتمرات ، وورارات ، وقاعات لتحرير صحفي ، فانهم أقاموا على نصهم في نيويورك أو في لندن ، يحاولون ان يقيموا فيها حكام الانكلو سكسون ، وروانهم ، وصحافيين لانتقادهم لاعين آخرين ولقد كان وراء المتاعب التي أصيبت بها فرنسا أغلب الاحيان ، على أيدي حلفائها أنفسهم والحملات التي شنت صدها من صحافتهم وإذاعاتهم ، نفوذ عدد من الفرنسيين المختربيين . فهؤلاء ما كفوا يتناوون عن شجب ذلك النوع من الولاية السياسية التي قلدت بها فرنسا الحاربة نفسها في مؤسسة اللجنة الوطنية ، ومضوا يبدلون جهودهم في معاكسة تلك العملية .

وكان الاميرال موريليه هو الاداة التي استخدموها . ولهذا الاميرال شخصية مردوخة . فقد أظهر كسار قيمة تستحق تقديرًا عظيمًا ، وكان الفصل اقيمت هذه ، الى حد بعيد ، في تنظيم قواتنا البحرية الصغيرة . ولكن صرماً من مزاج قلق كان يستحوذ عليه دورياً ، ويدفعه على حثك الدسائس ، فهو لم يكفد يعرف يرمي على تشكيل اللجنة ، حتى كتب إليّ راصعاً نفسه بطل التعام مع الحلفاء والديمقراطية ، هذا التعام الذي أوشكت ، حسب رأيه ، ان اصح في خطر وإنقاذ لهذا وتلك ، اي الديمقراطية ، اقترح عليّ ان اصح عسي في مركز شرف ،

واترك له شخصياً السلطة الفعلية اما الوسيلة التي استخدمها ، محاولة منه في إكراهي على القبول ، فلم تكن أقل من التهديد بإبتيقاق البحرية التي كما قال هاتقياً : « تصح مستقلة وتتابع الحرب » .

كان رد الفعل لدي واضحاً وموحزاً ، أذعن له الأميرال وهو يرهم ان هناك سوء تفاهم ، وأظهرت لاسباب عاطفية وظرفية ، التي اقنعت ، وأخذت علماً بتمهدياته وعينته مفوضاً للبحرية ، وبحرية التجارة في اللجنة الوطنية .

وكان المكثفون في اللجنة : بليغن للاقتصاد ، والمالية ، والمستعمرات ، كاثن للمعارف والعدل ، دييجان للشؤون الخارجية ، ليجنيوم للحرب ، فالان للبحر ، ديتلم اندي وصل حديثاً من فرنسا للأشغال والامباء والعمل في الوطن الأم . كاترو ودارجليو الذي كان في بعثة ، أصبح معوضين بلا مفوضية . وركلت الى بليغن مهمة التنسيق الإداري بين الإدارات المدنية « احوال شخصية ، رواتب ، توزيع الموظفين ، تعيين الامكنة ، الخ .. » . وقد تميت ماديء ذي بدء ، ثم حاولت من بعد ، مراراً عدة ، ان أوسع اللجنة وأدخل فيها بعض الشخصيات الفرنسية التي كانت تقيم في اميركا . هكذا حطت الى السيدس ماريتان وألكسي ليجه مؤازريتها ، وجاء الجواب موقراً ، ولكن سلباً

وانتظم سير العمل في اللجنة الوطنية على نحو مرض ، ولكن موزيليه افتتح أزمة جديدة . فقد عاد الى لندن بعد حجة سان - بيير التي تلقى من أهلها تهانينا الاجماعية ، وصرّح في ٣ آذار ، في جلسة عقدتها اللجنة ، ان الأمور لا تسير على مساهوى ويرغب في فرنسا الحرة ، وقدم استقالته كفوضي وطني ، وكتب الي يؤكد تلك الاستقالة ، فقبلتها ، ووضعت الأميرال تحت تصرف القيادة ، وصينت مكانه أوبواتو الذي استلمني من الباسيفيك ، ولكن موزيليه صرّح عند ذاك أنه ،

وإن كنت عن أن يكون عضواً في اللجنة الوطنية ، يحتفظ لنفسه
بالقيادة العليا للقوات البحرية ، كما لو كان سيداً إقطاعياً يحتفظ بممتلكاته .
وذلك مما لا يمكن التسليم به ، ثم انتهت القضية حين تدخلت الحكومة
البريطانية فساء

كان هذا الشخص قد أعدّ مندوباً من طويل ، والمقصود كانوا بصحة
مشاعين مقربين وبعض عناصر من مجلس العموم و « البايبي » (البحرية
البريطانية) . وقد لقي التآمرون مؤازرة من المستر ألكسندر ،
الورد الأول للأميرالية ، فقد صوروا له باعتباره وريثاً ، ن البحرية
العربية الحرة لتحلّ إذ تحلّ عنها موريليه ، وهي التي تحرم ، البحرية
الملكية ، من أيدي لا يُستهان به ، وحلوه على الاعتقاد باعتباره محالاً ،
أن ديفول ولجته يميلان نحو العاشية ، وأن الواجب بقضي أن نزع
القوات البحرية الفرنسية من سياستها . وقد عتقت للوزارة البريطانية
رأي ألكسندر لأسباب تتعلق بتورأها الداخلي ، وفي أكبر احتمال أيضاً
ارادت ، رعة منها في حمل ديفول أكثر تاملًا معها ، إصفاه ،
عقررت أن تطلب مني الإبقاء على موريليه في منصبه كقائد أعلى للقوات
البحرية الفرنسية الحرة .

وجاءتني مذكرة في ٥ و ٦ آذار من السيد إيدن ، وإلى جانبه
السيد ألكسندر ، بهذا الموضوع . وكان أن أصبحت القضية واضحة
وضوحاً هائياً في ذهني ، منذ تلك اللحظة ، وأصبح الواجب يقضي ،
مها كلف الأمر ، أن بنفذ قرار اللجنة الوطنية بمحاذير ، وأن تطلع
بريطانيا من التدخل في هذا الشأن الفرنسي ، فكثبت في ٨ آذار
(مارس) للسيد إيدن أما قررة ، أنا واللجنة الوطنية ، أن موريليه
لم يعد قائداً أعلى للبحرية ، وأنا لا نقبل في هذا الموضوع ، تدخل
الحكومة الاسكتلزية . وأصفت : « إن الفرنسيين الاحرار يعتبرون أن

ما يعملونه الى جانب البريطانيين ، وفي سبيل القضية نفسها ، يقضي ان يحافظ عليهم وان يحافظوا كحلفاء ، وأن تأييد البريطانيين لا يحور ان يمنح لهم بشروط تتناهى مع سبب وجودهم معه .. وإذا كان الأمر على غير ما نصف ، فإن الحمران ديمول واللجنة الوطنية بكفأت عن القيام بمهمة يصح عليها القيام بها مستحيلاً . وانها يستقدان ، في الواقع ، ان من الجوهرى ، فيما يخص مستقبل فرنسا كما يخص حاضرها ، ان يظلا أمينين للهدف الذي رسماه . وهذا الهدف يعنى إرضاء فرنسا وإعادة وحدتها الوطنية في الحرب الى جانب الحلفاء ، ولكن دون نصحية شيء من الاستقلال والسيادة والانظمة الفرنسية .

ثم يردني جواب في الحال . ولا شك في ان الاسكليز كانوا ينتظرون ما سيحدث داخل بحريتنا ، قبل ان يمشوا الى بعد من ذلك . والواقع انه لم يحدث أي شقاق ، على ظهر أمة سبعة ، ولا في أي مستودع ، ولا في أية من مشائننا البحرية ، بل العكس هو الذي كان ، فان جميع عناصر القوات البحرية الفرنسية الحرة شدت أواصرها الى ديمول بحماية قتال مع المصاعب التي كانت تثار في وجهه . وكل ما وقع ان بعض الصايط المتجمعين حول الاميرال ، نظموا في مقر أركانه العامة حيث دعيت شعبياً لأكلهم ، مظاهرة غير لائقة . وبعد ذلك عينت للأميرال موريليه مكاناً يقيم فيه أسعدته به مدة شهر واحد عن كل اتصال بالبحرية ودعوت الحكومة الاسكليزية ، طناً لاتفاق التشريع المفقود بتاريخ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤١ ، الى تعيين هذا للتدبير ، لأنه الحمد على ارض بريطانية . ومنذ تأخرت التأكيدات الضرورية عن الوصول إلى ، خضت المعركة وأنا مستعدة لكل شيء ، منتظر كل شيء ، تارك في أيدي بلغن ، وديتلم ، وكوليه نوعاً من وصية مربية ، تمهد اليهم القيام بمهمة إعلام الشعب الفرنسي في حالة اضطراري الى التخلي عن

المضي فيها شرعت به ، ساعة أصبح في وضع لا استطع معه ان اشرح الموقف بنفسه . وانتهت الى حلماثا ، خلال هذا الوقت ، اسبي لا استطيع ، مع اسبي العميق ، ان اعيد علاقتي بهم قبل ان يطبخوا هم انفسهم الاتفاق الذي تعهدوا بتطبيقه .

وهذا ما كان في ٢٣ آذار . جاءني السيد بيك في زيارة ، وسألني مذكرة تخبرني ان حكومته لا تلتصق ان يظل موزيليه قائداً أعني ، وتحرص على ان يظل الأميرال مقطوعاً ، طيلة شهر ، عن كل اتصال بأي من عناصر القوات البحرية الفرنسية . وأوصت الحكومة البريطانية ، مع ذلك ، بناء على رغبتي ، ان يعامل كما يعامل احد افراد مصالحها . ووصل أويانو أثناء هذه الاحداث ، من الناصيفيك وتولى بنفسه إدارة البحرية وقيادتها . وازدت ان اقدم للأميرال موزيليه فرصة استمراره في الخدمة ، فدعوت في ايار (مايو) الى مقابلتي لترتيب مهمة تفتيش كنت أنوي ان أكلها له ، فلم يحضر . وبعد بضعة ايام ، وجه إليّ هذا الصابط الذي حمل الكثير في سبيل بحريتنا ، مذكرة يخبرني فيها ان نمارنه مع فرنسا الحرة انتهى . فألفت له على ذلك .

ثم لم يحدث بعد تلك الحادثة الاليمة ما يمنع انتظام السير في طريق « لجنة لندن » هذه التي صورتها الدعاوات المعادية - وهي لم تكن دعاوات العدو وفيشي فعصب - على انها فتنة من السياسيين الطامعين قارة ، وفارة على انها زمره من المعامرين الفاشيين ، وطوراً انها لثامة من المتوسمين الملتشبعين ، وهي التي لم تكن تحب حساب شيء ، وأنا أشهد على ذلك ، إزاء خلاص البلاد والدولة . ولقد كانت اللجنة الوطنية تجتمع مرة كل اسبوع على الأقل ، شيء من الملاية ، في غرفة كبيرة من « حدائق الكارنتون » ندعى « قاعة الساعة » ، تلتصق طلقاً بحدول امالها ، الى تقرير كل مفوض عن اختصاصه او عن كل مسألة

يحد هذا أو ذاك من واجبه ان يطرحها . وكانت تأخذ علماً بالوثائق
والمعلومات ، وتناقش بأنها ، وتنتهي الى مقررات تحرر في الجلسة
بشكل محضر ، وترسل من بعد في مذكرات الى القسوات ولداوثر .
وما اتخذت اللجنة قط قراراً مهماً ما لم تناقشه ويتداكر اعضاؤها فيه .

لقد صحت اجد ، على الدوام ، في اللجنة الوطنية باستشارها أداة
جماعية ، كما وجدت في كل فرد من اعضائها ، عواً ثمياً ومؤسسة امينة .
ولا ريب اني كنت مقنناً على معرفة كل ما يستحق للعناء ، بصورة
شخصية . غير ان العبد غداً أحف ، نتيجة ما ألبت من ثقته على
رجال ذوي قيمة ومقدرة احاطوا بي واعاوسي . ثم لا ريب ان هؤلاء
الوزراء الذين لم يستق لأحد منهم ان يخاض الحياة العنمة ، كان يُعورهم
الى حد ما ، بعض السلطة والشهرة ، واستطعوا ، مع ذلك ، ان
يخلصوا على هاتين . بضاف الى ذلك اهمهم جميعهم كانت لهم خبرتهم
وشخصيتهم . وكان المجموع الذي تألف منهم يفتح لفرنسا المحاربة آفاق
تسود كانت تظل لولايم ، موصدةً دونها . وكنت ألاقي لدى هؤلاء
الماونين ، اغلب الاحيان ، العديد من الاعتراضات ، لا المعارضات بكل
تأكيد ، بله المناقشات المناصدي وأفعلي . وكان عدة اعضاء في اللجنة
يتزعون الى تسوية الأمور ، في اللحظات الصعبة التي كنت اميل فيها
لحو الحول الضيقة . وكان ذلك ، في محم ، حساً ان يجري هكذا
وفي نهاية المطاف ، ما كان أحد من المفوضين يمارع في أحكامي ، بعد
ان ألقى النور على وجهات نظري .

وإذا كانت ثمة آراء تنقسم ، في توقع ، فإن تبني فيها تظل كاملة .
وكان ، الأنا ، المسكين دوماً هو الذي يجيب عن كل شيء في الكفاح من
أجل التحرير . وكان دعاة التحرير هؤلاء في فرنسا ، على الأخص ،
يشخصون بأبصارهم الى ديفول ، وقد راح عددهم يتسامى وطفقوا يتجهون

بحو المقاومة الفعالة وكانت هناك تلبية شديدة في تتولي أوضح فأوضح ،
 كما كان هناك أيضاً تلافياً مشعر بما في ضرورياً بمقدار ما كان محرراً
 ومثيراً ذلك لآسي ، وقد لاحظت رعة الفرنسيين إلى الانقسام والتشتت
 الذي فرضه عليهم الاستبداد و'هم يحضون إلى إظهار قردم في أشكال
 مشابهة التسوع ، رحلت أصرف هي كة إلى تحقيق وحدة المقاومة .
 وكانت هذه الوحدة ، في الواقع ، شرطاً عماليتها الحربية ، وقبمتها
 الوطنية ، وثقلها في ميزان العالم .

أخذ ما يحدث في الوطن الأم ، يصح معنوياً لديها كلما حدث ،
 منذ صيف ١٩٤١ . رغدت المعلومات تقناهي إليها ، عسلي الدواه ،
 متكاملة كل التكامل ، مستقلة عما يمكن أن يفراً بين السطور في الصحف
 أو تُسمع خلف ما يديمه ، لنداء في المظفتين ، وكانت هاتيك المعلومات
 فرد إليها في محاضر شكانا وتقارير عدد من الرجال كانوا يصحون من
 قبل صوى^(١) في الطريق ، وأحاديت المنطوعين الذين كانوا يمدون كل
 يوم ، من فرنسا ، والإشارات التي لزمنا بها المراكز الدبلوماسية ،
 والتصرجات التي بدلي بها مهاجرون أثناء مرورهم بمديد ، ولشونة ،
 وطليعة ، وبوبورك ، والرسائل الموجهة إلى فرنسيين أحرار من أمهم
 وأصدقائهم ونصل اليهم بألف حيلة وحيلة ويهدا كذا ، كانت في ذهني
 لوحة واضحة لما يدور مجيئاً . وكمن مرة أدركت آسي كشخص ،
 على اطلاع متصل بالشؤون الفرنسية ، من خلال التحدث إلى مواطنين
 قدموا حديثاً من البلاد ، ولكسهم كانوا محصورين فيها بحكم مهنتهم أو
 منطقتهم ، وأتضح لي أن ألس ذلك ، توفر لي من معلومات لا تحصى ،
 وبث ، ومقارنة بين الحوادث وجمع لها ، كان يمدني بها حشد من
 المخلصين الأبرار .

(١) صوى : جمع صوة وهي العلامة التي تدل للمفر على طريقته . وما رجة لكلمة *salon*

وكان حل ما يستخلص من تلك المعلومات ان فيشي آخذة في التراجع والانهيار ، فقد قدمت اوهايم عهدها هائبا . وأول ما قصد نصره ألمانيا لذي أعلن انه أمر مفروغ منه لتبرير الاستسلام ، إذ أصبح امراً غير محتمل الوقوع منذ خاضت روسيا المعركة ، ودخلت الولايات المتحدة الميدان بدورها ، وصمدت إنكلترا وفرنسا لحرة . ولادعاء الداهب الى « صيانة الأثاث » لقاء العمودية ثمن انه مصحح ، دام أسراة البالغ عددهم ١ ٥٠٠ ٠٠٠ لم يعودوا الى الوطن ، والالمان أحقوا الأكراس واللورين عمليا ببلادهم ، واحتفظوا شمال بلادنا منقطعا اداريا عن سائر الاراضي ، والاموال التي استولى عليها المحتل من نقد ، ومواد أولية ، ومخاضيل زراعية وصناعية ، استنزفت اقتصادنا ، والرابح راح يستخدم لحسابه عدداً يرداد مع الأيام من الفرنسيين ، وتأكيد حماية الامبراطورية وصد أي كان ، اصبح لا يخدع احداً ، ما دام لجيش والبحرية قد أكرها على محاربة الخلفاء و « الديفوليين » في دكر ، والمايون ، وسوريا ، ومدعشقر بينما كان الالمان لجذب الهدنة وطلبها يتصرفون على هوم في عاصمة الجزائر ، وتونس ، والدار البيضاء ، وبيروت ، وطائرات الرابح كانت تهبط في حلب ودمشق ، واليابانيون احتلوا اللطوسكان والكوشاشين . واصبح الآن ، في نظر الجميع ، ان ليس بعدد مسى فرصة لاسترداد أراضي ما وراء النصار يوماً ما ، الا عن يد فرنسا المحاربة ، وذلك بتأمين وجودها شيئاً فشيئاً في افريقيا الاستوائية ، وحزر اوقيايا ، و « بونديشيري » ، والشرق ، وسن - بير ، ومدعشقر ، والصومال الفرنسي ، ومدت ظلها مسقاً ، بلا تساهل ، على افريقيا الشمالية ، وافريقيا العربية ، وحرر الانتبل ولهد الصيدية

أما « الثورة الوطنية » التي كان يحاول بها عهد فيشي ان يعوض عن استسلامه ذاته ، فقد كان انها تبرز اصلاحات لها قيمتها في حد

ذمها ، ولكنها متورطة ومرفوضة لاقتربها بالسكينة والموهبة . وادعاء
 فيشي بالتجديد لأخلاقي وتقويم السلطة ، وحتى جهدها الذي لا ينحصر
 في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي ، كل ذلك لم يكن يفضي شكلا ، الى
 شيء ، سوى استمرارات المجهود ، وتمحيد المارشال ، وثلاثون النجاة ،
 وفي الجوهر ، كان يعمي الى الاصطهادات الحبيبة ، وتحكم الشرطة
 والرقابة ، ولا مميزات ، والسوق السوداء . وكان يلحظ كذلك ،
 داخل العهد ، دلالات القشور والظلمة ، منذ هاية ١٩٤٠ حتى
 صيف ١٩٤٢ توالى لاحداث الآتية : عزل لافال ، تأسيس حزب
 « التجمع الشعبي الوطني » في باريس من قتل ديبا ، وديلوكل ،
 ولوشير ، وماركيه ، وسواريز ، وعمرم . بتأييد مباشر من الألمان .
 وكان يطمح في الحكم ويقوم بمرايدة صاحبة في مشدان التعاون ، والتنوع
 المتواصل لصلاحيات درلان ، استقالة أعضاء الوزارة : إيسرنيفاراي ،
 بودوان ، آليير ، هلامان ، ديروثوت ، شوفليه ، آشار ، إلح ..
 وكانوا يطمحون الواحد تلو الآخر ، ان المهمة كانت مستحيلة ، توقف
 قضية « روم ، المفاحي » ، العيب ، إحالة فيمان للتقاعد ، محاربة كوليت
 اغتيال لافال ، تعيين هـد رئيسا للحكومة . وقد أداع المارشال بنفسه
 تعاسته ، فقد قال في حديث أذيع من الراديو خلال آب (أغسطس)
 ١٩٤١ . « أشعر بربح سوء نهب من عدة أنحاء في فرنسا . الفلق بعد
 الى الأفئدة ، والشك يستولي على الدموس ، وسلطة الحكومة موضح
 جدل . والأوامر لا تمسك فغيبدا حسنا . هناك ضيق حقيقي يعزو
 الشعب الفرنسي » . وصرح من المذيع في حزيران (يونيو) من السنة
 التالية ، بمناسبة انتصاه عامين على طلبه للهدنة . « لا أسمى أبدا ضعف
 الأعداء التي لقيتها مداماتي » .

وراحت تتكون هنا وهناك في الوطن الأم ، اكثر من بواة واحدة

للمقاومة ، كلها اخذت اعمال فيشي وبارحها في التلصص . وأمرها إنما كان ، بطبيعة الحال ، عبارة عن نشاطات حد متفرقة ، وغالباً سيرة التحديد ، ولكنها كانت تليق عن البيات نفسها . فهد كان يقسم أفراد بتحرير بعض النشرات الدعائية ، ويطبعونها ، ويوزعونها . وهناك يقوم آخرون بالتجسس على العدو ونقل معلوماتهم الى احدى الشكاك . وثمة أفراد مهتمون بتشكيل مجموعات عمل في سبيل اغراض متعارفة كل النفاوت : مؤازرات اغتيال ، تخريبات ، تلقي وتوزيع عتاد أنزلة المظلات او "نقل خفية" ، استقبال او تحبير لعملاء ، انتقال من منطقة الى اخرى ، اجتياز حدود ، إلخ . وبعضهم كان يؤلف فرقة يرتبط اعضاؤها فيما بينهم بأوامر او ماعتناق فكرة واحدة . وموحد القول ، شرعت المقاومة في مراس حياتها الناشطة والخفية تحت ستار سلمي ، هادي ، بطفسو على سطح الوجود في الوطن الأم . وأخذ نفر من المحاربين في الداخل ، يفكرون الآن ، في توجيه ضرباتهم الى العدو من خلال الأشرار السقي يدما أفراد الشرطة والرشاة .

وفي آب (أغسطس) ١٩٤١ ، انفتحت سلسلة المحميات المنفردة على العسكريين لألمان ، وقتل أول من قتل ، نقيباً وهو خارج من المأوى ، وضابط في برودر ، وجنديان في باريس ، شارع شامبيوسه . وتبعهم عدة اعتيالات . وردت العدو ، ثاراً لقتلاه ، بإعدام مئات من الرهائي ، وزج في السجن آلاف من المواطنين لينفيهم من بعد ، وفرض ضرامات وهبوديات على المدن التي كان يسقط فيها رجاله . وكنا نطعم على هذه الاعمال الحربية التي يقوم بها افراد تحت أشد الأخطار ، ضد جيشي المحتلين ، فنشعر بكبرياء يطفو عليها ظلام الأسي . وكان هلاك الفرنسيين الذين يقضون صحايا الانتقام الجرسماني ، من جهة اخرى ، يضر ارواحنا بالحداد ، دون ان يسري اليها قنوط ابد ، لأن هلاكهم ذاك يوارى

تضحية الجنود في مبادئ القتال ، ولكننا كنا نقدر ، استناداً لأسباب
بدئية من التفكير الحربي ان الكفاح يجب ان يُوجّه ، وان الوقت لم
يُمن بعد ، من جهة اخرى ، التروع في قتال علني على ارض الوطن
الأم . فانه سيكون لانهاك العدو ، ثم للاشتباك معه في مواقع منتقاة
من قتل قواتنا في الداخل ، والوثبة الوطنية الشامة اخيراً التي جعلنا
نريد الحصول عليها يوماً ما ، فعالية جتارة على ان تؤلف جميعها كلاً
لا يتجزأ ، ورنط بعمل جيوش التحرير . بيد ان المقاومة عام ١٩٤١ ،
كانت في بواكير نشأتها ، وكنا نعرف ، من جهة اخرى ، انه من
أعوام طوال قبل ان يكون حلفاءنا على استعداد للتعول .

وقد صرحت ايضاً في ٢٣ تشرين الاول ، من المذباح : « إنه لطبيعي
إطلاقاً ، وما يمكن تعريده إطلاقاً ان يقتل الفرنسيون الألمان . فإذا
كان الألمان لا يريدون ان يتلقوا الموت من ايدينا ، فليس لهم إلا ان
يبلغوا في ديارهم .. وما داموا لم يوفقوا الى اخضاع الكون ، فهم على يقين ان
كل واحد منهم سيفدو جثة او اسيراً .. ولكن هنالك تفكيرنا للحرب .
يجب ان تقاد الحرب على يد أولئك الذين وُكل اليهم امرها .. والأمر
الذي أوجهه الآن الى الأرض المحتلة ، هو ان لا يقتلوا فوقها ألماناً على
نحو مكشوف . وذلك لسبب واحد ، ألا وهو ان من السهل جداً
على العدو ، في هذه الفترة ، ان يرد بذبح محاربينا المرل آتياً .
وعلى العكس عندما نمسي في سعة من الانتقال الى الطبعوم ، فتصدر
« وأمر بذلك » .

كان الواجب يقضي ان بعيد من الشعور العام الذي أحدثه القمع
الألماني في تدريز الطبقة والتضامن الوطنيين ، مع المحاولة ، في الوقت
نفسه ان نحمل خسارة معدودة وهي التي كانت فادحة لقاء نتائج ضئيلة
غاية الصّالة . ومنذ كان العزاة قد سفكوا عشية ٢٥ تشرين الأول

(أكتوبر) دماء خمسين رهينة في ثانت وشاتوبريان ، وخمسين آخوين في
يوردو ، أذعت ما يلي : « لقد حسب العدو إذ أعدم شهداء ، أنه
سيدخل الرعب على فرنسا . وقرسا سقريه انه لا يربحها . إنني لأدعو
جميع الفرنسيين والفرنسيات الى وقف كل مشاط ، وان يلزم كل واحد
منهم حيث هو صامتا ، يوم الجمعة في ٣١ تشرين الاول من الساعة الرابعة
الى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة . إن هذا القاتل الجبار ، وهذا
الإضراب الوطني الشامل ، يجعلان العدو امام الخطر المحدق به ، ويدل
على الإحياء الفرنسي . وكررت ندائي عشية اليوم الموعود . والواقع
ان التظاهرة اتسمت في كثير من الامكنة ، ولا سيما في المصانع ، بسمة
مؤثرة . وقد وجدت نفسي من جرائها ، أقوى وأشد في عزمي على
منع المقاومة من الانحدار الى القوضى ، وان احمل معها ، على العكس ،
بموجعا منظما ، دون ان احطم فيها ، مع ذلك ، روح امادة السقي
يمت عليها وكان المايص فيها ، ولا الحواجر الفاصلة التي توشك لولاها
ان تتوارى برضاها ، دفعة واحدة .

لقد كانت عناصر تكوينها على كل حال ، ولحركات المسبقة عنها ،
قائمة الآن ، شديدة المضاء في كثير من النواحي ، وانكها تشكو شكوى
بالغة من نقص الملاكات العسكرية . وكانت فيشي تقطع الطريق على
تلك الملاكات ، اي ما تقسى من الجيش ، حيث رجعت او يمكن ان
توجد . ومع ذلك ، فإن اعمال المقاومة ، لاوى انطلقت من العسكريين ،
إذ كان ثمة ضباط تابعون لأركان الجيش العامة وللمناطق قد خباوا اعتدا
عن لجان الهدية ، وامتدت مصلحة الاستخبارات في تطبيق تدابير
التجسس المضاد ، خفية ، وتعمل للامكليل ، في عترات منقطعة ،
معلوماتها . وأعدت تدابير قسمة عامة بإشراف الجفرلات : فرير ،
ديلتران ، فرمو ، بلوخ - داستو ، دورميتيه ، واستخدم جميعيات

لصدافة لهيئات القوات المهنددة . وقد دش الجنرال كوشيه الدعية القتالة ضد روح الاستسلام . وكثير هم الذين راحوا يتدربون ويدرب بعضهم بعضاً على حمل السلاح ، من مرشدي وابطال الشباب التي كانت تصمم عدداً من العسكريين القدماء . وكان كل من بقي في الوحدات المشككة من جميع الضباط تقريباً ، ودوي الرتب ، والجنود ، لا يحمون أملمهم في استئناف القتال .

وكان الجمهور يحد في ذلك ، من حبة اخرى ، ارباطاً طياً . وقد جيء بفيلم محليات من فرنسا ، شاهدته وحدي في لندن ، فأعطاني مثلاً رائعاً على موقف الجمهور ذلك ، وفيه يشاهد بيتان لدى ريادة قام بها الى مرسيليا ، يبدو من شرفة فندق المدينة امام القوات والجمهور معاً ، والجميع تحركهم الحماسة الوطنية ، ويسمع المارشال وهو يتعجب لا يجهل الجماهير ، يصرخ فجأة . « لا تصوا انكم جميعاً في ثعنة دائمة ! » وبشبه المرء اندفاعاً الحماسة التي اثارها هذه الكلمات في الحقل الحاشد بالدينين والعسكريين ، وهم يصيحون ويبكون من التأثر .

وهكذا ، كان الجيش يظهر عضواً أنه على استعداد لاحتضان المقاومة الوطنية رغم الأسر ، أو رغم هلاك ذريته ، بل أفضل أبنائه معظم الاحيان . ولكن ذلك هو ما لم تكن تريده « الحكومة » التي أولاها طاعته فقد منعت فيشي من أداء رسالته الخاصة ، وحصرته معنوياً في مارق لا يملك أحد الخروج منه إلا بتعظيم الانضباط الرسمي ، وهي التي سجلت اول الامر بأسطورة الحياة ، ثم بالتعاون . وعلى الرغم من ان عدداً من العناصر العسكرية اجتار الحدود ، والذين كلوا منخرطين في الشبكات منهم خاصة ، فإن الواقع هو ان حركات المقاومة اضطرت ، عند مطلقتها ، الى ارتجال ملاكها العسكرية بنفسها ، على يد أولئك الذين دخلوا الجيش السري ، والذين ألغوا من بعد « منظمة مقاومة الجيش » .

ولقد قامت منظمات عديدة بنشاط ملحوظ في حقل الدعاية وحشدت تشكيلات شبه عسكرية في المنطقة التي وصفت بأنها حرة منها : « كومبا » التي تولى رئاستها القيىب فريناي ، و « لبراسيون » التي قام فيها إيمانويل داسليه دي لايجري بدور رئيسي ، و « فراى - تيرور » التي كانت يرأس تحرير صحيفتها الموجهة جان - بيير ليفي وراح ما بقي من النقابات في الأعوام الحالية : « الاتحاد للعام للعمل » ، « والاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين » يث روحاً متميز المقاومة ، وكذلك كان شأن بضعة تجمعات منبثقة من أحزاب قديمة ، أبرزها الاشتراكيون ، والديمقراطيون - الشيوعيون ، والاتحاد الجمهوري . ومنذ كان الألمان لم يحتلوا المنطقة ، وإن المعارضة التي ألفتها بقايا هذه الأحزاب ، كانت بطبيعة الحال ، ضد فيشي ، وأصبح ما لهذه من شرطة ومحاكم منطلق نزاع . وكان الزعماء يفكرون ، من جهة أخرى ، وهم يقومون بإعداد القوى التي يمكن استخدامها ، إذا اقتضى الأمر ، ضد العدو ، في الاستيلاء على السلطة ، ولا يرون في المقاومة أداة حرب فحسب ، بل وسيلة للحلول محل العهد .

كان الطابع السياسي لحركات المنطقة الجبلية يساعد ، بكل تأكيد ، على جعلها حيّة ، فاشطة ، وعلى اجتذاب عناصر ذات نفوذ الى صفوفها ، وعلى إكساب دعايتها قوة متحركة تشوق الجمهور وتوقظ أفكار العامة . ولكن التقادم النقيض ، من جهة أخرى ، وبالتالي عمل اللجان الإدارية المشتركة ، لم يكن يشكو أي نقص . يجب القول ان جمهرة المتحمسين والمناصرين لم تكن تولى اهتمامها إلا في التزير النادر ، للنهج الذي ينبغي للمقاومة ان تطبقه فيما بعد ، ولا لشروط التي ستتولى السلطة يوماً ما بموجبها ، ولا باختيار أولئك الذين سيكون لهم ، يومذاك ، ان يحكموا . لم يكن الشعور العام سوى الرغبة في القتال ، أو الاستعداد له ، على

الأقل . كان المراد ، الحصول على أسلحة ، وإيجاد مخايب ، ودراسة
توجيه الضربات ، والقيام بها أحياناً ! ولذلك ، كان يشفي الانتظام في
المنطقة نفسها بين جماعة من قوي المعرفة ، والمشور على بعض الرسائل
والامتناع عن اقحام المآرب الشخصية . وموحز القول ، إذا كان الإيعاز
داخل الحركات ، متمركزاً نسبياً ، فإن العمل ، عكس ذلك ، كان
يتورع بين وثائق منعقة ، ولكل فئة رئيسها الخاص ، وعملها لحسابها
الخاص ، وكانت الفئات تتنازع فيما بينها موارد في منتهى الضالة ، من
الأسلحة والأموال .

وكان هذا التنافس في المنطقة المحيطة يتوارى أمام الخطر المباشر ،
ولكن كان تشتت الأشخاص والجهود ، يفرض نفسه على نحو أشد ،
فالناس هناك على احتكاك مباشر واسع ، بالعدو . وعلاقتهم إنما
كانت مع المستقبل ، فلا وسيلة للاستقلال ، ولا للمراسلة ، ولا للاختيار
ممكن ، دون اختيار مرافقات دقيقة ، صارمة . وكل من يُستبَّه به
يزح في السبيل بانتظار نفيه إلى المعتقلات . أما المقاومة المقاتلة فكانت
معرض المحاربين من غير تأجيل ، للتعذيب والإعدام . والنشاط صعبان
بتفتت ، في مثل هذه الأحوال ، إلى أقصى حد . غير أن وجود الألمان
كان ، على العكس ، يبغي على جوار يدفع إلى الصلح ويهت عبثي
المشاركة في الأمر . وكذلك راحت الحركات في هذه المنطقة تكتسب
طابع لوم من الحرب والتأمر ، فإن « المنظمة المدببة والمسكرية »
التي أسسها المفيد قوي ، و « رجال التحرير » الذين كان يرؤسهم
ريموش ، و « رجال المقاومة » الذين يجدهم ليكونت - بوابه ، ومنظمة
« تحرير الشمال » التي أسسها كاديتيس ، وأخيراً « صوت الشمال » في
الميو ، من علامدر في بلاد المعادن ، التي أدارها هوك ، كانت جميعها
تطرح ارساً كل نزعة إلى السياسة ، ولا تهتم بحيز الكعاج ، وينفزع

عنها زمر سرية صغيرة ، منزل بعضها عن بعض .

ودخل الشيوعيون بدورهم ميدان العمل في نهاية ١٩٤١ . وكان قادتهم حتى ذلك الوقت ، قد اتخذوا اتجاه الغزاة موقفاً سالماً ، وهم يصنعون ، مقابل ذلك ، في الرأسمالية الأنكلو - سكوتية و « الديفولية » ، خادمتها . ولكن موقفهم تحول فجأة حين عرا هتلر روسيا ، وامتناعوا هم أنفسهم أن يجدوا الوقت للعودة إلى الدخاير ، وتركوا ارتباطاتهم الضرورية للنضال السري . وهم الذين كانوا مُعتدّين لهذا للنضال ، من جهة أخرى ، على يد تنظيمهم في خلايا ، ورتبهم المعهدة ، وروح النصيحة لدى ملاكاتهم . سيشاركون إذن في الحرب الوطنية بشجاعة ومهارة ، وهم بلا ريب ، ذرور حسن وطني يلي مداء الوطن ، ولا سيما السطاء منهم ، ولكن لا يغرب أبداً عن مهامهم ، بمقدار ما هم حريصون ثورة ، هدفهم الأسد ألا وهو إقامة دكتاتوريتهم على مائة فرنسا . وسيحاولون إذن بلا هوادة ان يحتفظوا بحريتهم في العمل ، ولكنهم أيضاً كانوا لا يريدون ، وهم يستعدمون قبول المحاربين عما فيهم ميولهم ، سوى معركة واحدة ، وسيجهدون بصدق في ان ينفروا المدومة كلها ليتخذوا منها ، إذا أمكن ، أداة طمطمهم .

هكذا ألقوا ، الحصة الوطنية ، في منطقة الغنلة ، وكانت لجمعاً ذا مظهر وطني خالص ، وشجاعة ، الرصانة الأحرار ، ، والأصوار وهي قوة كان يبدو انها وقف على مكافحة الأناك . وهكذا احتذروا اليها كثيراً من العناصر اللاشعورية ، ولكن تلك القوة يمكن ان تستخدم شتاراً لأغراضهم وهكذا دفعوا بعض أفرادهم ، بموتهم ، إلى الهيئات الادارية لساتر الحركات . وهكذا مرعان ما عرضوا على مؤازرتهم ، دون ان يفكروا أبداً عن صبة حام غصهم خميمة ، على « اسطورة ديعول »

وكنيت في أريد ان يخدموا ، وليس ثمة قوات لا يجوز استخدامها في سبيل دحر العدو ، وكنيت أفقدت ان قواتهم ذات وزن كبير في يوم الحرب التي كان يفرضها الاحتلال ولكن ينبغي ان يخوضوا تلك الحرب كجزء من كل ، أي ان يخوضوها تحت لوائهم ، وذلك هو القول الفصل . وكنيت ، وأنا اعتمد دائماً على قوة الشعور الوطني والثقة التي أولاهما الجمهور ، مصمماً بكل قواي ، على إبلائهم مكانتهم في المقاومة الفرنسية ، فضلاً عن مكانتهم يوماً ما ، في إدارتها . بيد أنني كنت مصمماً كذلك على ألا اتركهم أبداً يربحون الشروط كلها ، ويتجاوزوني ، ويصنعون على رأس المقاومة . فالمأساة التي كان يدور حولها مصير الوطن قد تمت لهؤلاء الفرنسيين ، استعبدت عن الأمة بالحيف الذي كان يشيرون والاضلال الذي ساد بهم عن الجهاد الصحيحة ، فرصة تاريخية للعودة الى حضن الوحدة الوطنية ، وإن كانت عودتهم مدة الضال فقط . وكنيت أريد ان انصرف على نحو لا تصيح معه هذه الفرصة بحال ، أبداً . سيتاح اذن لأولئك الذين يقدمون حياتهم لفرنسا كيما كان ، واستى كان ، ان يتبعوا هذه المرة أيضاً ، لتحيي فرنسا ، في لحظة الموت ، إديس لجميع المبادئ ، وجميع المدارس ، وجميع التمردات في حركة العالم التي لا تنقطع ، سوى وقت واحد ، هالشيوعية ستقول ، ولكن فرنسا لن تزل . وأنا على يقين ان هذه ستعتمد كثيراً ، في مصيرها آخر لأمر ، على هذا الواقع ، ألا وهو انها لن تكون على الرغم من كل شيء ، سوى شعب واحد متكاتف ، عند تحررها ، هذا التحرر الذي سيكون لحظة حاسمة ولكن حاسمة في تاريخها .

وعلت في تشرين الاول ١٩٤١ بقدم جان مولا من فرنسا إلى لشبونة ، وأنه يسمى في السحاب الى لندن . وكنيت أعرف من هو ، وأعرف على الأخص ، أنه كان محافظاً الأور - واللوار ، حين دخل الالمان

بارتر ، وضرب مثلاً للمعاكفين في الحرم والكرامة ، وان العبد وزجه
، السجن بعد ان جرجره وعذبه وجرحه ، وأطلق سراحه أخيراً مع
عتذاراته ولحياته ، وان فيشي أعادته إلى منصبه ، غير انها أقصت من
مد . وكنت أعرف انه يريد ان يتقدم ، فكان ان طلبت الى المصالح
بريطانية ان تقود هذا الرجل الكفء الى إنكلترا . وكان علي ان
نتظر شهرين لتلبية طلبي ، والواقع ان « الاتلبيجانس » كان يجهد في
ضم مولان اليه ، وكان هو يطالب ، على العكس ، ان يوصلني إليّ ،
وقصصت عن طريق رسالة عاجلة بعثت بها الى السيد إيدن ، من
إبلاغ المسافر الامين ، مرلحماء . وسينالني من بعد هناك مكبير ، في
ثامن عودته الى فرنسا .

وكانت لي معه أحاديث طويلة خلال كلون الاول ، ذلك بأنه قام
بعديد الاتصالات ، قبل ان يذهب الى لندن ، مع كل واحدة من حركات
المقاومة ، وجس نبض أوساط سياسية واقتصادية ، وإدارة مختلفة ، من
جهة ثانية . وكان يعرف الصميد الذي أوى تسييره عليه ، بأدى ذي
يده ، وقد أبدى مقترحات واضحة ، وقدم طلبات دقيقة .

كان هذا الرجل لا يزال شاباً ، ولكن خبرته تكونت من خلال
تمرسه بالحياة العملية ، وهو يحول من الطينة نفسها التي تُجبل منها
أصل رفاقي ، إذ كان يفهم روحه هوى فرنسا ، وعلى اقتناع أن
« الديقولية » ليست بما يجب ان يكون أداة الكفاح وحسب ، بسبل
حرك كل تجده أيضاً ، وكان مشبعاً بالشعور ان الدولة تتجسد في فرنسا
الحرة ، متطلماً الى المتروحات الكبرى . ولكن كان أيضاً ملم بالحكم ،
يرى الاشياء والناس كما هي ، فكان يعد خطواته وهو يمشي على طريق
ملقومة بأثرارك الاعداء ، وعرق بالعراقيل التي يقيمها الاصدقاء . كان
على مولان ان يؤدي مهمة رئيسية خلال ثمانية عشر شهراً ، وهو رجل

الايمان والتدقيق في الحساب ، لا يشك في شيء ويحذر من كل شيء ،
أي كان رسولا ووريراً في آن واحد . وسيكون من أمره ان يقود
المقاومة في الوطن الام الى الوحدة العملية ، وهي التي لم يرقم منها بعد
سوى وحدة رمزية . ثم حدث ان خانته من خانته ، ووقع أسيراً ،
وعذبه عذاباً مكرراً هددو لا شرف له . ومات أخيراً في سبيل فرنسا ،
شأنه شأن كثير من الحثود الابرار الذين مكابدوا يجلد وتضحية مشقة
السرى ، حتى إذا انجلي الليل ، كانوا موضع حد وثاء في الصباح .

كنا قد اتفقتنا ، انا وجان مولان ، ان يعمل أولاً في حركات المنطقة
الجنوبية ، ليحصلهم على تشكيل منظمة مشتركة برئاسته ، رتبط مباشرة
بالجنة الوطنية ، وان يرصد اتحادها ، ويصدر الاوامر ، ويسوي
الخلافات الداخلية ، فاداً تم ذلك ينتقل الى المنطقة الشمالية ويجهد في
ان يشوه ، لجموعها ، مجلساً من المقاومة كلها التابعة لفرنسا الحاربة .
ولكن منذ كان المراد تنويع كل حركة أو فئة أو فرد في الوطن الام
يشارك في الكفاح ، بكيان عضوي واحد ، فقد انطرحت مسألتان :
قضية الاحزاب السياسية ، والقوات العسكرية في الداخل .

وحيث اني كنت مضيقاً بالصفة التمثيلية لا الادارية التي أودت ان
يتخذها ذلك المجلس الملل ، ولقيت سيتخذها فضلاً ، فاني لم اشأ ان
اسقط الاحزاب منه ، ولا كان في الامكان تجنب تمثيلها فيه . وكان من
رأبي ، في جانب آخر ، ان الولايات التي حلت بنا لم تكن من الاحزاب
بل من استشار هذه السلطات العامة وإساءة استعمالها مما عزز اوضاع
الانحطاط وانظمت . ثم امي ، وإن احتفظت لها بمكانتها ، لم اكن اعني
في الحاضر ان تستولي على المقاومة ، فهذه لم تستلم الروح الحزبية ولا
احماله بحال من الاحوال ، طالما ان الاحزاب جميعها ، خارت بلا استثناء
في اللحظة الحاسمة . إلا انها وقد صعدت امس حبال الكارثة ، اخذت

الآن نملك ، فإن بعضاً من عناصرها طُفقت ثميد تجمعها ، وإن انضوت
إلى حركات المقاومة ، في الأطر القديمة ، من جهة أخرى .

صحيح أنه لم يبق لديها جمهور تطلقه ، ولا الأعياب تمرس بها ،
ولا حقائق تساوم حولها ، فاعتقدت أو أظهرت الاعتقاد أنها رجعت إلى
المصادر البنية التي صدرت أصلاً عنها : إرادة العدالة الاجتماعية ، عبادة
التقاليد الوطنية ، الروح الملهاني ، الشعلة المسيحية . وبداء أن تخطيها
التواليبة لم تكن تريد شيئاً ، وقد ظهرت تطهيراً عبقياً ، إلا أن تقدم
الصراع إسهاماً مباشراً ، بنعثة هذه المرة أو تلك من نزعات الرأي
العام . وقد استعاد هذا ، من جهة أخرى ، حساسيته بعض الشيء ،
بمهارة هذه الجماعات المألوفة لديه ، بمقدار ما فكر لأخطائها واختلافه
لم يتوانوا أخيراً ، عن إيلاء انتباههم للمواقف التي كان يقفها رجال
الأحزاب . كانت هنالك إذن وقدنم لا أستطيع تجاهلها ، وأنا أنفي
الوحدة العربية . ولذا ، أوصيت مولان أن يدخل على المجلس أراد
إدماؤه ، في اليوم الموعد ، مندوبي الأحزاب إلى جانب مندوبي
الحركات .

وإذا كنت أحسب أي أستطيع هكذا إيجاد بعض الوحدة في
العمل السياسي في فرنسا ، فقد أردت ذلك عنه في العمل العسكري .
وهنا ، كانت الصعوبة تدور من الحركات نفسها التي رعمت ، وقد وجدت
زمرراً للقتال ، أن لها أن تحتفظ بها لذاتها . يضاف إلى ذلك ، أن
تلك الزمرر مما لم يكن له أن يكون إلا في عصابات صغيرة ، ناشئة
المناطق الجبلية ، أو المحمية على نحو أكيد . وكانت تلك العصابات
تظهر أبرز ما تظهر ، في محاريبي الأدعاء الدين فالتوا ، أكثر ما
تالتوا ، من عصاة منمردين كان عليهم أن يصمدوا في الميدان . والشكر
الحوري الوحيد الذي يلتظر منهم ، إنما كان حرب العصابات . ولكن

هذه يمكن أن تكون ذات فعالية كبرى فيه لو كانت أعمالها التفصيلية حرة من كل مترابط ، عظيم . فإذا تركنا شتات لمرور المختلفة تعمل بصورة مستقلة ، يصبح المتكامل عند ذلك ، أن ترتبط فيه ببعضها برابط مرن ولكن فعال ، يتصل في مباشرة . وهكذا ، يصبح في الإمكان أن يركز لها مجموعات من الأهداف تعمل على بلوغها ، في شكل خطط ترسم بالاتفاق مع القيادة الحليفة ، ويتم تنفيذها حسب الظروف ، وعندما تآلف على الأخص ، ساعة نزول الجيوش ، أخيراً ! وقد كانت مولان أن يسيطر الحركات نحو هذا التماسك الابتدائي بين عناصرها العسكرية . وكان يلزمه ، أن انتظر عدة أشهر لاستطيع أن أوجد قيادة للجيش السري ، في شخص الجنرال دبستران .

وقد أرسل جان مولان ملاحظة في الجيوب (الميدي) أثناء الليل من أول كانون الثاني (يناير) . وكان يحمل الأمر في إليه بمهمة ، وقد عينته مندوبي المنطقة غير المختصة من فرنسا الأمم ، وكلفته تأمين وحدة العمل بين عناصر المقاومة . وما كان لأحد أن يتأرجع في سلطته ، مبدئياً ، استناداً إلى ذلك الانتداب والتكليف . ولكن سيكون له أن يمارس سلطته وعلى أن أدمه . وتمّ التعمم كذلك أن يكون هو ، في فرنسا ، مركز محاوراتنا أولاً مع منطقة الجيوب ، ثم مع الشمال في اللحظة التي يصبح ذلك بها ممكناً ، وأن نوصع تحت تصرفه وسائل البث وأن يلتحق به معوضون بالمهات ، وأن يكون على طلاع بحركات الهبشات ، والعتاد ، والبريد التي تجري طماننا من انكسار إلى فرنسا وبالعكس ، وأن يتلقى أخيراً ويوزع الأموال التي نعت بها إلى مختلف الهبشات العامة في الوطن الأم . وهكذا أخذ مولان يمارس عمله ، وقد تحولت الصلاحيات .

وسرعان ما عهد قادة الحركات في المنطقة الجنوبية ، بوحى منه ،

يعززه ضغط القاعدة ، الى تشكيل فرع من مجلس قوى يرأسه مندوب اللجنة الوطنية . وأصدروا في آذار تصريحاً مشتركاً بعنوان . « كفاح واحد ، رئيس واحد » تمهدوا فيه بوحدة العمل ، وأعلنوا انهم يسبغون بالحركة تحت سلطة الجنرال ديفول . وطبق النظام بسود مختلف اللشاعات ، وبدأ الإعداد لصهر الحركات شبه عسكرية ، وراح مولان في الوقت نفسه ، ونحن ساعده ، يهر مفوضيته بمصالح مركزية .

وهكذا بدأت مصلحة « المصليات الجوية والبحرية » تتلقى من العقيد ديهران مباشرة ، المعلومات المتعلقة بذهاب الطائرات والسفن ، وإيها . وراحت الطائرات من طراز « ليرانديرر » او قاذفات القنابل ، يقودها طيارون مختصون يمثل هذه المناقب الجوية - أمثال نوران وليمري ليفل - تحط في الليالي المظلمة كل شهر ، فوق الأراضي المختارة . وراح رجال يمازفون كل مرة بمحياهم ، ليؤتموا إشارات استقبال المسافرين أو تبحيرهم مع الغد ، وحماية الأشياء والناس . وأغلب الأحيان ، كان المراد التقاط الهابطين بالظلال في نقاط معينة ، وإيواءهم ، ونسفيرهم . وكانت « مصلحة الرابع » التي بدأت « جوليت » بتنظيمها ، تقوم بأعمالها كذلك في ظل المندوب ، حارة بلندن وهي تغطي كل شهر مئات آلاف يات ومن بعد الآلاف ، تقتل بلا انقطاع محطات التي تتحررها أجهزة الأمن في لندن ، وتُسَدُّ ثغرات الحائز القاذحة التي نصيبها كلما هب عليها . وأوجد مولان أيضاً « مكتب الإعلام والمخافة » ، إدارة جورج بيدو الذي كان نطلعنا دوماً على الذهبية السائدة ، ولا سيما في اوساط الفكر ، والعمل الاجتماعي ، والسياسة . وكانت « اللجنة العامة للدروس » ، الملحق بالمندوب ، تعد المشاريع للمستقبل ، وفيها كان يعمل كل من « باسليد » ، لاكوست ، دي مانتون ، بارودي ، تيتجن ، كورغان ، وموريه . وكان « بلوك - لينه » يدير لحساب المندوبية ، عمليات

المال ويختزن الاموال التي يتلقاها من لندن . وهكذا ، كان مولان يقبض بيديه على مقاليد الامور الجهورية ، ويستمع الآخرون عملياً بسلطان حكومتنا . والشهود الذين قدموا من فرنسا في الشهور الاولى من عام ١٩٤٢ ، مدّونا بالأدلة على ذلك .

وكان ريمي احد أولئك الشهود . فقد جاء من باريس في إحدى ليالي شباط ، حاملاً معه لدوائرها أكدياً من الوثائق ، ولقرينتي شجرة أضافيا في إفاء فخاري اشترأها من شارع الرويال ، وكانت شبكته « أخوية السيدة » في ذروة نشاطها . لها من باخرة ألمانية عائمة كانت تقرب مثلاً من بريست ، لوربان ، فان ، روتشور ، لاروشيل ، بورديو ، أو تطلع منها دون ان تتلقى لندن برقية تعلمها بأمرها . وما من بليان يقيمه العدو على ساحل المانش أو الاطلنطي ، ولا سيا في قواعد الفواصات ، دون ان يكون مكانه وخطة العمل فيه قد عرفت لدينا ، في الحال . وكان ريمي ، هذا ذلك ، قد نظم اتصالات بمنهجة ، إما بشبكات اخرى ، وإما مع حركات المنطقة المحنة ، وإما مع الشيوعيين . وهؤلاء كانوا قد احتكوا به قبل سفره بقليل ، وكلفوه ان يقول لي انهم على استعداد لوضع انفسهم تحت إمرتي وإرسال مندوب عنهم ليضمروه تحت تصرفي .

وفي آذار ، جاء « بينو » أحد قادة « ليبراسيون - نور » (محرر الشمال) ورجل الثقة لدى النفايين ، وأقام ثلاثة أشهر عمل خلالها معنا ، مما كان جزيلاً النفع . وفي نيسان وصل إليّ « بويل دامتيه » وحبته مملأ بالمشاريع والحسابات ايضاً ، وقد رأيت من الصالح ان يذهب ، قبل عودته الى فرنسا ، في زيارة للولايات المتحدة ، وينقل اليها مباشرة بعض المعلومات الدقيقة عن المقاومة ، والنحو بنا من بعد « بروسوليت » ، وكان مخفياً بالأفكار ، يرتفع الى اعلى مستويات الفكر السياسي ، وهو

يدرك الهوة التي جردت بها فرنسا في أعماقها ، وما كان ينتظر النهوض إلا من « الديغولية » التي راح يبنينا في عقيدة ، وطقم يلهم علينا من الداخل ، ويوسع آفاقه المكرية . ثم وقع ذات يوم ، وهو يؤدي مهمة ، بين أيدي العدو ، ففضى بنفسه على نفسه خشبة أن يصف . وجاء « روك » أيضاً يحمل رسالات عدد من البرلمانيين ، وكان أن قبض عليه من بعد وقتل وأبحر بول سيمون بدوره ، أوفدته « المنظمة المدنية والمسكرية » من المنطقة المحتلة لبنشئ قواعد الارتباط معها ، وقد وضع فكره المتقد وعمره الرصين في خدمة القضية ، وأدى خدمات جيدة ، وقتل بيد العدو عشية التحرير . وأخيراً طلب فليب ، وشارل فالان ، و«ينو » ودانيال ماير ، وآخرون غيرهم الذهاب إلى لندن .

كانت محادثاتي مع هؤلاء الرجال ، ومعظمهم من الشباب الذين يتفقدون حياة في كفاحهم وطموحهم ، تعني على التبيين إلى أي مدى بلغ تزعزع النظام الذي كان يعيش فيه الشعب الفرنسي عند حلول الكارثة . والمقاومة لم تكن وثبة دفاعنا الهزبل المفرط في عراله وحسب ، وإنما انتفض معها أيضاً الأمل في التجديد ، وأصبح من المرجح أن تفيد كرفعة في تمييز حقيق النظام ، وبذل جهد وطني واسع ، شرط أن لا تفقد بسبب الانتصار . وكنت أفكر ، وأنا أشاهد قادتها يهرون أمامي وهم يقدمون قلبية لتدائي ، أن الذين يكون منهم على قيد الحياة ، يمكن أن يؤلفوا حولي الطمار الحاكم للقيام بمهمة إنسانية وفرنسية ، ضخمة . ولكن ذلك مشروط بأن يرتصوا بعد روال الخطر ، هذا الانتظام في العقول والمطامح الذي لا يفيد مدونه شيء ، وكان من شأنه أن جمعهم مرة وواحدة .

وقد آن الأوان ، على كل حال ، لأعلن من حقي ، الهدف الذي كنا نريد بلوغه ، بالاتفاق مع المقاومة كلها وباسمها . وذلك الهدف إنما

كان التحرير بكل معنى الكلمة ، أعني تحرير الإنسان ، بنسبة ما يعني
تحرير الوطن . وذلك ماقت به في شكل بيان أقر في اللجنة الوطنية
بعد أخذ رأي الحركات في فرنسا ، ورأي المندوبية . وقد صرحت
به ان الحرية ، والكرامة ، وحياء الأمن التي عزمنا على تحقيقها لفرنسا
في العالم ، عن طريق سحق العدو ، إنما نعي ان نعمل على نحو يستطيع
مع كل رجل وكل امرأة في ديارنا ان يحققوا تلك المعاني في حياتها ،
بتفسير النظام السيء الذي رفضه الكثيرون أدت إذن ، ذلك العهد
الأخلاقي ، الاجتماعي ، السياسي ، الاقتصادي ، الذي تهاوى في الهزيمة ،
كما أدت في الوقت نفسه ، هذا العهد الذي بدأ عن استسلام آثم ،
وأكدت ان الشعب الفرنسي إذا يتحد في سبيل النصر ، إنما يتجمع
في سبيل ثورة . ونشر البيان في ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٤٢ ، في
جميع الصحف السرية في المظفرات ، كما أديع من راديو برازافيل ،
وبغوت ، ولندن .

كانت أوصاع العمل هذه في الوطن الأم خاصة ، هي التي فرضت
علي ، خلال تلك الحقبة ، ان أبقي على مقر اللجنة الوطنية في لندن .
وكثيراً ما سطر لي ، مع ذلك ، ان اجعل في ارض فرنسية ، في
برازافيل مثلاً . وكانت تعاودي هذه الخاطرة ، على الأخص ، في كل
مرة تشب لنا امة في علاقاتنا مع انكلترا . بيد أي صغنت أحبيب
نفسى آنذاك . « كيف لي وأنا في أعماق افريقيا ، ان أتصل بالوطن ،
وان أسمع صوتي فيه ، وان أوتر في عمل المقاومة ؟ والامر في بريطانيا
المعظم على العكس من ذلك ، حيث نجد وسائل الاتصال والإعلام
المشودة ثم إن الجهد الدبلوماسي لدى الحكومات الحليفة يقتضي من
جهة أخرى ، علاقات واجواء تقدمها لنا العاصمة الانكليزية ، ويستفدها
بقينا ، على ضفاف نهر الكونغو . ومن وحي اخيراً ان احتفظ بالصلات

مع قواتنا التي لا تستطيع ان تجعل قواعدنا إلا في الجزر البريطانية ،
وكان ان ركزت مقرى في لندن بعد عودتي من الشرق ، وسأمكن
فيها حشرة اشهر .

وإني لأعبد النظر في حياتي ، خلال ذلك الزمن ، فيمكن القول إنها
كانت ملى . ولكي أوجز ، أذكر أنى كنت اسكن فندقى كولوت .
وقد استأجرت ، عدا ذلك ، أول الأمر في إيلزمبر من اشروبشاير ،
ثم في بركهامستد قرب العاصمة ، منزلاً ريفياً كنت أقضي به العطل
الاسبوعية بجانب قرينتي وابنتنا آن . وأقما من بعد ، في لندن ، حي
هامستيد . وراح فيليب ، على اثر انتهائه من المدرسة البحرية ، يطوف
البهار ويقاتل في الاطلنطي على ظهر السفينة الحربية « رورليس » ، ثم
في الماش كمساعد ريان لزورق نساب من طراز ٩٦ . وأقامت إليزابيت
تلميذة داخلية لدى « سيدات صهيون » ، وكانت تستعد لتأدية دراساتها
في أكسفورد . وكان الأهالي حولنا يحرصون على مظهر هو التصاطف
الودود . وبمقدار ما كانت التظاهرات حماسة حين أظهر أمام الجمهور
في موقف رسمي ، كان موقف الانكليز هو التحفظ واللفظ معاً حين
يشاهدوني مع ذوي في الشارع أسير ، او أغشى في حديقة ، او ألج
قاعة سينا . وهكذا أتبع لي ان اتحقق بنفسى ولا فيه جدوى لي ، ان
كل امرئ في ذلك الشعب العظيم ، يحترم حرية الآخرين .

وكننت أقضي النهار معظم الاحيان في « كارلتون غاردنز » . وهناك
كان كل من فرسوا كولى الذي أصبح رئيساً للديوان منذ ذهب كورسيل
يقود كوكبة من المصفحات في ليبيا ، وبيتوت رئيس اركابي العامة الذي
خلف « بيتي Pettit » في هذا المنصب ، حين ذهب في مهمة الى موسكو ،
كما خلف « اورتولي » الذي يقود « تريومفان » ، كانوا يقدمون لي التقارير
والرسائل والبرقيات . وهناك كان سوسليل يعرض لي انباء اليوم ،

وباسي - ديوافران يأتي بتقارير قرناً ، وشومات يتلقى توجيهاتي في شأن ما يذيع . وهناك كنت اضع مستويات القضايا مع المفوضين الوطنيين ورؤساء المصالح ، وأستقبل الزائرين او الاشخاص الذين أستدعيهم ، وأصدر الاوامر والتعليمات وأوقع المراسم . وغالباً ما كنت التقى شخصيات حليلة على مائدة العشاء ، ومائدة العشاء احياناً ، او فرنسيين كنت أودّ للتحديث اليهم . اما العمل المهم الذي كان بالنسبة لي كتابة الكلمات في مختلف المناسبات ، فكنت اقوم به في منزلي ، مساءً او يوم الاحد . كنت اجهد في جميع الاحوال ، ان لا اعرقل سير الاعمال في المصالح يحدول لاستعمال الوقت ، غير منتظم . وما كان لعمل ان يكون اثناء الليل في « كارلتون غاردنز » باستثناء مكتب الرموز (الشفرة) .

وكان علي ، من جهة اخرى ، ان اقوم بكثير من الزيارات خارج المكتب ، إذ كنت أذهب حين تسنح الفرصة ، الى احد مراكز الحياة الفرنسية في لندن ، عدا المحادثات مع الوزراء البريطانيين ، ومؤتمرات الاركان العامة ، والاحتفالات التي كانت تدعوني اليها الحكومة الانكليزية ، او هذه وتلك من حكومات حلفائنا . وكان « المعهد الفرنسي » الذي انضوي اليها بكل معنى الكلمة ، منذ النقيضة الاولى في شخص مديره البروفسور سورا ، كان يمد مواطنينا برسائل قطع قيمة ، ووسط ثنائي ناشط . واستمر « الأليانسي فرانسيز » في أداء عمله بحافز من « تيموان » والآسة تلمون . و« بيت معهد فرنسا » استمر كذلك الى ان دكته القنابل ذات مساء واهلكت مديره روبر كرو ، وفيه مكتبة تحسوي الوثائق التي تحتاج اليها مصالحنا . وكلت هناك « اصدقاء المتطوعين الفرنسيين » ، وهو تجمع يديره اللورد تيريل ، واللورد دي لاوا ، واللورد ليفور تشرشل ، ويتألف اكثر ما يتألف من بريطانيين ، وكانت

في اسكتلندا ، لجنة نفسيق فرنسا المحاربة ، ، يرثسها للورد إنفر كلايد ، وكان اعصاؤها يبدلون لمحاربينا عونا دكيا بقدر ما كان سغيا ولعلت « عرفة التجارة الفرنسية » دورها في المبادلات بين بريطانيا العظمى والأرمني لمنصة اثينا . وكان « مركز الترحيب بفرنسا الحرة » يستقل أولئك الذين يأتون من فرنسا ، و « المستشفى الفرنسي » يعالج عددا كبيرا من جرحانا . وكنت أهداف من مشاركتي في هذه المؤسسات متنوعة ، ان احمل التضامن الوطني وثيقا في اسكتلندا ، كما كنت احاول العمل نفسه في بلدان اخرى .

وكانت « جمعية فرنسي بريطانيا العظمى » تعيني في ذلك عونا فعالا . فهي التي نظمت على الاحصر ، بضعة اجتماعات كبيرة احشد فيها مديون وعسكريون ، وأثاحت لي شخصيا ، أن أنتقي جمهرة الفرنسيين ، وأثاحت للحضور ان يظهروا قناعاتهم وينضموا ها ، وللوطن الأم ان يسمع صرنا بهضل المدياع الذي كان ينقل خطب ووقائح الاستقالات . وكنت قد اوصحت من قبل ، في اول آذار (مارس) ١٩٤١ ، وفي كيمزواي هول ، رسالتنا ، وركبرت آمالنا ، امام الوف المستمعين . وبيتت علنا صيغة المارد الثلاث لباستنا في ١٥ تشرين الثاني على مسمع من الجمهور التي كانت تملا ردهة ألبرت هول الرحبية .

قلت بومذاك : « المادة الاولى ان تقوم بالحرب » اي ان نعطي الجهد الفرنسي في النزاع اوسع مدى واعظم قوة ممكنة ... ولكننا لا نقوم بهذا الجهد إلا تلبية لنداء فرنسا ، وفي خدمتها . ثم صرحت ، وأنا أدبر عهد ما قبل الحرب وعهد فيشي معا : « إننا نعتقد ان من الضروري ان ترتفع من احماق الأمة موجة هادرة تتدفق بالعافية وتكس عوامل التنكية وكل ما بُني على الاستسلام وقام فوقه . ولهذا ، فإن

المادة ٢ من سياستنا إنما هي أن نجعل الرأي للشعب في اللحظة التي تسمح له بها الطوائف أن يعتبر بحرية عما يريد وما لا يريد . . ورسمت أخيراً في المادة ٣ الأسس التي نرغب في أن نعطيها للأنظمة المتجددة في فرنسا ، وقلت : « هذه الأسس هي التي حددتها شعارات الفرنسيين الأحرار الثلاثة . نحن نقول : « شرف ووطن » ونعني بذلك أن الأمة لا تملك أن تعود إلى الحياة إلا بالنصر ، وأن تبقى على قيد الحياة إلا بالتمسك لمعظمتها الخاصة . نحن نقول : « حرية ، مساواة ، إخاء » لأن إرادتنا إنما هي أن نقى أعضاء للباديء الديمقراطية . نحن نقول : « تحرير » ، وذلك لأنه إذا كان لهذا أن لا ينتهي قبل هزيمة العدو ، فإن عليه أن يتخذ هدفاً له ، والنسبة لكل من الفرنسيين هذا الشرط ، ألا وهو أن يكون في إمكانه أن يحيا ويعمل بكرامة وأمان . .

وكان من الحضور ، يومذاك ، أن أظهر من التأثير ، وأثار من التصفيق عاصفة تراس دويتا إلى ما وراء النادي ، وأبعد من إطار ألبرت هول

كانت مثل هذه الاجتماعات مدرة . وعلى العكس منها ، كثيراً ما كنت أذهب لرؤية منظوعياً تحت ستار من القبطان بحولة ثقيشية عسكرية . وأصبحت قواتنا البرية ، والبحرية ، والجوية ، بالغا ما بلغت من الصالة والنشوة ، وعلى الرغم من أنها لم يكن في استطاعتنا أن نؤلمها ، إلا من قطع واحراء - أصبحت تشكل الآن حكايا متأسكا لا يقطع عن الاشتداد والتلاحم . وراحت خطة التنظيم التي حددتها لعام ١٩٤٢ لموضي الحربية والبحرية والجوية تنتقد كما رسمت . وقد تأكدت من ذلك خلال زيارتي للوحدات للقائفة في بريطانيا العظمى . وكان الناس آنذاك يعبرون عن تقديرهم وتعلقهم الذي لن يفتر أبداً ، لهذا الذي يدعونه شارل العظيم ، اد برويه عن كتب ، بنظراتهم ،

وموقفهم ، وحوادثهم في العمل .

ولم يكن لجيشنا الصغير الذي يحارب في إفريقيا والشرق سوى مراكز تعريب على الأرض الانكليزية . ولكن تلك المراكز كانت تعدّ قسماً كبيراً من الملاكات . وفي مسكر تشامبرلي قدّم له العقيد رينوار فوج القنصة ، ومجموعة المدفعية ، وكوكبة المصفحات ، ومفرزة الهندسة ، ووحدّة الاشارات ، وسها كان يتخرج كل ستة اشهر ، عددٌ من ذوي الرتب والاختصاص . وانتقلت الى رحبة المدفعية التي كانت تحت إمرة المقدم بوليه ، تهيه القائد الفرنسي المنقول الى بريطانيا العظمى على يد مصالح الجيش الاساسية لحملة الخروج ، او بالسفن الحربية القادمة من فرنسا ليام الفوز . وكانت ترسل الأسلحة والدخشاير وعربات النقل لتجديد تشكيلات جديدة ، مع القائد الجاهز ، إما عن طريق الانكليز حسب نصوص اتفاق ٧ آب ١٩٤٠ ، وإما عن طريق الاميركن حسب قانون الإعارة والتأجير . وكانت مفاوضات التنفيذ وتدبيره التي لتنفيذ تلك المهمة الصعبة ، تقع على عاتق مصلحة التسليح . وهذه كانت تديرها إدارة العقيد موران حتى اليوم الذي قضى به ذلك الضابط الممتاز لمحبه ، في الطائرة خلال قيامه بمهمة ثانية ، وخلفه المقدم هيرش . وفي لندن نفسها ، سكنت أحبي احياناً سربة المتطوعين الفرنسيين التي تولت مهمة السحب فيها الأنسة فيرّيه بعد السيدة ماتيو ، وكانت تشتمل على فتيات ماهرات كسافقات ، وممرضات ، وأمينات سر . سكنت أزور ، من وقت لآخر ، فتيان فرنسا الحرة ، في مايفرن ، ثم في ريبزفورد . وكنت قد انشأت مدرستهم عام ١٩٤٠ المخصصة للطلاب والمتخرجين الذين تعلوا في انكلترا . وما عتقنا حتى جعلنا منها معسكراً لمرشحي ضباط . وكان المقدم بودوان يدير مدرسة الفتيان . وقد تخرج منها خمس دورات بلغ مجموعها ٢١١ قائد فصبة او عصابة ، قتل منهم العدو ٥٢ . وما من شيء كان ينشئ رئيس الفرنسيين الاسرار ، مثل الاحتكاك

بأولئك الشبان ، زهرة الأمل تصاف الى مجد فرنسا الذي غشيه الظلام.

وعما كانت وحدات القوات البحرية المتمركزة في بريطانيا العظمى تقوم بتعلم عناصر محصنة للقتال في مكان آخر ، كان معظم قواتنا البحرية يشارك في معركة المواصلات ، انطلاقاً من موانئ إنكليرية الى الأطلسي ، والمانش ، وبحر الشمال ، والأوقيانوس المتجمد الشمالي . وكان كل شيء يفرض علينا لأداء ذلك ، أن نقيّد من القواعد الطبيعة . إذ لم يكن لدينا في الواقع ، أية وسيلة خاصة بنا ، في أي مكان ، لإصلاح سفنا ، وصيانتها ، وتجهيزها ، ولا كان في استطاعتنا ، من طريق أولى ، أن نزودها بوسائل جديدة : دفاع ضد الطائرات ، كاشعات البحار ، أسديك ، رادار ، إلح ... مما يقتضيه تطور الصراع . وأخيراً ، لا بد من الوحدة التقنية والتكثيفية للجهود المبذولة على مسرح العمليات البحرية الموسع الذي كانت تحتل منه اسكندرا مركز الصدارة .

وإذا كانت السفن التي نسلحها لنحضرنا برمتها أبداً كان مصدرها ، وإذا لم تكن ترفع علماً آخر سوى المثلث الألوان ، وإذا لم يكن للأركان العامة والبحارة من تدريب سوى التدريب الفرنسي ، وإذا لم يكن هؤلاء يقوموا بمهمات إلا بأمر من رؤسائهم ، وإذا كانت بحريتنا قد ظلت بقول مختصر ، وطنية خالصة ، فإننا لذلك كله قبلنا ، ما لم نحملنا بعض الأحداث على استخدامها مباشرة ، أن تكون جزءاً ، في استخدامها ، من مجموع العمل البحري الذي يقوم به البريطانيون . وكانت ، مع ذلك ، ضمن جهاز يشير الإعجاب بما أظهرت من كفاءة ، وانتظام ، وفعالية ، ينعكس على قيمتها الخاصة . وقدر الانكليز من جانبهم هذه المأزرة ، فقدموا للقوات البحرية الفرنسية الحرة عوناً مادياً كبيراً ، فكانت رسالتهم ومصلح بحريتهم تقفن في إصلاح سفنا

وإعدادها رغم الفروق في الناذج والأسلحة . وكانت البحرية البريطانية تروى بحريتنا بالأعتدة الحديدية التي تستخدمها ، دون تأخير . وكانت تقدم لنا امرك الحديثة من سفن وزوارق حربية ، ثم من مدمرات وبورج وغواصات ، فور صنعها . وإذا كان أسطولنا الصغير قد وفق إلى القيام بدوره والحفاظ على شرف السلاح الفرنسي فوق البحار ، فإن الفضل في ذلك يعود إلى معونة الخبراء وكفاءة بحارتنا .

وكنيت ألس ذلك في كل مرة أذهب بها لمشاهدة إحدى قطعته في غرينوك ، وبورتسموث ، وكاور ، ودارتموث . ونحن لم نسلح سوى ممرات صغيرة نظراً لطبيعة الصراع ، والملاك الضئيل الموضوع تحت تصرفنا . ولكن الجهد الذي يبذل على ظهر السفن القادمة لغربا الحرة ، كان يُدفع إلى أقصى حد ممكن .

كانت بطبيعة الحال تلك السفن القادمة من فرنسا التي سلحتها أولاً . ولم يبق في ربيع ١٩٤٢ ، من غواصاتنا الخمس الأولى سوى ثلاث هي : « روبي » و « ميتز » و « جون » وكانت تهاجم سفناً ، وتضع الألغام ، وتنزل فدائين في المياه النرويجية والدانمركية ، والفرنسية ، وكانت « غرافال » قد نُفِدت قرب مالطة في كانون الأول ١٩٤٠ . وغرقت « سوركوف » بقضبا وقضيصا في شباط ١٩٤٢ ، والنافتان المضادتان « ترومفان » و « ليوبار » والنافتان « ملبومين » و « بوكلييه » ظلت طيلة أشهر ، تراكب القوافل في الأوقيانوس والمانش . ثم ذهبت « ترومفان » إلى لاسيفيك ، و « ليوبار » إلى أفريقيا الجنوبية ، وكان أن قامت هذه من بعد بحماية جزيرة « الزيونيون » ساعة انضمامها ، وأخيراً غرقت أمام طبرق . وانتقلت « ملبومين » إلى بحر الشمال ، وتحولت « بوكلييه » إلى واحدة من سفن التدريب للدينيا . ورابطت ثلاث من سميرياتنا (سفن استكشاف) الخمس : « سالغورنيان » -

دي - برارٲا ، و ، كومنڊان ميبوك ، و ، كومنڊان مومبند ، في سواحل افريقيا . وكالت ، موكور ، تمين على حافة سفن الشحن في بحر ايرلندا . و ، شيفروي ، في اوقيانيا كالت تقوم بدوريات في توميا وضمت الى فرنسا الحرة في ٢٧ ايار ١٩٤٢ جزر ، واليس ، و ، فولونا ، . وهناك اثنان من كاسحات الاعلام : ، كوممر ، و ، لوسين - جان ، كالتا تلو مان يحملها الشاق عند مداخل الموانئ البريطانية ، وعشر قانصات خواصات اشتركن في قنطية سفن الشحن الحليفة بين الكورنواي والبادي كاليه . ولم يبق منهن سوى ثمان ، إذ غرق اثنتان . ووضعت ستة زوارق ناسفة في الخدمة ، ، بوليك ، أغرق أمام بلايموث في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٠ ، ، فيكنغ ، أغرق في ساحل طرابلس الغرب خلال نيسان ١٩٤٢ ، واستمر ، هايا ، و ، بريزيسدان هوندوس ، و ، دين دي فلو ، في حراسة البحار . أما ، ليوني ، فقد استخدم كستودع البحرية التجارية . والطراوة المساعدة ، كلب - دي - بلم ، تذرع البحر جيئة وذهابا بين سدي توميا . وثمة أربع عمارات قواعد : ، اوراغان ، ، آميان ، ، آرأس ، و ، ديليجانت ، تمّ ، الوحدة - البحرية ، في عرينوك ومستودع الأعنسة البحرية ، بير حكيم ، في بورنسموث حيث يتدرب بحارتنا . والمدرعة المنبقة ، كوربه ، مركز عبور للجندين الجدد ، ومجموعة محققات ، ومستودع ذخائر ومول ، وهي راسية في مرفأ بورنسموث تساعد بمدفعيتها حماية الميناء الكبير

وهناك عدد من عمارات أخرى زودنا بها الانكليز وكالت جزءاً من اسطولنا الصغير . وهذه قبل كل شيء ، سفن حربية بدبت منذ بداية الحرب لحانة القواغل ، وكالت تحرس البحار بلا انقطاع بين إنكلترا ، وإيسلندا ، وقير - نوف (الأرض الجديدة) وكندا ، وقد استلنا

منها ثلث : « أليس » أغرقت وهي تحارب في آذار ١٩٤٢ ،
 و « ميسوزا » أغرقت بعدها بثلاثة أشهر مع ريان البارجة بيدو آمر
 الفرقة الصغيرة . والسبع الباقية هي « آكوي » ، « لوبيليا » ،
 « روزليس » ، « ريتونكول » ، « كومنندان - ديتيبي - دورف »
 « كومنندان هروغو » و « كومنندان - ديتروايا » . وثمة أيضاً ثمانية
 زوارق غاسقة تابعة للأسطول الصغير الثامن والمشرين الذي كان يترك
 المانش بسرعة كبرى لمهاجمة سفن العدو الشاحنة التي تمحاذي ساحل فرنسا
 أثناء الليل ، وما يواكبها من سفن حربية . وهناك أيضاً ثمانية زوارق
 قاذفة تترك الأسطول الصغير المشرين ، وكانت تزارر زوارق المطاردة
 المصنوعة في فرنسا . وكنا نعدّ ، من جهة أخرى ، تسليم العبارات
 الجديدة إذ كان في عداد البوارج التي أخذت تخرج من الترسانات
 البريطانية ، عدة منها كان يقدمها لنا حلفاؤنا فور الانتهاء من صنعها .
 وقد احتفظنا منها بأربع ، هي : « لاديكولرت » ، « لافاستور » ،
 « لاسوربري » ، « لأكروا دي - لورين » . واحتفظنا أيضاً بالنسافة
 « لأكرمبانت » والفواصين : « كوري » و « دوريس » اللتين انتهى
 بناؤها . ونحن نريد الكثير منها ليزيد مجموع الفرصات ، وسفن
 الشحن ، ومراكبات المدر ، التي نوفق سفنا إلى إغراقها ، ثم ليزيد
 هذه الطائرات التي نوفق إلى إسقاطها . ولكن ليس هو النقص في
 السفن الذي يحدّ من دورنا وحجم تأثيرنا ، وإنما هي الحاجة إلى
 الأشخاص الذين يقومون بهذه المهام الحربية .

لقد هلك خلال حزيران ١٩٤٢ في سبيل فرنسا ٧٠٠ بحار من أنصار
 فرنسا الحرة . وكان عدد قواتنا البحرية ٣٦٠٠ بحار عمالين ، يضاف
 إليهم طوج الرماة الذي يفوقه آميو فانجيل منذ مات ديتروايا في ساحة
 الشرف ، كما يضاف إليها أفراد منزليون يطمون ل سلاح الطيران البحري ،

ولم الذين لم يكن في وسعهم أن يؤلفوا وحدة ، فعمدوا إلى الخدمة في القوات الجوية . وأخيراً ، يضاف إليها « الكوماندوس » الذين تلقوا دروسهم في بريطانيا العظمى تحت إمرة الملازم البحري كيغر . وقد سويت في شهر أيار شروط استخدام هذه القوة من الجود لأشدها ، مع الأميرال القورد مونتباتن المكلف لدى الاسكندر ، « العمليات المختلطة » . وهكذا ، سيكون من تلك القوة أن تشترك قريباً في المهجمات المباغتة التي تجري على الساحل الفرنسي .

لقد اجتذبت هذه الملاكات ، في نصمها ، من عناصر البحرية التي وجدت في اسكندرا عام ١٩٤٠ ، وانضم إليها بعضها في الغابون والشرق بعد أن قائلتنا . وكذلك كان الشأن مع بونية المراساة « أجاكس » التي أحرقت في مياه دكار ، والمراساة « بومبليه » التي « خرفت » وخرقت في مياه بور - جاتي ، وحفينة « بوعفيل » التي عطلتها عن العمل في مرغا ليبرفيل . وهناك بعض عناصر ناشطة كانت تنضم إلينا من وقت لآخر ، انطلاقاً من الوطن الأم ، من أفريقيا الشمالية ، من الاسكندرية ، من حزر الأنيليل ، والشرق الأقصى . وكانت البحرية نجند كل من تستطيع تجييده من الشاب المرشدين في اسكندرا ، وأمريكا ، والشرق ، ومصر ، وسان - بير . وكانت السفن التجارية أخيراً ، تزود القوات البحرية بقسم كبير من ميثاتها العامة .

وكان تشكيل « اركان عامة من السفن أعسر » مشكلة ثنائياً مفوضية البحرية ، إذ ينبغي تشكيلها من عناصر جد متنوعة إن لم تكن مشتتة ، مع عدم التقيد بقواعد التخصص . ولم يكن لدينا سوى القليل من ضباط الاختصاص العاملين ، فأخذنا في تدريب شباب منهم وتدريبهم وراحت مدرسة فرنسا الحرة البحرية ، تقوم بعملها ، بشكل ناشط ، على ظهر السفينة « بريريدان - تيودور - فيليب » والممارتين « إيتوال » و « بيل

بول ، تحت إمرة نقيبى البارجة فينزل و « غيرال » المتقدمين الذين ثماقبا على قيادة « فرقة المدارس » . وقد تخرج منها في أربع دورات ٨٠ مرشح ضابط ، قدموا للبحرية الفرنسية مواهبهم المصقولة ، منذ انخرطوا فيها ، بما كابدوا من عناء ، وكعاج ، ورجاء . ثم ان ضباط الاحتياط الذين عثرتا عليهم ، من جهة أخرى ، في الفس التجارية ، أو في هيئة قناة السويس ، شكلوا جزءاً كبيراً من ملاكات قواتنا البحرية . واستطاع مائتا مرشح ضابط ، « جندوا بهذه الطريقة ان يشكلوا على متون لوارج ، والسفن الحربية ، وسفن المطاردة ، وروارق الصيد ، وقوارب الإنزال ، خدمة صابرة ، في مجموعهم ، طيلة اكثر من مليون ساعة .

وعلى الرغم من هذه الاقتطاعات ، ظل الجزء الضئيل من الأسطول التجاري الفرنسي الذي كان يخدم في معسكر الحلفاء ، يقدم لقوفل هؤلاء عوفاً كبيراً ، وظلت ١٧٠ سفينة تقدر حولتها بـ ٧٠٠ ٠٠٠ طن تنافع الجهور الحربي بعد « الهدن » ، من أصل ما يبلغ حوكة ٢ ٧٠٠ ٠٠٠ طن - أي ما يعادل ٦٦٠ ماحرة وسفينة شاحنة - كانت تملكها فرنسا في بداية الصراع . وكانت مصلحة بحريتنا التجارية التي أدارها مالغليف وبنحن ، ومن بعد سميرس وأندوس - فارير ، تؤمن التصالح على أبدي نوبة فرنسيين لأكثر عدد ممكن من السفن . وكلوا يقيدون ، عدا ذلك ، في استخدام السفن الأخرى التي يتولى البريطانيون أمرها . وكان عمّ الأونيون جاك يرفرف ، آنذاك ، إلى جانب العلم المثلث الألوان في مقدمة هاتيك البواخر النمية أو في أعالي ساريتها . وقد زودت بالأسلحة ، مع ذلك ، ٦٧ سفينة يبلغ مجموع حولتها ٢٠٠ ٠٠٠ ، هلك منها في البحر أكثر من الربع خلال ربيع ١٩٤٢ .

كانت البواخر تنقل جنوداً ، وهكذا جيء بالنجيدات البريطانية من

أستراليا والهند إلى الشرق على ظهر النواحر : « إيل - دي - فرانس » و « فليكس - روسيل » ، و « بريزبان - بول - دومر » . وكانت سفن الشحن المحملة بالمواد الأولية ، والأسلحة ، والذخائر ، تمخر عادة مع القوافل . وكان بعضها يضطر أحياناً إلى عبور الأدقياس وحده . وما كان لمدينة « في البحرية التجارية » أن تصل إلى ميناء إلا لتقطع منه وتعرض خلال رسوئها ، مع ذلك ، لنصف مفاجيء ، وفي عرض البحر كانت الخدمة للبحرية مرهقة بمقدار ما هي خطيرة ، إذ يجب على القائدين بها أن يسهروا ليلاً نهاراً ، ويتقيدوا تقليداً دقيقاً بالآشارات والعلامات ، ويسرعوا بلا انقطاع ، إلى مواقع التأهب . وعليهم ، أغلب الأحيان ، أن يقائوا ، ويطلقوا المدفع ، ويقوموا بمناورات لدى كارثة ما تحدث للطوربيد أو الغنبة . ويحدث أن تفرق السفينة ، ويجد راكمها نفسه ، وهو يتخبط في الماء الصقيع والموت بالريوت حيث يشاهد الرفق من حوله بفرقون . ويحدث أحياناً أن يشمر المرء بالفرج الرهيب وهو يشهد سقوط قاذبه فذبل أو ساط الماروت يضطرب ، وتحتة تفرق غواصة العدو ، بل يحدث أن يكون البعاز نفسه سبياً في إغراق غواصة ، حتى وإن كانت في سفينة شحن ، كما جرى لـ « فور - بنجر » الذي قذف إلى قساع البحر ، بحر تير برف ، في أيار (مايو) ١٩١٢ ، غواصة ألمانية .

وفي ذات يوم ، قادني الأميرال السير برسي فوبل الذي كان يسدير الملاحه والمركبة من ليفربول ، في ميدان الأطلنطي برصنه ، إلى غرفة العمليات تحت الأرض . قرأيت على حدرانها خرائط بحرية كبيرة ، تدل على الموقف الذي قف فيه ، ساعة ساعة ، جميع القوافل الحليفة ، وجميع السفن الحرسية ، وجميع الضائرات الموقدة في مهابات ، كما تدل على اندفاع المين أو المفترض للعواصات والطائرات ، والمفيزات الألمانية . وهناك محطة تلفون مركزية (سنترال) تربطها خطوط سخرجية ، بمحطات

الراديو ، ومكاتب الشيفرة ، تقوم على خدمتها ورش سائية بكل هدوء ، من مرتبات ، ومخبرات ، وحاجيات وهذه الورش لتقل من غير ضجة الأوامر ، والرسائل ، والتعليمات التي توجهها القيادة الى أقاصي البحر ، أو تلك التي تنطلقا منها . وكل ذلك يرتسم ، كلما ورد ، أو صدر ، على ألواح مصيئة . وهكذا تحطط معركة المخابرات الجارية ، وتصاغ في كل لحظة ، بجميع التقلبات والأدوار التي تمر بها .

ورحت أحدث في الحرائط لأنين أين هي معنا ، بعد ان قلبت من المجموع . وقد رأيتها في الأمكنة الصالحة ، أي في تلك التي تحتاج الى الكفاءة والبراعة . وما هي تحية رئيس فرنسا الحرة لتسليم حيث هم ، على جناح الأثير . غير أي ، وقد حسبت على الأثر ، مدى مساهمة عليه عدهم والجهد الذي يمثلون ، من الصالة ، وكيف ان هذا الجزء يذوب في جهاز أجسي ، وتصورت الحسن الصائفة هناك في حلولون ، في الدار البيضاء ، في الاسكندرية ، في فور - دي - فوانس ، في دكار ، وقد أصابها الجود ، وتمثلت الفرصة التاريخية التي أتاحتها هذه الحرب لرسالة فرنسا البحرية ، فأحسست بالكآبة تغربي . وصعدت درج الملجأ القديم تحت الارض بخطى ثقيلة .

وكان يحامر كبريائي شعور كهذا ، حين كنت أنسل بطيارينا على هذه أو تلك من القواعد البريطانية ، فكنت وأنا أشاهد مقدار مساهمة يشارون به ، وأفكر في كل ما كان يوسع سلاح الجو الفرنسي ان يقوم به انطلاقاً من أفريقيا الشمالية ، من المشرق أو من اسكتلندا ، فيالو لولا له ان يفتن قلباً ، فأحس ان فرصة قومية كبرى ضاعت ويبدو تدبيراً . غير اني لم ألو جهداً في ان أعمل افضل ما يُعمل ، بحيث يكون جهد أولئك الذين اتبعوني مبدولاً في سبيل فرنسا . واذا كنت طامحاً قد رصيت ان يكون كل ما بطير ، في قواقتنا ، انطلاقاً من قواعد

بريطانيا العظمى ، على طائرات يزودها بها الانكليز ، بشكل جزءاً من
جهاز الجو البريطاني ، فإنما أردت ان بشكل محاربوا في الجو ، هم
ايضاً ، عنصرأ وطنياً .

وذلك لم يكن من غير عناء ، وإن حلفاءنا لم يكثرثوا ، أول الامر ،
بطيران فرسي حر . فهم ، وقد ملكوا أقرب الطرق واكثرها عملية ،
راحوا يتقلدون في وحداتهم بمصاً من طيارينا . ولكنهم لم يقدموا لنا
شيئاً سوى دمج منطوعينا من الصيارب في سلاح الجو الملكي . وما كان
في استطاع ان أقل ذلك . ثم إن مصر دوتنا ظل طيلة نحو من
عام ، غير عدد . فهناك النقص مهم ، تجمع اتفاقاً في اسراب فرنسية
ونمكن من المساعدة في معارك أرتريا وليبيا الحوية . وهناك آخرون
قتلهم « أسراب » انكليزية موقناً ، وأسهموا في معركة إنكلترا ، ولكن
معظمهم أضاع وقته مدى ، وهو ينتظر بلا عمل في قواعد بريطانيا العظمى
او مصر ، لنقص في العناد ، والتنظيم والتدريب .

ومع ذلك ، وضع لهذه المشكلة بدورها ، حل . ففي ربيع ١٩٤١
استطعت ان أسوي الأمور مبدئياً مع السير أرشيولد سكلر ، وزير الجو
البريطاني . فقد رأى هذا ، وكن قطعاً وسخياً ، ان وجود قوة حوية
فرنسية لا يمكن ان يكون بلا فائدة . وقبل ، كما طلبت ، ان تشكل
وحدات ، من نوع المجموعات البريطانية ، على مثال « الاسراب »
(اسكوادرون) ، والبريطانيون بميوسا ما يفتت من فصيل على
الارض ، ويقومون في مدارسهم بتعليم مبدئياً للطيران ، وطيارونا
العائضون يؤدون خدمتهم في الوحدات الانكليزية ، على ان يكون شأنهم
فيها شأن للعصاة العربيين المتدربين ، حاضرين للنظام الفرنسي ، بل هو
اللباس الفرنسي . وفي ٨ حزيران (يونيو) ١٩٤١ ، كتبت للسير
أرشيولد من القاهرة ، أكرس الاتفاق الذي وضعه العقيد فالان على

هذه الاسس أثناء المفاوضات . ومنذ ذلك الحين ، كان فالان يلقي عند التنفيذ ، تأييداً مستمراً من قبل عارشات الجو : بورغال في لندن ، ولونفمور ، ثم تيدر في الشرق .

وهكذا استطعنا ان نقدر في إنكلترا ، عند نهاية ١٩١١ جناح المطاردة « إيل - دي - فرانس » ، وكان يفوده سيبيلو الذي هبط في فرنسا ، وقد عاد من بعد ، وخطفه دوبريه وتشكل في مصر غداة معركة سوريا ، جناح المطاردة « الزاس » الذي قاتل أولاً في ليبيا تحت إمرة دي بوليفن ، وانتقل من ثمة الى بريطانيا العظمى حيث قام على رأسه موشوت ، وكان ان قتل هذا على يد العدو في السنة التالية . وولد جناح القصف « لورير » في الشرق تحت إمرة بيجو ، وهذا أصابته نار العدو بعد بضعة أسابيع ، وكانت قد توغل داخل خطوطه ، ولكن تمكن من بلوغ خطوطنا ، وفشى نومه فيها . وحل كورنيغليون مولينيه محله . وتألف الجناح المختلط « بريتايبا » في تشاد لمساندة عملياتنا الصحراوية ، وكان سان - بيرو رئيسه . وفي ربيع ١٩١٢ تجمعت في لندن من جهة ، ورياق من جهة اخرى ، تلك العناصر التي ستشكل في روسيا الجناح - ثم الفوج - « فورماندي » وتولى رئاسته على التوالي تولسان ، وليتولف ، وبعد موتها تولاهما برباد . واخيراً وضع بعض طيارينا ، بأمر مني ، تحت تصرف السلاح الجوي الملكي . وكان مورليه وفابول ، وغدج ، يقومون في ذلك السلاح « اسرابا » . والاخيران قتلا أثناء الخدمة . والمجد في معارك الجو ، يكلف غالباً . وقد خسر الطيران الفرنسي الحر ، جملة ، عدداً من لاموات اكبر ضامين من الملاك العسكري الذي كان يساهم في البر .

واذا كانت النجمة العالمية للحرب هي التي حتمت على ، مع ذلك ، ان اتصرف على نحو تظهر معه قوات فرنسية مجندة فوق مساح

العمليات الحربية جميعها ، فقد بذلت كل ما في وسعي لحصر الجهد الأكبر فوق الميدان الذي هم فرنسا مباشرة ، أكثر من غيره ، اعني أفريقيا الشمالية . هذا نلأشى الحش الإيطالي في الحشة ، وُضع الألمان من النفاذ إلى سوريا ، وقصي على تطلبات فيشي وهي في المهد ، بالعمل ضد أفريقيا لفرنسية الحرة ، يصبح من اللازم ان نعمل في ليبيا .

كان البريطانيون قد أعادوا الكرة ، وبأدروا فيها بالهجوم خلال تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ . فإذا هم وُفقوا إلى بلوغ الحدود التونسية ، يصبح من الضروري ان يكون معهم هناك ، وأعنتا صبقاً على دحر العدو . وإذا حدث العكس ، وتمكن هذا من صدّهم وأكبرهم على التراجع ، كان علينا ان نعمل كل ما في وسعنا لوقفه قبل ان تندفع حشوده وتعمر أرض مصر . وعلى أي حال ، حان الوقت لبذل أقصى ما نستطيع من جهد ، ولكن على ان نقوم بدورنا لأنفسنا ، كي نحقق ظفراً فرنسياً خالصاً .

وكان لدينا وسيلتان للعمل : إما ان ندفع نحو فزان اصلاًفاً من تشاد ، ذلك الرتل الصحراوي الذي بذل لوكبير رمزاً طويلاً في إعدادة ، وإما ان نخوض ميدان ليبيا ، إلى جانب الانكليز ، بتلك القوات المتحركة التي وضعها لآرمينا في المشرق على أهبة الاستعداد . ففكرت ان استخدم الوصيلتين ، ولكن ضمن ظروف يكون معها عمل جنودنا لفائدة فرنسا ، المباشرة .

كان فتح فزان ، والزحف من ثمة على طرابلس ، يشكلان عملية مجازفة نهائية ، فإذا هي لم تكمل فالتجّاح ، لم يعد في الامكان تكمولها إلا بعد زمن طويل ، نظراً للصعاب الجسيمة التي ينطوي عليها تشكيل رتل تشاد ، ولجهيزه ، وقوته . كان لهذا الرتل إذن ان يتوقل في

تلك المنطقة ، في حالة واحدة ، وهي حين يدخل البريطانيون طرابلس
المغرب ، بعد ان يستولوا على برقة ، وإلا فليحصر عملهم في إهلاك الطليان
بغارات عميفة وخاطفة .

ركنت مصنفاً ، من جهة اخرى ، على ان تطل د حصة نشاد ،
- هذا إذا كان في الامكان إطلاق هذه الصفة على مجموعة اعمال كانت
قسراً متقطعة . جهة فرنسية . ولا شك في ان انطلاق عمل الصحراوي
يجب ان يرتبط برحف الجيش الثامن البريطاني . وتلك قصبة ترتبط مع
القاهرة . ولكن ، ما عدا ذلك ، يستمر لوكير في اتساعه ولا ينحصر
إلا لي ، ان ان يأتي اليوم الذي يلتقي فيه مع حلفائه على سواحل
المتوسط ، وعند ذلك ، يصبح من المطلق وضعه تحت إمرتهم . وكان
تشبهي بهذا الاستقلال الذاتي يزداد مقدار ما كان فتح فران يصح في
أيدبها رهأ لتقرير مصير ليبيا ، تقريراً نهائياً ، من بعد .

وكان ان نفذ البريطانيون الى برقة ، خلال تشرين الثاني وكالوب
الاول ، بعد ان قاتلوا بعثة قتالا شاقاً . وتخذ لوكير استعداداته ،
محسباً لتدخلهم في طرابلس ، للدفاع نحو فزان ، يسانده الجنرال سير
الذي كان يرمز ذلك القائد الاعلى للقوات الفرنسية الحرة في افريقيا .
وكنت إزاء هذه التحركات ، أنحطت بتناؤلي ، قائلاً أعلم ان رومل
استطاع ان يتغلب من النطاق الذي ضربه الانكليز حوله ، وان فيمان
استدعي من افريقيا الشمالية ، وان تطبق اتفاق هتلر - دارلان يتبع
الآن للمدو ان يتمون انطلاقاً من تونس ، ثم لم أسقط من حسابي تقدم
الحلفاء السريع نحو طرابلس . وكان يبدو لي ، حلال ما هو ظاهر ،
ان هجوماً حاكماً يقوم به العدو ، هو المحتمل اكثر من غيره . ولذلك ،
تحفظت في إصدار أمر بالبدء في الهجوم ، وإن وكنت الاعداد له يجري
في مجراه . ومنذ كانت بعثة الارتباط التي ارسلها لوكير الى القاهرة ،

من جهة أخرى ، تركت معها قصصاً للقيادة البريطانية ، فقد أوضحت
للجنرال إرماني أن شيئاً من ذلك لن يكون ، وقوّمت الأعوجاج الذي
طرا على ذهنية و الفكريين ، ، يجب أن يكون في هذا الصدد .

والواقع أن حلفاءنا لم يدخلوا طرابلس الغرب وكانت الأشهر الأولى
من عام ١٩٤٢ فترة استقرار للمصريين المتعاضدين ، فلم يكن يتناسب
قواتنا في تشاد ، إلا أن تقوم بعربات كثر ومرت . وكان لوكبير يتحرك
لشباب ، فأدت له بها في شط (عبر) . وقام بها ، قاطعاً مزان
خلال آذار ، مع دورياته المقاتلة تساند مدثراته مدمراً عدة مراكم
للعدو ، وأمرأ عدداً كبيراً من جنوده ، مشوباً على كمية من غذائه ثم
عاد إلى قواعدهم ، ولم يتكبد سوى خسائر طفيفة . ورغبة مني في
توسيع منطقة العمل ووسائله أمام هذا الرئيس الكعبي ، فقد سلمته في
بيسان قيادة جميع القوات في عريد الغربية الطرة . وكان عليّ هذه
المرّة أيضاً ، أن أطلب على عودتي لأحيط بالنواصب . وراح يشعر
هو وجنوده بالثقة بعد ذلك اليوم وما قلاء ، أنهم قادرون على ترواع
الواحات ، ما قامت الأحداث في ليبيا تجري حتماً في مصلحتهم . وكان
عليهم أن يلتظروا ، مع ذلك ، عشرة أشهر طويلة ، في جو حار
شديد الحرارة ، فوق الحصاه والرمال ، قبل أنأكد من الظفر ، والانتقال
إلى شطآن المتوسط حيث ينفضون عنهم الغبار الذي غلق بهم

ولكن ، بينما كان علينا في تشاد من مؤجل الصربة الحاسمة ، وجدنا
في برقة الموقف على العكس ، حيث كانت القرصة التي انتظرونها منذ
ومن طوول لعمل حربي مجيد ، متاحة أمامنا . ومع ذلك ، فوجب
علينا أن نتعلم على كثير من العوائق قبل أن نحصل على موافقة الحلفاء
بأن نحوض ذلك الميدان ، وحدات فرنسية كبيرة .

والواقع ، أن القيادة البريطانية لم "تخط" علماً بأن الفرقتين الخفيفتين

والسرية المصغرة التي شكلت في سوريا تحت إمرة لارمينا على استعداد للمشاركة في الهجوم الذي شنّ في آخر تشرين الاول . ومع ذلك ، فإن الوحدات الكبيرتين كانتا متينتين ومسلحتين تسليحاً حسناً . كانت كل واحدة منها مجهزة ، تشمل على خة اقواج مشاة ، وفيلق مدفعية ، وسرية دفاع مضاد للطائرات ، وسرية دفاع ضد الطائرات ، ومفرزة استطلاع ، وسرية هندسة ، ورجلة هندسية ، وسرية اشارات ، وسرية نقل ، وسرية قيادة عامة ، ومصالح . هذه الوحدات تشمل على جميع الاسلحة ، وبهذا نفسه ، قادرة على القيام بدور تكتيكي خاص ، فكانت فرقاً عسكرية بالمعنى الصحيح . وقد حرصتُ ، وان كانت « خفيفة » بكن تأكيد ، على إعطائها القلب الذي نستحق . وقد زوّد لارمينا بجميع القطع العسكرية سلاح رهيب انتزعه من الاسلحة التي تركها « بلز » او من الحارون التي أودعتها إياها لجان الهدنة الايطالية ، فكان منطوعون يحملونها متحمسين ، متعنين ، وهم يشعرون اهم اقدر من في العالم على استخدامها . وهكذا ، اصبح لكل فوج ، هذا مدفعية الفرقة ، ستة مدافع من عيار ٧٥ تحت تصرفه الخاص ، كما زوّد ايضاً بمدد وافر من مدافع الحارون والاسلحة الاوتوماتيكية . ويلبني في حالة الهجوم ، تخفيف أحمال القوات ، عند الاقتضاء ، ولكن كان المراد الاحتفاظ بالبدان ، فوضع تحت تصرف أولئك الجيود اسلحة ذات قوة استثنائية الى أبعد مدى .

ومذ كنت رافقت في ٣٠ أيلول ، على تشكيل الفرقتين الخفيفتين ، فقد وجهت للسيد تشرشل في ٧ تشرين الاول مذكرة اطلعه فيها على رغباتنا ووسائلنا ، وكنت في الوقت نفسه لجنرال اوكلوك القائد الأعلى في الشرق ، أدكره بمدى نشوقنا الى اشتراك قواتنا في خوض ميدان ليبيا للقتال . وبقيت للسيد تشرشل والجنرال اوكلوك بدقة ،

أني مستعد في سبيل هذه العمليات ، لأن اصع تحت إمرة القيادة البريطانية حشود لارمينيا برمتها ، وأن لوكليو ، من جهة ثانية ، يستطيع أن يشدع عن قران في الموعد الذي يطلب اليها لرحله ، وإن ظل عمل هذا الأخير مستقلا . وفي ٩ تشرين الأول ، ذهبت المفاسة السيد مارغستون وزير الحربية البريطانية ورجوته أن يتدخل ، وبينت أخيراً للجنرال كاترو في ٣٠ تشرين الأول ، الأحوال التي تناسب قواتنا أن تخوض بها المعركة ، أي بوحداث كبيرة .

ولم أتلو الجواب البريطاني إلا في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) . وقد وجهته إلي الجنرال إرماني رئيس الأركان العامة لوزارة الحرب ، والسيد تشرشل . وكانت رسالته قواري ، منها عدم اخذ العلم ، ولكن بأدب وصراحة . وقد رعم حلها ، تفسيراً منهم لرفضه فشلت الوحدات المصرية في نقاط شتى من سوريا ، وأنها لم تكن مدربة على العمل بوصفها فرقا أو ألوية ، وأخيراً عدم كفاية تجهيزها . وأعربوا ، مع ذلك ، عن تمنياتهم أن يسمح المستقبل بإعادة النظر في الأمر .

الأكيد أن القيادة الاسكليزية كانت تحسب أن تنهي غزو ليبيا والفضاء على رومل دون مؤاررة المصريين . صحيح انه كان لديها ، في ذلك الموقع ، قوات برية وجوية عظيمة ، وأنها كانت تعتقد أن يوسع الاميرال اندرو كسغهام - وهو رئيس وبحار ممتاز - ان يخرج أكثر من صعبة ، ويمنع مواصلات العدو بين إيطاليا وطرابلس الغرب .

لك أن تتصور أي خيبة أمل أحدثها في نفسي الجواب الاسكليزي . ولم يك في مستطاعي التسليم بأن تظل قواتنا شاكية السلاح لأمد غير محدود ، بينما كان مصير العالم يتقلب في ساحات القتال ، ففضلت ان اجارف بتفسير للالتجاء ، على ان يأتي القدر ويسيرنا في اتجاهه ، واستدعيت السيد بوغومولوف ورجوته ان يعلم حكومته ان اللجنة الوطنية ترغب

في ١٨ شباط بعض القوات العرسية مباشرة في عمليات الخلاء على الجهة الشرقية ، إذ طُل مخرج العمليات في أفريقيا الشمالية موصداً بوابه درها . ثم لم أحمر الطبع شيئاً من خطوتي هذه ، عن لندن . ولكن نبات بریطانيا محركات . حتى قبل ان يردني جواب موسكو ، إذ كتب إلي السيد تشرشل في ٧ كانون الاول رسالة حارة يقسول لي . و إنه علم مؤخرأ مدى تلف الخنزير أوكلك لتحييد لواء فرسي حراً في عمليات برقة . و يضيف الوزير الاول : أنا أعرف ان هذه الية لتسجم و رعتك . و أعرف أيضاً ان أي درجة يتعجل رجالك بلوح الميدان الذي يقتلون فيه الالمان .

أحبت السيد تشرشل أبي موافق على المشروع وأسي وجهت الأوامر اللازمة للجنرال كارو . والواقع ان الاسكلير راحوا يقدرون الفسائدة العسكرية التي تعود من مؤاررتنا في معركة برقة ، بصرف النظر عن امكارة التي يستنها فهم احتمال نقل القوات الفرنسية الحرة الى روسيا . وقد لمسوا عملاً ان اللمدو لا يتحلى عن الارض في برقة إلا شبراً شبراً ، وان قواتهم الخاصة تتكبد خسائر فادحة ، وان عليهم ان يعيدوا في الموقع نفسه ، تنظيم قيادة ساء تكيثها مع العمليات الآلية . فهم الآن ينتظرون ، وقد تحمروا عن الاندفاع في هجومهم على طرابلس الغرب ، ان يسرع رومل في أخذ المبادرة . وهذا ما حلمهم على التهي بأن غدا لهم يد المساعدة .

وكان أن رتب كارو في القاهرة مع أوكلك تسير الفرقة الأولى الخفيفة نحو ليبيا ، وحصل كوينغ الذي ركل إليه التعاوض في التفصيلات ، من حلفائنا على قوائد إضافية تتعلق بالمدايح المضادة للدبابات ، والمضادة للطائرات ، ووسائل النقل . وكان لهذه الفرقة ، خيلاً كالون الثاني بضمة اشتباكات مظفرة مع عناصر تابعة لرومل طوقت في سلوم وبرديا ،

وامتثلت بعد قليل من تطويقها . وحيز أصبحت قواتنا موكب الأسرى
 الألمان التي أعادت في أسرهم ، عرتها رعشة كما لو صبا سلك كهربائي ،
 فقد أخذت تسير بفرح في اتجاه العرب . ومنذ كان الأسكندر قد ذكروا
 قواتهم الرئيسية ، خلال شاطئ (فبراير) ، في قلب إقليم برقة ، على
 الموقع الذي يدل له « غزالة » والمؤلف من عدة مناطق للخدمة ، فقد
 تخصص لقواتنا موقع بير حكيم القائم إلى الجنوب ، وفيه سرعت وهي
 تنظم نفسها في الوقت ذاته ، بصراع ناشط من مساوشت ودوريت في
 المنطقة الواسعة المجردة التي تفصلها عن قوات العدو الكثيفة .

لكن إذا كانت الفرقة الأولى الحليفة قد أتت لها ان لغتتم العربة
 التي صنعت ، فإن شيئاً لم يعمل من أجل الفرقة الثانية التي كانت تضع
 وقتها ، وهي تنتظر في الشرق . إلا أنني كنت عارماً على ان تشارك هي
 ايضاً في العمليات . وجاءني برغومولوف غاماً في ذلك الطرف ، يقول
 لي في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ان مشروعي بإرسال قوات عربية
 الى روسيا استقبل بموافقة حارة من حكومتهم ، وان هذه مستعدة
 لتزويد قواتنا بالعتاد اللازم في الأماكن التي يتركزون بها . وبعد ذلك
 توجهت بعسكري ، لا نحو إيفاد جناح الطيران « نورماندي » وحسب ،
 الى الشرق ، بل لإيفاد الفرقة الثانية الحليفة أيضاً . فهذه تتطلق من
 سوريا ، مارة ببغداد ، فتجتاز إيران بالشاحنات ، ثم تنقل من تبريز
 عن طريق سكة الحديد الى القفقاس . كانت تلك هي الطريق التي
 تسلكها ، انطلاقاً من الموانئ الإيرانية ، قوافل القطار الذي يرمي
 الخلفاء الى روسيا . وكتب في ٢٩ كانون الأول الجنرال إيزماي أعله
 بياتي ، وأعطيت الجنرال كاترو التعليمات المطلوبة . وستسافر الفرقة
 الثانية في ١٥ آذار الى القفقاس إذا هي لم تنقل في ليبيا ، قبل هذا
 الموعد .

وأثارت القيادة البريطانية في وجه المشروع الرامي الى نقل هذه الوحدة إلى روسيا كل ما أمكنها من اعتراضات ، ولكن الوفیات في موسكو حثوها ، عكس الانكليز ، معس كبيراً ، ولقيت منهم كل تأييد ، إذ تحدث مولوتوف الى غارتو ، والجنرال بانفيلوف الى « بيتي » ، لينتحنانا على إكمال الشوط . واطلع السيد ليندن على الأمر ، فجمال جوك وكتب الى يوزيد وجهة نظر العسكريين الانكليز . ولم يكن في منطاعي الا ان أصمد في وجهة نظري ، وهي التي انحازت اليها القيادة الحليفة في أواخر شباط (فبراير) ، وأعطني بذلك إزمای . وطلب أوكتيلك الى كازرو ان يضع الفرقة الثانية الخفيفة تحت تصرفه . وكان من هذه ان غادرت سوريا ووصلت الى ليبيا في الأيام الاخيرة من آذار (مارس) .

أصبحت حشود لارمينيا بعد اليوم في ساحة العمل : كونيخ مع الفرقة الأولى في بير حكيم ، على خط القتال . كازرو في الاحتياط مع الثانية . والفيلق المصفح يتلقى من وراء ، بقيادة العقيد ريمي ، عناءاً جديداً . وهناك سرية مطلبين استقدمتها من اسكلفترا ، راحت تتدرب الآن في الاسماعيلية ، وغدت مستعدة للقيام بالهجمات التي تطلب اليها . وكان مجموع المقاتلين ١٢٠٠٠ أي ما يماثل رماء خمس الملاك الذي يعمل مع الحلاء ، جهة واحدة . وكان جناح المطاردة ، أراس ، وجناح القصف ، ثورين ، يحاربان منذ تشرين الأول في عماء بركة . وكان هناك عدد من طائراتنا وزوارقنا الحربية يقوم على طول الساحل ، بمواكبة القوافل ، يمين على حمايتها . وهكذا ، تجمعت قوات فرنسية كبيرة ، في الوقت المعين ، على مسرح العمليات الرئيسي . وسيقدم إله المعارك ، في هيلته ، ميداناً واسماً ومجداً كبيراً لجنود فرنسا الحرة . وشن رومل هجمته في ٢٧ أيار ، فهوجت بير حكيم .

هناك لحظة تمر عادة ، يشعر خلالها الرائد الذي يوجه مقادير
 المجازفة الشامة بمصير عظيم ، ان المصير تقرر . يبدو له
 من خلال اتفاق عجيب ، ان الألف بحبة التي يتخبط في لحبها ، تسجل
 فجأة في حادث حاسم ، فإذا كان هذا موفقاً ، استلم الحظ ، ولكن
 اذا انقلب ذلك الحادث لما فيه بلبلة الرئيس ، حصر هذا قضيته برمتها .
 وبينما كانت مأساة بير حكيم تدور حول مصراع دي سنة عشر كيلومتراً
 مربعاً من المساحة يقوم عليها كونيج ورحاله ، كنت أنا بدائي في لندن
 أتلو البرقيات ، وأستمع الى التعليقات ، وأناامل الظل طوراً ، والنور
 طوراً في النظرات ، أتقرئ أي النتائج تتوقف على ما يدور هناك .
 إذا أصيب هؤلاء المحاربون الحمة آلاف وخمسة ، وكل واحد منهم يحمل
 عناءه وأمله ، وقد قدموا طوعاً من فرنسا ، وأفريقيا ، والشرق ،
 والباسليك ، وتجمعوا هناك حيث يختارون الآن كثيراً من الصعاب -
 إذا أصيبوا برره مظلم ، فان قصيتنا تتعرض لأشد الأخطار . وإذا هم ،
 هل المكس ، وفلقوا إلى مائة حربية لامعة في هذه اللحظة ، على تلك
 الأرض ، فيكون المستقبل عند داك ، لنا !

لم تدع الاشتباكات الأولى مجالاً لتعني شيء . فلقد علت أنه بيتا
 فان جعل المدد الأكبر يمر في ٢٧ أيار ، جنوب بير حكيم ليقلب
 موقع الحلفاء ، أطلقت العربة الآلية الإيطالية ، آرييت ، زهاء مائة
 من دباباتها على الفرنسيين وحسرت منها أربعين بقي حطامها على المصدر
 المقابل . وفي ٢٨ و ٢٩ انتشرت مفاررة في جميع الاتجاهات ، فدمرت
 زهاء خمسة عشر سلاحاً آلياً وأمرت ٢٠٠ محارب . وفي ٣٠ عمد
 الجنرال رومل الذي لم يستطع أن يسوي حساب للطلبان دفعة واحدة ، مع
 التشكيلات الآلية الاسكليزية ، إلى الاسحاب ليُعد مناورة جديدة . وبعد
 يومين ، هل رتل فرنسي يقوده المقدم بروش ، على رولندا سينبالي ،

الواقعة على بعد ٥٠ كيلومتراً إلى الغرب ، واستولى عليها . وقام
لأرمينا في أول يوم من حزيران (يونيو) بحملة قنصية لقواتنا هناك .
وجاء تقريره مفصلاً بالتعاؤل وشأ في العالم حو مماثل وشرب بعضهم ،
في الواقع ، أن هذه المعركة يمكن أن تتجاوز إطار التكتيك العسكري ،
وأخذت أساديت الناس توجه الشاء بتحفظ والإذاعات بصارات مبهمة ،
والصنف بمطبة وحذر ، إلى القوات الفرنسية ورؤسائها

وفي اليوم التالي أمك رومل بزماس المبادرة . وكان منه أن دفع
هذه المرة حيثه رأساً إلى قلب موقع الجنرال ريلشي الذي وكل إليه
أوركملك قيادة جبهة القتال ، فانتزع الألمان في غوط السقارب ، لواء
بريطانيا ، وعبروا في تلك النقطة حقل الألغام الذي كان يغطي الحلقاء
من غزالة إلى بير حكيم ، ووجهوا صد قواتنا ، نوسيعاً منهم للثمرة ،
فرقة من جيش ، الأمريكا - كوربس . وهذه هي المرة الأولى منذ
حزيران ١٩٤٠ التي يعود بها الاحتكاك على مستوى شديد وواسع ، بين
فرنسيين وألمان . ثم يكى أول الأمر سوى مساوشات أسراً بها ١٥٠
جندياً ، ولكن سرعات ما تركزت الجبهة في اتجاه معركة . وكان
رد كوبنخ على المفاوضات العدوين الذين طلبا إليه الاستسلام أنه لم يأت
إلى ذلك المكان ليسلم .

ومع ذلك ، شهدت الأيام التالية العدو يشد الحناق ، وراحت
بطارياته من العيار الثقيل بما فيها ذات ١٥٥ و ٢٢٠ ، قنح باراً على
خطوطنا تتعاقم وتزداد غمماً ، وراحت طائرات الشوكا واليونكرز
تقصفها ثلاث مرات ، أو أربع ، أو خمس كل يوم في أسراب يبلغ كل
سرب منها رهء المدة طئره . وتأخر وصول المؤن ، فلا يأتي منها
بعد سوى كميات خشيبة ، وانخفض في بير حكيم مخزون الدخائر ،
ونقصت أقوات الجند ، وحفقت مقادير المياه الموزعة ، وأصبح المدافعون

تحت الشمس المحرقة ، وفي مشارق الروابع الرملية ، يكادون حالة تأهب لا ينقطع ، يحيون مع جرحاهم ويدفون موتاهم على مقربة من الجرحى . وفي ٣ حزيران ، توجه إليهم الجنرال رومل إنذاراً بخط يده ، يحثهم فيه على إلقاء السلاح ، وإلا أصابهم الاضمحلال ، كما أصاب ألوية الانكليز في غوط السقارب . . وقدم إليهم في ٥ حزيران أحد ضباطه يكرر عليهم الإنذار نفسه . وكانت مدفعتنا هي التي تولت الرد . غير أن وعي الجمهور استبسط في الوقت نفسه ، في كثير من البلدان . وأصبحت الحرائد الناطقة أو المطبوعة قولي فرنسي بير حكيم اهتماماً يرداد يوماً عن يوم ، وتحفز الرأي العام لإصدار حكم . والمراد أن يمر ما إذا كان للبعد بعد أن يعاقب جنوداً .

وفي ٧ حزيران ، عدا تطويق بير حكيم كاملاً ، طائفة الألمانية اللسعون والفرقة الإيطالية « تريستا » تسادها بزهاء عشرين بطارية ومئات الدبابات أممتا على أهبة الهجوم . وكانت القيادة الحليفة قد وحيث أمراً ، مساء أول حزيران ، إلى كونيغ : « اسعدوا ستة أيام بعداء هاهنا قد مرت الأيام الستة . وطلب الجنرال ريلشي « اسعدوا ثدياً وأربعين ساعة بعداء » . يجب القول إن الحسائر والبلى التي أحدثتها ضربات المدرع المهاجمة في صفوف الجيش الثامن كانت من الفداحة بحيث يستحيل بعد اليوم أن تجدي معها أية عملية إنهاض أو إنقاذ . أما رومل فقد انهك في المدور نحو مصر ، مستفيداً من البلبلة التي تبينها لدى البريطانيين ، وصاق درعاً بهذه المقاومة التي تمتد على طول مؤخراته ، وتزعج مواصالاته . لقد أصبحت بير حكيم الهم الذي استحوذ عليه والهدف الرئيسي الذي ينبغي للفراغ منه . وكان قد جاء بنفسه إلى الموقع عدة مرات ، وسيأتي إليه بعد يتعجل المهاجمين .

وفي ٨ ، شنت هجمات شديدة . وحاول مشاة الاعداء مراراً عدة ،

تتجدهم مدفعية قوية ودبابات ضخمة ، أن يشترعوا ببسالة هذا القطاع
أر ذاك من خطوطنا ، ولكن عثا . كان هاراً جد قاس على جنودنا ،
وكذلك كان الليل الذي مر في إعادة ترتيب المواقع التي دمرت . وفي
« استؤنفت المحميات » وقد اشنت مدفعية العدو بمباريات ثقيلة لا
تقوى على حدها مدافع العقيد ولوران - شامبروراي » من حيار ٧٥ .
وشح الاء على جنودنا ، فلا يصيب واحد منهم أكثر من ليقين خلال
أربع وعشرين ساعة . ومثل هذه الكمية ، في مثل ذلك المناخ ،
لا تنفع غليل أحد . ومع ذلك ، لا بد من الصمود بعد ، لأن مقاومة
كوبيج ترتدي الآن طابعاً من الأهمية القصوى ، في لجنة الاضطراب
الذي صمغ مختلف عناصر الجيش البريطاني . وراحت أواق الاعلام
تشيد صاخة ر د دفاع الفرنسيين البطولي ، و « هزيمة الألمان أمام بير
حكيم » في لندن ، في نيويورك ، في مونتريال ، في القاهرة ، في
الريو ، في باريس . هالحن تقارب من الهدف الذي رمينا
إليه في تأميم دور كبير للقوات الفرنسية الحرة - أيا كان ملاكها
محدوداً - في مناسبة كبرى ، فإن مدفع بير حكيم أعلن للعالم برمه ،
بداية نهوض فرنسا .

بيد أن الذي راح يستحوذ على أفكارى بعد ذلك اليوم وما تلاه ،
إنما هو سلامة المدافعين . فأنا أعلم أنهم لا يستطيعون بعد طويلاً أن
يحطموا هجمات قناصاتها وسائل ماحقة ، وأنا على يقين ، ولا ريب ،
أن الفرقة لن تكسب بحال من الأحوال ، وأن العدو سيكون محروماً من
الاغتياب برؤية رقت طويل من الأسرى الفرنسيين يشترعهم رومل ، وأن
هذا سيخطر ، إذا صمدت قواتنا في مواقعها ، إلى مفاتنة حشودها الواحد
تلو الآخر ، ليتمكن من القضاء عليها . ولكن المراد أن نعيدنا سائلة ،
وما هو أبداً أن نذعن للقدر في إبادة الجبهة ، فأنا في حاجة من بعد ،

الى هاتيك المئات من الضباط ومرشحي الضباط المتعيزين ، الى تلك
لاوف من الجنود الأبرار . ها إهم سجلوا واحدة من مآثرهم ، وعليهم
الآن ان يقوموا بمأثرة اخرى ، ان يشفوا الطريق عبر المقيدين وسقوف
الألقام ، ليلتصقوا بكنته القوات الخليفة .

لم أكن أترك لحظة تمر دون ان أعلم ، على البحر الأصغر إلخاسا ،
هيئة الأركان العامة الامبراطورية البريطانية ، خلال A و ٩ حزيران ،
مقدار الأهمية الكبرى لهذه القضية وهي ان يتلقى كونيغ ، قبل قوات
الأوان ، الأمر بمحاولة الخروج من الميدان ، وإن كنت أحرص على ان
لا تدخل مباشرة في سير المركة . وأعدت ذلك على السيد تشرشل
الذي بحثت معه مسألة مدغشقر . وعلى أي حال ، كانت الخاتمة تدنو ،
وقد أبرقت لقائد الفرقة الخليفة الأولى . ه أيا الجنرال كونيغ . أعلم
وقل لجنودك ان فرنسا برمتها رمتكم بظرفها ، وأبكم فخرها .
وكان في نهاية اليوم نفسه ، ان أخبرني الجنرال السير آلان بروك رئيس
الأركان العامة الامبراطورية ، ان العدو لم يكف منذ الفجر عن عناده
في مهاجمة بير حكيم ، بيد ان ريتشي أمر كونيغ ان ينتقل الى
موقع جديد ، إذا وجد الامكانية لذلك . والعمليّة مقدرة ان تجري
النهار الليل .

في صباح اليوم التالي ، ١١ حزيران ، وردت تعليقات الاذاعة
والصحافة تشيد ببطولات المحاربين وثلاثين مزاياهم ، قالوا كلهم وقد
فاتهم ان الفرنسيين يحاولون الخروج من المأرق ، كانوا ينتظرون تحطم
مقارمتهم بين لحظة واحرى ولكن ها هو بروك يرسل إلي في اسماء
يقول . « توصل الجنرال كونيغ مع فريق كبير من قوته الى « النفوي » ،
خارج صال العدو ، « فشكرت الرسول ، وصرفته ، واعلقت الباب .
انا وحيد . إيه ! القلب ينفق شحوا ، وتهتدات الكهباة ترتفع ،

ودموع الفرح تنهل !

لقد أعاد كونيغ قرابة ٤٠٠٠ رجل بالسلامة ، بعد أربعة عشر يوماً في القتال ، من اصل زهاء ٥٥٠٠ كانوا يؤلفون الفرقة الاولى الخفيفة قبل بير حكيم ؛ وهناك عدد من المرحى أمكن نقلهم الى المؤخرة مع الوحدات ، في الوقت ذاته . وتركنا قواتنا في الميدان ١١٠٩ من الصايط والجنود بين قتيل وحريح ومفقود . وكان في عداد القتلى ثلاثة ضباط من ذوي الرتب العالية العقيد بروش ، والمقدمان صافيه وبريكونيو . وفي عداد المرحى من هم على جدول الترقية : المقدمان بوشوا ونايوتو . اما للمناد فقد أتمر سلباً ، وترك في مكانه . ولكننا كمدنا العدو خسائر تفوق خسائرنا بثلاثة اضعاف .

وفي ١٢ حزيران أعلن الألمان أنهم المارحة و استولوا عوة ، على بير حكيم . ثم أذاع راديو برلين بلاغاً صريحاً . « إن الفرنسيين البيض والمثوبين الذين وقعوا أسرى في بير حكيم ، ولا يتمنون إلى جيش نظامي ، ستجري عليهم قوانين الحرب ويُعدمون » . وبعد ساعة ، أطلقت المدكرة الآتية بعد ترجمتها إلى جميع لغات العالم ، وأداعتها أمواج السي . بي . سي . « إذا كان الجيش الألماني قد لوث شرفه إلى درجة يقتل معها جنوداً فرنسيين . فقاموا في الأسر وهم يحاربون من أجل وطنهم ، فإن الجنرال ديمول يعلن بألف حنين ، أنه يحد نفسه مكرهاً على إزال المصير نفسه بالأمرى لألمان الدين وقعوا في أيدي قواته » . ولم يكبد ذلك الشهار مع هاشه حتى أعلن راديو برلين : « لا مجال لأي سوء تفاهم حول العسكريين الفرنسيين الذين أسروا خلال معارك بير حكيم ، فإن حدود الخيال ديمول سيعاملون كمحود » . وهذا ما جرى فعلاً

وبينما كانت الفرقة الخفيفة الاولى تتجمع في سيدي براني ، وكاترو

يعمل في الحال على إكتمالها ، ظل جناحنا الجوي « الزاس » يشارك في عمل المطاردة مع سلاح الجو الاسكتلندي ، وجناحنا « لورين » يضاعف هجماته على مواصلات العدو ، مع قذفات القنابل البريطانية . ولكن مظاهرات في الوقت نفسه ، يقومون بعدة غارات موفقة ، فكان منهم ان دمروا ليلة ١٢ - ١٣ حزيران ١٢ طائرة جسيمة في مطارات العدو بليبيا ، وكان من التيب « برجه » الذي ألقي على جزيرة كريت مع بضعة رجال ، ن أحرق قبل ان يخلص عليه ، ٢١ قاذفة قنابل و ١٥ شاحنة ومستودعا قنبرين فوق أرض قنديا .

غير ان الجيش الخامس تحلى تحت وطأة النجدال معنوي مضاجيء ، عن برقة ، ناركاً وراهه عناداً كبيراً . وكان الجنرال أوكلوك يأمل ان يحتفظ ، على الأقل ، بطريق ذلك الموقع الذي أتقن تنظيمه وقوته من البحر . ولكن حاميته البالغ عددها ٣٣.٠٠٠ رجل استسلمت في ٢٤ حزيران للأذن . ثم لم يتمكن البريطانيون من التمرركز صوب العين إلا بعد عشاء كبير . وكان ثمة فطاع من الموقع عهد بالحفاظ عليه للجنرال كارو وهرفته الحفصة الثانية التي وضعت بدورها أخيراً في الميدان . وكان في عداد القوات الاحتياطية حامل العقيد ريمي ، المصنع الذي روّد «العتاد على عجل . كان الموقف خطيراً ، إذ راح الشرق كله ، وقد اهتزت قلقاً ، يترقب ان يدخل الألمان واليطاليان القاهرة والاسكندرية .

لم يكن النجدال حلفائنا ذلك سوى غيمة عابرة ، فسيأتي يوم يتغلون فيه هائياً ، بمصل سيطرتهم على البحر ، ووصول إمدادات جديدة ، وتعمق حوتهم كبير ، وكفاءات الجنرال مونتعمري حبراً . ثم إن رومل علق ، من جهة أخرى ، زحفه الى الامام ، وقد استنفذ أوكلوك ما لديه من مؤن . وكانت مجموع الحوادث ، مع ذلك ، تبرز للفلا أهمية هنا وهذا ما اعترف به أوكلوك اعترافاً بديلاً ، إذ أصدر في ١٢

حزيران بلاغاً رائماً على شرف العرقة الخفيفة الأولى صرح فيه بما يلي :
« ينبغي للأمم المتحدة ان تمتلئ بالاحباب وعرفان الجبل تجاه تلك
القوات العربية وحملها الهام » .

واجتمع في لندن بعد ستة ايام ١٠.٠٠٠ فرنسي بين مدنيين وعسكريين
للاحتفال بالذكرى السنوية الثانية لنداء ١٨ حزيران . وكانت طوابق
ألبرت حول الأرضة مكتظة بالحضور الى مدى ما تسمح به سلامة البناء .
وكانت تمتد ، على الحداد ، وراء المدر ، لافتة علم مثلث الالوان ،
موشاة بصليب القورين ، وقد تجتمعت عندها الانظار . وتعالق في
العشاء ألحان الشبيدين : « المرسليار » و « المارش لورين » ، وكانت
أصداؤها تن في كل القلوب . وأخذت مكاني ، وتحدثت حولي أعضاء
الجنة الوطنية والمتطوعون الذين قدموا مؤخراً من فرنسا ، فسمعت
جميع الألسنة تصيح بالايامات الذي يعمر أفئدة هذه الجبهة المتحمسة .
غير أنني شعرت ذلك اليوم بالفرح برفرف ، كما شعرت في الوقت نفسه
بالأمل . وتكلمت . كان لزاماً علي ان اكلم . العمل يضع الحاسات
موضع التنفيذ . ولكن الكلام هو الذي يبعث الحاسات

واستشهدت بكلمة قالها شانفور : « العقلاء داموا » والمؤمنون عاشوا » .
وأعدت ذكرى للعاصمين الذين اجتازتها فرنسا الحرة : « لقد عشنا
كثيراً ، ذلك لأننا مولعون بالكرامة . ولكننا دمنا ايضاً . آه ا كم
نحن حقلاء ! » ان ما قلناه منذ اليوم الأول : « فرنسا لم تخرج من
الحرب ، والسلطة التي قامت تمريزاً للتخلي عن الواجب ، ليست سلطة
شرعية ، وأحلافنا مستمرة » وقد اثبتنا ذلك بأعمال هي معارك ...
كان ينبغي لنا ، بالتأكيد ، ان نعتقد ان بريطانيا ستصمد جيداً ، وان
روسيا واميركا ستزجان في الصراع ، وان الشعب الفرنسي لن يقبل
الهزيمة . أجل ! لم تكن على خطأ ... » . ثم وجهت التحية الى

عاريين في كل مكان من العالم وحركات مقاومتنا في فرنسا . وحيث
الامبراطورية أيضاً ، الامبراطورية الآمنة قاعدة الانطلاق لإنهاء البلاد .
والأكيد انه ينبغي ان يتحول بفيانها بعد الحرب . ولكن فرنسا مجمة
على النية في الاحتفاظ بوحدها وكيانها . وحق الشجاعة الأليمة التي
انطلقت في الدفاع عن هذا الجزء او ذاك ، ضد فرنسا المحاربة وضد
حلفائها ، من قبل قوات تضلها أكاذيب فيشي ، إنما هي دليل مغلوطة
ولكن لا يدحض على إرادة الفرنسيين هذه ولحظت ان فرنسا
المحاربة للثقل ، رغم كل شيء ، من الاوقيانوس . و إن العالم عاود
عرف فرنسا حين أطلت في سير حكم ، شعاع من مجدها المنبث ،
وأقبل بمئات جباه جنودها المدعاة .

وكان جواب الحضور عاصفة من المتفاجات ، ثم النشيد الوطني يلبث
بحرارة لا سبيل الى التمييز عنها . وقد سمع أيضاً أولئك الذين يقيمون
في ديارنا خلف الأبواب ، والمصاريع ، والستارات ، وكأرا يصيحون
لأمواج الاثير وهي تنطق اليهم .

وران الصمت على الحضور ، وانتهى الاحتفال ، وعاد كل امرئ
الى عمله . ها أنا وحيد حبال نفسي . وليس ثمة من موقف يتخذ في
سبيل تلك المجاهدة ، ولا من اوهام تدارى . ووضعت حساب الماضي ،
فإذا هو ايجابي ، ولكنه أليم . لقد اصحت فرنسا المحاربة ، بكل
تأعبد ، صلبة متمسكة ، رجلاً رجلاً ، وقطعة قطعة . ولكن كم
كان علينا ان نكابد من خسائر ، وأحزان ، وتمرقات ، لنندفع نحن
هذه النسيعة ! ونحن نقرب الآن من الطور الحدي . بوسائل ذات قيمة :
٧٠.٠٠٠ رجل تحت السلاح ، رؤساء من قوي المرايا الرفيعة ، أقاليم
تقوم بمجهود كبير ، ومقاومة داخلية تزداد يوماً بعد يوم ، وحكومة
مطاعة ، وسلطة معروفة ان لم تكن معترفاً بها ، في العالم . وليس ثمة

أدنى شك في أن ما يلي من أحداث يقع قوى أخرى . بيد أي لا
أضلّ من المراقيل في الطريق : قوة العدو ، حذر الدول الخليفة ؛
عداء الرحمين وقوى الامتيازات من الفرنسيين ، دسائس المعص وحمود
عدد كبير ، وخطر تخريب عمام ، آخر الامر . وأنا ، أنا الرجل
المكين ! أياكون لديّ من البصيرة المافدة ، والحرم ، والبرعة ،
لأسيطر حتى النهاية على الحق ؟ وإذا أنا وفقت الى قيادة شعب تجمع
في النهاية ، حتى تحقق له النصر ، فما يكون مستقبله من بعد ؟ وخلال
ذلك ، كم هي الخرائب التي تصاف الى خرائبه ، والانقسامات التي
تصاف الى انقساماته ؟ وحين ينفضي الخطر وير ، وتنهدم الأبرجة ،
أي أمواج من الرجل تنهال على فرنسا ؟

هدنة تتوارى معها الشكوك شكوك ! ها إني ، وأنا حان على الهوة
التي رددت فيها الوطن ، أحد أبنائه يباديه ، ويحمل له السور ، ويريه
طريق الخلاص . وكثيرون هم الذين التفتوا بي ، وسبائي آخرون .
أنا متأكد من ذلك ! الآن أسمع همسا تجبيني ، إنها لتنهض من
اعماق الهاوية ، وتزحف ، وتلتصق لتصدر . إيه ! أينها ، أم ، ها
نحن ، كما نحن ، في سبيل خدمتك .

وثائق

الوثائق التي تلي ، حرة من مجموعة البرقيات ، والمذكرات ، والتصريحات
التي كتبها سكرتيرس لفرسا الحرة ، ورئيس اللجنة الوطنية للفرنسية
(١٩٤٠ - ١٩٤٢) .

وكنت قد أودعت بنمسي ، دار ه المخطوطات الوطنية ، المجموعة
الكاملة .

نداء إلى الفرنسيين

في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

الرؤساء الذين كانوا ، منذ سنوات عديدة ، على رأس الجيوش
الفرنسية ، شكلوا حكومة .

وعده الحكومة اتصلت بالمدور ، وهي ترغم أن جيوشنا هزمت ،
لوقف القتال .

صحيح أن قوة المدور الآلية في البر والجو أغرقنا ، ولا تزال .
إنما هي دبابات الألمان ، وطائراتهم ، وسعة حيلتهم للقتالية التي
تفوق أعدادهم بكثرة ساحقة ، التي جعلتنا نتراجع . ودبابات الألمان
هذه ، وطائراتهم ، وحيلهم القتالية هي التي فاجأت رؤسائنا وسافتهم
إلى الالتخايل الذي يظنون اليوم عنده .

ولكن هل قبلت الكلمة الأخيرة ؟ هل للأمل أن يتواري ؟ والهزيمة ،
أهي نهائية ؟ لا !

فلما بي ، بي أنا الذي أحدثكم حديث عارف بالسبب ، وأقول لكم
إن شيئاً لم يضع على فرنسا ، فإن الوسائل تقيا التي طلبتنا يمكن أن
تأتيها يوم النصر .

ذلك بأن فرنسا ليست وحدها . ليست وحدها ! ليست وحدها !
إن لها وراءها امبراطورية رعية ، وفي وسطها أن تشكل مع الامبراطورية

البريطانية مالكة البحار ، وتستمر في الكفاح . وتستطيع أن تستخدم
إلى غير حد ، كإسكتلندا ، صناعة الولايات المتحدة الواسعة ، الصنعة .

ومعه الحرب لا تنحصر في أراضي بلادنا المجموعة . هذه الحرب
لم تنحصر في معركة فرنسا . هذه الحرب عالمية ، فإن جميع الأخطاء ،
والتهجمات ، والآلام لا تمنع أن يكون في العالم جميع الوسائل لسحق
أعدائهم يوماً ما . وإذا كانت القوة الآلية قد أصعقتنا اليوم ، فإن في
مستطاعتنا أن نتغلب في المستقبل بقوة آلية أكبر . ومسير العالم هناك .

أنا ، الجنرال ديمول ، المقيم حالياً في لندن ، أدعو الصباط والجنود
الفرنسيين الذين هم على أرض بريطانية أو يقدمون إليها بجميع أسلحتهم
أو بدونها ، أدعو المهندسين والعمال الاختصاصيين في صناعات التسليح
الذين هم على أرض بريطانية أو يقدمون إليها ، أن يتصلوا بي .

لا يجوز ، مهما جرى ، أن تنطفئ شعلة المقاومة الفرنسية وهي
لن تنطفئ .

سأنتكم هدأ ، كالسيوم ، من إذاعة لندن .

برقية إلى الجنرال تونغيس

القائد الأعلى للعمليات الحربية في أفريقيا الشمالية
في طاعة الجزائر

لندن ، ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

أنا في لندن على صلة شبه رسمية ومباشرة مع الحكومة البريطانية .
أضع نفسي تحت تصرفكم ، إما للقتال بإمرتكم ، وإما للقيام بأية
خطوة تبدو لكم مفيدة .

رسالة إلى الجنرال فيغان (١)

لندن في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

سيدي الجنرال

تلقيت أمرك بالعودة إلى فرنسا . فأحدثت أبحاث في الحال عن وسيلة للعودة ، إذ ليس لديّ ، طبيعاً ، أية عريضة أخرى سوى الخدمة في القتال .

وإنني لأفكر في أن أمثل بين يديك خلال أربع وعشرين ساعة ، إذا مضت هذه ، ولم يُوقَّع الأمر بالاستسلام .

ولكنني في حالة توفيقه ، سألتحق بكل مقاومة فرنسية تنظم في أي مكان . وإن في لندن خاصة عناصر عسكرية - وسياسي غيرها ، دون ريب - مصممة على القتال ، مهما حدث في الوطن الأم .

وأعتقد أنّ من واثق ان أقول لكم بكل بساطة ، إنني أغنى لفرنسا ولكم ، سيدي الجنرال أن تدركوا الكبة وتقعدروا على التفلّت منها وتنتقلوا الى فرنسا ما وراء البحار ، وتتابعوا الحرب . فليس في الإمكان الآن عقد هدنة ضمن الشرف .

وأخيراً ان علاقتي الشخصية مع الحكومة البريطانية - ومع السيد شرشل خاصة - يمكن أن تصبح لي ان اكون نافعا لكم ، أو لأية شخصية فرنسية أخرى رفيعة الشأن تريد ان تقوم على رأس المقاومة الفرنسية المستمرة .

(١) نقل هذه الرسالة الجنرال ليانغ للتحقق العسكري في لندن الى الجنرال فيغان وأعيدت من فيشي الى الجنرال ديسول خلال أبريل ١٩٤٠ . ومعها ورقة كتب عليها بالآلة الكاتبة هكذا : « اما أراد الكولونيل المتقاعد ديسول ، يتصل بالجنرال فيغان ، عليه ان يتبع الطريق النظامي » .

وأرجو أن تتمضوا سيدي الجنرال بقبول أخلص مشاعري من الاحترام والإخلاص .

برقية إلى الجنرال نوغيس

هاتف الأمل لمسلحات الحربية في أفريقيا الشمالية

لندن ، ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

نحيطكم علماً أنه يجري الآن تشكيل لجنة وطنية فرنسية لربط جميع عناصر المقاومة فيما بينها ومع الحلفاء . وطلب إليكم شخصياً المشاركة في تشكيل هذه اللجنة . والجميع هنا يعتبرونكم الرئيس الأعلى للمقاومة الفرنسية . تفضلوا بقبول عبارات احترامنا ورجائنا .

من اللجنة الوطنية الفرنسية التحضيرية

الجنرال ديغول

برقية

- إلى الجنرال موطها ووزر هاتف الأمل لمسلحات في المتوسط الشرقي

- إلى السيد غ . بيرو مفوض فرنسا السامي في سوريا ولبنان

- إلى الجنرال كاترو حاكم الهند الصينية العام

لندن ، ٢٤ حزيران ١٩٤٠

إننا معكم كلياً في إرادة متابعة الحرب .
وقد شكلنا لجنة وطنية فرنسية لربط عناصر المقاومة الفرنسية .
نطلب إليكم متاركنتنا شخصياً في تشكيل هذه اللجنة .
تقبلوا عبارة احترامنا ورجائنا .

من اللجنة الوطنية الفرنسية

الجنرال ديغول

مذكرة الى السيدين تشرشل وهاليفاكس

لندن ، ٢٦ حزيران ١٩٤٠

١ - لن أنتظر تشكيل لجنة وطنية خالصة ، ولذا واني الآن في صدد تشكيل لجنة فرنسية عامة تهدف الى ما يلي .

أ (جمع عناصر المقاومة العربية على الارض البريطانية الموحدة فيها ، أو التي تقدم إليها .

ب (وضع أنفسنا تحت تصرف جميع المقاومات العربية التي تظهر في الامبراطورية ، وعلى وجه الاحتمال ، في الوطن الأم ، لربطها فيما بينها ، ومع الحلفاء ، ومدها بالعناد إلخ .

٢ - تستطيع اللجنة الفرنسية أن تنظم :

أ (قوة عسكرية فرنسية برية وجوية وبحرية ، مؤلفة من متطوعين ، صغيرة في الحال ، ولكن من المؤكد أنها تكبر مع الأيام . وستكون هذه القوة منفصلة عن العناصر العسكرية الفرنسية اللامتطوعة ، وتتجمع على نحو عاجل قرب لندن .

ب (حصراً يكون منظمة للصنوعات الحربية (مهندسين وعمالاً) . وتستطيع هذه المنظمة أن تشتغل في المصانع الانكليزية وفق شروط تحدّد فيما بعد .

ج (منظمة دراسات وشراء عتاد حربي ، تستطيع أن تتعامل مباشرة مع دوائر التسليح الانكليزي والصناعة الأميركية .

د (منظمة نقل وتكوين .

هـ (منظمة إعلام وقعاوة .

٣ - لا بد لي ، تحقيقاً لذلك من أن أثال موافقة الحكومة البريطانية على النقاط الآتية :

أ (يجب أن تكون جميع نشاطات الفرنسيين على الأرض البريطانية مركزة ، لا بسين المنظمات الانكليزية مباشرة ، ولأفراد العاملين في مختلف الحقول ، ولكن بواسطة اللجنة الفرنسية وموافقتها ، لا سيما حين يتعلق الأمر بمساعدة المنظمات الانكليزية بخدمات عسكرية ، أو صناعية ، أو علمية ، أو اقتصادية .

ب (تفتح الحكومة البريطانية للجنة الفرنسية الاعتمادات الضرورية لنشاطها الخاص ، كما لتسليم جميع المرتبات ، والأجور ، والدفقات للمسكريين والمدنيين الذين ملتحقون بها .

ج (كل المسائل التي سويت حتى الآن مع السلطات البريطانية ، إما عن طريق البعثة العسكرية الفرنسية ، أو البعثات الدراسية أو بعثات التنسيق ، تكرر من بعد مباشرة ، عن طريق اللجنة الفرنسية مع السلطات البريطانية .

د (تكون اللجنة الفرنسية على صلة مباشرة بجميع الإدارات الوزارية البريطانية .

هـ (توضع هذه الترتيبات موضع التنفيذ ابتداءً من ٢٨ حزيران . وعلى الحكومة البريطانية أن تعلن موافقتها المبدئية ، في بيان تعهده على الجمهور .

٤ - تتلو البيان "مفاوضات" بين اللجنة والإدارات الوزارية البريطانية ، لعقد اتفاق واضح ودقيق ، تركز فيه التفاصيل .

برقية

- الى الجنرال ميتلهاوزر القائد الاعلى ميدان المعاليب في الترمط الشرقي
- الى السيد ج . بيو مدير فرنسا السامي في سوريا والس
- الى السيد بيروتون المقيم العام في تونس

لندن ، ١٧ حزيران ١٩١٧

أقترح عليكم ان تشاركوا في مجلس الدفاع عن فرنسا عسا وراء
البحار الذي يهدف الى تنظيم جميع عناصر المقاومة الفرنسية في الامبراطورية
وانكلترا ، واحكام الروابط فيما بينها

وفي رسمي ن ارسل الى اراضيكم عناداً أميركياً سبق ان 'شحن
وأصبح في طريقه اليها ، او اي عناد آخر يمكن أن تطلبوه .

أسمى من واجبا نحن ، وقد خسرت حكومة بورديو استقلالها ، ان
ندافع عن شرف فرنسا والامبراطورية ، ونحرم كياها .

خلاصتي الموقر

جواب للقائم بالاعمال في لندن

الذي وجه مذكرة لجنرال ديفول ، بالامر الصادر من حكومة بورديو
ان يسلّم نفسه أسيراً في تولوز

لندن ، ٣ تموز ١٩١٠

سيدي

أعبد اليكم طبع نص الوثيقة التي وجهتموها اليّ . واني لأكون
ممتناً لكم ان تملكون أولئك الذين كلموكم تحويلها اليّ ، ان تبليغهم لا
قيمة له ابدأ في نظري .
وتفضلوا ، يا سيدي ، بقبول مناعري السامية .

كلمة القيت من طليح لندن

٨ غور ١٩٤٠

هناك حادثة فظلة على نحو خاص ، جرت خلال الثالث من شهر غور ،
أثناء التصفية الموقنة للقوات الفرنسية ، تلك التصفية التي تلت الاستسلام .
وأعني ، كما هو معروف ، قصف وهران المروع بالمدايق .

أريد ان اتكلم بوضوح ، من غير مواربة ، لأن من واجب الرجال
الأبرار ، في مأساة يفود بها كل شعب مصير حياته ، ان يملكوا الجرأة
على مواجهة الأمور ، ويقولوا الحقائق بصراحة .

سأقول أولاً ما يلي : ما من فرنسي عرف ان سفناً تابعة للأسطول
الفرنسي أغرقت على أيدي طلائعنا ، الا وكان مثالاً خاضعاً . وهذا
الغضب ، وذلك الألم يلبثان من أعمق اعماقنا . وليس ثمة أدنى مبرر
لتألف معها والانصياع لها ، والى من جانبي لأعرب عنها ، على نحو
سافر . وأترجيه للانكليز كذلك ، وأدعهم ان يفرحوا علينا وعلى أنفسهم
كل تصوير لهذه المأساة البشعة ، على انها ظفر بحري مباشر ، فإن ذلك
جائر ، وفي غير محله .

لقد كانت سفن وهران في الواقع ، عاجزة عن نحوى معركة .
وكانت في حالة رسوخ ، لا تملك معها أدنى طاقة على المناورة أو
الانتشار ، وكان رؤساؤها ونوتيتها في أمر حالات الارهاق المعنوي منذ
خمس عشر يوماً . وقد قركوا للسفن الانكليزية الصلبيات الأولى . وهذه
كما يعرف الجميع ، ذات أثر حاسم في البحر ، على مثل تلك المسافات .
ولم يكن تدميرها نتيجة معركة مشرقة . هذا هو ما يصرح به جندي
فرنسي للحلفاء الانكليز ، بصراحة توازي في وضوحها مقدار ما يشربه
تجاههم من تقدير ، في الناحية البحرية .

ثم أوجه بخطابي إلى الفرنسيين ، وأطلب إليهم أن ينظروا إلى جوهر الأمور من الوجهة التي ينبغي لها وحدها أن يحسب لها الحساب النهائي ، أي من جهة النصر والخلاص . فإن الحكومة التي كانت في يوردمو قبلت ، بناء على عهد مشين ، أن تسلم مفتنا إلى العدو . وليس ثمة أدنى شك في أن العدو لا بد أن يستخدمها يوماً ما ، عن مبدأ أو ضرورة ، إما ضدّ انكلترا ، وإما ضدّ امبراطوريتنا . نفسها . رها أفا أقولها من غير إيهام ولا مداورة ، ان من الأفضل أن تدمر .

وإني لأفصل أن أعرف أن الدارعة و دنكرك ، دارعتنا الجبهة ، للميزة القوية و دنكرك ، أغرقت في مرسى الكبير ، على أن أراها يوماً ما ، وفوق ظهرها رجال من الألمان ، وهي تقصف الموانئ الانكليزية أو عاصمة الجزائر ، أو الدار البيضاء ، أو دكار .

ان الحكومة التي كانت في يوردمو تقوم بدورها ، دور العبودية ، إذ تلعب في هذا النصف بين الإخوة ، ثم تسمى في تحويل غضب الفرنسيين ضد حلفاء خانتهم .

والعدو أيضاً يقوم بدوره ، دور الفاتح إذ يستغل الحادث ليحرش كلا من الشعبين الانكليزي والفرنسي ، الواحد منها ضد الآخر .

وإن جميع ذوي النظر الثاقب من رجال الشعب يقومون بدورهم ، دور الوطنيين إذ يأخذون المأساة كما هي ، أي مفجعة وكرهة ، ولكنهم ينعون في الوقت ذاته أن تكون تسببها للشقاق المعنوي بين الانكليز والفرنسيين .

الانكليز الذين يحسنون التفكير لا يملكون أن يجهلوا أن أي انتصار لهم لا يمكن أن يكون ، إذا تحولت فرنسا بروحها عنهم إلى العدو .

والفرنسيون الجديرون بهذه الصفة لا يملكون أن يشكروا لهذه

الحقيقة ، وهي أن الهزيمة الاتكالية تطيعهم الى الأبد ، بطابع الصودية .
ومما حدث ، حتى وإن هوى أحد الشعب لفترة ما من الوقت ،
تحت يبر المدور المشترك فإن شعبينا ، شعبنا الكبيرين يظنان مشدوداً
واحدهما الى الآخر ، فلما أن يرزعا كلاهما معاً ، أو أن يظفرا معاً .
أما أولئك المرنسيون الذين لا يراون أحراراً في أن يصفوا بمقتضى
الشرف ومصلحة فرنسا ، فإني أعلن باسمهم أنهم مضوا هائباً في ما
عزموا عليه ، ولن تنهيه مشقة .

لقد عزموا هائباً على المضي في القتال

برقية

الى الجنرال ليفيل

القائد الاعلى في الشرق الاوسط

لندن ، ١٤ تونز ١٩٤٠

تلقيت برقيتكم المؤرخة في ١٢ تونز ، وأشكركم عليها مخلصاً . وأما
ممكم على وفاق تام حول النقاط الآتية :
١) لجميع كل العناصر الفرنسية الموحدة بنظرة عملكم ، في وحدات
مركزة .

٢) تقوية الدفاع في إقليم جيوتي تحت إمرة الجنرال ليجنتوم ،
بذلك العناصر .

٣) الإفادة ، بصورة خاصة ، تحقيقاً لهذا الغرض ، من فوج قبرص
الفرنسي الذي وضع نفسه تحت إمرتي . وقد أمرت ذلك الفوج ان
يكون بقيادةكم في برقية وجهتها اليوم باسم حاكم قبرص .

واني لاكون لكم شاكراً اذ تنقلون الى الجنرال ليختنوم برقية
أوجهها اليوم اليه باسمكم .

برقية

الى فليكس ايبويه

حاكم تشاد

لندن ١٦٠ تموز ١٩١٠

أنا على علم بموقفكم الذي أؤيده أتم التأييد . الواجب يقضي ان
نصمد في كل نقطة من أديم الامبراطورية ، في سيل فرنسا ، وضد
الامان والاطليان . اطلب اليكم اطلاعي على وضعكم ، كلها وجدتم ذلك
مناسباً ، واني لستعد لتقديم كل مؤازرة أستطيع تقديمها لكم . اطلب
اليكم ان تظنوا على ارتباط بي .
موهلي القلية .

تعليمات

وجهت الى مندوبي الجنرال ديفول في
المستعمرات الفرنسية بأفريقيا

لندن ٥٠ آب ١٩١٠

١ - تتكون مهمة القوضية من :

١ - قنيل الجنرال ديفول في كل مفارضة يمكن ان تجرى او يقبل
بها ، في كل تصريح يمكن ان يُدلي به ، في كل مبادرة يمكن
ان يتخذها ، بغية اجتذاب كل المستعمرات العربية في أفريقيا
او جزء منها ، غربية واستوائية وممها الكاميرون ، للانضمام
الى الجنرال ديفول لمنع تمييز الهدن ، ومنابعة الحرب ضد
الامان والاطليان .

٢ - الاتصال على أكمل ما يمكن مع الشخصيات الفرنسية في هذه المستعمرات سواء كانت لهم مهمة رسمية أم لا .

٣ - تركيز الارتباط والمحافظة عليه مع السلطات البريطانية في غامبيا ، سيراليون ، وشاطئ الذهب ، ونيجيريا ، ثم مع سائر السلطات الأجنبية المحتمل قيامها .

٤ - إطلاق الجنرال ديفول على الحالة العامة حيث 'وجد له مندوبيون' من جميع المواسي في المستعمرات الفرنسية ، في أفريقيا الغربية والاستوائية ، وعلى أفضل إمكانيات العمل في تلك المستعمرات .

٥ - 'كلف المقدم لوكليز ، تكلبغا خاصاً ، تمثيل الجنرال ديفول لدى الجنرال آمر القوات البريطانية في جنوب الاطلنطي ، ولدى الاميرال قائد القوات البحرية البريطانية في جنوب الاطلنطي ، لأداء هذه المهمة المشتركة .

وستكون إقامة المقدم لوكليز إذن ، على نحو رئيسي ، في أكرا ، ويشكل كل من السيد بليمن والسيد بوالامير الحانب المتحرك ، من المفوضية ، ويتنقلان في النقاط التي يحداتها أصليح من غيرها للقيام بالاتصالات التي يريان إجرامها .

٣ - تقل المعلومات البرقية التي تزود بها المفوضية الجنرال ديفول ، عن طريق السلطات البريطانية .

تجري محادثات الجنرال ديفول البرقية ، مبدئياً ، مع المفوضية ، عن طريق الحاكم البريطاني في شاطئ الذهب ، أو عن طريق الجنرال قائد القوات البريطانية جنوب الاطلنطي ، أو عن طريق هاتين السلطتين معاً .

رسالة إلى السيد ونستون تشرشل

لننت ٧ آب ١٩٤٠

سيدي الوزير الأول

لقد تفضلتم بإرسال مذكرة إليّ تتعلق بتنظيم دائرة التطوعين
للفرنسيين واستخدامها وشروط عملها ، وهي التي يجري الآن تكوينها
تحت قيادتي .

وبصفتي ممثلًا في من حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة ،
رئيسًا لجميع الفرنسيين الأحرار أنسى وجدوا ، من ينضمون إليّ للدفاع
عن قضية الحلفاء ، جئت أحيطكم علماً بأنني أقبل هذه المذكرة .
وسنعتبر اتفاقاً معقولاً بيننا حول تلك المسائل .

وإني لسعيدٌ أن تكون الحكومة البريطانية قد تعهدت في هذه
المسألة ، بتأكيد عزمها أن تؤمن إعادة كيان فرنسا واستقلالها
وعظمتها ، حين تنتصر الجيوش الحليفة .

وأؤكد لكم من جاني أن القوة العرسية الحاربي تشكّلها إنما هي
مخصصة للمشاركة في العمليات ضدّ الأعداء المشتركين (ألمانيا ، إيطاليا ،
أو أية دولة أجنبية أخرى معادية) ، بما في ذلك الدفاع عن الأراضي
الفرنسية ، والأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي ، والأراضي البريطانية
ومواصلاتها ، الخاضعة للانتداب البريطاني .

ونأمل ، سيدي الوزير الأول ، بقبول تأكيدات اعتباري السامي .

تنويه بـ « تشاد » في وشاح الامبراطورية

٢٧ آب ١٩٤٠

ها أنا هذا اليوم ، الواقع في ٢٧ آب ١٩٤٠ ، وهو اليوم الستون بعد

الثلثاية من مشوب الحرب المالية ، أموره يذكر إفلد ج تشاد في وشاح
الامبراطورية للسبب الآتي ببيان :

« لقد أظهرت تشاد ، بحافز من رئيسها . الحسام السويدي ، بصفته
حاكماً ، والعقيد مارشان ، بصفته قائداً عسكرياً للإقليم ، أنها تطل
أرضاً للفرنسيين الشهباء .

« وعلى الرغم من وضع عسكري واقتصادي حطير على نحو خاص ،
فلان إقليم تشاد رفض أن يوقع استسلاماً محزياً ، وقرر منعة الحرب
حتى النصر . وقد دل ، معبرته السبق قنبر الإعجاب ، على طريق
الواجب ، وأعطى الإشارة بنهوض الامبراطورية العربية بأكملها .

« الجنرال دييول »

رسالة إلى الجنرال كاترو

٢٩ آب ١٩٤٠

سيدي الجنرال

من يشح لكم ان تعرفوا بأي فرح قلبيت بنا وصولكم القرب
هالك الكثير مما ينبغي عمله لاجراج فرنسا من القوة ، وإن رجلاً ورئيساً
مثلكم ، يستطيع ان يقوم بمثل هذا الدور في إحصائها وانكم لتعلمون أنني
احمر لىك ، مد رم طوبى ، تقديرأ حد خاص ، ومودة صادقة واحتراماً
كبيراً . وما كان من شأن الموقف الذي اتخذتموه في عهد الصبيته لا ان
يرستعي في هذه المشاعر . والآن ، علينا أن نسي .

وستكون على علم بما جرى هنا وفي غير اماكن على وجه السرعة .
أما به تعلق بي فأمي ، وقد كنت في الحكومة خلال الايام لاحيرة
من الحركة ، فكنت من معرفة مدى الراحه العميقة في عمل العدد . وفي

حاشية الحكم وذهبية هؤلاء الحكم أنفسهم وما كان في استطاعتي ان أشك لحظة في ان سقوط صديقك المشترك بول ريسو ، ووصول المارشال المحرور المسكين الى السلطة ، اى كانا يعينان الاستسلام . ورفضت ، من حقى ، ان ادعى له ، فأنيت لندن لأشوء فيها هناك ، فرصة محاربة . واستطعت ، في استنفار للفرنسيين ، ان أكون بداية قوة عسكرية ، وبحرية ، وحقوية ، وقواعد دوائر رسمية . مثلون خارجية ومستعمرت ، مالة ، إعلام ، إلخ . . وأحرقت اتصالات متعددة بكثير من أرحاء العالم . هناك استمدادات كاملة فائضة في فرنسا والامبرطورية وقد اصعبت إلينا حرر هيريد الجديدة ، وتشاد ، والكاميرون ، وشاطيء الساح الاعلى وساكون ، حين تلقى هذه لرسالة ، في طريقي إلى دكار مع قوات ، وسفن ، وطائرات ، و . . . تأييد الاسكندر .

وإذا نجح هذا المشروع ، فان مسألة أفريقيا الشمالية الكبرى ستطرح في الحال ، وستطرح ملحة مقدار ما هو لخطر الألماني ، والإيطالي ، والاساسي ، في نظري ، داهم ولا يبدو لي أن في استطاعة الرجال الذين يشغلون بها الوظائف والذين جعلهم إدعائهم للهندن غير أكفاء ، أن يكونوا بعد ، بحال ، رجال حرب . وأنا إنما أصوب كلامي هذا ، وأنا أقوله لك ، على الجنرال بوغيس ، الذي ما فتىء منذ أول يوم ، يمدد مراودته الكثيرة ليحتفظ بتعبه . وفي اللحظة التي نستطيع بها أن نضم إلى أفريقيا الشمالية ضمًا كاملاً ، لا بد لنا من شخصية ذي مكانة ، تتولى أمرها وهذه الشخصية ، اى هي أنت يا سيدي الجنرال ، إذا تفصلت بقول ذلك

وليك لنعلم أن الحكومة البريطانية قبلت مسبقاً ، بعد أن اعترفت بي كـ « رئيس » للفرنسيين الأحرار ، أن أعالج جميع المسائل المتعلقة

بالدفاع عن امبراطوريتنا وحياتها الاقتصادية ، مع « مجلس دفاع عن فرنسا ما وراء البحار » في حالة تشكيل هذا المجلس . وذلك هي « في الواقع » نيتي . واني لأطلب عليك ، سيدي الجنرال ، أن ترعى بمصوب « أفريقيا الشمالية » في هذا المجلس . وانتظار تأسيس هذا المجلس ، ستكون معنا موقوف المكاية « لإعداد عملك . ولربما يندرج في إمكانك ، منذ اللحظة التي تسمح بها الظروف ، أي منذ لحظة أقدامنا في المغرب أو الجزائر ، وفي الوقت الذي تجده صالحاً ، ان تذهب الى هناك وتعارض ادارة مجموعة أفريقيا وقيادتها : المغرب ، والجزائر ، وتونس .

الأميرال موزيليه ، وأسطوان (الذي اتخذ اسم هونتيس) وقد كلمته أن يمارس الوكالة في غيابي ، للوظائف الآتية ، على التوالي : قيادة القوات العسكرية والبحرية والحوية في انكلترا ، وإدارة المصالح المدنية ، سيخبرانيك عما نحن عليه الآن من ناحية قواتنا ودوائر الخدمات لدينا . وثمة قضية مهمة نحن الآن في صدد معالجتها ألا وهي تسليح عدد من سفننا الحربية .

وستكون رأياً لك عن الأميرال موزيليه ، فقد كان موضع انتقاد ، وله عيوب ، ولكن له ايضاً مزايا . وهو في قرارة حقيقت رجل مقدم . وكنت أفضل طبعاً أن يقدم إلينا دارلان بأسطوله ، ولكن دارلان لم يقدم ...

أما من الناحية العامة ، فان لدي ثقة تامة بإسراز النصر النهائي . ولقد أدرك الانكليز بعمق هذا الأمر لحسن حفظهم وحفظنا معاً ، والسيد تشرشل هو « رجل الحرب » كيايياً . واللعبة تدور بين هتلر وبينه .

وفيما أنا انتظر شرف مقابلتك ، أرجوك سيدي الجنرال ، ان تتقبل أخلص مواطني وأوفى احتراماتي .

رسالة ^{١١} إلى السيد بولتون الحاكم العام لأفريقيا الغربية الفرنسية

في البحر ، أمام دكار
١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٠

سيدي الحاكم العام

ان لكم ، في حركة النهوض الفرنسية الواسعة التي تشمل امبراطوريتنا ،
دوراً عظيماً لتقوموا به . لقد مدت ساعتكم .

أطلب اليكم ان تلتحقوا بي لتابعة الحرب ، بُنية تحرير الوطن .
واني الآن على مقربة منكم مع قوة عسكرية مهمة ، بحرية وبحوية .
هذه القوة قدمت الى دكار لتقوية الحامية ، ووضع الموقع في مأمن من كل
سطوة يمكن ان يسطوها العدو ، وغوين المستعمرة ...

واني لأحسب ان أنزل تلك القوة وهذه المؤن بين لحظة وأخرى ،
ولا أستطيع تصور قيام معارضة . واذا صح المستحيل وحدثت مقاومة
ما ، فاني على ثقة أنكم ستصرفون على نحو تتداركون به الاحداث
الأليمة .

وستكون هذه الاحداث اكثر ابلاماً ، من جهة أخرى ، اذا هي
أفضت الى تدخل القوات الحليفة التي قواكسي ، ومهمتها ان تمنع بجميع
الوسائل ، تعرض قاعدة دكار للقوط في أيدي العدو .

واني لأنتظر جوابكم بنقطة يا سيدي الحاكم العام ، وأرجو ان تتقبلوا
أسمى هواطفي .

(١) لم يكن في الامكان تسليم هذه الرسالة لصاحبها عن طريق المراسلين ،
ولسب معروف .

برقية الى السيد ونستون تشرشل

في لندن

فريتنون ، ٢٦ ايلول ١٩٤٠

يجب ان أحتج لديكم على أسلوب الحكومة البريطانية في تصرفها بإرسال الجنرال كاترو الى مصر ، قبل ان تنال موافقتي مسبقاً ، فأب اعتبر هذه الطريقة في العمل تنساق والتعهدات المعقودة بيدي وبين الحكومة البريطانية ، وهي تمهدت أفقيد بها كل التقيد ، وأبوي أن استمر في التقيد بها .

وقد نشأ من جهة أخرى ، عصر خلاف . ذلك بأن الجنرال كاترو بكل تأكيد ، هو ، الشخصية ذو الكفاءة العليا لتمثيل فرنسا الحرة في المشرق ، وما كنت لأتردد في ان اطلب اليه الذهاب الى هناك ، لو انني كنت على علم ، في الوقت المناسب ، بما يجري في سوريا . ولكن ، على الرغم من اني وصلت الى هنا في ١٦ ايلول ، ولا أزل ، منذ ذلك الحين ، تمكنت من تلقي أسائكم ومقترحاتكم ، ولم أتلق شيئاً يخص هذا الموضوع ، وحدثت نفسي اليوم بشأنه ، أمام أمر واقع .

ليس للجنرال كاترو ان يقوم بعمل على اراضي المشرق الخاصة لاانتداب فرنسي ، الا بصفته ممثلاً للفرنسيين الاحرار الذين أريستهم ، وقد اعترفتم بتم بذلك . ولا يمكنه ان يعمل في المشرق الا بأمر مهم صادر مني اليه . واداً كان الموقف على غير ما أبسط ، فساكون مضطراً الى شجب كل عمل يمكن ان يشرع فيه . واني لأصر على ان أتطلع في أقصر مهلة ، على الترتيبات التي تعتمد الحكومة البريطانية اتخذها نتيجة لهذه الملاحظات .

وان من المصلحة الحيوية ان تساعد الحكومة البريطانية على تمحيص
الطهود ، وتتعلم من ، عكس ما تفعل ، ان تعير على تشقتها ، من أجل
موضع حرب رويداً رويداً ، بأعباء هذه الحرب الى جانب حملتها .

برقية الى الجنرال كاترو

في القاهرة

في الشهر ٢٢ ايار ١٩٤٠

أوافق على معركتي في المشرق ، حيث يمكنكم ان تذلوها عموماً كبيراً
لإجراح مهماتكم هناك وقد اضطرت الى الاحتجاج لدى الحكومة
البريطانية على أسلوب تصرفها في هذا الشأن . ولكن ردة فعلي هذه
لا تتعلق بكم شخصياً . فان لي بكم ، فعلاً ، ثقة توارثي ما أكنتم لكم
من ودة واحترام . وانتم ، من جهة أخرى ، أكفأ من يمكن لتولي
أمورنا في المشرق .

برقية الى السيد و . تشرشل

وقد أطلع الجنرال ديغول على المقاربات التي أجريت

في مدريد بين سفير فيشي وسفير انكلترا

لاغرس ، ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٠

- ١ - لقد سجل الجنرال ديغول باهتمام كبير ، أن حكومة فيشي واجهت
لأول مرة ، في اتصال رسمي ، مثل هذه الظروف التي كان يوسع
فرنسا الرسمية ، أن تستأنف بها الحرب إلى جانب بريطانيا العظمى .
- ٢ - وبناء على الأمر الواقع والسياسة التي اتبعتها حكومة فيشي ، فان
مثل هذه الخطوة تعتبر علامة اضطراب سياسي يقارب اليأس أكثر
بما هو إقرار صريح " نعطاً وطني ودولي لا حد له .

٣ - ومن الضروري ، كيف دار الأمر ، أن نمر نقطة لائقة :

حتى وإن انتقلت حكومة فيشي يوماً ما ، كلياً أو جزئياً
إلى أفريقيا الشمالية وأعلنت أنها تريد استئناف القتال ، فإنها لا
تلك من السلطة والمعالية ما يكفي لإدارة الحرب ، إذ لم يبق لها من
المعروف بعد أن أذعن ادعاءً عاماً لتسليم العدو وحملت الامبراطورية
عزلاً ، ما يلزم لقيادة أولئك الذين تدعوم لحمل السلاح ،
واجتهادهم .

٤ - - وأية كانت التسويات التي يمكن أن تضطر الحكومة البريطانية إلى
القبول بها مع حكومة فيشي فيما يخص العلاقات الاقتصادية بين
فرنسا غير المحتلة والامبراطورية الفرنسية ، فلا يجوز أن تجرّ هذه
التسويات إلى عدو ، وإن مؤقتاً على الأقل ، في معونة فيشي
على المستعمرات ، هذا المعود السائر الآن في طريق النصفية .
وبعد من الفصل الاقتراح على فيشي القيام بتمويل مباشر من
طريق أعمال الاسعاف التي تمارسها مؤسسات الولايات المتحدة ،
لأن إشراف 'مركز قواعده' . وفي هذه الحالة ، يصبح من المفيد ،
سبباً مع اقتراح سابق للجنرال ديفول ، أن 'تعرّف' تليسات التمويل
على أنها التحذير استجابة لطلب الجنرال ديفول .

٥ - بنوه الجنرال ديفول بارتيساج أن الحكومة البريطانية ببنت
لحكومة فيشي :

أ (عزمها في الاستمرار على تأييد حركة الجنرال ديفول في
المستعمرات التي انضوت إلى سلطته ، أو التي ستضوي إليها .
ب) بيتها الرسمية في السامرة بإعادة استقلال فرنسا وعظمتها بعد
الحرب ، ولا سيما إعادة المستعمرات .

جواب نفتحش المستعمرات العام ، كازو

مدير المالية في الهند الصينية

الذي لم يبق الى الجنرال ديغول ، حول الموقف

في الهند الصينية ، ومشاعر السكان

حوالا ٥٠ تشرين الاول ١٩٤٠

١ - أشكركم على عواطف الولاء التي أعربت عنها رسائلكم اليّ ،
لا سيما في الفقرتين ١ و ٣ . وإننا لنشكرك جيداً الصعوبات التي تلاقونها ،
ومن المستحيل على القوات الفرنسية الحرة ، ان تقدم لكم الآن هوناً
فعالاً . ومانتظار اقتدارها على ذلك يوماً ما ، فإننا على ثقة انكم ستصرفون
دوماً على افضل نحو لمصلحة فرنسا في الشرق الأقصى ، وأنكم
ستعاونون معنا ، ناشطين ، حين تدق ساعة النصر . ولا يريب انكم
ستظلموننا ، منذ الآن ، على احتياجاتكم الأكثر إلحاحاً لنليبها ساعة
تصبح ظروف العمل مؤاتية . ومما حدث ، فإنه بعدنا ان نتلقى
منكم أباء قيمة ، ولنا بكم ملء الثقة للمحافظة على روح المقاومة
لدى اسدقائنا ، وتمييزها .

٢ - لقد أطلعني الجنرال كازو الذي انضم اليّ ، على الموقف كما
كان خلال الأسابيع الأخيرة التي تلت الهدنة . واني لأرجو إليكم التعبير
عن قلبي الوديع .

بيان أطلق من برازافيل

٢٧ تشرين الاول ١٩٤٠

إن فرنسا تجتاز أرمب أرمبة في تاريخها ، فسان حدودها ،
وأمبراطوريتها ، واستقلالها ، وحتى روحها مهددة بالدمار .
وقد أسلمها لنعر لا يمر له ، حكام قولوا الأمور ، جمعتهم المآرب ،

وقبلوا شريعة العدو وخضعوا لها . ومع ذلك ، فإن هناك أدلة لا تحصى على أن الشعب والامبراطورية يرفضان العبودية الشنعاء . هناك ملايين من الفرنسيين أو من رعايا الفرنسيين قرروا متابعة الحرب حتى التحرر ، وملايين وملايين آخرون لم يتركوا ساكنة في انتظار رؤساء أكلاء جديرين بهذا الاسم .

والواقع ، لم يبق ثمة من حكومة فرنسية حالية . الواقع أن السلطة الحقيقية في فيشي التي تزعم أنها تحمل هذه الصفة ، غير دستورية ، وهي خاضعة للغزاة . ولا تستطيع هذه الهيئة في حالها من العبودية ، كما هي في الحقيقة ، إلا أن تكون أداة يستخدمها أعداء فرنسا ضد شرف البلاد ومصالحها . لا بد إذن من سلطة جديدة تأخذ على عاتقها إدارة المهد الفرنسي في الحرب . الأحداث تفرض على هذا الواجب المقدس . ولن أخجل به .

سأمارس سلطاتي باسم فرنسا لأدافع عنها ، لا لشيء آخر ، وأتهد على رؤوس الأشهاد أن أقدم الحساب عن أعمالي لممثلي الشعب الفرنسي ، ساعة يصبح في مكانه أن يمين ممثلين له بحرية .

واني أدعو إلى الحرب ، أي إلى القتال أو التضحية ، جميع الرجال وجميع النساء في الأراضي الفرنسية التي انضمت إلى . وللمراد أن ندافع عن التراث الوطني ضد العدو أو ضد مساعديه ، بالاتحاد الوثيق مع حلفائنا الذين يملنون عن إرادتهم بإرجاع استقلال فرنسا وعظمتها ، وأن نهاجم العدو في كل مكان يتاح لنا أن نهاجمه ، وأن نجمل جميع مواردنا من عسكرية ، واقتصادية ، واخلاقية ، تمسك وتنتج ، وأن نحافظ على النظام العام ، وأن نجمل العدالة لسود .

سنؤدي هذه المهمة الجليلة في سبيل فرنسا ، ونحن واعون من أننا نخدمها أحسن خدمة ، وواثقون من النصر .

أمر رقم ١

بمضي بإنشاء مجلس دفاع الامبراطورية

باسم الشعب والامبراطورية الفرنسيين

نحن الجنرال ديمول ، رئيس الفرنسيين الاحرار ، نأمر :

المادة الأولى : تمارس السلطات العامة في جميع اجراء الامبراطورية
للمتحررة من رتبة العدو على قاعدة من التشريع الفرنسي السابق ليوم ٢٣
حزيران (يونيو) ١٩٤٠ حسب الشروط الآتية ، ما دام في غير الامكان
تشكيل حكومة فرنسية وتمثيل للشعب الفرنسي ، نظاميين ومستقلين
عن العدو :

المادة الثانية : أنشئ مجلس دفاع عن الامبراطورية مهمته المحافظة على
الولاء لفرنسا ، والحرص على الضمان الخارجي والامن الداخلي ، وادارة
النشاط الاقتصادي ، ودعم التماسك القومي بين شعوب اراضي الامبراطورية .
هذا المجلس يارس القيادة العامة للحرب ابتداء من تحرير الوطن ، في
جميع الشؤون ، ويبحث مع الدول الأجنبية المسائل المتعلقة بالدفاع عن
الملكيات الفرنسية والمصالح الفرنسية .

المادة الثالثة : يتخذ القرارات رئيس الفرنسيين الاحرار ، بعد مشورة
مجلس الدفاع ، اذ تقتضى الامر .

صدر في برازيل

٢٧ تشرين الاول ١٩٤٠

ش . ديمول

برقية الى العقيد لوكليز

في موالا

برازيل ، ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٠

إن قراري ، في الحالة الراهنة ، أن أخلص ، قبل كل شيء ، من

قضية لامبارييه ..

إذا سويت قضية لامبارييه على نحو مؤات ، فأنا مستعدة لمواجهة القيام بعملية جوية وبحرية ، وبرية ضد ليبرفيل ، دون أن يتدخل البريطانيون مباشرة ، إلا إذا ألجأتها فئشي .

ونتيجة لذلك ، أفوضك بإعداد هذه العملية التي أعتقد ان أضغ تحت تصرفك في سبيلها جميع الطائرات والسفن التي يمكن الحصول عليها ، كما أضغ جميع الوسائل البرية التي عيّنت من قبل .

برقية إلى الرئيس ميناكس

وزير اليونان الأول

براذيل ، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٠

أوجت إلى دولتكم ، كما للحكومة والشعب اليونانيين ، مشاعر إعجابنا وإيماننا ، باسم جميع الفرنسيين سواء من الذين يتألمون الحرب ، أو من أولئك الذين أخضعهم العدو مؤقتاً للعبودية .

إن الهلنيين إذ ينهضون لإنقاذ استقلالهم مرة أخرى ، يقدمون من جديد مثلاً للعالم جديراً بتقاليدهم الماهرة .

إننا سنطلب أهداماً المشتركين ، ونحن يد واحدة ، مع حلفائنا .

برقية إلى الجنرال كاترو

في القاهرة

براذيل ، ٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

تلقيت برقيتكم المؤرخة في ٣ تشرين الثاني . وإنها لمناسبة لي أكرر بها أنني موافق على خطتك وعملك في جميع القنصا ، فإذا توالى الأحداث متدافعة وجرت البريطانيون والاراك لاحتلال سوريا ، يصح

من الجوهرى بكل معنى الكلمة ، ولذصلحة الوطنية للمليسا ، أن
تشارك معرزة من القوات الفرنسية الحرة في العملية ، حتى وإن غدت
هذه المقررة ، رمزية نحو خاص . وفي هذه الحالة ، ستجدون أكيدا
من الضروري أن تشاركوا شخصيا في العملية نية أن يكون ثمة اسم
فرنسي عسكري كبير ، أسهم في تلك القضية . وهذا في رأيي ، كما
هو في رأيكم ، من الأهمية بكان . ولن يفوتكم من جهة أخرى ،
وأنتم أدرى من غيركم ، أن دخول الأتراك سوريا يضع المستقبل في خطر
جسيم . ومن الأفضل بكثير ، أن لا يقوم بالمطالبة ، إذا أمكن ،
سوى البريطانيين والفرنسيين الأحرار .

برقية إلى العقيد باران في لامباريه

برازافيل ١٠ ٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

أعانقك وأهنيك ، أيها العقيد باران ، حاكم العاؤون . وتهاني إلى
جميع الذين هم تحت إمرتك ، وإلى المقدم ديور ، خاصة . قبل لقواتك
لأنهم أحسنوا الخدمة . لقد حاربوا من أجل فرنسا وانتصروا في سندانرا ،
وميتزريك ، وندجول ، ولامباريه . يجب الآن إكمال الظفر .

برقية إلى العقيد لوكليير في ليوفيل

برازافيل ١٠ ٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

أهنيك أيها العقيد لوكليير ، وأهني القوات التي تأتمر بك على الظفر
الرائع الذي حققته بتحرير ليوفيل .

وإني لأدعو بور - جنتي ، عن طريق الراديو ، أن توفد ممثلين عنها

فوراً إلى الرتل الفرنسي الحر الذي يتحدر إليه من الأوعوبه . وأرجوك
أن تجعل الطائرات تحلق فوق بور - جنتي وتعلن ، في نشرات تلقىها
على الأملين ، استسلام الجنرال تافو في ليبيريل ، وتطلب إليهم الطاعة ،
كما أرجوك أن يرسل قوة بحرية تكون على صلة لاسلكية بي .

امر بإنشاء وسام التحرير

باسم الشعب والامبراطورية الفرنسية

نحن الجنرال ديفول ، رئيس الفرنسيين الأحرار

بنسأه على أمراً رقم ١ الصادر في ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٠ الذي
ينظم السلطات العامة طيلة الحرب ، والذي أُنشئ بموجبه مجلس دفاع
الامبراطورية .

وبنسأه على أمراً رقم ٥ الصادر في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ الذي
حدد الشروط التي تتخذ بموجبها قرارات رئيس الفرنسيين الأحرار .
بأمر :

المادة الأولى : أُنشئ وسام 'يدعى' وسام التحرير ، يحمل أصحابه
لقب 'رفاق التحرير' .

وضع هذا الوسام كمكافأة الأشخاص أو المجموعات العسكرية أو المدنية
التي تميز في عمليات تحرير فرنسا وامبراطوريتها .

صدر في برازيل

١٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

ش . ديفول

برقية إلى الجنرال دي لا ريفينا

للفرنسي السلمي في برازيل

تعدن ، ١٩ كانون الأول ١٩٤٠

إن نفوذ حركتنا المتزايد في فرنسا نفسها ، كترابيد الضرورات العامة

الحربية ، يقرضان علينا أن نوسع عملنا الحربي ضد العدو ، الى أقصى حد ممكن وفي أقصر حبة .

لقد قررت أن يوسع نطاق مجهودنا اتساعاً ملحوظاً في الشرق الاوسط ، بأن أرسل اليه ، فوراً ،

الليف الاجنبي ،

مفرزة من الرماة البحريين ،

فوجاً سنمالياً ،

سرية دبابات ،

مفرزة مدفعية من هيار ٧٥ ،

مفرزة إذاعة ،

سرية نقل ،

عناصر مصالح جيش ،

وستوضع جميع هذه العناصر تحت إمرة العقيد ماغران - فيرنيريه .

وان مختلف المفاوضات التي أحرستها حول هذا الشأن ، مع الحكومة

البريطانية ، فيها يتمنى بنقل القوات والعتاد ، قد أفضت الى اتفاق .

الا أنني أرحوك ، منذ الآن ، ان تتخذ جميع الترتيبات لتكون هذه

العناصر جميعها بلا استثناء مستعدة للإبحار خلال مدة أقصاها عشرون

يوماً ابتداء من هذا اليوم .

برقية الى الجنرال كاترو

في القاهرة

لندن ، ١٨ كانون الأول ١٩٤٠

يلغى ان يتجه الآن مجهودنا الاكبر من الناحية العسكرية في الشرق

الاورسط ، ضد الطليان .

ان لواءنا الشرقي الاول الذي يشتمل على فيلستق ذي ست سرايا ،

ومفرزة من الرماة البحريين ، وفوج متفاليين ذوي سرايا ، وسرية
مبابات هولشكيس طراز ١٩٣٩ ، ومفرزة مدفعية عيار ٧٥ ، ومفرزة
إرسال لاسلكي ، وعناصر مصالح عسكرية أبرزها نقلة جرحى ،
وجسيما تحت إمرة سانغران - فيرييريه المدعو موكلار - ؛ هذا اللواء
سيتحرك نحو الشرق الأوسط ، وسيكون انطلاقه خلال هذا الشهر
نفسه ، والتسم الأكبر منه ، عن طريق البحر ، وفيلق المتفاليين
الآتي من تشاد ، يسير برا نحو الخرطوم . وسيمثل هذا اللواء ، كما تعلم ،
في السودان ، بناء على اتفاق سابق مع الجنرال وبفيل .

ثم إن سولو ينظم الآن ، من جهة أخرى ، فيلقاً قاباسفيك مختلطاً
من الأوروبيين والسكان الأصليين . وأخص مصر هذا الفيلق ، كما طلست .
وتمه حالياً فوج من ٧٠٠ رجل على أهبة في نوميا ، وأما أقوم هنا
بتدريبات نفعه في وقتٍ جد قريب .

وأما الآن ما هو أيضاً في جمع كل ما بقي من أسلحة فرنسية في إنكلترا ،
على أن أرسلها إليك باستمرار . وأحسب أنه سيكون في استطاعي
أن أمدك بما يلزم للتسلح فيلق البابيفيك نيلبعا وإفبا ، وكذلك الأمر
مع فوج مصر الثاني أيضاً الذي شرعت في تكوينه . وسأرسل إليك في
الوقت نفسه مع الأسلحة والدخائر ، ضباطاً لتنم الملاك . وامي لأرغب
شديد للرجبة أخيراً ، في أن يستعيد طيسارونا في الشرق الأوسط ،
طباهم الفرنسية ، حتى وإن كان عليهم أن يخدموا ، خلال هذه الفترة ،
في الأسراب الانكليزية .

ومن المفهوم أن جميع هذه العناصر توضع تحت إمرتك في الحاضر
والمستقبل ، أين وجدت أو يمكن أن توجد في أي مكان من الشرق
الأوسط ، واستخدامها إنما يتم ترتيبه بينك وبين الجنرال وبفيل ، هذا
إذا لم يتقرر في لندن بيني وبين الحكومة البريطانية .

رسالة إلى أعضاء مجلس دفاع الامبراطورية

لندن ١٨ ٠ كانون الثاني ١٩٤١

إني لأحب أنكم مطلعون على الموقف الذي اتخذته في كلمتي الأخيرة المذاعة بالراديو والخطاب الذي ألقته بحضور الكاردينال هيلي عن موقف فرنسا الحرة تجاه الحلفاء وحكومة فيشي وأقنئ أن أعرف رأيكم في مواجهة الاحتمالات الثلاثة الآتية :

(١) هل تقدرون أن من واحدنا ، فيما يتعلق بنا ، أن ننمي كل نوع من الصلات بفيتشي ، في الحياة الراحنة ، أي ما دامت فيتشي راضية بالعيش في ظل نظام الهدنة والتعاون ، وإن طفيفاً ، مع العدو ؟
(٢) إذا وقفت فيتشي على قبول نظام الهدنة والتعاون وقررت الانتقال إلى خارج سلطة العدو ، لا لتتألف الحرب ، ولكن للتقيد بالحياة ، هل تقدرون أنه يجب علينا في هذه الحال ، أن سنمر في عدم الاعتراف بسلطتها ، لنهاء إقامة بعض العلاقات معها في مواجهة المستقبل ؟

(٣) وعلى افتراض أن حكومة فيتشي قررت الانتقال إلى أفريقيا الشمالية ، واستأنفت القتال ، فما هي الشروط التي ينبغي لنا أن نضعها للاتحاق بها ، إن في الحقل الخارجي ، وإن في الحقل الداخلي ؟

ملكرة ملكت للحكومة البريطانية

حول الموقف في الهند الصينية

١٠ كانون الثاني ١٩٤١

(١) على مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية أن يبين ، إزاء غزو الهند الصينية الفرنسية من قبل قوات اليابان وفيلاند ، السلطة ، أنه لا يملك حالياً الوسائل المادية اللازمة ، ليأخذ على عاتقه الدفاع من

الخارج ، هن الهند الصينية . ولكن هذا الوضع يمكن ان يتغير في المستقبل . وكيفما كانت الحال ، فإن مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية يعتبر ان من شانه ان يُعطي حقوق فرنسا في كل مكان تكون به مهددة .

(٢) ان إطلاق حركة داخل الهند الصينية ، رامية الى إحلال سلطات تعينها فيشي محل السلطات التي عينها مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية يوشك ان يؤدي ، من جانب اليابان ، الى توسع لموري في العزو ، وهو توسع لا تبدو معه الهند الصينية ، في هذه الفترة ، قابلة لمقاومته بقواتها الخاصة . وبالتالي ، فإن مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية ، لا يسوي إطلاق مثل هذه المقاومة ، وقد أخذ علماً بأن سلطات فيشي في الهند الصينية تبدو أنها وعدت بأن لا تقوم بأي عمل من شأنه أن يمسك الأمن في الأراضي الفرنسية ، في الباسيفيك ، ثم إن تلك السلطات المزعومة لا تملك ، من جهة أخرى ، كما يظهر ، امكانية القيام بأي عمل ، حتى وإن أرادت ذلك .

(٣) ونحن نعتبر ، عدا هذه المسألة المنوطة بالظروف ، أن حقوق فرنسا في الشرق الأقصى تظل ، على كل حال ، متضامنة وحقوق دول أخرى . وإن توسع اليابان وتايلند في الهند الصينية خاصة - ولا سيما إذا استمر هذا التوسع ، كما يفترض ، أو هو سائر في طريق الاستمرار - لا يمكن إلا أن تكون له بعض الاصداء على وضع الامبراطورية البريطانية ، والولايات المتحدة ، وهولندا ، في ذلك الطرف الثاني من آسيا .

(٤) وإذا كانت أية محاولة وساطة تقوم بها إحدى هذه الدول بمفردها ، تتعرض لخطر الإخفاق ، إما بسبب السلطات الحالية في الهند للصينية ، وإما بفعل اليابان وتايلند . فإن لوساطة جماعية تقوم

بها الدول الثلاث ، وترمي على الأقل ، إلى وقف المصارف ، فرض نجاح ، لا ريب في ذلك . فإن وضع اليابانيين للمسكرية ، ولا سيما في كوانغ-سي ، واتساع مواصلاتهم مع الهند الصينية ، أمران يبدو من شأنهما أن يجهدا من متطلبات اليابان ، وما يكاس الأثر ، من متطلبات تايلند ، تجاه مثل هذه الوساطة الجماعية المقترحة ، إذا تحققت في هذه البرهة من الزمن . وعلى العكس ، فإن كل تخوّر في قدرة الهند الصينية على المقاومة ، يدفع اليابان وتايلند على التشدد والتصلب .

(٥) وعلى كل حال ، وما دامت السلطات الحالية في الهند الصينية ، تظهر نيتها بممارسة اعتداءات اليابان وتايلند في حدود ما تستطيع ، فإن مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية لا يسدي أي اعتراض على تقديم بعض التسهيلات لتلك السلطة من أجل مساعدتها على حفظ النظام في البلاد ، والدفع عن حقوق فرنسا . وبندرج تحت ذلك أيضاً استئناف بعض العلاقات الاقتصادية مع الدول الخليفة ، بنسبة ما يندرج المستوى الذي 'تُرفع' له الهند الصينية في مدتها بالأسلحة وتكوينها .

وإن نقل طائرات من طراز « بيارن » إلى الهند الصينية ، من هذه الوجهة ، يمكن أن يكون في رأينا مقبولا ، وإن بدا أنه يشتمل على كثير من الصعوبات العملية . ولكن قبوله مشروط ، مع ذلك ، بتعهد تقديمه سلطات الهند للصينية ، أن لا تستخدم تلك الطائرات ضد القوات الفرنسية ، ولا ضد الخلفاء .

برقية إلى هنري موتو

حاكم كاليدونيا الجديدة ، في غومبا

لندن ٢٨ كانون الثاني ١٩٤١

(١) من الضروري مظهراً للحالة العامة ولا سيما من جهة اليابان ، أن تؤمن الدفاع وتكملة ، عن كاليدونيا الجديدة وثاهيتي .

(٢) وبالتالي ، فإن جميع القوات الموجودة حالياً في كاليدونيا الجديدة وقاهيتي وجميع تلك التي تجندونها ، يجب أن تخصص ، حتى إشعار آخر مني ، للدفاع عن كاليدونيا الجديدة وقاهيتي ، باستثناء ثلاثمائة رجل من كاليدونيا الجديدة ومفرزة ٣٠٠ آخرين من قاهيتي ينبغي أن يسعروا إلى الشرق الأوسط حين يصبحون على استعداد للقتال ، أي بعد أن تتم قيادتهم ، وملاكاتهم ، وتسلحهم ، وتجهيزهم ، وتعليمهم .

(٣) ونظراً إلى أن إعداد منظرتهم كاليدونيا الجديدة ونقلهم إلى الشرق الأوسط ، يجرى بمؤامرة حكومة أستراليا ، ونظراً أيضاً إلى أن لدفاع المحتمل عن كاليدونيا الجديدة ، يمكن أن يحظى بتأييد حكومة أستراليا ، فقد طلبت إلى هذه الحكومة أن توفر إليكم خباط ارتباط ، لترتيب كل ما يتعلق بمألة المؤامرة العملية التي تقوم بها تلك الحكومة .

برقية إلى الجنرال كاترو في القاهرة

تست : ٣٠ كانون الثاني ١٩٦١

تلقيت برقيتكم المتعلقة بالاتصالات مع الجنرال فيغان .

إن معلوماتكم تكمّل الدلائل المتعلّقة من مصادر أخرى وتؤيّدتها من جديد . ومن الواضح أن فيغان يرى الوضع العام الآن غير ما كان يراه في حزيران (يونيو) . ومن الثابت كذلك أن حاشيته قدفعه على السير في الطريق الصالح . ومن المعروف أخيراً ، أن الخصومة الشخصية الدرد بين دارلان وفيغان تعين على جنوح فيغان إلى جانب الصلاح . ومع ذلك ، فأنا لا أميل ، وإن كنت أعترف بالمائدة التي تقدمها بديّة التطور هذه لدى فيغان ، إلى إرساله في الوقت الراهن ، كثيراً من الأهمية للأسباب الآتية :

(١) إن موقف فيضان غير وطيد . ولا يمكن أن يعتبر رجلاً حازماً ، ولا سياً في هذه الأيام ، وإن كان يلعب في أفريقيا بأمر من المارشال بيتان ، ويتصرف على وفاق معه . ويزداد موقفه ترحباً ، كما تعلم ، بمقدار ما ينطوي بيتان تجاهه ، في قرارته ، على قلة ود ، وبمقدار ما يخسر فيضان نفسه كثيراً من هيئته في فرنسا وفي صفوف الجيش . وإنه ليكفي قليل من الضغط الجاد يمارسه الألمان على فيشي ، ليُسْتَدْمَى فيضان أو يُرغم على الحرب .

(٢) فيضان في الرابعة والسبعين من سنه . وما سبق له قط أن كان ذا رلع بالمبارزة . وإنه ليسمر ، مُضاعفاً إلى ذلك ، أن مقامه هو ، فلن يعود ليصبح رجل الحرب ، بعد أن كان رجل الهدنة .

(٣) وحتى عندما يريد فيضان أن يستأنف الحرب في أفريقيا الشمالية ، لا يملك أن يستأنفها دون دارلان . وذلك لأن هذا ، هو الذي يقبض على الموانئ من الدار البيضاء ، إلى وهران ، إلى دكار ، واليهما ثاني الأسلحة والمؤن من أميركا وانكلترا . وحقيقة الحال ، أن دارلان لا يريد الحرب ، فهو يحسب أن يحمل يوماً ما ، محل بيتان ، وهذا ما لا يستطيعه دون تأييد الألمان . ويجب أن نضيف أن سلطة فيضان في أفريقيا نظرية أكثر مما هي واقعية ، فالمغرب لتوغيس الذي لا يطبق فيضان . والجزائر لأبريال Abrial ، وتونس لاستيفاء Eneva ، وهذان كلاماً بواليان دارلان . وأفريقيا الغربية لبواستون ، وهو سيد دكار .

وأمره بشبه الوعد الذي أعطاه فيضان أن لا يهاجمنا في أفريقيا الاستوائية . فأنا اعتقد من جهة أخرى ، أنه لو أراد ذلك لما اتبعه أحد من القوات ، أو اتبعته قلة جدد ضئيلة منها . وعلى الرغم من أن خطتنا ، أن نذل الجهد حالياً ضد الطليان فأما لا ارضى بحال ، أن أعطي وعداً بأن لا اعمل شيئاً لضم اراض أخرى تابعة لفيشي . ينبغي

لنا ان لا نرضى ابداً ان نوضع على قدم المساواة مع الذين لا يحاربون
من اجل فرنسا . ان لنا حقوقاً وواجبات ، وسنعمل دوماً مما يبدو
لنا ضرورياً ، دون تقيد بشيء سوى ما تفرضه علينا وسائلنا .

وختاماً ، «وافق على ان تتابعوا الاتصالات مع الجيرال فيغان ، فهي
بما يحتمل ان تقيد في جميع الافتراضات . ومن المفهوم طبعاً ان هذه
الاتصالات ينبغي ان تجري بصفة شخصية ولا نلزم مجلسنا للدفاع ، ولا
لديمي ، وان كنت احرص على ان اظل على اطلاع مستمر بما يدور ،
كما سبق وفعلت حيناً وتاماً .

برقية الى الجنرال كاترو

المفوض العام في القاهرة

تدن . ٢٣ شباط ١٩٤١

لقد حان الوقت لأبين لكم بالدقة ، نيتي فيما يتعلق بالعمل
المسكري الذي ينبغي لنا أن نقوم به في الحبشة خلال الحقبة القادمة .
بالارتباط مع حلفائنا البريطانيين .

كان أن قررت ، كما تعلم ، بالاتفاق مع الحكومة البريطانية والأركان
العامة البريطانية ، أن من الأفضل أن يجري ذلك العمل انطلاقاً من
أرض الصومال الفرنسي . وهذه الخطة تقتضي بالطبع أن يستولي أولاً
على جيبوتي عن طريق عملية أولية ، ندعوها عملية «ماري» ، لها
إذا كان ذلك ممكناً من غير معركة ضد الحامية الراهنة في مستعمرتنا .
وعملية «ماري» نفسها لا يمكن القيام بها ولا يجوز ان تنفذ
الا بعد وصول الفرقة الأحسية ، وهي على اية لامل - والتي اوشكت
ان تبلغ بورسودان - ؛ وهذه الفرقة وحدها لا تكفي ، وانما يرافقها
ايضاً دماء بحريون ، وروح سنغالي ، وسرية دماء ومدفعية ، وهذه

إن قلغ بور سودان إلا في منتصف شهر نيسان (أبريل) بسبب من تأخير في وسائل النقل .

إذا كانت المعلومات المتوفرة عن جيوتي والوضع العسكري العام ، تسمح إذن بالاستنتاج أن عملية « ماري » ممكنة بلا معركة بين فرسيين ، يجب أحراء تلك العملية ، والقوات الفرنسية اشترك بعد ذلك في الهجوم الحليف ، منطقة من أرض فرنسية .

وإن الجنرال ليجنيوم مؤتمل على نحو خاص للقيام بالاتصالات الأولية مع مرؤوسيه القدامى في جيوتي والتقاط المعلومات . وهو مؤهل كذلك لقيادة عملياتنا في الحبشة ، ولهذا ، وكلت اليه قيادة جميع القوات التي أرسلها ، انطلاقاً من أفريقيا الاستوائية إلى ذلك الميدان ، وتلك التي نستطيع استردادها للعمل معنا في جيوتي نفسها . وأضيف أن الجنرال ليجنيوم كان حريصاً كل الحرص على ألا يبقى الأمور في جيوتي على ما كانت عليه ساعة غادرها . وإني لأوافق على قراره ، وأمسحه فرصة للعمل .

ولكن سواء نفذت عملية « ماري » أخيراً أم لم تنفذ ، علينا أن نشارك بدون إبطاء ، وبجميع وسائلنا في العمليات التي تشرع بها في أريتريا حلفائنا واشترك بها جنودنا الصباحيون .

ومتخوضها قواتنا تحت إمرة الجنرال ليجنيوم . وقد طلبت إلى الجنرال ويليل أن يحارب جميعها في ميدان واحد ، ولدي ما يحتملني أحسب أن الجنرال وبفيل موافق .

وكما سبق وأشرت إليك من قبل ، سيكون الجنرال ليجنيوم ، بطبيعة الحال ، تحت إمرة الجنرال وبفيل في العمليات المعكبة ، وم تحت سلطتك في سائر الشؤون الأخرى . وإني لمقتنع أن شخصيتك الرقيقة ، لا بد أن تحسن استخلاص أفضل ما يمكن من جهود

قوات البسة ، في خدمة فرنسا ، بوصك مفوضاً سامياً لفرنسا الحرة ،
ومندوباً عاماً .

برقية الى الجنرال دي لا ريفينا

المقرر السلمي في برازاليل

لندن ، ١٧ شباط ١٩٤١

إن تقدم البريطانيين نحو طرابلس القرب يحملنا على التنبؤ باسمرار
كل مقاومة إيطالية في ليبيا . ومن الممكن إذن أن نفتح لنا الفرصة
للتحرك في "زان" ، وننتقل انطلاقاً منها إلى "غات" ، وحتى "غداميس" .
وفي لأطلب اليك بالتالي ، أن "تعيد" مريباً الوسائل الضرورية لهذه
العملية . ان فتح فزان وواحات ليبيا الغربية واحتلالها بقوات فرنسية
يرتدي من جميع النواحي أهمية لا تخفى عليك .

واني لأرجوكم من جهة ثانية أن تطلي متى يصبح في وسع فوج
أرشامو وفوج الكامبيرون ، أن يتحركوا نحو الشرق الأوسط

وأؤكد لك إرسال ٨٠ مرشح ضابط مما قريب الى أفريقيا
الاستوائية ، تم تدريبهم هنا منذ سبعة أشهر وثمانين رقيباً . وكلهم
من ذوي الكفاءات الممتازة .

بلاغ من الجنرال ديغول

ومجلس دفاع الامبراطورية

لندن ، ٢٢ شباط ١٩٤١

- (١) لا يمكن أن تقرر فكرة فرنسا الموقنة ، بحال من الأحوال ،
أدنى مساس من قبل الدول الأجنبية إن بكيان أراضي الامبراطورية ،
وإن بحقوق فرنسا في أي نقطة من أديم العالم .
- (٢) كل تخلي يرضى به حكومة فيشي او يمثلوها يعتبر كفواً ، ولا

يُلزم في تيمم مجلس دفاع الامبراطورية الفرنسية .

(٣) ينطبق هذا التصريح وهذا القرار على حسالة الهند الصينية الخاصة .

ومجلس دفاع الامبراطورية الفرنسية لا يكره مجال ، فائدة الاتفاقات التي توجد الاسهام بين مصالح الهند الصينية الفرنسية ومصالح الدول الأجنبية ، ولكن همسا اخره لا تعترف أن الامتيازات التي ابرمت والماس الذي نل عن طريق القوة او التهديد ، يحدوه أراضي الهند الصينية ووضعها السياسي كما كان قبل ٢٣ حزيران ، وهو تاريخ تطبيق « الهدن » - لا تعترف أن ذلك كله سرور قانونياً ، او أنه نهائي .

ومجلس دفاع الامبراطورية الفرنسية يصرح انه يوافق مسبقاً ، على موقف الهند الصينية بمقدار ما تقاوم مثل هذه الاعتداءات .

رسالة الى الجنرال فيخان

في المراتر

لندن ، ٢١ شاط ١٩٤١

سيدي الجنرال ،

إسألم يكن على وفاق . وكلما في مكبة فرنسا ، علينا ان نطلق من النقطة التي انتهت فيها الأمور .

لم بعد بعد مجال لشك في المنصف الذي يسير به التعاون مع الألمان ، ولا في الذين يرمعون اللقيام به . وواقع الحال ، ان اقتصار هنر يعني هبة لاستقلال ولا تزال امامك بضعة ايام ، وانت في رسك ان تقوم بدور وطني كبير . فاداً تقصت ، تصبح اللبن في الصيف .

اقترح عليك ان نرحبنا . ولصرح مما اسأنا نابع الحرب لتحرير الوطن ، ولنتنفر الامبراطورية لذلك ، وانك لتعرف عواطف الجيش

والاماني . وانيك لتعلم ان قدامنا بشير لدى الفرنسيين جميعهم حاسة طائفة
ويؤدّي الى مؤامرة لنا قورية من قبلكر الحلفاء .
إذا كان جوابك : « نعم » ، فإني أؤكد لك احتراماتي .

ملكرة مجلس دفاع الامبراطورية

لندن ، ٣ آذار ١٩٤١

يتمنى الجنرال ديفول أن يعرف رأي أعضاء مجلس الدفاع حول
الموقف الذي ينبغي لفرنسا الحرة أن تتخذه في حالة اضطراب انكلترا
ومركبا إلى احتلال الاراضي الواقعة تحت الاستداب الفرنسي في المشرق ،
أو جره منها بالقوة ، بنية تأمين مواصلاتها واستمرارها في عملياتها
ضدّ ألمانيا .

هل يجب علينا ، في هذه الحالة ، نشر احتجاج يدين هذا العمل ؟
أم يجب علينا أن نترك الأمر يجري في مجراه ، معتمدين على التحفظ
خطياً ، للاحتفاظ بحقوق فرنسا في تلك الاراضي .

ألا يجب علينا في الأرجح ، أن نشارك باسم فرنسا في عمل
يستجيب ، فيما يتعلق بنا ، لهدف ثلاثي .

أولاً : إعادة الارضاح الضرورية لاستئناف القتال ضدّ الاعداء
المشاركين ، في جزء من الامبراطورية الفرنسية .

ثانياً : حفظ حقوقنا بحضورنا .

ثالثاً : حزن حلفائنا .

رسالة الى الملك لويز

في طنجة

لندن ، ٩ آذار ١٩٤١

صديقي العزيز ،

إن قضية أفريقيا الشمالية تحتاج الى وجه السرعة ، إلى إعداد على

مستوى رفيع ، واسع .

ثمة شرط جوهري ، هو تشكيل مسق اللجان سرية ، ولكن
جدية ، قادرة على أن تتولى السلطة محلياً ، داخل البلاد ، باسم فرنسا
الحرة فور الشروع بالعمل من الخارج .

يسلح لي أنه لا بد لنا من لجنة مغربية ، ولجنة تونسية ، ولجنة
جزائرية ولجان محلية مرتبطة بتلك اللجان . ويجب تشكيلها باقتراح
عدد من الأشخاص ، فالحاجة في بدل النشاط ، أكثر قيمة من الوصف
الراهن .

هل في وسعي أن أعتمد عليك لتسير هذا الأمر ، وإقامة روابط
بيننا وبين اللجان ؟

برقية إلى هنري سوتو

حاكم كاليدونيا الجديدة ، في موميا

لندن ، ٧ آذار ١٩٤٩

قابلت اليوم وزير أستراليا الأول الذي ناقشت معه النقاط الآتية :
أولاً - تبخير منطوقين . وسيدل الوزير الأول جهده في تأمين
نقلهم إلى بور سودان حيث يحددون أسلحتهم ويلتحمون بالقوات الفرنسية .
ثانياً - الوزير الأول موافق على البدء بمحادثات سرية عسكرية
حول الدفاع عن المستعمرات وهو موافق ، ما دمت مكلفاً بشؤون
مصالحتها جميعها في النسيغيك ، على أن تستخدم الإدارة الأسترالية
لنقاشه المسائل التي تهم ريلندا الجديدة ، بحيث لا يكون لديك سوى
طريق واحدة للندابات

ثالثاً - الوزير الأول يدرك الأهمية السياسية لتجنب كل ما من
شأن أن سعت الشعور بسيطرة بريطانية أو أسترالية على مستعمرات

للإسبانيك الفرنسية .

لقد كنت متأثراً بروح الودّة التي أعرب عنها السيد مزيّس لجساده فرنسا الحرة والمصالح الفرنسية ، إذ قال لي : إن كاليدونيا الجديدة وجزر الميريد تستطيع أن تعتمد على المساعدة الاقتصادية الحالية من كل قيد ، التي تقدمها لها أستراليا .

برقية إلى الجنرال دي لا ريفينا المقرن السلي في برازيل

١٠ آذار ١٩٤٩

أنا لا أناقش انتهاء كوفرا في المستقبل ولن تكون ، ولكن من غير المناسب أن نأخذ من الآن تعهدات في شأن كوفرا بينما نحن نجعل مثلاً الموقف البريطاني إذا كان لنا أن نطرح مسألة قزان يوماً ما . فإن اتفاقات من هذا النوع إنما هي شؤون عامة يجب الرجوع إلى في موضوعها .

برقية إلى مطوحيه فرنسا الحرة في لندن

الخرطوم ، ١٦ نيسان ١٩٤٩

أرسل اليكم وأنا أحاضر مصر والسودان إلى برازيل خلاصة الملاحظات التي قمت بها والتدابير التي اتخذتها .

لقد قمنا بقتال في أريتريا مع الفرقة الأجنبية ، وفوجين سنغاليين ومصرية مشاة من البحرية وكوكبة من الصباحين . هذه القوات باستثناء الصباحين الذين كانوا يعملون على حدة ، كانت دوماً في الجانب الأيسر من الجهاز الخلف على محور كيبك ، كيرين ، مصووع . وقد أحسنت القتال إذا أسرت ٤٥٠ في كيبك ، و ٩٠٠ في كيرين ، و ٧٠٠ في

مصنوع وعدة آلاف في المدينة . خسائرنا طفيفة ومسا كانت ، منذ البداية ، لتتجاوز المائة والحسين وكثير منهم جرحى . ولم تسنح فرصة للقتال للأفواج دبلاج ، ويوتون ، ورو ، ولرملة البحريين والدبابات ، والمدفعية التي كانت في الطريق أو في البحر .

وفرقة ليجنتيوم التي تشكلت بتاريخ ١٥ نيسان مستتجعة جنوب القاهرة .

وأسطول فيلات الجوي الصغير المجهز بقنابل بلنبايز قام بمسدة غارات قصير واستطلاع أثناء معارك كبرين ومصوح ، وجوار غومدار ، وقاتل قتلاً موفقاً .

أما في مصر حيث يسر الوضع ، كما أرى ، نحو الاستقرار لأمد غير طويل ، فإن فوج مشاة البحرية سلك سلوكاً هو الجودة والكمال ، وهو الآن في طريقه ال الانحياز بالفرقة .

وقاتل طيارونا المطاردون على طائرات هاربكين ، خلال الأيام الأخيرة ، في برقة وأحرزوا نجاحات كبيرة ، وقد أطلعتمكم على الترتيبات التي أجريتها بالاتفاق مع مارشال الجو لونغمور لتنظيم للطيران الفرنسي في الشرق ، ومن المهم الآن ان تظهر سفننا الحربية في المتوسط . لقد كانت المساهمة العسكرية الفرنسية بمجموعها ، جيدة وذات قيمة . والمهمة التي أظهرها معظم الفرنسيين تجاه حركتنا في اجتماعاتنا بالقاهرة ، والإسكندرية ، والاسماعيلية ، كانت رائعة . وجميع الصحف التي تصدر بالفرنسية كانت معنا ووكالة الإعلام الفرنسية تقوم بعمل جيد . إلا أن مديعي القاهرة والقاهرة كلها يضيقان بالأمور السياسية المحلية . ولكن مديعي الشرق - فرنسا الحرة ، يمتار ، يستمع الناس اليه في كل مكان ، وإن كانت بيروت نشوتش عليه وثمة بعض الفرنسيين يجهلون بنائى وكانهم خبيلون ، واعتراهم يعود لأسباب مادية ومعظم المؤسسات

الفرنسية مما يلتحق بنا ، اذا كان في استطاعتنا أن نقدم لها الإعانات المالية التي تطلقها من فيشي ، وهي زهاء ١٠٠.٠٠٠ ليرة استرلينية في السنة .

ويؤلف الأسطول الفرنسي في الإسكندرية الذي يعنى عليه بصفة ، ويظهر بظهور حسن ، من جهة أخرى ، عصاة على حدة ، ولكن من غير حوادث .

أعتقد ، من وجهة نظر عامة ، أن الأشهر القادمة ستكون قاسية بالنسبة للحلفاء ، في البلقان ، في مصر ، وفي آسيا الصغرى ، دفعة واحدة . ويرجع هجوم الأعداء ، أن يتشر على حاسي المتوسط بالارتباط مع التمرد العربي . لا يجوز أن نتردد عن رؤية الأشياء وجهاً لوجه .

واقدر ان النهوض سيحدث في ايلول .

اما فيما يخص فيشي ، إني أقدر ان لإشكال الوطني والدولي سائر في طريقه الى هيبته ، وان الألمان سيلقون الفiasco بسبب من انتصاراتهم ، وان فيشي سيتنقل الى التعاون المكشوف وتخرس ، في الوقت نفسه ، ما بقي لها من الرأي العام الوطني . والحملات التي تشنها الاداعة علينا ، علامات تشير الى ذلك يجب ادراك ان نرفع صوتنا أعلى فأعلى وأثبت فائت بما كان عليه قط من قبل ، لأن من المؤكد اننا نحن الملاذ الوحيد للاستقلال الفرنسي .

أنا ذاهب الى برازافيل التي ستكون مركزي للضربة أسابيع .
لنسر باستقامة ووفقاً تام .

رسالة الى الجنرال كاترو

مقر فرنسا الحرة السامي الشرق

برازافيل ٢٥٠ نيسان ١٩٤١

لي الشرف ان أوجه اليكم طياً ، خطة العملية المحتملة في سوريا .

وانه لم يختصاصكم ان تحصلوا على موافقة السلطات البريطانية صاحبة
العلاقة ، على هذه الخطوة ، بمقدار ما تتضمن مؤاررتهم .

وسي على اتم الاستعداد ، طبعاً ، لتسهيل كل تعديل ترويه مفيداً
وتمتحنونه علي إما من جاسكم . وإما من جانب حلفائنا . ومع ذلك ،
فإن الإعداد اذ ينضي مُدداً طويلة ، وإذ يمكن ان تسبح الفرصة خلال
امد قصير ، ارجوكم ان نلتحقوا على سلطات الشرق البريطانية ن نرسل
جوابها عن صدد العملية في اقرب وقت ، حين تصلكم الوسائل الضرورية ،
بأقصى سرعة ، لذا هي كانت موافقة .
(يلي تفصيل العملية المتوقعة)

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

برلن ١٢ ، أيار ١٩٤١

قررت ، بسبب من السياسة السلبية المتبعة تجاهها من البريطانيين في
موضوع سوريا وحيثوتي ، ان يغادر الجنرال كارو القاهرة ما دم حضور
موضوع سام فيها ، لا يجد الآن له مبرراً .

عينت ، نوسكي ممثلاً سياسياً في الشرق والجنرال ليختنيوم قائداً أعلى
القوات . ويظل فولسان رئيساً لأركان الحو العامة في الشرق . تفصلوا
بإعلام الحكومة البريطانية بذلك .

وقد أشعرت الجنرال كارو مائترة ، وسيفادر القاهرة عندما يتمكن
وبقدم لمقابلي في براراهيل حيث تقرر منصبه الجديد .

استدعيت السارحة القنصل البريطاني العام وأطلعت على بعض
الاعتبارات العامة في موضوع السياسة البريطانية الجديدة تجاهها والأخطار
التي تطوي عليها فيما يتعلق بالحدة المصوية في فرنسا والمثالي ، يتعاون
هيشي مع الألمان ، فكلما ازداد إعمال انكلفترا لنا ، ازدادت برودة

الرأي العام الفرنسي تجاهنا ، واردة تعاون فيشي . وقد أرسل دبار ،
برقية الى حكومتنا على أثر هذه المصادقة . اطلعوا الفورين أوفيس على
ما ورد فيها .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

براذيل ، ١٦ أيار ١٩٤٢

أجلك استدعاء الجنرال كارو ، لتحرير المرضى الذي طرأ على موقف
حلفائنا الانكليز فيما يتعلق بسوريا وجيوتي . سادس قريبا إلى القاهرة .

برقية الى رئيسه بلهين

في لندن

براذيل ، ١٦ أيار ١٩٤٢

نظراً للموقف الذي يكاد يكون عدائياً ، والذي اتخذت الولايات
المتحدة ، وللتعاون الذي يبدو أظهر فأظهر من قبل فيشي تجاه الحدا ،
والظروف الاقتصادية الخاصة أحيراً التي تمر بها مستعمراتنا الحرة في
أفريقيا وأوقيانيا ، فإن الوقت حان لتنظيم علاقاتنا مع أميركا . ولإني
لأعتمد على إيلانك شخصياً أداء هذه المهمة .

لإني أعتقد أن تسافر في أقرب وقت ، وتقيم في الولايات المتحدة
مدى ما يلزمك من أسابيع لتترك بـ قضيتنا ، أي أداء السطاط
الجزيرة الآتية :

١ - وضع قاعدة لإعادة علاقاتنا الدائمة والمباشرة مع نظارة الخارجية .
وسيقوم بتأمين هذه العلاقات من بعد ، مثل سياسي يتمتع بيرة الممثل
السياسي لفرنسا الحرة .

٢ - تنظيم العلاقات الاقتصادية والمالية لأفريقيا الفرنسية الحرة
وأوقيانيا الفرنسية ، مع أميركا .

٣ - تنظيم المشتريات المباشرة ، إذ أمكن ، من عتاء الحرب أو القيدة للحرب وفق النظام الذي يتبعه البلحيك .

٤ - إنشاء لجائا أو إعادة إنشائها .

٥ - تركيز إعلامنا ودعائنا في الولايات المتحدة .

٦ - تنظيم التضامن بين الإرادات الطيبة الخاصة في أميركا .

ولاني لأرجو أن نعيد منذ الآن ، هذه المهمة التي ينبغي أن نظلّ بالطبع مكتومة في منطلقها ، ولا سيما تجاه البريطانيين ، ولكنها مع ذلك عامة ومحكمة .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

القاهرة ، ٣١ أيار ١٩٤٦

لقد أصبحت ساعة العمل قريبة في سوريا ، ومدد كثير من التأخر والتردد الذين لم يكونوا من صحتنا . أعتقد أن أطلّ في القاهرة حتى ذلك الوقت . ثم اتوجه ، على الأثر ، إلى سوريا لمسدة قصيرة إذا سارت الأمور سيراً مرضياً . وإذا ساء سيرها ، فسأعود الى برارافيل ، وربما إلى لندن .

سيكون وضعنا السياسي في سوريا كما يلي : سجل الاستقلال ولكننا لن نصرح بيسر وبساطة أن الانتداب ألغي ، فذلك سيكون أولاً مثقلاً من وجهة النظر القانونية ، ومن وجهة نظر أوتنك الذين لا يتخلّون عن عصبة الأمم ، جميعهم . ثم لا بد من فترة انتقال بحري أثناءها نقل السلطات . وسوريا تقع أحيراً في منطقة قتال ، ومن المستحيل قلب طبيعة السلطة فيها ، والممركة في أوجها . سنقول إننا جئنا لنضع حداً لنظام الانتداب وحسب ، ولتفقد معاهدة تضم الاستقلال والسيادة .

وسيكون وضعنا العسكري كما يلي . ستقوم بإصلاح القوات البحرية والبحرية والجوية الفرنسية ، والسورية ، واللبانية في المشرق ، وسأضع هذه القوات تحت إمرة القيادة البريطانية العليا ، لأداء خدماتهم في بر الشرق الأوسط ، وبحره وجوّه .

برقية إلى هنري سوتو حاكم كاليدونيا الجديدة

للأمرة ، ٢ حزيران ١٩٤٦

أوافق على مشروع الاتفاق العسكري بين الحكومة الأسترالية وبيننا المتعلق بكاليدونيا الجديدة ، حسب الشروط الآتية ، وذلك أن يكون استخدام الطائرات والجوومات الأسترالية التي تتخذ قواعدها في كاليدونيا الجديدة ، تحت تصرف القائد الفرنسي الأعلى ، ما دام القصد هو الدفاع عن الجزيرة . وعلينا أن نحدد عدد الصباط والموظفين الأستراليين الآخرين في دوائر الارتباط ، فليس هؤلاء أن يتدخلوا بشيء أبداً ، في تنظيم قواتنا ، ولا في استخدام قواتنا ، ولا في توزيع السلاح على قواتنا . يجب أن يكونوا ملحقين مباشرة بالقائد الفرنسي الأعلى ، ما عدا مرؤوسيه مباشرة . والمعاملة بالمثل ، يجب أن يكون لنا ضابط ارتباط في أستراليا . وعلى الحاكم سوتو أن يعقد الاتفاق ، لا باسم كاليدونيا الجديدة ولكن باسم الجنرال مينول ومجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية .

برقية إلى رنيه بليهن في لندن

للأمرة ، ٣ حزيران ١٩٤٦

أطلب إليكم ، في محادثكم المقبلة مع السلطات الأميركية ، أن تقدموا مقترحات ألحسب لكم فيما يلي ، ولكم أن تضرعوا التفاصيل

إذا اضطرت الولايات المتحدة ، آخر الأمر ، إلى اللجوء للسلاح ،
فستكون قضية انتشار قواتها بطبيعة الحال ، جوهرية . ومعلوم القوة ،
قبل كل شيء ، إنما هي للقوة الجوية في الحرب الحديثة . إنها قضية
قواعد ومواصلات .

وأرض بريطانيا العظمى بهذا الاعتبار ، غير مؤاتية إلا قليلاً بسبب
من ضعفها ، والأخطار التي تتهدد مواصلاتها مع أميركا . وأمريقيا على
العكس ، صواة بحكم قربها لأن تكون قاعدة أساسية لعمل تدريجي تقوم
به الولايات المتحدة في اتجاه المراكز الحيوية المدونة في أوروبا . ولكن
إنشاء مثل هذه القاعدة يحتاج إلى إعداد . ثم إن إنشاءً مسبقاً كهذا
لا يكون عملاً حربيًا . وأمريقيا النهائية الفرنسية تقدم قواعد مثلى ،
ولكن تعاون فيشي مع ألمانيا لا يسمح بالاعتماد عليها .

إنما نلتم للولايات المتحدة جميع التسهيلات التي تريدها لإنشاء قواعد
جوية أميركية في أفريقيا الفرنسية الحرة ولا سيما في الكاميرون وتشاد
والأوديسي . وإنزال العشاد والمؤن يمكن في دوالا وبوانت - نوار
ومن السهل إقامة معامل فيها للركيب الطائرات .

وستكون أفريقيا الفرنسية الحرة مما قريب المركز الجغرافي لمنطقة
الحرب في أفريقيا .

برقية إلى السيد ونستون تشرشل

في لندن

القاهرة ، ٧ حزيران ١٩٤١

تلقيت في هذه اللحظة رسالتكم المؤرخة في ٦ حزيران . أحس أنني
على وفاق تام معكم حول سياستنا المشتركة تجاه العرب ، كما هو شأنها
تجاه غيرهم ، إذ ينبغي أن تكون الثقة فيها متبادلة . وإني لأشكركم
شكراً عميقاً على فكريكم في قواني . ومما حدث ، فإن الفرنسيين

الأحرار هارمون على القتال في سبيل الملة معكم كحلفاء أمناء حازمين .

رسالة إلى السير أرشيبولد سنكلر
وزير الجو البريطاني

القاهرة . ٨ حزيران ١٩٤١

عزيزي السير أرشيبولد ،

اطلعتي الحفيد فالان ، بالتفصيل ، على التدابير التي اتخذت مؤخراً
لتعليم الطيارين الفرنسيين الجدد في انكلترا ، ولجميعهم . وإني لمريض
على أن أقول لكم إن هذه التدابير تبدو لي ممتازة ، وأنا أشكركم عليها
شخصياً . أعتقد أنه يمكن الاستنتاج منها ، أننا الآن فعلاً ، على وفاق
حول تكوين طيران فرنسي صغير ، على نحو تدريجي وسريع ، يجمع
به الفرنسيون دواء التكوين نفسه وحدات فرنسية ، قدر المستطاع .

ومن الأكيد أن الأهمية السياسية القصوى لمثل هذا الانجذاب ، لا
تخفى عليكم . وأضيف أن ترتيبات من هذا النوع تجري الآن في الشرق
الأوسط ، وإني لأشعر بالارتياح إلى ما ألمه من أن القيمة العسكرية
لمناصر الطيران الفرنسي ، أخذت ترتفع .

وإني لأعظم هذه المناسبة لأعرب لكم عن إعجابي وإعجاب الفرنسيين
الأحرار بقيمة السلاح الجوي الملكي وفعالته في معركة الشرق ،
ولأوجت اليكم تهاني الشخصية المخلصة .
لكم بإخلاص .

رسالة إلى السيد جويل مردم بك
رئيس مجلس وزراء سوريا السابق

القاهرة . ٨ حزيران ١٩٤١

عزيزي الرئيس ،

سيوجه الجنرال كلارو بياناً إلى الأسمالي وهو يدخل سوريا بقوات

فرنسا الحرة . وسيذاع هذا البيان الذي وافقت عليه صفاً وروحاً ،
باسمي واسم فرنسا الحرة ، أي باسم فرنسا .
وسيجعل للوطنيين ، وأنت منهم ، ما يرضي أعز أمانيهم ، إذ
يعترف لشعبي الشرق بنظام السيادة والاستقلال ، مضموناً بمهادنة .
وهكذا يتكبر نجاح قضية كرتست لها نفسك بكثير عن الحساسة
والسواء .

وإني لسعيد في أن أشاطرك التبطة بذلك النجاح ، وأعرب لك عن
الأمل أن تجد في هذا الحادث الكبير ، نتيجة قوية للتعاون مع فرنسا
الحرة وممثلي الجنرال كارو .

تفضل ، أيها الرئيس العزيز ، بقبول أسمى اعتياري العائق .

تصريح أودع صحافة البلدان الحرة وإذاعاتها

الطبعة ١٠ حزيران ١٩١٨

إن فرنسا الحرة لمحارب . وواقع الحال أن الألمان بدأوا ، برصاص
لبيشي ، في تثبيت أقدامهم في الشرق . وهذا خطر جسيم من الناحية
العسكرية . وذلك يعني ، من الناحية السياسية ، تسليم شعوب المنطقة
تمهيداً ، على مدى الزمن ، أن نقودها إلى الاستقلال . ومن الناحية
المعنوية بالنسبة لفرنسا ، خسران كل ما بقي لها من نفوذ في الشرق .
هذا هو سبب دخولنا سوريا ولبنان مع حلفائنا البريطانيين .
إنه لصحيح أن زحفنا يمكن أن يلاقي ، لسوء الحظ ، مقاومة من
جانب رفاقنا قوات الشرق . وإن بعضاً منهم يحسبون أن من واجبهم ،
وقد ضلوا ، أن يقابلونا مكرهين ، بالقوة . ولن نطلق النار على هؤلاء ،
بأدنى . ولكن إذا نجم بسبب من عملهم ، بعض الاشتباكات ،
فستقوم بواجبنا

ولكن ما اكثرك الذي يقدمون اليك بنا ! اني
لاستطيع ان اکتف أن من بين القوات الفرنسية الحرة التي تؤدي
خدمتها حتى هذه الساعة في الشرق ، قدم اليك ثلاثة وستون ضابطاً
جاءوا من سوريا رغم العقوبات والتهديدات والانتقامات . وقد زجت
فيشي في السجن ، أو رحلت الى مرسيليا ، اكثر من مائتي ضابط .
ان فرنسا لا تريد نصراً للألمان فرنسا تريد أن تتحرر . وستنفذ
مشيئة فرنسا

مذكرة وجهت لسفير بريطانيا وقادتها الأعلى

لدى المؤتمر الذي انعقد في القاهرة

في ١٩ حزيران ١٩٤٦

إن من رأي الجنرال ديغول وضع تسوية مع الفرض السامي في
المشرق .

ينبغي أن تقوم تلك التسوية على الأسس الآتية :

(١) معاملة لائقة لجميع العسكريين وجميع الموظفين

(٢) الضمانة التي قدمتها بريطانيا أن تصان حقوق فرنسا ومصالحها
في المشرق بمجرد واقعتها . والسلطات الفرنسية الحرة أن تضمن لنيل
فرنسا في المشرق ، ضمن نطاق الاستقلال الذي وعدت به تلك السلطات
مولتي المشرق ، وضمت بريطانيا العظمى .

(٣) جميع الذين يريدون أن يخدموا مع الحلفاء من العسكريين
والموظفين يستطيعون أن يبقوا بحرية ، وكذلك مع أسرم . وجميع
الذين لا يريدون يرحلون إلى وطنهم مع أسرم حين تسمح الظروف .
ومع ذلك ، يحتاط الحلفاء لاتخاذ التدابير التي تجعل الاختيار حليقة ،
حرراً لكل واحد منهم

(١) يجب أن يسلم عتاد الحرب كله للحلفاء .

(٢) وتسليم السفن يكون بالاتفاق .

٦ ' واحترال ديمولي الذي لم يقدم أحداً قط للمحاكمة من رفاقه في السلاح الذين حاربوه تنفيذاً لأوامر تلقوها ، لا ينوي بحال ، في هذه المرة أن يحاكم أحداً .

(٧) يعتبر الحترال ديمولي مشاركة مثله في المفاوضات ، ضرورياً ، وليكن إعطاء الجواب في بيروت باسمه كما يعطى باسم السلطات البريطانية .

برقية الى السيد أيلست

في لندن

القاهرة ٢٠ حزيران ١٩١٦

علقت اليوم الساعة ١٠ ، من البرقية التي وجهتموها معاليكم في ١٩ حزيران الى واشنطن ، في شأن الشروط التي تصرح الحكومة البريطانية بقبولها كأساس لمفاوضة مع سلطات قبشي .

لا أستطيع ان أخفي على معاليكم النعشة التي اثارها في نفسي ذلك الجواب من جانب واحد ، والصريح من جهته ، في شأن التزمت به فرنسا موقفاً معيناً مثل اسكلترا ، واصبحت حياة الجنود الفرنسيين الأحرار ، كحياة الجنود البريطانيين مرتبة به ، ثم في موضوع المسائل التي تتعلق بها تعلقاً جوهرياً ، مصير هيئة عسكرية ومدنية فرنسية ، ومصير اراضي "قارس" فوقها سلطة فرنسا .

واني لألاحظ ان الناطق بلسان مفوض قبشي السامي في بيروت الذي يقدر ، بلا شك ، وجهة نظر فرنسا الحرة في الحاضر والمستقبل ، قد طلب ان يعرف ، لا شروط الحكومة البريطانية وحسب ، بل

شروط فرنسا الحرة أيضاً ، وإن معاليكم أبرقتم إلى واشنطن كما لو
كانت حكومتكم وحدها ذات الصلة لإعطاء الجواب ، وهذا اعتدوه
تصرفاً لا مبرر له .

إن معاليكم ستدركون بكل تأكيد في مثل هذه الحال ، أنني لا
أشعر أبداً في مثل هذا الحادث أنني مرتبط ، على نحو من الأنحاء ،
بالاعتبارات والنتائج التي تشتمل عليها برقيتكم الموجهة إلى واشنطن ، وأسي
الدم بما ورد في الرقبة التي أرفقيتها بها في ١٩ حزيران ، بالاتفاق
مع سفير بريطانيا العظمى والقادة البريطانيين الآخرين .

رسالة إلى الجنرال كاترو

دمشق ، ٢٤ حزيران ١٩٤٦

سيدي الجنرال ،

عينكم برسومين صدرا بتاريخ اليوم ، مفوضاً عاماً مطلق الصلاحية
وقالداً أعلى للشرق .

وستارسون سلطاتكم وصلاحياتكم باسمي واسم مجلس الدفاع عن
الأمم وطورية الفرنسية . وستكون مهمتكم في جوهرها أن توجها
إعادة الوضع الداخلي والاقتصادي في الشرق حتى يصبح سوياً بمقدار ما
يمكن وما تسمح به ظروف الحرب ، وأن تفاوضوا بمثلي الأهالي الأكفاء
لعدد معاهدات تركت استقلال دولتي الشرق وسيادتها ، كما تصح أسس
تخالفها مع فرنسا ، وتحافظ على حقوق فرنسا ومصالحها ، وأن تقوموا
الدفاع عن أراضيها كلها ضد العدو ، وأن تتعاونوا مع الحلفاء في
العمليات الحربية في الشرق .

وستتولون جميع السلطات التي كان يضطلع بها حتى الآن ، مفوض
فرنسا السامي في الشرق وجميع التبعات التي تتضمنها ، في انتظار

العهد الجديد الذي يفتق من المعاهدات المصنة ويصبح قادراً على تطبيقها ، وهذا ما يجب أن يتم في أقرب وقت ممكن . وشكون صلاحياتكم من بعد صلاحيات ممثل فرنسا في نطاق المعاهدات ، وقائد أعلى للقوات . وسيكون من اختصاصكم أن تعملوا على إيجاد مجالس تمثل حقيقة ، مجموع الأهالي ، فور تمكنتكم من ذلك ، وتشكيل حكومات ترضى بها تلك المجالس ، ومعها تشريع حالاً في مفاوضات تهدف إلى عقد معاهدات التحالف . ويجب أن تعد هذه المعاهدات مع تلك الحكومات ومعها بالذات .

وعلى الرغم من التمرقات والتفطتات الناجمة عن السمكات التي نزلت بالجيش الفرنسية ، ومن دسائس غزاة بلادنا ، فإن الانتداب الذي وُكل إلى فرنسا في المشرق من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٣ ، ينبغي أن يصل إلى نهايته ، وأن يستمر عمل فرنسا في تلك الديار ، ولهذا تتخذون من معاهدات التحالف المفقودة مع دولتي المشرق عام ١٩٣٦ نقطة انطلاق لمفاوضة بينك الدولتين ، ولتقترحون على حكومتيهما أن تكون التدايير الموقفة التي تتخذ بالاشتراك معهما ، موضوع اتفاقات خاصة ، تلتها لضرورات دفاعنا المشترك في الحرب الراهنة . وإني لأحتفظ بإحاطة عصبة الأمم علماً ، في الوقت الذي أشاء ، أنت عهد الانتداب في المشرق انتهى ، وحل محل عهد جديد يستجيب للأهداف التي أنشأ الانتداب من أجلها .

تقراً ، يا عزيزي الجنرال ، بمواظفي الخالص المخلصة .

برقية إلى رئيسه كلسان
ملوניה فرنسا الحرة في لندن

لندن ٢٤ - حزيران ١٩٤٦

(١) علينا فيما يتعلق بالنزاع الألماني - الروسي أن نتخذ موقفاً عادلاً .

يجب أن نعلن ، كما أعلن السيد تشرشل ، أننا مع الروس بكل صدق
ما داموا يحاربون الألمان ، دون أن نخوض حالياً بمناقشة نقائص العهد
السوفييتي ، وحتى حركته . انهم ليسوا هم الروس الذين يسحقون فرنسا ،
ويحتلون باريس ، ورايس ، وورنيس ، وبردو ، وستراسبورغ ، وينهبون بلادنا
ويحطمون ممتلكاتها ، ويستحدمون فيشي لحل فرنسيين على محاربة فرنسيين
في سوريا . والطائرات ، والدبابات ، والقوات الألمانية التي يدمرها
الروس والتي سيدمرونها ، لن تكون بعدُ هناك ، لنضعنا من تحرير فرنسا .
أرجو أن نمطوا دعايتنا هذه القهجه ، على الفور .

(٢) إذ ذهب أنت بنمك الى السيد ميكي بعيداً عن الأصواء ،
وأعرب له باسمي إعراباً رصباً ، ولكن صريحاً ، أن الشعب الفرنسي
مع الروس ضد ألمانيا ، وأنا نتمنى بالتالي ، أن تنظم علاقات عسكرية
مع موسكو . وأطلع الفورين أرفيس على ذلك .

برقية الى ونستون تشرشل في لندن

القاهرة ، ٢٨ حزيران ١٩٤١

إني لأحرص ، في الوقت الذي سيمكن به فرنسا الحرة أن تحصل
به ، دون شك ، محل فيشي في سوريا ولبنان ، بمصل جهداً المشترك -
أحرص على أن أعرب لكم عن وجهة نظري فيما يتعلق بملاسات هذه
القضية ، وتنظيم العلاقات الفرنسية - البريطانية محلياً ، في الشرق .

سيكون النج الذي تملكه السياسة البريطانية تجاه سوريا معياراً ذا
أهمية كبرى ، فهذه هي المرة الأولى التي تنفذ فيها القوات البريطانية
متحدة مع قوات فرنسا الحرة ، الى ارض خاضعة لسلطة فرنسا . ويصادف
هذا ذلك ، ان نزعات السياسة البريطانية قلما طابت ، فوق تلك

الأرض ، نزعات السيادة الفرنسية ؛ ولهذا السبب المزيج ، فإن الرأي العام الفرنسي والرأي العام الدولي سيكونان في غاية التمتع للطريقة التي تتصرف بها بريطانيا العظمى تجاه وضع فرنسا في تلك المنطقة

إذا كانت نتيجة عملنا المشترك في سوريا ولبنان تبدو وكأنها خفص من مقام فرنسا عندك ، وإدخال نزعات وأعمال بريطانية حادة ، إرضاء لفيتشي وبرلين وروما ، فأنا مقتنع أن أثر ذلك على الرأي العام في بلادتي سيكون أليفاً . ويجب أن أضيف أن جهدي الخاص الذي يرمي أساساً إلى حفظ المقاومة الفرنسية من التاجيتين المادية والمعنوية ، إلى حساب إنكلترا ، ضد أعدائنا ، يصح بذلك في مآرق حرج

وأنا واثق أن تلك هي نظرتكم بالدات . بيد أنني أفتنى على السلطات البريطانية المحلية أن لا تعمل إلا في هذا الاتجاه . وأفتنى أيضاً أن تكون نشاطاتها في حقول الأمن ، والإعلام ، والاقتصاد ، الخ ... مركزة ومحدودة ، كي لا توحى بالامتناع أن احتلال سوريا على يد قوات بريطانية في جره منها ، وتحت قيادة بريطانيا ، يؤدي إما إلى تحويل في السلطة على حساب فرنسا ، وإما إلى ضرب من السيطرة على سلطة فرنسا .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

القاهرة ، ٩ تموز ١٩٤٤

لقد حان الوقت لإعادة سلطة فرنسا الحرة في الباسيفيك نهائياً ، وحون تدابير نافذة ، وإعمال جميع الموارد هناك ، في سبيل الحرب ، وتأمين الدفاع عن الأراضي الفرنسية ضد الأخطار الممكنة ، وربما القريبة ، بالاتحاد مع حلفائنا .

واني ألتدب نقيب البحر دارجنليو هذه المهمة . وأنا اعين اليوم
بمرسوم ، مفوضاً سامياً لفرنسا في الباسيفيك ، وسيارس باصمي جميع
السلطات المدنية والعسكرية .

وستوجه المفوض السامي الى مركز عمله فوراً ، وهناك يتخذ كل
التدابير التي يراها ضرورية تجاه الأشخاص ...

واكرر ، من جهة اخرى ، الأمر بإرسال سفينة أو عدة سفن
حربية الى الباسيفيك .

تفضلوا وأحيطوني علماً بامر المفوض السامي ، وتحرك السفينة أو
السفن المشار اليها .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

برازافيل ، ١١ تموز ١٩٤١

تلقيت برفيتكم المتعلقة بـ « حزب التحرير » ، وتلقيت كذلك ، من
جانب حكومة لندن حول هذه المسألة ، مذكرة جعطيني أفكار .

أنا لا اوافق على هذا الحزب للتحرير الذي يتم إنشاؤه بوحى
انكليزي ، ولا يصهر في المستقبل فرنسا الحرة ، ويضع في أيدي
الانكليز خيوطاً لا يجوز أن تكون إلا في ايدينا .

ان حزب التحرير الفرنسي وجد منذ ١٨ حزيران ١٩٤٠ ، وهو
فرنسا الحرة . ولا مبرر أبداً لإنشاء حزب آخر . وأنا ادعوكم من
جهة اخرى ، لحذر من مفاهيم السياسة الفرنسية وافكار الدعاية للفرنسية
التي تبشها الفورين اوفيس ووزارة الاعلام البريطانية . فإن هاتين المؤسستين
كانتا تسعيان دوماً في العمل من وراء ظهورنا والعب على الألفاظ ،

أعني لتظاهروا أنها تعملان لحسابنا وهذا تستخدمان ما لنا من رصيد
لنفديات ليست دوماً غاياتنا ، بل هي بعيدة عنها .

وحاذروا كذلك هذا الامر . وهو ان بعض الأشخاص الفرنسيين
من يسمون في ان يكون لهم وجود سياسي خارج دائرتنا ، هم الذين
يؤمنون أغلب الاحيان ، الى الموردين أوغيس ووزارة الاعلام .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

برازافيل ، ١٣ تموز ١٩٤٦

لا أرى قيمة للفترة الاولى من مذكرتكم المؤرخة في ٧ تموز ، بشأن
السلطة في سوريا . السلطة العليا في سوريا تخص فرنسا ولا تخص بحال
من الاحوال ، على أي مستوى ، قائداً أجنبياً أعلى . والقوات البريطانية
في سوريا لا تحتل بلداً فتحته بالقوة ، وانما هي تعاون في الحركة على
أرض حليفة . وحين كان المارشال هابنغ يحارب في فرنسا ، ظلت السلطة
في المقاطعات التي وجدت بها قواته ، على ما كانت عليه ، تخص بأكملها
حكومة الجمهورية .

ومن المفهوم أن للقيادة العسكرية الفرنسية أو الحليفة ، في منطقة
الجيش ، صفة لاتخاذ للتدابير الضرورية للأمن ، والشمول ، واستخدام
طرق المواصلات والموانئ ، ووسائل البث ، وتسيير الدوائر العامة .
ولكنها لا تستطيع أن تقوم بذلك الا بتفويض من السلطة العليا ، وفي
حدود ما يتعلق ذلك بالمعطيات فقط . ثم ان عليها ان تؤدي عملها
بوساطة السلطات المحلية .

وإن الجنرال كاترو ، في الحالة الخاصة بسوريا أن يتخذ ، بالنسبة
لهذه الاعتبارات المختلفة ، الترتيبات التي تطلبها منه القيادة العسكرية .

ثم انه ليس من محتوم بحال ، ان يتولى القيادة العسكرية في سوريا رجل بريطاني ، وقد قلبت في اتفاق ٧ آب ١٩٤٠ ، التوجيهات العامة للقيادة البريطانية فيما يخص سير الحرب من ناحية عسكرية ، ولكي لم أقبل في شيء قط ، أن تكون قواتنا بالضرورة ، تحت إمرة البريطانيين . ثم ان اتفاق ٧ آب ، من جهة اخرى ، وهو الذي لم يطقه البريطانيون الا حربيا ، ولا شيء سواه ، انما عقد في فترة من الزمن لم يكن فيها بعد لدينا راس ، فارتأت عليها سيادة فرنسا وتوصل قبضتها . وقد صبح لدينا الآن هذه السطة وهي مما يمكن ان يتنافى وتوجيهات القيادة البريطانية . راي لأحتمس ، في هذه الحالة ، بحق الرفض لذلك التوجيهات في سوريا خاصة ، وحتى فيما يتعلق بالمعليات .

وختلصة . سأفهم بتسوية مع ليتلون من شأنها ان لا تدع بحالاً للفرنسيين سيادة فرنسا وسلطانها العليا في سوريا ، وان تقدم التسهيلات الضرورية للقيادة البريطانية ، تحتاج اليه في عملياتها ، وان تنظم القيادة الخليفة المراسلة في حدود ما يترك هذا التنظيم نعتنا الوطنية والدولية كاملة في سوريا . وكل مصام معابر هذا ، يصح غير مقبول ، ولن أقبله .

تلك هي التوجيهات التي أرجوكم ان تحملوا وحسب نظركم مطابقة لها في مباحثكم حول هذا الموضوع ، مع الرسميين البريطانيين .

برقية وجهت الى الجنرال كلترو

في القاهرة

وبلاغ الى الجنرال سيمز ، والى السفير البريطاني

في القاهرة ، وللقائد البريطاني الأعلى

برازافيل ، ١٥ تموز ١٩٤١

أمل ان لا تكونوا قد استقم الى توقيع اتفاق الهدنة ، المخالف لأغراض

وطلباني ، فان ترك قوات فيشي تحت إمرة ضابطهم مع الوعد بالرحيل
قريب الى الوطن على سفن فيشي ، يجعل من الاستحيل انضمام عدد كبير
من الرجال ذوي الشأن لينا . انه السبب نفسه الذي اتبعه الاسكندر مع
الجنود والبحارة في إسكندرا .

ربما كان ذلك هو شأن الاسكندر الذي ما زالوا دوماً تحت سيطرة
أرواحهم عن فيشي ، والذين يرغبون قبل كل شيء في التخلص من العناصر
الفرنسية التي لا يدركون النفع الذي يمكن ان يعود منها علينا . ولكن
النتيجة جد سيئة لفرنسا ، اذ ان ذلك مما يعيق نهوضنا العسكري

والواقع ان نتيجة هذه الاوضاع ، ان نود الى افريقيا الشمالية وافريقيا
الغربية للفرنسية قوات مشككة تمسكت بالحرب على حسابنا ،
واستشارتها المعركة ، ثم ملاعبها ضدنا في تشاد او حتى في افريقيا
الشمالية ساعة يصدر مثل الامر لدارلان بذلك .

انا لا اوافق اذن على هذه الشروط ، وهي التي لم يستشرني احد
قط في موضوعها اثناء المفاوضات ، وقد دامت هذه ثلاثة ايام . ونتيجة
لذلك ، اجد نفسي مكرهما على اتخاذ التدابير لالقاء ثمنها على عاتق
الانكليز وحدهم ، حالما أنقضى تفاصيل الاتفاق . واني لأدرس كذلك
الى اي حد وجدت حلًا للمسائل الحيوية المالية الينا . سأصل الى
القاهرة يوم الجمعة .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

القاهرة ، ٢١ تموز ١٩٤١

تلقيت نص مذكرتكم المؤرخة في ١٧ تموز ، المتعلقة بالهدنة الاسكندر -
فيشي . اوافق على هذه المذكرة . وقد لفت انتباه لينتون شفويا
وخطيا الى :

١) أننا نرفض الاتفاق والبروتوكول برمتها ، وسما نحتفظ بحق العمل وفق ما يبدو لنا صالحاً . وسنتخذ ماثرة ، على نحو خاص ، تدابير كل اتصال زبده ، مع قوات فيشي ، وشكل بأننا « قوات الشرق الخاصة » .

٢ - أما لن نقبل بمد قيادة بريطانية لقواتنا في الشرق ابتداء من ٢٤ تموز ، عند الساعة ١٢ .

كانت مقابلة استغرقت ساعتين ، حادثة الهمزة ، قاطعة من حيث الجوهر . وقلت ، أبرز ما قلت ، ليلتون إن ملك البريطانيين في هذه القضية لا يتفق مع تصرف ومصالح فرنسا وكرامتنا . وأصمت أنا لراحة حتى قطع محالفا بأمر ولكن دون تردد ، وأنا لمحارب في سبيل فرنسا لا من أجل انكلترا .

وبدا لي ليلتون ، رابط الجانب ولكن بانفعال مكبوت ، في ضيق بال ، وقلق شديد . أنا هنا مع الحزب الذي لارمينيا . متوجه إلى بيروت في ٢٥ تموز ، وهناك نلتقي سيبه .

أطلب إل كل عضو في مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية أن يؤيدني بمضى في مفاوضات الحاسمة التي أحسب ان النجاح مآلها .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

الخمسة ، ٢٤ تموز ١٩٤١

عندت هذا الصباح مع ليلتون ، بعد مناقشات حامية عنيفة ، لسوية تملق بتفسير اتفاق الهدنة . وقد أبرقت إليكم نصوص هذه التسوية ، من جهة أخرى . وهكذا أصبح لدينا مسا نور به تأثيراً فعالاً في قوات فيشي ، وأن يكون هادها في حوزتنا . أسافر اليوم

إلى بيروت لأقوم بتصديق ذلك ، وأوجه عهدنا السياسي والاداري في الشرق . وقد كتب الي لينتون رسالة يعترف فيها بسيادتنا التامة على دولتي الشرق . كل ذلك مدعاة حادة لارتباك .

يجب الآن مع ترجيل الموت . رقت اليوم إلى السيد ونستون تشرشل في هذا الموضوع . ملكك فيشي فيما يتعلق بالهند الصينية وموقف دانتر الحالي في سوريا قدما لنا جميع المبررات . أعتقد ، من جهة أخرى ، أن الحل الذي تنصي إليه مسألة حبيوتي قريب ، وهو الاستسلام . 'وقفت' إلى حل البريطاني ، على إرسال تعليمات مرضية إلى سلطانهم المحلية . أصبح التحول البريطاني الآن ، يحملته ، مؤثيماً . كانت الأزمة حادة ، ولما قنته بعد انتهاء تماماً .

رسالة إلى م. أ. ليتلتون

دور الدولة العثمانية في القاهرة

بيروت ، ٢٧ تموز ١٩١١

عزيزي الكابتن ليتلتون ،

تلقت رسالتكم المؤرخة في ٢٤ تموز ١٩١١ ونص الاتفاق الذي وضعه ممثلونا من الجانبين كتصديق لاتفاق الهدنة في سوريا . ويسرني أن أقول لك إني أوافق على هذا النص الذي يلزم منذ الآن السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية التمتع بها

وأخذت علماً ، من جهة ثانية ، بموافقتكم على العقوبة التي ينبغي أن تتخذ بحق العناصر الفرنسية المنشقة المدعوة ، عناصر فيشي ، إذا ثبت أن هذه العناصر أحلّت فعلاً ، كما حسب ، بالاتفاق .

ومن المتفق عليه أن كتابكم المؤرخ في ٢٤ تموز ، وجوابي عنه لا ينشران إلا إذا رصينا نحن الاثنين معاً بذلك . لكم باخلاص .

رسالة الى م. ا. ليتنن في القاهرة

بيروت ٢٧ تموز ١٩٤١

عزيزي الكابتن ليتنن ،

تلقيت رسالتك المؤرخة في ٢٥ تموز . أنا سعيد بتسجيل التأكيدات التي لفضلت بتقديمها لي فيها يتعلق بتجريد بريطانيا العظمى في سوريا ولبنان ، وأن بريطانيا العظمى تعترف مسبقاً بمركز فرنسا المتساوي في المشرق ، حين تصح هاتان الدولتان مستقلتين .

إن نص الاتفاق وملحقه الذي وجدته طي رسالتكم ، والذي رسمناه معاً في القاهرة بتاريخ ٢٥ تموز ، سيوضع فوراً موضع التنفيذ من قبل السلطات العسكرية الفرنسية المختصة .
لكم بصدق .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

بيروت ١ آب ١٩٤١

وجه الكابتن ليتنن رسالة مؤخراً إلى الجنرال كانز يطلب إليه فيها ، وكان ذلك طبعاً في منتهى البساطة ، أن يكون الجنرال سيور حاضراً في مفاوضات المعاهدة الفرنسية - السورية ، والمعاهدة الفرنسية - اللبنانية .

وكان جواب الجنرال كانز ، بطبيعة الحال ، رفضاً خالصاً ، وبسيطاً . إذا كان هذا الطلب من ليتنن مطابقاً لسياسة حكومته ، فمن البدهي أن هذه السياسة لا تتوافق مع حقوق السيادة لفرنسا . ومن البدهي كذلك ، أننا لا نستطيع القول بحساس هذه الحقوق ، أننا كنا نوجه .

وأنا مقتنع أن تدخل إنكلترا في الشؤون السياسية الفرنسية سوريا
ولسان يؤدي بنا إلى تعقيدات جد خطيرة ، فإن جميع الفرنسيين
الأحرار هنا متفقون على هذه اللقطة ، بله الفرنسيين الآخرين ممن هم ذوو
موقف معروف تجاه إنكلترا . وإنه ليدور لي أن الموائد المريبة التي
يمكن أن تستلها السياسة الانكليزية من هذه العمدة عن حقوق فرنسا ،
ستكون جد مزيلة لقاء أصرار كبرى تنشأ عن تشوش في العلاقات بين
فرنسا الحرة وإنكلترا .

تفضلوا واطلوا اجتماعاً مع السيد إيدن ، وأطلعوه من جانبي على
إبلاغ جد صريح وواضح ، بهذا المعنى .

برقية إلى رنيه كامبل مفضية فرنسا الحرة في لندن

بيروت ، ٢ آب ١٩٤١

أرغب إليكم أن تتصلوا بسفير روسيا في لندن لاجراء محادثات شبه
رسمية معه ، ذات طابع سرّي مطلق ، تناول النقاط الآتية :

أولاً - أن تكون روسيا على استعداد لإقامة علاقات مباشرة معنا ؟
وفي حالة الإيجاب ، ما هو الشكل الذي يمكن أن تقام به ؟
ثانياً - هل تواتح روسيا الآن أو فيما بعد ، أن تسمت إلينا بنصريح
تعرب فيه عن بئسها في المساعدة لإعادة استقلال فرنسا
وعظمتها ، إما بالنص نفسه الذي بعثه تشرشل ، وإما بنص
آخر ؟ إما لنحب ، طبعاً ، أن نصيف روسيا « كيان »
إلى « استقلال » و « عظمة » .

ثالثاً - أي تعهد قد روسيا أن تتلقى من جانبنا لقاء مثل تلك
النصريحات ؟

برقية الى رنيه بلينز

في واشنطن

حلب ، ٩ آب ١٩٤١

تلقيت اليوم ، واليوم بالذات ، برقيتكم المؤرخة في ٢٦ تموز . وإني لأقدر عملكم ، وأنا مقتنع أنه سيؤتي ثماره . لقد أدركتم ، بصورة عامة ، أننا لا نطلب من الولايات المتحدة أية صدقة ، وإنما وسائل كفاح وحسب . وواقع الحال ، أبي أرى نظارة الخارجية تقترح ، في الوقت الراهن ، عقاقير لا أسلحة ، ونحن رفض العقاقير إذا لم ترفق بالأسلحة . إن أوهام الأحذ بالمرف الجامد للبليد لستشري في واشنطن وتتمزق فيشي ، أي هتلر الذي خلق فيشي .

أنا لا أرى أن محضر أنت ، يمثل فرنسا ، مؤثراً ثلاثياً كخبر فحسب . وإنما يمكنك أن لمحضره ولك حقوق اللد لأنداد بين المؤثرين ، وإلا فلن لمحضره . ولا أزال مع ذلك ، على المرح الذي تقدمت به ، وهو أن أستقبل في برازيل صائداً أميركياً أو عدة ضباط أميركيين .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

بيروت ، ١٣ آب ١٩٤١

تلقيت برقيتكم المؤرخة في ٢٥ تموز و ١٠ آب . لقد أمنت النظر ، أكثر من أي شخص آخر ، في لقائنا الخطيرة الوطنية والدولية التي تتجه عن قطع العلاقات بين فرنسا الحرة وإسكترا . وذلك بالصمد هو ما جعلني أصبح إسكترا أمام هذه النتائج ، في حال تصرفها تجاهنا بطريقة لا يمكن قبولها . وأنا أعت أماً لا يقبل ، سياسة وموقفاً يستخدمان مؤازرتنا لإيقاع الضرر بمصالح فرنسا ، أو بمركزها على الأرض

نفسها التي يجري فوقها التضامن ، وذلك هو بالضبط ما كان . في مجرى التنفيذ ، في سوريا . إننا لنخسر كرامتنا وسلطاننا في فرنسا معاً إذا لم نحن رضينا ذلك . وأنا لم أرضه ، وجميع رفاقنا هنا وفي أفريقيا ، تكتلوا كتلة واحدة معي ، في هذا الشأن .

هكذا استطعت أن أقوم الوضع وأنفذ الجانب الجوهرى منه . وإنى لأدرك أن البريطانيين تيمروا عيظاً منه ، ولكن هذا القبط يخف ورناً إذا قيس برأبقاتنا تجاه فرنسا ، وأقدر أن الأزمة انتهت سليمة حتى فيما يخص علاقاتنا بإسكلترا . والأکید أن السيد تشرشل سيدرك أنه أحداً لا يتصبره إلا على ما هو صلب .

وأنا أعتقد ، عكس ما لحسبون ، أن استلام قبشي في شأن أفريقيا سيؤدى إلى إكبار فرنسا الحسرة من قبل الأمة والحدج ، وخاصة من وجهة النظر الأميركية .

أما شأن الضمانة المقدمة من بريطانيا العظمى لاستقلال سوريا ولبنان ، فلاي لم أعترف بها قط . وليس لها مجال ، أدنى أثر في بيان الجبرال كارو الذي عدلت مند وصوي إلى القاهرة ، مشروعه لأوى . وكنت قد أخطرت ، من جهة أخرى ، سفير بريطانيا في القاهرة ، برسالة وجهتها إليه في ٣ حزيران أسمى ، وإن لم يكن في وسعنا أن نعارض بشر ضمان من قبل الإنكليز ، ما شجبتها ، وإن أقم لها ورناً . وليس لدولة أجنبية أن تضمن وعداً أعطته فرنسا . وكذلك ، لا يمكن قبول اشتراك سيرر في مفاوضات دمشق وبيروت . فأنا أرعم أن حصور دولة ثالثة في مفاوضة فرنسا مع دولة تحت انتدابها ، يشكل تدخلاً لا يمكن قبوله ولن ألتزم به .

وختاماً أَدْعُوكم إلى النضال ، وأن لا تعطوا الانطباع أن ممثلي لا يتسمون بالدقة سياستي ، فإن عظيمتنا وفوتنا إنما يتكوّن من شيء

واحد ، هو التصلب فيما يتعلق بحقوق فرنسا . وسكون في حاجة إلى التشدد هذا حتى يبلغ للصفة الأخرى من نهر الرين .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

برازافيل ١ ٢٥ آب ١٩١١

عليها أن نكون ، فيما يتعلق بموقفا من تصريح تشرشل رورفلت
المعنون : « ميثاق الاطنتي » ، على اكر جاذب من البقطة حول المادة
الأولى ، في شكلها ومضمونها المختصة : « التوسعات » ومن واجبنا
أن نشير إمكانية توسيع مركزنا في بلاد الرين ، دون إنكلام حالياً
عن الرين ، في حال انهيار الرابع . وذلك نظراً للتدمير المادي والمعوي
لدي يصيب بلاد الرين في تلك الحالة ، يمكن أن تحدث أمور غير متوقعة

يجب القول إما لا نسمى وراء أي توسع في الاراضي ، ولكننا
لا نتخلت صراحة ، عن كل توسع من نوع آخر

أما المادة ٤ ، فيجب أن تشمل ، من جانبنا ، على تخفيضات صريحة .
نحن لا يمكن أن نقل بعد الحرب ، بعد ألمانيا وإيطاليا إلى المواد
الأولية على قدم المساواة مع فرنسا التي جردناها من ، على نحو طبيعي .

عليها ، بصورة عامة ، أن تدبغ الفكرة أن الحرب الحالية ليست
سوى حدث من أحداث الحرب العالمية السقي ابتدأت عام ١٩١٤ .
ومؤامرة فرنسا للقضية المشتركة ، وهي الحرية في الحرب العالمية ، إنما
تقامس ابتداء من ١٩١٤ وكذلك هو شأن تصحياتها ، وبالتالي ، شأن
لتعويضات من كل نوع ، التي تحقق لها .

برقية إلى الجنرال كاترو
المفوض العام المطلق للصلاحيات في بيروت
والطبيب الجنرال ميسه
المفوض العام في يرافيل

لندن ، ١٦ أيلول ١٩٤١

يبدو أن المصاعب الخطيرة التي أحدثتها قضية سوريا بين حلفائنا البريطانيين ، وبيننا ، آخذة في الزوال . وعلى الرغم من أن خطاب تشرشل الأخير يتمّ عن نزعة مغلقة فإن طريقة التعايش ، التي أقامتها اتفاقات ليتلتون - ديفول ، يجب أن تصان ، فإذا كان الأمر كذلك ، نستطيع أن نمتد أن جوهر القضية مصان ، وأن مركز فرنسا في المشرق محفوظ ، على الجملة ، في ظروف مرضية .

وبعد حقبة من التوتر المركز في لندن نفسها ، من جانب الإنكليز ، وهي الحقبة التي أعقبت عودتي ، بدا أن العلاقات تتركز سوية ، في انتظار أن تصبح ودية . قابلت تشرشل مطوّلاً . أكد لي الوزير الأول أن السياسة البريطانية بالنسبة لسوريا كانت وستظل كما حددتها اتفاقاتنا في القاهرة . وأكد لي ، من جهة أخرى ، أن حركة فرنسا الحرة ، الآخذة في الانتشار في فرنسا نفسها ، أصبحت كما لم تكن قط من قبل ، عصباً كبيراً في السياسة البريطانية ، وأن حكومة حلالته عازمة على دعمها إلى أقصى حد .

برقية إلى رنيه هيلين
في واشنطن

لندن ، ٢٣ أيلول ١٩٤١

أطلب إليك ، في محادثةك الممنعة مع سجنر ولز وكوردل هل ، أن تبرز للسلطات الآتية :

١) لقد أصبح وضع رجال فيشي الذي وصروا أنفسهم فيه «السلطة الموروثة» في واقع أمره «بمخاطبتهم» من غير معزلة على «المواضع التي يمكن أن تحركهم» حرج الدائرة التي شاح لهم فيها أن يدرسوا مبادئ فرنسا والدفاع عن مصالحها في الخارج . وإن في أحداث سوريا ولبنان الصينية أدلة ساطعة على ذلك . ويشتج بالتالي أن فرنسا أصبحت غير مثة تشيلاً حقيقياً في العالم .

٢) الاحول التي ونيت بها فيشي السلطة في فرنسا «والمسألة المسطحة التي تحولتها والأسلوب الذي غارسها به» كل ذلك يندس وسيادة الأمة الفرنسية . هناك اعتصاب بعض

٣) على الرغم من القمع الدامي الذي بثقل به المزاج وفيشي كاهل للشعب الفرنسي «وحرماته من التعبير بحرية عن آرائه بأية طريقة من الطرق» فإنه لم يبق اليوم من شك في أن سياسة التعاون مع العدو والدكتاتورية الداخلية التي تتلصق به «إعما هي تتعارض تعارضاً مطلقاً مع آمالي أكثرية المواطنين الفرنسيين .

٤) لقد أصبح أمراً واقعاً أن أراضي مستعمرات مهمة في أفريقيا والباسيفيك وقوات مسلحة لا يحتمل أن ينضموا إلى فرنسا الحرة لتظل بحاربة إلى جانب الحلفاء والامبراطورية «البريدية» خاصة «ضد غزاة الوطن» وهذا الواقع يفرض على الجنرال ديغول وسلطات فرنسا الحرة أن تمارس على تلك الأراضي والقوات «صلاحيات حكومة» ولكن الجنرال ديغول كان يملئ دوماً على رؤوس الأشهاد «أنه لن يدرس هذه الصلاحيات إلا بصورة مؤقتة أساساً» كدبر ظلال المرسي «وأنه يخضع مسبقاً لتمثيل الوطني» ساعة يتاح لهذا التمثيل أن يتحقق بحرية .

٥) والجنرال ديغول أخذ الآن «بانتظار تلك الساعة» في تشكيل لجنة وطنية تنفيذية مهمتها أن تساعد في مراسم سلطانه «من جهة»

وجمعية استشارية غايتها أن تعكس الرأي العام الفرنسي من التعبير عن نفسه بأوسع ما يمكن ، من جهة ثانية .

٦) نحن على استعداد لتقديم جميع التسهيلات التي يقدر عليها ، إلى الولايات المتحدة الأميركية لتتركز فيها ، غلبة أو سراً ، وجميع الوسائل العسكرية ، بحرية أو حوتية بما يندرج ضرورياً للإسهام مباشرة أو غير مباشرة في دحر عصابة فرنسا ، وذلك فيما يتعلق بالأراضي الخاصة حالياً لسلطتنا أو لسيطرتنا ، أو تلك التي يمكن أن تخضع لها في المستقبل .

برقية آل رنيه بلون في واشنطن

لندن ، ٢٣ أيلول ١٩٤١

تلقيت برفيتكم المؤرخة في ٢٠ أيلول . إنها حدّ رعية ، ومتوافقة كل التوافق مع ما أراه . وفيما يتعلق برئيس مفوضيتنا ، أختار نيكسيه ، فهو معروف أنه رجل أمين وصلب . ولتطابقات الفرنسية ، هذا ذلك ، موقف ممتاز في فرنسا ، سواء بتسابات الاتحاد العام للعمل C. G. T. والمسيحيين . والقضية الاجتماعية أحياناً ، هي قضية المد الكبرى .

أمر بإنشاء اللجنة الوطنية الفرنسية

باسم الشعب والامبراطورية الفرنسيين ،

نحن الجنرال ديفول

رئيس الفرنسيين الأحرار .

بناء على أمرينا الصادرين في ٢٧ تشرين الأول و ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ ، وعلى قرارنا التنظيمي بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٠ . ونظراً إلى أن الوضع الناشئ عن حالة الحرب لا يزال يحول دون

كل اجتماع ، وكل تمثيل حر للوطني .

ونظراً إلى أن دستور الجمهورية الفرنسية وقوانينها 'حرقت' ، ولا تزال محروقة على أراضي الوطن الأم والامبراطورية جميعها ، ندس العدو كما باغتصاب السلطات التي تتعاون معه .

ونظراً إلى أن كثيراً من الأدلة تثبت أن اكثرية الأمة الفرنسية ، وهي أبعد ما تكون عن قبول عهد 'فرجين' بالعنف والخبائث ، ترى في سلطة فرنسا الحرة التعبير عن آمانيها وإراداتها .

ونظراً إلى أن المهم أن تكون سلطات فرنسا الحرة قادرة ، بالفعل وبصورة مؤقتة ، على مراسر صلاحياتها للعادية للسلطات العامة ، بسبب من الاهمية المتزايدة لأراضي الامبراطورية الفرنسية ولأراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، وكذلك أهمية القوات المسلحة الفرنسية التي أصبحت إلزاماً لتابعة الحرب إلى جانب الحلفاء ، صدّ غزاة الوطن .
بأمر .

المادة الأولى : يتأمن 'المراس' المؤقت للسلطات العامة ، وفق الشروط المثبتة في هذا الأمر ، بسبب من ظروف الحرب ، وإلى أن يصح ممكناً إيجاد تمثيل للشعب الفرنسي ، قادر على التعبير عن الارادة القومية ، على نحو مستقل عن العدو .

المادة الثانية : أُنشئت لجنة وطنية مشكّلة من مفوضين يمثلون عرسوم الحزب الديفول ، ورئيس الفرنسيين الأحرار ، هو رئيس اللجنة الوطنية .

المادة الثالثة : يخضع مراسر السلطات العامة ابتداء من الاجتماع الأول الذي تمقده اللجنة الوطنية ، للقواعد الآتية .

التدابير التشريعية تصدر بأوامر مدروسة في اللجنة الوطنية مرفوعة من رئيس الفرنسيين الأحرار رئيس اللجنة الوطنية وصادرة عنه وعليها .

لوثيق وشهادة طبق الأصل بواحد أو عدة من المفوضين الوطنيين .
تكون هذه الاوامر إجبارية ، وخاصة لمصادقة التمثيل الوطني ، حين
يصح ذلك ممكناً .

والندابير المائدة الى النظام الداخلي في كل دائرة تصدر بها مراسيم
عن رئيس الفرنسيين الاحرار ، رئيس اللجنة الوطنية ، بناء على
اقتراح أو تقرير يقدمه مفوض وطني واحد ، أو عدة مفوضين وعليه
توقيعه أو توقيعهم .

المادة الرابعة . المعاهدات الدولية والاتفاقات الدولية التي تخضع عادة ،
بموجب الدستور لمصادقة المجالس التمثيلية ، تدخل حيز التنفيذ حين
يصادق عليها بأمر اتخذ حسب الشروط المبينة في المادة السابقة .

المادة الخامسة . المفوضون الوطنيون أعضاء اللجنة الوطنية يمارسون
جميع الصلاحيات المرددة أو الجماعية التي تعطى للوزراء الفرنسيين ،
عادة .

تحدد صلاحية كل وحدة ادارية وحدودها ، بمرسوم .

وضع في لندن ، ٢٤ ايلول ١٩٤٩

ش . ديغول

رسالة الى السيد موسكي

سفير اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

في لندن

لندن ، ٢٩ ايلول ١٩٤٩

سيدني السفير ،

لي الشرف أن أعطيكم اني تلبية إبلاغكم الذي تودون مساعدكم
اعلامي به ، ان حكومة بلادكم تعترف بي كرئيس لجميع الفرنسيين
الاحرار ، انسى كلوا ، من الذين ينضمون الي للدفاع عن القضية الحليفة ،

وانها مستعدة للاتصال بمجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية المنشأة
بأمر ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٠ ، من أجل جميع المسائل المتعلقة بالتعاون
مع الأراضي الفرنسية فيها وراء البحار التي تضع نفسها تحت سلطتي .

واسي لأقل بامتنان وعد حكومتكم بتقديم القون والمساعدة للفرنسيين
الاحرار في الكفاح المشترك ضد ألمانيا الختارية وحلفائها . وأذا جد سعيد
كذلك بأن حكومة الاتحاد السوفياتي رأت من المناسب ان تبين عزمها
الوطي . على إعادة استقلال فرنسا وعظمتها عزماً تاماً كاملاً ، حين نوفق
مما الى غلبة العدو المشترك .

وإني لأتمهد من جاسبي ، باسم للفرنسيين الاحرار ، على ان أحارب
إلى جانب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وحلفائه حتى النصر
النهائي على العدو المشترك ، وان أقدم القون والمساعدة للاتحاد السوفياتي
في هذا الكفاح بجميع الوسائل التي هي في متناول يدي .

تفضلوا بإسدي السغير ، بقبول تأكيدات أسمي اعتناري .

ملكرة سلت للجفرال إسهي

بقدمها السيد تشنل ، في شان ائذرك للقوات

الفرنسية في مجرم عمل على ليبيا

لندن ، ٧ تشرين الأول ١٩٤١

١ - ينبغي ان يحمل وضع الحرب العام الحلفاء ، على الشروع ،
بأقرب وقت ممكن ، في بذل جهد عسكري قوي في ليبيا .

والعائدة الكبرى التي تقدمها تصفية رأس الجسر هذا . للبحور في
أفريقيا ، قبل أن يصبح العدو قادراً على مهاجمة الشرق الأوسط ،
والضرورة المادية والمعنوية لتخفيف العبء على وجه السرعة ، عن الروس ،
والآفاق السياسية التي تفتح ، فيها يتعلق بإيطاليا ، وخسراتها التمام

لامبراطوريتها ، ووجود الحلفاء على مقربة مباشرة من صقلية ، وإمكانات الضغط والعمل أخيراً ، في أفريقيا الشمالية الفرنسية التي يشتمل عليها الاتصال بتونس والمناطق الصحراوية . كل ذلك لا يسمح طبعاً بمسح بتأجيل هذه العملية الكبرى . وإن ظروف المناخ لتعين ، من جهة أخرى ، على القيام بها ابتداءً من نهاية تشرين الأول .

٢ - والجنرال ديفول يطلب على نحو ملح عاجل ، أن تشترك القوات الفرنسية الحرة في الهجوم على ليبيا ، على أوسع مدى ممكن (يلي تفصيل القوات الفرنسية التي تستطيع خوض ميدان ليبيا في البحر والبحر والجو) .

رسالة إلى الجنرال أوكلنك

القائد البريطاني الأول

في الشرق الأوسط

لندن ، ٧ تشرين الأول ١٩٤١

عزيزي الجنرال ،

قلت لك ، في الحديث الذي كان لي شرف القيام به قبل سفري من القاهرة ، إلى أي مدى يرغب الفرنسيون الأحرار في المشاركة بهجوم بريطاني على ليبيا ، في حالة هزمكم على شتة .

وانك لتعلم بالتأكيد أن الجنرال كازو نظم في سوريا مجتماً عسكرياً مهماً ، في الحقيقة . فهو مسلح تسليحاً حسناً ولديه عدة حسنة أيضاً ، ووضعت تحت إمرة الجنرال دي لارمينا . وانك لتعلم كذلك ، أن لدى الجنرال لوكلير في تشاد الوسائل للشروع في عمل مهم على قطاع قرآن . وأنا أؤمن شخصياً بمقدار ما يمكن لإنسان أن يتمكن من شئ ما ، أن تهاجم القوات الفرنسية جنباً إلى جنب مع القوات البريطانية ، الألمان

والطلد في ليبيا ، لكثير من الأسباب العسكرية والسياسية .
 إذا تم ذلك ، يصبح لارمينا وحشده برمه ، تحت إمرة قيادكم في
 ليبيا ، ويستطيع لوكليز أن ينش " غارقه على فراخ في الموعد الذي
 تحدونه له (مع إشعار سابق بسحو من خمسة عشر يوماً) .
 وستكون ظروف الاشتباك الذي يقوم به حشد لارمينا ، وفقاً على
 تقديركم بطبيعة الحال . ويبدو لي ان من الأفضل ان يخوض الميدان متى
 سويت قضية برقة .
 أتس لكم ولجيوشم ، أيا الجنرال العزيز ، أعظم محدر ممكن .

مذكرة سلت الى السيد هيوغ دالتون

الوزير البريطاني لـ « الاقتصاد الحربي »
 (الدوائر السرية)

لندن ، ٥ تشرين اول ١٩٤١

لقد تولدت روح المقاومة لدى الشعب الفرنسي خلال الأسابيع
 الأخيرة ، عن طريق أعمال مطومة .
 ويبدو أكيداً ، من جهة أخرى ، ان فرنسا أصبحت رمز المقاومة
 الوطنية في نظر الشعب الفرنسي .
 والجنرال ديفول واللجنة الوطنية الفرنسية يريان أن من اختصاصها
 ن يأخذنا على عاتقها ، بصورة فعالة ، إدارة هذه المقاومة في الأرض
 الفرنسية التي يحتلها العدو او يسيطر عليها .
 والعمل العسكري المحص (المعلومات ذات الطابع العسكري ، الكائن
 الفردية ، إعداد تنظيم عسكري محلي) يجري الآن يجري حسناً بتوجيه
 من الدوائر المختصة التابعة لفرنسا الحرة بالارتباط مع الدوائر البريطانية
 المختصة . ولكن ثمة الآن مجالاً للشروع في العمل السياسي ، وهو الذي

يتميز ، ويجب ان يتميز عن العمل العسكري ويشتمل على وسائل
ووسائل مختلفة .

والبحرال ددقول واللجنة الوطنية الفرنسية برعان في الانتقال الى
العمل السيامي في فرنسا . وتعاون دوائر الوزارة البريطانية لـ « الاقتصاد
الحربي » معها ، ضروري لها .

تشتمل الخطة على :

١ (تنظيم الارتباطات المتعددة ، السريعة والاكيدة ، مع الاراضي
غير المنظمة محطات إرسال واستقبال سرية ؛ وضع موظفين تقنيين
لتسيير هذه المحطات . مرور متواصل لعملاء أحسن إعدادهم ، في
الانجاسين . نقل سرى لمتاه الدعاية ، إلخ ...

٢ (تنظيم شبكة من الاستخبارات السياسية ، بوضع عدد صغير
من المراقبين الأكفاء في النقاط الجوهرية .

٣ (تنظيم شبكة سرية للدعاية .

وان للإرسالات الإذاعية السرية دوراً كبيراً . ينبغي أن يودج
بدائرة توزيع للشراة ، والجرائد ، والأدوات المختلفة ، على أن نعم
هذه الدائرة فرنسا والامبراطورية الفرنسية .

وينبغي تسيير دعايات خاصة ، توجت جنساً الى جنب مع الدعاية
العامة ، نحو بعض الطقات أو الأرساط الخاصة (نقابات ، تنظيمات
عمالية ، موظفون ، أحزاب سياسية ، اكليروس ، إلخ ...)

٤ (تجنيد بعض الشخصيات البارزة محلياً .

إن مثل هذه الخطة تشتمل ، إذ تتجاوز بساحتها جميع تلك التي
ووجهت حتى الآن ، على وسائل مهمة ، لا سيما في موضوع
الارتباطات ، ومحطات البث السرية ، وتجنييد العملاء وتكوينهم ، ونقل

للعناد الخاص . ولكن يبدو الآن أن الثمرة صالحة ، وأن النتائج
الممكنة تستحق بذل مجهود عظيم .

برقية إلى الجنرال كاترو

في بيروت

لندن ، ٣١ تشرين الأول ١٩١٦

كان لي حديث ، هذا الأسبوع مع السيد إيدن حول سياستنا في
دولتي المشرق . وقد أبد السيد إيدن ما بسطه شعباً في مذكرات مختلفة
ملتصني إياها .

يستخلص منها ، في أول منزلة ، أن الحكومة البريطانية تعترف
أن انتداب فرنسا لا يُقَس ، وأن فرنسا الحرة هي التي تقارسه ، وأنه
لا يمكن أن يتغير أمر بلقي بلا معارضة ومعبّر اتفاق فرنسا الحرة مع
مجلس عصبة الأمم وحكومة الولايات المتحدة . وقد أحست السيد إيدن
حول هذا الموضوع أن ذلك هو بالضبط موقفنا الخاص ، وأننا بسبب من
الظروف الراهنة لا نواجه التبرؤ في مثل تلك المفاوضات مع عصبة
الأمم ، ولا مع الولايات المتحدة ، قبل نهاية الحرب . وأصفت أننا لا
نصوّر ، بحال من الأحوال ، نهاية الانتداب من غير معاهدات في شكل
مرحلي وصالح ، تعقد بين فرنسا الحرة وحكومتها سوريا ولبنان .

وأبلى السيد إيدن نص الرسالة التي أعدت لإرسالها ملك إنكلترا
إلى الشيخ تاج الدين ، وقلت إني لا أعترض عليها . وقلقي سيبرز
مهمة نقلها .

وسألني السيد إيدن عما إذا كانت لدينا التنية لحل الحكومات الخليفة
على القيام بخطوة مماثلة ، فأجبت أنه سدر من المسألة .

وسألني السيد إيدن عما إذا كنا نرى توجيه مذكرتي لمجلس عصبة

الأمم وحكومة الولايات المتحدة أولاً ، نطلبها فيها على أن تترك الحرية
أخذت الانتداب على عاتقها ، وأما من ثمة قررنا أن نشهد في
المشرق بعض الترتيبات العملية المطلقة لاستقلال الدولتين وسيادتهما .
وأحتسب أننا سيقوم بذلك مؤكداً ، حين تنتهي المألة في لبنان ، بعد
أن تكون قد انتهت في سوريا ، وأما منصرف لعصبة الأمم كما للولايات
المتحدة ، أن المراد من ذلك تدابير ظرفية لا تمس حقوق الدولة المنتدبة
ولا واحداً منها .

يبدو ، بوجه عام ، أن موقف الحكومة البريطانية المرضي أكثر
من ذي قبل ، يعود إما إلى المحادثات التي أجرتها مع ، حكومة
وإما إلى رغبتها الراحة في عداوتنا ، ومراعاة الحالة العامة
في المشرق التي تشهد تعلق الأهالي بفريسا .

خاتمة الخطاب الذي ألقاه في جامعة أكسفورد

في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٩

يحدث الفالون موقفاً في القارة الأوروبية ، أن ينوا ما يدعونه
نظاماً حديداً . ومن هنا ، كان محور الحرب الراحة حياة الحضارة
الغربية أو موتها . وواقع الحال ، أن هذه الحركة الراحة تزداد رهبة
بقدر ما هي ناشئة أبداً ، عن التطور العام .

يجب أن نوافق ، في الواقع ، على أن تحول أوضاع الحياة من
طريق الآلة في العصر الحديث ، وتكاثف الجماهير المترابدة ، وثرمة
الجماعات الهائلة إلى التهازل وهدن تبيعتان لذلك التحول ، كلها مجتمعة
فتحت ثغرة في حريات كل فرد ، وما دام البشر يجدون أنفسهم
خاضعين في سبيل عملهم ، ومدتهم ، وأفكارهم ، ومنافعهم ، لضرب
من تجمع دائم ، وما دامت مساكنهم ، وملابسهم ، وعداؤهم تسير

تدريجاً نحو غايج واحدة ؛ وما دام الجميع يقرأون في الوقت نفسه الشيء نفسه في الصحف نفسها ، ويشاهدون الأفلام نفسها تمر تحت أعينهم من طرف للدلم الى طرفه الآخر ، ويسمعون الأبناء أنفسهم معاً ، والأفكار نفسها ، والموسيقى نفسها من الاذاعات ؛ وما دامت وسائل النقل نفسها تنقل الناس الى المعامل نفسها أو المكاتب ، الى المطاعم نفسها أو أماكن الأكل ، الى الملاعب الرياضية نفسها أو مسارح اللهو ، الى النباتات نفسها أو الأندي أو الحدائق ، ليعملوا ، ويأكلوا ، ويلبوا أو يساريحوا ، وهم رجال ونساء تشابهوا في دراساتهم ، ومعلوماتهم وانهاكهم ، واشتغالهم ، ولباسهم ، وشخصية كل واحد منهم مسا دم ذلك كله قائماً فان موقف التعصب ، والاختيار الحر لا يجدان بعد مكاناً . لقد تحقق ضرب من التآليل^(١) العام ، لا يفلت الفرد فيه من الانسحاق ، إلا أن يذل جهداً كبيراً لاستنفاد نفسه منه .

ويزداد هذا الجهد وبمظم مقدار ما تأسى الجماهير الانسحاق في هذا التوحيد ، والإقبال عليه وهي أبعد ما تكون في الوقت نفسه ، عكس الفرد ، عن النور منه . وقد عاش أبناء جيلي زماً طويلاً لدرجة لم يشهدوا معها انتشار الإلزام وحسب ، بل الارتياح أيضاً الى الوجود المتراكم .

ان ارتداء البرية نفسها ، والتسير على الاقدام ، والعناء في جولة ، والسلام بطريقة واحدة ، والتأثر الجماعي للشهد الذي تملكه اجماعة لنفسها ويكون المرء حزماً منها ، كل ذلك ينزع نحو التحول الى حاجة لدى معاصرينا . وواقع الحال ان الدكتاتوريين سموا بمؤدبهم وشعائهم وراء النجاح في هذه الترعات الجديدة ووحده . ومن المؤكد انهم نجحوا ، أول ما نجحوا ، بين شعوب قست حماة التنظيم الذي

(١) التآليل . من الآلة . وهي ترجمة متعددة لكلمة *Alienisation* (انحراف)

تعيش به قرى الأرضة ، أملا منها في بسط سيطرتها على الآخرين . ولكن لا يجوز أن نؤثر على أنفسنا أن التطور نفسه يقدم النظام الذي يقال له « جديد » تسيلات خارقة ، كما يقدم لأبطاله إغراءات مرممة .

وانتصار جيوش الأمم الديمقراطية ، وأساطيلها وأسمائها ، بالغا ما بلغ يوماً ما من الكمال ، وبالغا ما بلغت سياستها بعد النصر ، من البراعة وبعد النظر ، نجاء هؤلاء الذين توفى هذه المرة أيضاً إلى « تحرر » كل ذلك لن يمنع أن يبعث الخطر أشدّ هولاً مما لم يكن قط من قبل ، إذ لا شيء يضمن السلام ، ولا شيء ينقذ نظام العالم ، إذا لم يتوصل حزب التحرير في خضمّ التطور الذي يفرضه التقدم الآلي الحديث ، إلى بناء نظام تتمجّد به الحرية ، والسلامة ، والكرامة وبضمنها لكل فرد ، إلى درجة تبدو له معها تلك المعاني الثلاثة محل إعزازه وتشوقه أكثر من أي نفع يقدمه له توارثه . وما من امرئ يرى وسيلة أخرى يتحقق بها في النهاية نصر الروح على المادة . وذلك لأن هذا هو المراد ، في خاتمة المطاف .

ولكن كيف لنا أن ندرك مثل هذا الجهد من تجديد روحي ، إجتماعي ، أخلاقي بمقدار ما هو سياسي ، في انقسام شعبنا ؟ إن فرنسا وإنكلترا كانتا منذ قرون ولا تزالان « مهدي » أخيرة للناس وبطلتيا . الحرية في خطر الهلاك إذا لم يتعاهد هذان المهدان ، وهاتان البطلتان لم تتحدتا . إن جميع موارد الذكاء والإرادة التي انجست منفعة من بلدي وبلدكم ، منذ زمن طويل ، تمزيراً للقضية الواحدة نفسها ، قضية الحضارة ، ألا ينبغي أن نضمها معاً ما دام أعداء مثلنا الأعلى متحدين في سبيل قلبه رأساً على عقب ؟ وواقع الحال أن هذا التحالف الحارّ الصادق بين عقول جميع أولئك الذين يرحفون عندنا وعندكم نحو النور ذاته ، وإراداتهم ، لا يمكن بعد اليوم تصوّره ، من غير اتفاق الأمتين .

عليّ أن اعتذر عن الوقوف بكم طويلاً عند مثل هذه الاعتبارات .
ولكن شبان النخبة الذين يودّون الاستماع إليّ يعرفون أن الأفكار تقود
العالم . ولذلك اعتقدت أن من المفيد أن أبين لكم هذه الأفكار ، لتأملوا
فيها . وإذا أنتم فحستموها ، ربما ترون حبي ما أراه ، ألا وهو أن
من الخير أن نأخذ بعين الاعتبار المعطيات المبدئية الكبرى للحوادث
الرهيبة واليومية الجارية في هذه الحرب - أكبر حروب التاريخ -
لتحيط بمجموعها ونستخلص الدروس منها ، وإلاّ خسرتها حتى بعد
عشرين معركة نكسها . وقد وصف الشاعر في مشهد قبلي ، الريفي
الذي يصعد المتحدر الوعر :

« - لم تلتق الرابية يا غنى السهل ؟

« - ذلك لأستطيع أن أرى السهل جيداً . فانا لم ألهم السهل إلا
برؤيته من أهالي النوى » .

رسالة إلى الجنرال إسبان

رئيس أدوكسان ديوان الحرب ، وديوان قائد نيرشل

لندن ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩١١

عزيزي الجنرال ،

تلقيت أمس رسالتك المؤرخة في ٢٧ تشرين الثاني حوادة عن كتي
إليك في ٧ تشرين الأول . وقد تفضلت بالإشارة إليّ أن اقتراحني إشراك
قوات الشرق الفرنسية في عمليات ليبيا لم يلق قبولاً من حكومة جلالتك ،
باعتناء ما يتعلق بسرب طائرات النصف .

لا يمكنني بهذه الشروط إلا أن أسحب مجموع المقترحات التي
رسمتُ صيغتها حول إسهام قوات الشرق وأفريقيا الفرنسية في عمليات
القوات البريطانية ، سواء في ليبيا حالياً ، أو في أفريقيا العربية احتمالاً .

فإن أمر هذه العمليات التي كان لي شرف عرضها في المذكرة المرفقة
مكتابي في ٧ تشرين الأول ، إنما تشكل فعلاً ، فيما يتعلق بالفرنسيين ،
كلاً لا يتجزأ سواء من وجهة النظر السياسية والمعنوية .

وإني لأحتفظ ، مع ذلك ، بشروعي في عملية تقوم بها عناصر من
لشاد ضد « مرزوق » ، كما احتفظ بالمبادرة لنفسي في البدء بذلك العملية
عند المنفى .

بقي لي أن أعتني باسم القوات الفرنسية ، أفضل التوفيق للقوات
الحليفة البريطانية في المحوم الذي شنته على الأعداء المشتركين في أفريقيا
الشمالية .
لكم بصدق .

برقية إلى الجنرال كاترو

في بيروت

لندن ، ٩ كانون الأول ١٩٤١

كتب إلي السيد تشرشل يسألني إشراك وحدة فرنسية كبيرة في
ليبيا . وأجبت أنني سأصدر بمله اختيارياً ، الأوامر الضرورية .
أما أعلم أنك على صلة بأوكنتك حول هذا الموضوع .

علينا إما أن نشترك وحدة كبرى أحسن حشدها ، وإما أن لا
نشترك أبداً . وعليك من جهة أخرى ، أن يكون لديك مسبقاً
خطوط المهمة العامة لهذه الوحدة الكبرى . أرجو أن تعلمني ، متى
أمكنك ذلك ، عن تلك المهمة العامة ، وعن تأليف العناصر المهمة أيضاً .

وأخيراً ، يمكن أن نسال الموافقة على أن يُستخدم سرب طائرات
النصف في مهام لها علاقة بمهمة قواتنا ، وذلك هو الأفضل .

رسالة الى السيد ونستون تشرشل

لندن ، ١٠ كانون الأول ١٩٤١

عزيزي الوزير الأول ،

إن سكان الجزيرتين الفرنسيتين : سانت بيير وميكلون قرب الأرض - الجديدة (تير - نوف) ، كما تعلمون ، جسد متحاربين لفرنسا الحرة .

والأميرال موزيليه في طريقه الآن من الأرض الجديدة صوب هاليفاكس مع ثلاث سفن حربية فرنسية . « ميورا » و « آليس » و « آكوني » ، وهو يقصد فوراً إلى صم - سان - بيير وميكلون ، وتلك حملة يبدو أنها لا تقطوي على مصاعب ، وأنا أوافق موافقة تامة على هذا المشروع . وإني لأكون لكم متسا إذا فعلوني في أقرب وقت ممكن ، ما إذا كان لحكومة جلالتكم اعتراض على هذه الفكرة الطفيفة . لكم بصدق .

برقية الى الأميرال موزيليه

في هاليفاكس

لندن ، ١٢ كانون الأول ١٩٤١

طلعت إلى البريطانيين موافقتهم على ضم الجزيرتين . ولكني لا أركن إلى جواب إيجابي ، وهم يمتنعون أن الولايات المتحدة وكندا علاقة رئيسية في هذا الشأن . ثم إن المهمة جد قصيرة لا تسمح بتلقي جواب عن طريق المفاوضات . وإني لأرسل إليك ، كما قلت لك قبل سفرك ، أمر النتيجة على أن تناولها بوسائلك الخاصة . وعلى كل حال ، أنا أحث كل مبادرة ترى اتخاذها ممكناً في هذا الشأن .

برقية الى الاميرال موزيليه

في ماليناكس

لندن . ١٧ كانون الاول ١٩٤٩

أظهرت مفاوضاتنا هنا أننا لا نستطيع أن نشرح بشيء في سان - بيير وميكلون إذا رحنا ننتظر الإذن من جميع أولئك الذين يحسبون أنهم أصحاب علاقة . وكان ذلك متوقفا . والحل الوحيد انما هو عمل بمبادرتنا الخاصة . اكرر عليك أسي احبك كثيرا في هذا الشأن .

برقية الى الاميرال موزيليه

في ماليناكس

لندن . ١٨ كانون الاول ١٩٤٩

استشرنا ، كما طلست ، حكومتى بريطانيا وأميركا . وإنا لنعلم ، من مصدر موثوق ، أن الكنديين يتوون هم بأنفسهم تدمير محطة إذاعة سان - بيير . وإني لأرغبك ، في هذه الاحوال ، أن تعتمد الى ضمّ سان - بيير وميكلون بوسائلك الخاصة دون أن تقول شيئا للاجانب . وبه لأخل على عذري هذه هذه المعطية بزمها ، وقد أصبحت مما لا يستغنى عنها لحفظ الممتلكات الفرنسية لفرنسا .

برقية الى الجنرال لوكليير

في فود - لامي

لندن . ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩

تقوم بتركيز موقعك من أجل عملية « فران » بمبادرتك ، والإتفاق مع أوركسلك .

تطلعتني ساعة فأخذ القرار بالتركز .

عند ذاك ، سأصدر إليك الأمر للعام بتسوية العملية التي تطلبها ساعة
تشاء ، واضعاً في حسابك اقتراحات القيادة البريطانية ، عليك أن تفهم
ما أريد أن أقول .

لي ثقة بك ومعاونتك ، وأنا احبك كثيراً .

رسالة الى السيد إيدن
في لندن

لندن ، ١٢ كانون الاول ١٩٤١

عزيزي السيد إيدن .

إن اللجنة الوطنية للفرنسية تسمى ، كما تعلم ، في تشكيل منظمة
ترمي إلى جمع أكبر عدد ممكن من الفرنسيين ، في فرنسا وأفريقيا
الشمالية ، لمقاومة العدو وأعوانه وتصدو الظروف مؤاتية للجنة الوطنية
بسبب من الانسواء للملحق أو السري الذي نالته الآن من أغلبية المواطنين
الفرنسيين ، وهي أغلبية جد كبيرة .

وكنيت قد طلبت أن تتفضل حكومة بجلالته بتقديم مواررتها لعمل
اللجنة الوطنية هذا ، بأن تصع تحت تصرفها ، على نحو واسع ،
الوسائل المادية اللازمة . وكنت بإصاحب السعادة ، قد تفصلت بتلبية
طلبي مبدئياً ، في رسالتك المؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤١ .
ويبدو لسوء الحظ ، أن التعاون الذي قلشده اللجنة الوطنية بين
الدوائر الفرنسية والدوائر البريطانية ذات العلاقة ، لم يكن ممكن
التحقيق . أرحو معاذتك أن تطلع على عرض لثلاث مقترحات حدثت
مؤخراً ، في ملحق لهذه الرسالة .

ثم إن اللجنة الوطنية أحيطت علماً ، من جهة أخرى ، أن الدوائر
السرية البريطانية أرسلت ، وترسل عدداً من المواطنين الفرنسيين إلى فرنسا .

إما لجمع معلومات ذات طابع عسكري ، وإما للقيام باتصالات ذات طابع سياسي ، وحتى دون استشارة اللجنة الوطنية ، ودون أن يكون فوؤ العلاقة من الفرنسيين قد تلفوا إداً منها .

وإن سير العمل في الدوائر السرية الفرنسية يتطلب سواءً للاستخبارات والأعمال العسكرية للصرف كما لتنظيم المقاومة في فرنسا ، عدداً كبيراً ، نسبياً ، من الأشخاص ، وبطوي على أخطار كبرى ، كما يكبد أولئك الذين يشاركون فيه ، خسائر فادحة . واللجنة الوطنية الفرنسية لا تستطيع أن تكرر له ذلك لعدم ولا أن تفرس عليه تلك الأخطار والخسائر ، إذا لم تكن النتيجة تطابق الأهداف التي يرمى بسف إليها .

وإني لأجد نفسي ، بالتالي ، مرغماً على أن اطلب إلى سعادتك أن تتصل بإعلامي ما إذا كانت حكومة حلالته ترى إمكان تغيير النظام الراهن للتعاون من هذه الوجهة للظرفيا يتعلق بالوسائل المادية الضرورية من جهة ، والأعمال التي تقوم بها الدوائر السرية البريطانية في فرنسا ، مستقلة بها عن الأعمال التي تقوم بها اللجنة الوطنية . لكم بصدق .

ملحق

١ - قسبدم السيد مرسيه^(١) ، وهو شخصية بارزة ، من فرنسا عن طريق لشبونة ، منذ أكثر من ثلاثة أشهر ، ليطلب إلى الجنرال ديفول توجيهات من قبل المنظمات القائمة والناشطة على الأرض الفرنسية ، وكان عليه أن يعود بسرعة ملحة إلى فرنسا مع هذه التوجيهات ، ولم يتمكن بعد من مفادرة إنكلترا . وقد انتهى أمره بالكشف سره ، وأصبح تنفيذ مهمته بعد اليوم ، نتيجة ذلك ، بالغ الصعوبة .

(١) المقصود جان مولان

٢ - لا يستطيع المقدم صرفه ان يجد الوسيلة الى الالتحاق بمركز عمله لأداء مهمته ، وهو الذي كلفه الجنرال ديغول ان يذهب الى جسر صارق ومالطة ليقوم باتصالات مهمة وعاجلة مع منظمات قائمة في أفريقيا الشمالية .

٣ - كان الجنرال ديغول قد توجه برحله إلى الدوائر البريطانية ان تقول للسيد مونييه ان يقدم الى بيروت ليأخذ منها تعليماته . ومونييه هذا رئيس منظمة فرنسية حرة في تونس ، وكان قد قدم الى مالطة . وعلى الرغم من ذلك ، فإن الدوائر البريطانية دعت السيد مونييه الى العودة الى تونس ، وقتل أثناء السفر في حادث جوي .

أمر بحملة صادر الى جان مولان

لندن ، ٢٤ كانون الاول ١٩٤١

أعيت السيد جان مولان المهفظ ، كممثل لي وصندوب اللجنة الوطنية في المنطقة غير المحتلة مباشرة من الوطن الأم .

ومهمة السيد مولان ان يحقق وحدة العمل في تلك المنطقة بين جميع العناصر التي تقاوم العدو وأعوانه .

بطلمني السيد مولان مباشرة على تنفيذ مهمته

برقية الى الأميرال موزيليه

في سانت بيير

لندن ، ٢٥ كانون الاول ١٩٤١

تفضل وقل لأهلي جيريتي سان - بيير وميكلون ، العريتين جداً والأمينتين جداً لفرنسا ، عن الابتهاج كله الذي تشعرون به الأمة إذ تراها متحررتين . فإن سان بيير وميكلون تشأتان مما ومع حله ثمالبواس ، شرف القتال في سبيل تحرير الوطن ، وحرية العالم .

وإني لأوجه اليك شخصياً باسم اللجنة الوطنية تهانتي الحارة
على الأسلوب الذي حققت به هذا النصر من النظام والكرامة .
لتحيى فرنسا !

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة في واشنطن

لندن ، ٢٦ كانون الأول ١٩٤١

عليكم ان تتخذوا الموقف الآتي ، في شأن سان - بيير وميكلون :
١ - علمت اللجنة الوطنية الفرنسية ، على نحو أكيد ، ان أهالي
سان - بيير وميكلون يرغبون في الانضمام الى فرنسا الحرة ، لاستئناف
القتال من أجل تحرير الوطن الأم وطهر القضية الخلية

٢ - إن هذا الواقع ، وهو ان الأميرال موريل ، سيطر على الحريتين ،
ليس يهدوء وحسب ، بل وسط هذاوات الابتهاج ، يدل جيداً على انه
لم يقم بشيء سوى تحقيق ما يتفق وأمانس الأهالي الذين سعدوا بالخلاص
من الموديات المشية التي أحضمتها لهم الهدنة . وهناك دليل دمع هو
نتيجة الاستفتاء الذي أعطى في سان - بيير ٩٨٪ الى جانب فرنسا
الحرة ، وفي سان - بيير تحممت غالبية الأهالي الأعظم تقريباً (٤٣٠٠
سنة من أصل ٤٥٠٠) .

٣ - لقد ثبت ان محطة إذاعة سان - بيير في عهد فيشي ، كانت
تعطي معلومات عن حالة الطقس بعيد العدو . وعدا ذلك ، فان الحريتين
يمكن ان تقيما كفاعدين للعواصت الالمانية . وقد زالت هذه الاحطار
بعد اليوم . وستوضع سان - بيير في خدمة الملاحة الخلية .

٤ - سان - بيير وميكلون جريتان فرنسيتان ، ولا يقطعهما منذ عدة
قرون سوى فرنسين . وامتلاكهما قضية بين فرنسين ، ومن العسير

تصور جانب ثالث يستطيع ان يرفض لفرنسيين الحق في فكّ السلاسل
التي تقيد بها الهدنة ، واستعادة موقعها في الكفاح .

برقية الى السيد ونستون تشرشل في كريك

لندن ، ٢٧ كانون الاول ١٩٤٦

إن لديّ جميع أسباب الحسنة أن يكون موقف نظارة الخارجية
الراهن في واشنطن ، تجاه الفرنسيين الأحرار وفيشي ، على التوالي ،
مضراً أكثر الضرر بروح الكفاح في فرنسا وغيرها من البلدان .

ولما لا أخشى الانطباع السيء الذي سيحدثه هذا الضرب من التفضيل
الذي تقدمه حكومة الولايات المتحدة علناً للمسؤولين من الاسلام
ومجرمي التعاون ، في الرأي العام ، وفي القوات المسلحة ، وفي الأراضي
الفرنسية الحرة ، كما في فرنسا التي لم تتحرر بعد .

ولا يبدو لي من السداد أن نسلّم المكافأة لرسل الحري والعار ،
في أثناء الحرب .

أقول ذلك لك ، لأنني أعلم أنك تشر به ، وأنتك الوحيد الذي
يقدر على الجهر به كما ينبغي أن يُجهر به .

برقية الى الجنرال كاترو في بيروت

لندن ، ١٢ كانون الثاني ١٩٤٢

أنا أواجه ، في الحالة التي لا يستطيع بها الهجوم الحليف على ليبيا
أن يستمر في أفريقيا الشمالية الفرنسية ، وعلى اعتراض أن لا
ينتقل العدو قريباً إلى الهجوم في الشرق - أواجه إرسال قوة فرنسية
مهمة إلى روسيا الجنوبية ، ابتداء من ١٥ آذار . وستشارك هذه القوة

في العمليات الحليفة المتوقعة خلال الربيع ، في ذلك الميدان . وقد اتفقت اللجنة الوطنية مع حكومة السوفييات التي ترغب أشد الرغبة في كسب مشاركتنا ، على هذا الشأن . إن لأهمية السياسية والعسكرية لعملنا في أوروبا الشرقية بما لا يخفى عليكم ، بكل تأكيد . ثم إن الحكومة البريطانية وافقت مبدئياً في حدود ما يتعلق الأمر بها .

تتضمن هيئة الحملة في روسيا على :

١ (فرقة خفيفة مؤلفة من :

- شُرذمة استطلاع ،

- ثلاثة أو أربعة أفواج من المشاة يساهم في أفواج أوروبي وفوج افريقي ،

- شُرذمة مدفعية ذات بطاريتين ،

- مفرزة هندسة ،

- مفرزة إشارة ،

- مصالح جيش ،

والكل أيضاً مجهز بالآلات ومحركات قدر المستطاع . وهذه الفرقة الخفيفة هي التي توجد حالياً في سوريا ولبنان .

ب (مفرزة من أربعين طياراً في المطاردات الفرنسية ، قدمتها القوات الجوية الملكية حالياً في اسكتلندا .

وعناصر القوات التابعة لإمرتك تتحرك من قبرص ، ابتداء من ١٥ آذار .

برقية إلى الاسمرال موزيليه

في سان - بيير

لندن ، ١٥ كانون الثاني ١٩٤٢

جاءني في أمس حديثان مع إيدن حول جزيرتيبا . كان إيدن يستعيني لقول نص بلاغ وضعته في واشنطن الحكومات الثلاث :

الانكليزية والكندية والأميركية . تصيح الحريرتان بموجب هذا السلاح الصادر عن حاسب واحد محبقتين ، منورعتي السلاح ، وبوكل أمر دارتهما الى مجلس استشاري يكون مستقلاً عن فرنسا الحرة وفيشي ، الموظفون الكنديون والأميريكيون يتعاونون على الادارة والاشرف على محطة الاداعة . وأراد إيدن أن يبينني ، فحدثت عن إمكانية عمل تقوم به الولايات المتحدة في سان - بيير ، ورفضت بطبيعة الحال ، فكرة التجهيد ، ونوع السلاح ، وانهصال الحريرتين ؛ ورفضت كذلك ، لاشرف لأحسي على محطة الاداعة ، ولم أرض إلا مارتناط في شأن هذه الأخيرة . وقلت لإيدن ان عملاً تقوم به الولايات المتحدة في الحريرتين يؤدي الى نتائج في منتهى الخطورة . وفي هذا الصباح أعمني المورين أوفيس أن الحكومات الثلاث تحللت في لوقت الرهن ، عن كل بلاع

أظن أن هذه آخر حلة فشها مظارة الخارجية ، وأنها افرعت حتى لأن اقوى ما في حصنها غير ان هناك ، مع ذلك ، ما يدعوا لأن نظهر حاسب البلق ، على أن لا يكون في مظهرك طبعاً ، موقف الاستمرار . وأصعب أن الرأي العام الاميركي والانكليزي المؤاني لنا في وضعه الرامن ، يحمل لحد حماننا الى القوة أمراً غير محتمل ، إلا عماحاة ، في أبعد احتمال . وكيف كان الوضع ، ولأرمة تقارب من نهايتها ، واعتقد ان النهاية ستكون خيراً . لك مودتي .

كلمة ألقيت من اذاعة لندن

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٢

ما من فرنسي نارت إلا ويهتف لنصر روسيا .

إن الجيش الألماني ، وقد تدفع بكامله في الهجوم منذ حزيران

الماضي ، على هذه الحسبة الهائلة المترامية الاطراف ، ولديه عتاد ضخيم ، وهو المنقطع الى انقنال والظفر ، والذي يتجده أعوان شدتهم السلاسل الى مصير الرمايح طموحاً أو إرهاباً ، يتراجع الآن صهكاً بأسلحة الروس ، بقرضه البرد ، والجوع ، والمرض قرضاً ..

ولها قناعات قوة الألمان وهبتهم ، يشهد الناس لحم القوة الروسية في ارتفاع . والعالم يلمس أن هذا الشعب الذي بلغ تعدادده ١٧٥ مليون نسمة ، خلاق بأن يكون عظيماً لأنه يعرف كيف يقاتل ، أي كيف يتعذب ويصرب ...

وإن الشعب الفرنسي ليعبى بحسنة ظفر الشعب الروسي وتضاعده . وذلك لأن النحر والنار يصنعان بهذه الصخرة من أعذب آمل فرنسا . فإن موت كل جندي ألماني قنيل أو مجتد في روسيا ، ودمار كل مدفع ، وكل طائرة ، وكل دابة ألمانية في أرجاء لينينغراد ، وموسكو ، أو سياستربول ، هاتيك الأرحاء العجيبة ، يقدم لفرنسا فرصة أخرى تضاف الى غيرها ، لتنهض وتغلب ...

ولكن ، إذا لم يحدث بعد شيء ، من الناحية الاستراتيجية أوفى ثراً من الإحراق الذي أصاب هنر على يد سائلس في جبهة الشرق الأوروبية ، وظهر روسيا الأكيد ، من الناحية السياسية ، في الصف الأول من صفوف الغالبين غداً ، فإن ما من دولة تلك من دواعي التهنئة لنفسها ، ما لدى فرنسا . لقد كان التحالف الفرنسي - الروسي 'بني أغلب الاحيان ، ومنذ قرنين ، لسوء حظ عام ، بما ينتميه أو يفرقه من دسيسة او سوء فهم . بيد انه يظن ضرورة يلوح ظهوره في كل معطف من منعطات التاريخ .

إلى فرنسا التي تتألم تشق في جانب روسيا التي تتألم ، وفرنسا التي تقاتل تساءد روسيا التي تقاتل . وفرنسا التي أغرقت في لجة اليأس

تعاود روسيا التي عرفت كيف تطلع من ظلمات الهاوية الى شمس العظمة .

برقية الى المفوض السامي دارجنيلو في توميا

لندن . ٢٧ كانون الثاني ١٩١٢

الأکید ان تطور هجوم العدو يرهق بثقله الممتلكات الفرنسية القائمة تحت سلطتك ويهددها بخطر كبير ، وربما ، وشيك الوقوع . وانا اعرف ان رسائلك ضعيفة وأتيتن ان الحو حولك مربد لا سبيل فيه الى الصمود . وانا اعمل كل ما يوسعي لانجذك . وقد اصحت «سركوف» كما تعلم ، في طريقها لتلتحق بك ، وكذلك هو شأن عدد من ضباط البر . وانا ارسل اليك من دوالا ، صابطا رفيعا جدا بار ومكين : العقيد لانوس القادم من المغرب .

علينا ان نتوقع ، بحسب ما لدي من معلومات ، تحسنا قريبا في وضع الباسيفيك العام ، على قساعدة أستراليا ، بسبب من التجمعات الجوية والبحرية التي أرسلها الحلفاء .

أما من حيث الوضع الداخلي ، فإن سلطاتك عمليا ذات طابع سري . وإعلان حالة الطوارئ إنما يتوقف عليك وحدك ، وبها تستطيع مراس سلطاتك على نحو أسرع . وإني لأعلم ، أية كانت احوال ، أنك لتحسن الدفاع عن نفسك . ويمكن القول : إن شرف العلم الفرنسي وعلم النصرانية هناك ، هما بين يديك . أعانقك .

بلي أمرني للقوات التابعة لإمرتك ، والأهالي الخاضعين لسلطتك :

جزر الهيبريد الجديدة ، وكاليدونيا الجديدة ، ومنشآت أوقيانيا الفرنسية ، هي الآن مخافر الحرب الأمامية . ومهمكم جميعا ان تدافعوا عنها ، وانكم تحصنون أداها ببسالة ، وبراعة ، وانتظام ، تحت إمرة

رئيس محتك ، ألا وهو الأميرال دارجيليو وحلفاءه الوسائل الذين
بتقوتهم بسرعة يمينتوكم عليها أن لغربا والامبراطورية من
الثقة بكم .

والجبرال ديفول ،

رسالة الى السيد ونستون تشرشل

لندن ، ١١ شباط ١٩٤٢

عزيزي الوزير الاول ،

لقد أصبح للمستعمرة الفرنسية مدغشقر ، وللقاعدة دييغو - سواريز
خاصة ، أهمية استراتيجية عظيمة في الوضع المصام الباقى عن دخول
اليابان الحرب ، وذلك فيما يتعلق بالاقليم الهندي .

وراقع الحال ، أن قسماً كبيراً من اهالي مدغشقر ، ظلّ أميناً
لفرنسا ، وهو في الوقت نفسه ، وبمعزود واقعه هذا ، يرغب في خدمة
قضية الحلفاء . بيد ان أعمال القمع هناك التي تقوم بها سلطات فيشي
الخاضعة لسيطرة العدو ، شأنها مع اجراء أخرى من الامبراطورية ، تحول
دون الاهالي وأمانهم .

واللجنة الوطنية الفرنسية ، مصممة على لمضي في صمّ مدغشقر
شكريس حرر من قواتها الخاصة ، لهذا الغرض ، كي تأخذ على عاتقها
الدفاع عن هذه المستعمرة الفرنسية ضد الأعداء المشتركين ، وتجعل مواردها
تساهم في مجهود الحلفاء الحربي .

ويحتمل ان تشمل هذه العملية على حرية بحرية ومساعدة حوتية من
قوات الامبراطورية البريطانية . وللجنة الوطنية الفرنسية الشرف بأن
تفترج على حكومة حالته ، وضع خطة مشتركة تنفذ في أقرب
وقت ممكن .

تفضل ، يا عزيزي الوزير الأول ، بقبول أخلص عواطفني وأسماعها .
(يلي تفصيل خطة العملية المقترحة)

برقية إلى المفوض السامي دارجنليو في روميا

لندن . ٢٥ شباط ١٩١٢

أنهت إلي واشنطن ان الجنرال باتش ، قائد القوات البرية الأميركية في الباسيفيك ، تلقى الأمر بالذهاب لمقابلتك . والتعليقات التي صدرت إليه ، ان يتفق معك مباشرة وبأقصى روح ودية ، لتنظيم القيادة .
وتلقى قنصل الولايات المتحدة في روميا ، من جهة أخرى ، أمراً بأن يصرح علانية ان حكومته لا تعترف بسلطة في جرر الباسيفيك الفرنسية ، سوى سلطة اللجنة الوطنية الفرنسية .

ليس لنا ، في هذه الأوضاع المرضية ، أي اعتراض على نزول قوات أميركية في أرضينا . فإذا تحقق هذا النزول ، يصبح ثمة مجال لظهوره بأمرز قوة ممكنة .

وعليك ، مع ذلك ، ان تبدل كل ما في وسعك ، خلال اتصالات التسوية الذي بمقدمه منك الجنرال باتش ، للحصول على هذه النقطة ، وهي أن تقرر قيادة الدفاع المباشر عن مستعمراتنا ، من اختصاصك . وإذا كان لباتش ، في المقابل ، ان يحظى بمنطقة عمل محدودة ، وكان لديه احتياطي ، ولأنني لا أرى ما يضر في أن تفيل تبعيةك له بالقصة لمجموع عمل الحلفاء فيما بينهم ، في ذلك الميدان .

رسالة إلى السيد إيدن

لندن ٨ آذار ١٩١٢

عزيزي السيد إيدن ،

يبدو لي من الضروري ، بعد محادثتنا في ٥ و ٦ آذار ، ان أوضح

لك راحة عص القاط التي أود من معادتك ، ان تقدر أهميتها .

لقد وقع حادث داخل فرنسا الحرة ، وذلك أن الأميرال موريليه
الوصي الوصي للبحرية قدّم استقالته من عضوية اللجنة الوطنية وقالت
اللجنة هذه الاستقالة وعينت الأميرال أوبواو مفوضاً للبحرية . ومنه أصبح
الأميرال في حالة استبعاد ، تلتقى بالنائي ، تلبية عسكرياً حصاً .

ورأت حكومة جلالة البريطانة انها تستطيع التدخل في هذا الشأن ،
وتصلت وأعلنتني أن هذه الحكومة ، وإن كانت لا تريد التدخل في
تأليف اللجنة الوطنية الفرنسية ، تؤيد ان يحتفظ الأميرال موريليه بمركزه
الغالب الاعلى للقوات البحرية الفرنسية الحرة . وأصبحت انك منبهي لي
قريباً التدابير التي عرمت احكومة البريطانية على اتحادها في حالة رفض
اللجنة الوطنية الفرنسية هذا الشرط .

أشعر انه يجب ، قبل أن يصل الأمر الى هذا الحد ، أن أصرح
الأسباب التي تحمل مثل هذا القول من جانب امرئ مستحيلاً
لا حاجة ، فيها احسب ، إلى الإلحاح في بيان إرادتنا أن نكون
ونظل حلفاء حازمين وأمناء لبريطانيا العظمى . فلقد أعطينا ولازل
بعضي ، على صحة ذلك ، اسطح الأدلة وحتى أشدها إبلاماً للرجال .

إلا أن ما شرعنا في عمله خدمة لفرنسا ، إلى ينسج حرج كس
عرف (رئيس دولة ، حكومة ، برلمان ، هيئة الدولة ، امكارات
تشريعية) ، واللجنة الوطنية الفرنسية نفسها وقسم من قواتها ودواشرها
مرغمة على الإقامة في أرض أجنبية . إنا نأسف بالطبع لذلك ، ونأمل
أن تتبدل هذه الأوضاع الشاذة يوماً ما . ولكن يجب أن نأخذ الاشياء
كما هي . ويسمح عن ذلك أن الساء كله يقوم في حوهره ، على ثلاثة
عناصر استثنائية

الاول هو العمل الشخصي والرمزي للجنرال ديغول - وأعندر عن

كتابة ذلك - في الحرب وسلطة اللجنة الوطنية الفرنسية التي انشأها
الثاني هو انضواء الفرنسيين الحر للسعي ، والتعاطف المتقد معنا من
قبل عدد جد كبير من لم ينصروا إلينا .

الثالث الاحتفاظ بما بقي من استقلال وسيادة فرنسيتين بحاسب عليها
الجنرال ديمول واللجنة الوطنية الفرنسية من قبل بلادها .

تلك هي العناصر الثلاثة التي سمحت للفرنسيين الاحرار أن يعيدوا
لى متابعة الحرب أراضي فرنسية ذات أهمية ، وقوات فرنسية لا بأس
بها ، وأنت يبعثوا في بلادهم ذاتها أملاً ، وحتى شعوراً بالكرامة
تخيب معها الحياة ولتعاون مع العدو .

وجلية الأمر أن المطلب الذي تقدمت به الحكومة البريطانية فيما
يتعلق بالمصعب الذي يُسند الى ضابط فرنسي عمام عن طريق اللجنة
الوطنية الفرنسية اذا هو نفذ ، إنما يكون مساساً مبائراً بهذه المبادئ
الثلاثة دفعة واحدة . وإن اللجنة الوطنية للرفض القبول به .

وامه لأکید ، من جهة أخرى ، ان تنظيم فرنسا الحرة وعملها لا
يستطيعان حالياً أن يعموا ، وحتى ان يظلا على قيد الحياة ، لأسباب
عادية وسياسية ، دون مساعدة الحكومة البريطانية . ثم ان الجنرال
ديفول غما اشأ بنيانه كله ، على اساس من الامانة والتعالف مع بريطانيا
العظمى ، مها كلف الامر ، ضمن السعي في بلوغ الهدف ، وهو النصر
المشترك والفرنسيون الاحرار يعتبرون ان ما يقومون به الى جانب
البريطانيين وفي سبيل قضية واحدة ، يتخص ان يُعامروا ويُتصرف
مهم كحلفاء وان تأييد البريطانيين لا يجوز ان يكون موضوع إعادات
نظر وقيود متواصلة ، أو لقاء شروط تتنافى ومهتر وجودهم نفسه .

وإن الجنرال ديفول خاصة ، الذي يتحمل ، في الواقع والقانون ،
تبعة فرنسا الحرة ، تجسأ بلادها والدول الأجنبية ، لا يستطيع أن

يستمر في عمله اذا بُورع في المساعدة المادية والمعنوية من قبل الحكومة البريطانية جهة او تفصيلا ، ومن طريق أخرى ، اذا اتخذت هذه الحكومة من الفرنسيين الأحرار ، موقفاً مناقضاً للتدابير التي يتخذها الجنرال ديفول واللجنة الوطنية الفرنسية .

وإذا كان لمثل هذه الفرضية ، مع ذلك ، ان تتحقق ، فإن الجنرال ديفول واللجنة الوطنية الفرنسية يكفان عن الإصرار على أداء مهمة تفدو مستعجلة . وهما يتمسكان ، في الواقع ، بهذه النظرة إلا وهي ان من الجوهرى على نحو مطلق ، ان يظلا أمينين للهدف الذي عيناه لنفسيهما ، فيما يتعلق باستقل فرنسا كما يتعلق بمحاضرها . وهذا الهدف انما هو إسباها فرنسا وإعادة بناء وحدتها الوطنية في الحرب الى جانب الحلفاء ، ولكن دون ان نضحي باستقلال المؤسسات الفرنسية وسيادتها .
لحكم بصدق .

برقية الى غلستون بالوفسكي منوهى فرنسا الحرة في أفريقيا للشرق

لندن ، ١٢ آذار ١٩١٢

تلقيت جهودك ووافقت عليها لبوغ المهدفين اللذين نعى اليها في منطقة عملك وقشيلك :

(١) إعادة ساحل الصومال الفرنسي الى الحرب ، ضد العدو ، وذلك بوصح حشد نهائي للمعارضة اللاوطنية من جانب سلطات فيشي عن طريق الحصار .

(٢) إعادة حقوق فرنسا وقشيلها في امبراطورية الحبشة ، المتحررة بمؤازرة حرايا .

لم نستطع حتى الآن ، بلوغ المهدف الاول الذي يتجاوز بكثير حتى قضية جيبوتي . وسياسة شبه الحماية التي توليها نظارة خارجية واشنطن

حكومة فيشي ، أحد أسباب عجزنا ذلك ، ثم اعتبار حلقاتنا الريطانيين في الوقت الراهن أن من المستحيل أن يعصلوا سياستهم عن سياسة واشنطن في أي موضوع خطير .

إن هذا بطوي ، في رأينا ، على عصر شؤم من جميع النواحي ، وليس لدينا بعد إمكانية إزالته . ومع ذلك ، فإن قضية سان - بيير وميكلون كانت بداية عملية في فقه الدامل .

أما إعادة حصور فرنسا في الخبشة ، فانا أعتبر أن مهمتكم فيها قد نجحت إلى أبعد حد تسمع به الظروف . ولم يكن في مستطاعنا أن نضع الريطانيين من التعامل وحدهم مع المجثي ، ولكن كان عليهم أن يقوموا بذلك في أحوال من شأها أن تترك الباب مفتوحاً لفرنسا في المستقبل . وفيما يتعلق بالمعامل من الأمور ، فقد كسبنا أولاً بعض حمودنا ، نتمت وحدودنا محلياً ، ثم إمكانية إعادة وطنيتنا ومؤسستنا ، إلى نفوذنا . وأخيراً لم يكن وجود قواتنا خالياً من الأهمية .

خاتمة خطاب ألقى في لندن

في ١٢ نيسان ١٩٤٢

امام « لجنة مصلحة الدفاع الوطني العام »

كيف يمكن الاعتقاد أن في مدراسة نهمد القائه في فيشي أئمة هتلر ، ما يمه من أن يتدفع في لعمرون مع العدو ، حتى يتأخره لآخيرة " من ذا الذي يستطيع أن يتصور حادثاً أن رغبات هتلر وأمره ، في مثل هذ الموضوع يكرر أن يرعزها شيء سوى مقاومة الأمة الفرنسية التي تكهرها فرنسا المحاربة ؟ واد كفتت فرنسا عدداً عن القتل ، في مثل من مستحيل ، ، فأي سفير يستطيع ولو لدقيقة واحدة ، أن يتبع هير من النصر بها على هواه ؟ اما لا نحسب أبداً أن حزب الحرية يعني يوماً من الأيام أن يحارب ويحسر فرنسا مستملاً مثل هذه لأوهام .

كيف التالي يمكن أن تعزى أدنى قيمة لبعض الاتجاهات التي تشير إلى أن على الديمقراطيات أن تعترف بعربنا في شخص جماعة فيشي ، أكثر من أن تعترف برؤساء فرنسا المحاربة ، بحجة أن هؤلاء لم يتخذوا بوصح كاف موقفاً مؤبداً للحريّة ؟ هناك ، في مثل هذه المزاغم ، إهانة حقيقية للديمقراطيات نفسها . وهذا يعني إبلاء هذه الديمقراطيات ، على نحو مصطنع ، نية التدخل فيما يخص سيادة الشعب الفرنسي وحده ، ولكن ذلك يعني أيضاً للتشهير بها أنها ذات غياوة عمياء مضحكة . وذلك لأن ميل إلى قوم سق أن هدموا جميع الحريات الفرنسية ، ويجادلون لأن أن يجعلوا عهدهم على مثال الفاشية أو صورتها لمسوخة ، أكثر من أن يحاولوا إبلاء تقصير فرنسيين أبراراً يتأهبون على تطبيق قوانين الجمهورية ، وبكافحون حتى الموت وهذا ضمن كفاحهم ، ضد العدو المستبد ، ويعطون على رؤوس الأشرار أن مهمتهم إنما هي تخلص الشعب لملول لاعادة بنائه سيداً ، فإن ذلك يعني في الحقيقة ، إدخال مبدأ المسكين غريبوي على السياسة ، وهو الذي ألقى بنفسه في اليخ خشية من اللول .

وكيف يمكن القول أخيراً أن تستلم الديمقراطيات ، بموقفها من فرنسا المحاربة ، للتقاييد الشائع الثقافة ، وتترك نفسها تحت تأثير أسفها أن لا تجد في فرنسا كثيراً من الأسماء التي سق لها ان احدث بذلك التفكير ؟ إن في ذلك قبل كل شيء ، حيفاً كبيراً يصيب كثيراً من الرجال المشاهير الذين لا يحبسون في فرنسا وخارج فرنسا ، إلا من أجل انتصارنا . وإن في ذلك أيضاً سبباً للأسر الكامل الذي وضع فيه العدو والحوة ، يلاذي المنكوبة . ثم إن في ذلك على الأخص ، تنكراً خطيراً لواقع يسيطر اليوم على القضية الفرنسية ويدعى « الثورة » . وذلك بأن هذه ثورة ، وهي اعظم الثورات في تاريخ فرنسا ، اذ نخونها نخبتها الحاكمة ، وطبقة ذوي الامتيازات من ابلانها ، ولا تزال

ثورتها هذه في بداية قيامها . وإن عليّ أن أقول في هذا الشأن أن الذين يتصورون في أنحاء العالم ، أن يحددوا في فرنسا ، بعد آخر طلقة مدفع ، فرنسة مائلة لتلك التي يعرفونها من النواحي السياسية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، إنما يقرءون خطأ فاحشاً ، فإن في قرارة آلامها لدقيقة قلبت ، في هذه الفترة نفسها ، فرنسة أخرى جديدة كل الحدة ، وسيكون قادتها رجالاً حذراً . والذين يدهشهم أن لا يحددوا في صفوفنا ساسة استهلكهم الزمن وأكاديميين خافطين ، ورجال أعمال تدربوا على المصاربات ، وسرالات أثقلتهم الرتب ، إنما يذكروننا بأولئك المتخلفين من رجال بلاطات أوروبا الذين كانوا يحتفرون أثناء الثورة الفرنسية الكبرى حين لا يحددون تورغو ، ونيكر ، ولوميني دي بريين في معادهم بين أعضاء لجنة السلامة العامة ماذا يريدون ! إن فرنسا وهي في ثورة ، تفصل دوماً أن تروج الحرب على يد الجنرال هوش أكثر من أن تحسرها مع المارشال دي سوير . وفرنسا الثائرة تفضل دوماً أن تنصت لدانتون ، لتعلن حقوق الإنسان وتقرضها ، على أن يشأها النحاس وهي تصمي لدندات الصيغ الحقيقية .

كان كلبيسو ، يأسادة ، يقول عن الثورة : « إنها هذه كثة » . ويمكن القول معه عن هذه الحرب اللامظورة . ولا يُسمح للديمقراطيات أن تحال على واجبتها في أسوأ لحظة من لحظات النزاع ، هذا النزاع الذي هو بالضبط نزاع أخلاقي . ولن يسمح لما يسمى الواقعية التي قادت الحرب ، من مويج إلى مويج أخرى ، إلى حافة الهاوية نفسها ، إن تستمر في حذاع الحامات وخيانة التصحيات . إنها بقاتل الشر ، وقد سخفونا في ساحة القتال بأجل ما هو رهيب لدينا ، وأعني مصير أوطاسا . وما من أحد يملك الحق ، تجاه الآخرين كما تجاه نفسه ، أن يسيء العمل مع هذه التحليلات الجبابة التي تصع القضية المشتركة بين الجميع ، في

خطر . وإن فرنسا المحاربة لتزعم أنها من هذه الوجهة ، تقدم القدوة الصالحة إلى أبعد مدى قتاله وسائلها . وهي على ثقة تامة أنها ستلاقي الثواب الكافي لدى حلفائها .

برقية إلى الجنرال لوكير في فور-لامي

لندن ، ٢ نيسان ١٩١٧

تلقيت برقيتكم المؤرخة في ٢٨ آذار ، وأمنت النظر فيها ، وبها نصيحتكم عن تعيينكم قائداً أعلى لقوات إفريقيا الفرنسية الحرة .

وما دمت قد اطلعت على رأيكم هكذا ، فلاي أصر على الأوامر التي أصدرتها إليكم مع الالتفات إلى المصالح العليا التي أثارها مسؤول ... لا يهولتكم الارتقاء السريع . فانا لم أقصد بحال ، إلى ادخال السرور على قلبك ، رغم صداقتي لك . وإنما القصد قلبية ضرورات عليا فرضت عليّ أن أفيد من كل فرد أقصى الإفادة ، حسب استعداداته ونحن في ثورة . والكفاءة وحدها هي التي تبرز الوظيفة والنا قاضي الكفاءة .

رسالة إلى السيد أنطوني إيدن

لندن ، ٩ نيسان ١٩١٧

عزيزي السيد إيدن ،

لقد انتدبنا الوزير الأول في ١٦ كانون الأول ١٩١٦ ، إلى قضية مدغشقر .

وأنهت ، بعد شهرين ، في ١١ شباط ١٩١٧ ، إلى السيد وستون تشرشل مشروع عملية ، بنسبة استنقاذ هذه المستعمرة الفرنسية من الخطر الياباني ، ووضعها في خدمة الحرب من أجل قضية الحلفاء . وقد أرسلت نسخة من ذلك المشروع إلى مفوضية اتحاد جنوب أفريقيا العليا ، ونسخة إليكم .

وفي ١٩ شباط ١٩٤٢ ، وحيث من جديد رسالة الى الوزير الأول
أبين له فيها أهمية القضية وإلحاحها لإزاء تطور الحالة في الشرق الأقصى .
صحيح أنه منذ ذلك الحين ، حصلت الولايات المتحدة من قبلي على
تأكيدات جديدة تتعلق بمعدنقر ، ولكنني أشك في أن أحداً ، حتى
في واشنطن ، يقيم أدنى وزن لهذه التأكيدات .

وقد رامي إليّ أن مشاعر قلبي شديد أخذت تساور بعض الأوساط
الأميركية السياسية ، حول الخطط التي يمكن أن يمتدتها اليابانيون ضد
جزيرة لا تحتاج أهميتها الاستراتيجية الى بيان .

أعتقد أن من واجبي ، في هذه الحال ، أن أذكر أننا نتصك
نفسكاً جوهرياً بمشاركة القوات الفرنسية الحرة في كل عملية يمكن أن
يشرع بها الحلفاء . واللجنة الوطنية ترى ، عبداً ذلك ، أن
تتولى إدارة هذه المستعمرة الفرنسية في منطلق تلك العملية ، على نحو ما
هو الشأن مع الأراضي الفرنسية الأخرى التي تتابع الكفاح الى جانب الحلفاء .
راني لأكون لكم ممنياً إذ تفضلون بإطلاعي على مشاعر حكومة
جلالتكم إزاء هذه المسائل المختلفة . لكم بصدق .

ملحظة حول تنظيم فرقة فدائيين فرنسيين

أرشدت الاميرال لورد ليريس مونتباتن

رئيس العمليات المختلطة

لندن ، ٢٥ نيسان ١٩٤٢

إن الجنرال ديفول يمتدح أن من الجوهرية اشتراك عناصر فرنسية في
أعمال الفدائيين البريطانيين ، ولا سيما إذا جرت الأعمال فوق أرض فرنسية .
وهي الرغم من أنه لا يستطيع أن يزود هذا الميدان إلا بملاحظات
ضئيلة ، فهو يقدّر أن أعمال حرب فرنسية - بريطانية في أرض فرنسية
وتكون ذات تأثير فعال في نفوس الأهالي .

بيد أنه يصرّ على أن لا تكون مثل تلك المشاركة محض امتصاص بسيط لشرفمة من الجنود الفرنسيين في قبلى من الفدائيين البريطانيين .

إنّ الجنرال ديفول يريد تشكيل فرقة من ٤٠٠ فدائي فرنسي ، وهو يُنزل في الحال إلى الميدان ٦٠ فدائياً طلبهم اللورد لويس مونتباتن ، ويستقدم الاضافي الباقي من الشرق حيث توجد وحدات فرنسية فائقة ، ماضية المعزجة .

ولديه في الشرق ، من جهة أخرى ، سرية من المظليين وقطعة في إنكلترا . فإذا جمع هذه العناصر كلها في إنكلترا ، استطاع أن يحملها تشارك في كل عملية في فرنسا يستخدم بها المظليون .

وعناك أخيراً في بورتسموث وكلوز :

٤ زوارق بمحركات ، ٨ مطاردات غواصات ،

ونوعية هؤلاء مؤملون بصورة خاصة للمشاركة في العمليات المختلطة .

ومن الضروري أن نضيف أن الجنرال ديفول يعتبر شيئاً أولياً أن يكون على علم سابق بكل عملية في فرنسا . وإذا كان العناصر الفرنسية أن تشارك ، فهو الذي يصدر إليها الأمر بذلك .

وإذا كانت القيادة البريطانية مواظفة ، فالجنرال يعطي تعليماته تبعاً لذلك .

برقية إلى المفوض السامي دارجنيلو

في نومييا

لندن ، ٩ أيار ١٩٤٢

تفضل ، وسلم الجنرال باتش ، الرسالة الشخصية الآتية ، من قبلي :

« يحني في الوقت الذي يقترب القتال به من كاليديونيا الجديدة »
 أن أقول لكم إنني شخصياً وجميع الفرنسيين الأحرار ، نتوجه بنقطة
 محوكم ، ونحو للقوات الأميركية الباسطة العامة تحت إمرتكم . وإني لأعرف
 المصاعب الإضافية التي يمكن أن تطرأ عليكم ، كما يمكن أن تطرأ على
 دارجيليو ، وأعرف مشاعر أهالي ذري ولاء ولكن أصابعهم ببعض
 الاضطراب تحت وطأة الحوادث . وأنا مقتنع ان تلك المصاعب تزول
 حالاً . كما سرت مع دارجيليو يدأ بيد ، فإن هذا وضع ثقني ، وهو
 المسؤول عن سيادة فرنسا وسلطانها في كاليديونيا الجديدة . وإني لأدعو ،
 من جانبي ، دارجيليو ان يسلك على وفائي صريح معكم . ولكم
 سلامي القلبي » .

برقية الى الجنرال كاترو

في بيروت

لندن . ٢٦ أيار ١٩٤٢

سواباً عن برقيتكم المؤرخة في ٢٠ أيار ١٩٤٢ التي درسناها في اللجنة
 الوطنية :

أنتم تضعوننا من قضية الانتخابات هذه في سوريا ولبان أمام مسألة
 لا يزال ينقصها الشيء الكثير ، ما دمتم قد أصبحتم ملزمين تجاه كايدي
 وما دامت الصحافة الأميركية قد روت الخبر على أنه مستحيل . ولا أزال
 على اعتقادي انه كان من الافضل ان نصيد نحن بأنفسنا المهد الدستوري ،
 في سوريا على الأقل ، خلال شهر آب المنصرم ، باستدعاء هاشم بك
 الاسدي . وبذلك كنا نداركننا الاتهام بعدم الصدق والبلاء باستفتاء
 انتخابي ، ونحن في صميم الحرب .

ربما كان اهالي سوريا قد كبوا بعض الفوائد من براعة الشيخ تاج
 الدين . ولقد كان من المتوقع أن لا يصمد النظام القائم هناك على المدى

الطويل ، سواء تجاه الخارج والداخل . ما نحن نضطر اذن الى العمل في شأن يتعلق باتتدائنا ، قضية لعمرة من مزاحمتنا البريطانيين ...

ومهما كانت الامر ، فإن اللجنة الوطنية لا تستطيع أن ترد اقتراحكم المتعلق بالانتخابات في سوريا ولبنان ضمن الشروط التي تقدمونه بها .

غير أننا لا نملك ان نقبل ، إذ تدعون الأهالي الى الاقتراح ، قولكم انكم تصرفون باسم الحلفاء ، فليس البريطانيين مطلقاً أي حق سياسي ، أو شرعي للظهور في هذه القضية . نحن وحدنا المنتدبون في المشرق .

وإني لأعلق على هذه النقطة الدقيقة أهمية قصوى . أرحبكم أن تدبروها اهتمامكم وان تفهموها ، على نحو قاطع ، للسيد كايزي .

برقية الى الجنرال كاترو في بيروت
الى الجنرال دي لارمينيا في بيروت
الى الحاكم العام أبيهويه في برزلبيل
الى الجنرال لوكليز في برزلبيل
الى المفوض السامي دارجنيلو في نربيا

لندن ، ٦ حزيران ١٩٤٢

يبدو ان لسياسة إنكلترا مأرب خاصة في مدفئفر ، رغم الاحتياط الشكلي الذي اتخذته الحكومة البريطانية تجاهنا في قضية تلك المستعمرة الفرنسية .

وإن لدي من الأسباب ما يحتمني أفكر أن عملية من الطراز نفسه ، ربما تحال مشتركة بين الولايات المتحدة وإنكلترا ، وتمتد ضد دكار

وحلقة النيجر . وسنبعدُ عنها كما أبعدنا عن مدغشقر للأسباب نفسها . ولكن سنستخدم لتعطية الموقف تجاه الرأي العام الفرنسي الذي يولينا الآن ثقة تكاد تكون عامة .

وإن من واثقي أن أقول لكم ، وأنتم رفاقي في خدمة فرنسا أنه إذا تحققت شكوكي ، فلن أقبل أن أظل شريكاً للدول الانكلو - سكسونية . واني لأقدر ، انطلاقاً من هذه النقطة ، أنه سيكون من الاثم ان نستمر في تقديم عوننا المباشر لهم

ولقد ، صحت اليوم تحذيراً الى الحكومة البريطانية ، في هذا الشأن ، وأصحت ، طبعاً ، انني آخذ مثل هذه الفرضية على أنها شيء غير محتمل تقريباً .

وحظ فرنسا في هذا الاحتمال الرهيب إما هو أن يبقى متحدين في كتلة لا تتصدع . وأطلب اليكم أن تبنوا بوضوح ، منذ الآن ، لمثلي الانكلو - سكسون الذين يتصلون بكم ، ان تلك هي هربتنا . ومع ذلك ، أقدم لكم للنمطيات الآتية لتصرفوا بموجبها في الحالة التي نجد بها أنفسنا مكرهين على التحلي عن شراكة أصبحت غير مقبولة :

تجتمع ، قدر المستطاع ، في الأراضي التي حررتها . نصعد في تلك الأراضي . نقطع مع الانكلو - سكسون كل علاقة ، معها كلتنا ذلك . نحذر الشعب الفرنسي والرأي العالمي ، بكل ما لدينا من وسائل ، ولا سيما عن طريق الاذاعة ، ونبسط أسباب موقفنا . وسيكون ذلك الوسيلة الكبرى ، فيما اعتقد ، لمحاولة حل الامبريالية على التراجع ، عند الاقتضاء . وسيكون الموقف اللاتق الوحيد ، في جميع الاحوال .

وأبين لكم ان الحكومة البريطانية حادت بي عن الطريق ، وانا الذي كنت أود ان اذهب الى بيروت وبراغفيل في مستهل ايار ،

لأعذار مزيفة ، مغتيلة . وبعد أيام جرت حادثة ديفور - سواريز .
وقد كنت أريد أن أذهب لمقابلتكم في الوقت الحاضر ، فقد جاءني
الحكومة البريطانية تطلب إلي تأجيل السفر ، زاعمة إمكانات عمليات
يقال إنها في الغرب ، وأنا أعرف ، من جهة أخرى ، أن مثل هذه
العمليات بما لا يمكن تصوره ، في الحالة الراهنة . وليس لديّ هنا
وسائل خاصة ، لأنّقل بدون موافقة الاسكيز .

واختم قائلا : أعتقد أننا سنخرج من هذا المأرق ، على نحو مرضي ،
بد أن ذلك لا يقوم إلا على أساس من حرصنا ، والتحاد . لكم مودتي .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة

في واشنطن

لندن ، ١٠ حزيران ١٩٤٢

برنار (أو : داستيه دي لافيغيري) رئيس حركة « التحرير »
هو منذ بضعة أيام في لندن . وقد أطلعت بمطبخ ، على مشروع في
السفر إلى الولايات المتحدة ، وعادة رحلته هذه أن يبسط أمام الحكومة
الأميركية حالة الرأي العام الفرنسي ، على حقيقتها . سيصل إليكم
بلا انقطاع . قدّموا له كل حدّ استطاع ، واثركوا له في الوقت ذاته
حرية المبادرة لأسباب تدركونها . وبسبب من طبيعة سفره السريّة
البالغة في سرّيتها ، لا نمرّوه - في مفوضيتنا - إلى أحد سوى شمينيه .

رسالة إلى الجنرال كونيغ

في بوسكيم

لندن ، ١٠ حزيران ١٩٤٢

أيها الجنرال كونيغ ! اعلم وقبل لتوافئك إن فرنسا كلّها تنظر
إليكم وأسلم فخرها .

برقية الى الجنرال كاترو في بيروت
الى الجنرال دي لارمينيا في بيروت
الى الحاكم العام ابيوبه في برادابيل
الى الجنرال لوكليو في بوازفيل
الى المفوض السامي دارجنيلو في روسيا

لندن ٠ ١١ حزيران ١٩١٢

قابلت أمس السيد إيدن مطولاً ، بمسح حديثي في ١٠ حزيران مع
السيد تشرشل . المحادثات التي ختمت بها علياً ، مساء على نعلباتي ، مع
مثلي بريطانيا ، أحدثت أثرها ، إذ قدم لي السيد إيدن بمسح السيد
تشرشل ، التأكيد الصريح ، أنه ليس لحكومته أي مارب في أي
ارض من أراضي الامبراطورية العثمانية ، وأنها لا تختط أي مشروع
للقيام بعمل ما ضد دكار ، على وجه الخصوص ، ولا ضد حلقة النيجر ،
وهي واثقة من أن للأميركان وجهة النظر ذاتها . وقد أحدثت علماً
بهذه التأكيدات . غير أنني بينت للسيد إيدن مع ذلك ، أن المصاعب
التي تسببها لها السياسة البريطانية في المشرق ، وتأخير إرسال شكوف
الى ديفو - سواربر ، وسياسة تثبيت الامبراطورية العثمانية وتحبيدها
التي تلتصقها الولايات المتحدة ، وموقف هذه من سان - بيير وميكلون
والأليل الفرنسية وغينا ، وكاليدونيا الجديدة ، وأعمال بعثة فرانك في
البحر ارمينا في النيجر ، تظل في نظرها عساسة قلق . وكرر لي
سكرتير لدولة البريطانية ، جيداك ، تصريحاته المطمئنة .

أرجوكم ، في هذه الحال ، ان تحيطوا المشين البريطانيين علماً ، من
يتصلون بكم (وللجنرال كاترو ان يعلم كايدي) أنني اطلعتكم على محادثاتي
الاخيرة مع السيد تشرشل والسيد إيدن . تقولون لهم ان علامات الخطر

التي أحدثت لدينا مظاهر قلق شتى ، يمكن اعتبارها بعد تلك الحوادث مستبعدة عما يتعلق بالجانب البريطاني . وتضيفون انكم على استعداد ، بالنائي ، في منطقة سلطتكم ، لبعث جو من الانفراج .

واعتقد ، مؤمناً ، ان تلك الرحلة الاخيرة التي قام بها مولوتوف الى لندن وواشنطن ، كانت لنا سداً فعالاً ، وان متطلبات الروس حول فتح جبهة غربية هذه السنة ، جعلت مشاريع اخرى كانت قد اذهب قبل بعض التغيرات ، مطلقة .

خاتمة خطاب ألقى في ١٨ حزيران ١٩٤٢

في ألبرت مول بلندن ، في « برسي برغانيا العظمى »

لم تنقطع الموجة منذ ستين عن ضرب فرنسا المحاربة وإحداث شقاق في صفوفها . فقد تأمر الماور ، والدعاية ، والبروس في الداخل على إضعاف حركتها والتنقليل من شأنها ، ولكن عليها في الخارج ان تغلب ممنوياً ومادياً على مصاصي لا حصر لها . ولكن فرنسا المحاربة تطفو ، وهي تقدم ابدأ ، فوق اللجج العارمة . ونحن أقبل في بير حكيم ، شعاع من معدنها المنيع ، يماثل جبين جنودها الدامي ، عرف العالم فرنسا من جديد .

آه ! نحن لا نعتقد ان الهنة بلغت منتهاها . ذلك أكيد . ونحن نعرف كل ما بقي من قوة وكيد لدى العدو . ولا لجهل الامد الذي يقتضيه حزب الحرية ليظهر كل قوته . ولكن ما دامت فرنسا قد أسهمت ادباً وإرادتها في الظفر ، فلن يكون ابدأ بالنسبة لنا شك ، ولا عذاه ، ولا ملل . اننا ونحن المتحدون في سبيل القتال ، مصممون على التضال حتى يشحر الوطن . وعند ذلك ، بعد ان تنتهي مهمتنا ، ونفرغ من دورنا ، على أروا أولئك الذين خدموا فرنسا منذ فجر التاريخ ، وقبل

أولئك الذين سوف يخدمونها في مستقبلها الأبدى تقول لها بكل بساطة ،
كما قال بيني
« ما هم يا أماء ابناؤك الذين قاتلوا ذلك القتال العظمى »

تصرّح ظهرو في نشرات سرّية في فرنسا

٢٣ حزيران - ١٩١٦

أصبحت الحجب الأخيرة التي استتر خلفها العدو والحيانة ، ليعملوا
ضد فرنسا - أصبحت ممزقة بعد اليوم . أنت مدار هذه الحرب واضح
لدى الفرنسيين جميعهم : الاستقلال أو العبودية . وعلى كل واحد مننا
الواجب المقدس لأن يعمل كل ما يرمعه للمشاركة في تحرير الوطن عن
طريق سحق الغزاة . ولا مخرج ولا مستقبل إلا بالنصر .

ولكن هذه الحجة المروعة كشفت للأمة أن الخطر الذي يهدد وجودها
لم يأت من الخارج فحسب ، وأن نصراً لا يحمل معه تجديدًا داخليًا
جربنا وعينا ، لا يكون نصراً .

لقد هوى في الحرية عهد اخلاقي ، اجتماعي ، سياسي ، اقتصادي ،
بعد ان كان قد "نُزل" هو نفسه في الاباحية . وثمة عهد آخر ، انبثق
من استسلام إجرامي ، ينشئ في سلطة شخص . إن الشعب الفرنسي
ليدين المهددين معاً ، وفيما هو يتحد في سبيل النصر ، يتجمع من
أجل ثورة .

وعلى الرغم من اللامبال والكميانات التي رمتها الأمة بأعلال المبودية ،
فإن ألف شهادة ارتفعت من أعماق أعماقها ، تظهر للآل شوقها وأملها .
وإننا لنعلن هذين باسمها ، ونؤكد أهداف الحرب التي يخوضها الشعب
الفرنسي .

إننا نريد أن يعود إلى الأمة الفرنسية كل ما كان في حوزتها .
وكلفة الحرب إنما تعني في نظرنا ، إعادة الكيان لأراضي فرنسا ،
وامدراطوريتها ، وراثتها دفعة واحدة ، وإعادة السيادة التامة للأمة على
نفسها . وكل اغتصاب ، سواء أتى من الداخل أو من الخارج ينبغي
أن يدمر ويكنس . وإننا إذ نزعّم أننا سفرد فرنسا وحدها وبفردها
سيدة في ديارها ، فإننا سنعمل على نحو يكون معه الشعب الفرنسي
وحده وبفردده سيداً في داره . وفي الوقت ذاته الذي يفدو به الفرنسيون
متحررين من جور الأعداء ، ينبغي أن ترد إليهم حرياتهم الداخلية .
فإذا قم طرد العدو من أرض البلاد ، ينتخب جميع رجالنا وجميع
نساءنا الجمعية الوطنية ، وفيها يقررون مصير البلاد بملء سيادتهم .

إننا نريد أن نزل المصائب بكل من مسّ أو يمس حقوق الأمة
الفرنسية ، ومصالحها ، وشرفها وإن يُلمى من الوعود . وهذا يعني أولاً أن
الرؤساء الأعداء الذين يسيئون استعمال حقوق الحرب على حساب الفرنسيين
وتملكانهم ، ينبغي أن يثأروا عقابهم . ثم هو يعني أن نظام الاستبداد
الذي أقام أعداءنا ضدنا ، وسلطانهم ، وحرّضهم علينا ، ونظام تحالف
المنافع الخاصة الذي لعب دوره في بلادنا ضدّ المصلحة الوطنية ، ينبغي
أن يسحق مأساً إلى الأبد .

نريد أن يعيش الفرنسيون في أمان . ويجب أن نحصل ، في الخارج ،
على الضمانات المادّية من النازي الزمن ، هذه الضمانات التي نجعلها عاجزاً
عن المدوان والبنفي . ويجب أن تتحقق في الداخل الضمانات العملية التي
تؤمن لكل فرد الحرية والكرامة في عمله وبقائه ضد طغيان المساوىء
المتكررة . الأمن الوطني والضيان الاجتماعي هما بالنسبة لينا هدفان
لازمان متلازمان .

نريد أن يُلمى نهائياً هذا التنظيم الآلي للجهايمير البشرية الذي حققه

العدو موزة فيه بكل دين ، وكل خلق ، وكل حبة ، بدعوى انه من القوة بمنزلة تمكن معها من إرهاب الآخرين . ونريد في الوقت نفسه ان يوضع بعد اليوم موضع التنفيذ في ديارنا ، ذلك المثل للفرنسي الأعلى القديم في الحرية والمساواة والإخاء خلال تجديد قوي لموارد الأمة والامبراطورية عن طريق تقنية موجهة ، بحيث يكون كل امرئ حراً بفكره وعقائده ، وأعماله ، ويكون لدى كل امرئ في بدء من نشاطه الاجتماعي ، فرص متكافئة مع فرص الآخرين جميعهم ، ويكون كل امرئ محترماً من الجميع ، وممناً اذا احتاج العون .

نريد ان يكون لهذه الحرب التي تؤثر على مستوى واحد ، في مصير جميع الشعوب ونزوح الديموقراطيات في الجهود الواحد ذاته ، كنتيجة ، ان يتم تنظيم العالم بقم على نحو عالم ، تعاوناً بين الأمم ومساعدة متبادلة في جميع المجالات . ونحن نرى ان تحتل فرنسا في هذا الجهاز الدولي المكانة العليا التي نبوءها اياها قيمتها وعبريتها .

ان فرنسا والعالم يكافحان ويتعذبان في سبيل الحرية والعدالة ، وحق الناس في التصرف كما يريدون . يجب ان يربح حق التصرف والعدالة والحرية هذه الحرب ، وان يحمل من هذه الامور حقاً لكل انسان كما لكل دولة .

وان مثل هذا النصر الفرنسي والاساسي هو التعويض الوحيد ص المهن التي لا مثل لها والتي يقاسيها وطناً ، وهو التعويض الوحيد الذي يشق له من جديد ، طريق المظنة . ان مثل هذا النصر يوارى جميع الجهود والتضحيات . وستتكرر .

فهرست

ص	هذه المذكرات وهذه الترجمة
٦	المنحدر
٩	السلوط
٧١	فرنسا الحرة
١٠٧	أفريقيا
١٣٥	لندن
١٧٩	الشرق
٢١١	الحلفاء
٢٦١	فرنسا المحاربة
٣١١	وثائق
٣٧١	

طبع علی مطابع «امبریتو» بیروت - لبنان

Tous droits de reproduction, d'adaptation et de traduction en langue arabe sont réservés pour tous pays aux Editions OUEIDAT conformément à l'approbation de l'Auteur et à l'accord avec la Librairie Plon en date du 18 juillet 1966 à Paris.

CHARLES DE GAULLE

**MEMOIRES
DE
GEURRE**

L'APPEL

(1940 - 1942)

Texte traduit par Abdullatif SHERARA
et révisé par Ahmad OUEIDAT

EDITIONS OUEIDAT
BEYROUTH - PARIS



EDITIONS MEDITERRANEE
BEYROUTH - PARIS